إِنَّ مِنَ الشِّعْرِ لَحِكْمَةً وَإِنَّ مِنَ الْبَيَانِ لَسِحْراً

(بے شک بعض اشعار حکمت بھرے اور بعض بیان جادو اثر ہوتے ہیں)

("كنز العمال"، ٢/٣٤٨، الحديث: ٨٩٦٤)

قَصِيدَةُ الْبُرْدَةِ
مَعَ شَرحِها
عَصِيدَةُ الشُّهْدَةِ

القصيدة: لأحمد بن أبو بكر البوصيري الشافعي عليه رحمة الله القوي المتوفّى ٨٤٠ھ

والعصيدة: للعلامة السيد عمر بن أحمد آفندي الحنفي المتوفّى ١٢٩٩ھ

مفتي مدينة "خربوت" نوّر الله مرقده



المدينة العلمية

(دعوتِ اسلامی)

(شعبۂ درسی کتب)

اَلْحَمْدُ لِلّٰہِ رَبِّ الْعٰلَمِیْنَ وَالصَّلٰوۃُ وَالسَّلَامُ عَلٰی سَیِّدِ الْمُرْسَلِیْنَ اَمَّا بَعْدُ فَاَعُوْذُ بِاللّٰہِ مِنَ الشَّیْطٰنِ الرَّجِیْمِ بِسْمِ اللّٰہِ الرَّحْمٰنِ الرَّحِیْمِ

کتاب پڑھنے کی دُعا

دینی کتاب یا اسلامی سبق پڑھنے سے پہلے ذیل میں دی ہوئی دُعا پڑھ لیجئے اِنْ شَآءَ اللّٰہ عَزَّوَجَلَّ جو کچھ پڑھیں گے یاد رہے گا۔ دُعا یہ ہے:

اَللّٰھُمَّ افْتَحْ عَلَیْنَا حِکْمَتَکَ وَانْشُرْ عَلَیْنَا رَحْمَتَکَ یَا ذَاالْجَلَالِ وَالْاِکْرَام

ترجمہ: اے اللہ عَزَّوَجَلَّ ہم پر عِلم و حکمت کے دروازے کھول دے اور ہم پر اپنی رَحمت نازِل فرما! اے عَظمت اور بزرگی والے!

(مُستَطرَف ج ۱ ص ۴۰ دار الفکر بیروت)

طالبِ غمِ مدینہ و بقیع و مغفرت

۱۳ شوال المکرم ۱۴۲۸ھ

(اوّل آخِر ایک بار دُرُود شریف پڑھ لیجئے)

قِیامت کے روز حسرت

فرمانِ مصطفٰے صلَّی اللہ تعالٰی علیہ واٰلہٖ وسلَّم: سب سے زیادہ حسرت قِیامت کے دن اُس کو ہوگی جسے دُنیا میں عِلم حاصل کرنے کا موقع ملا مگر اُس نے حاصل نہ کیا اور اس شَخص کو ہوگی جس نے عِلم حاصل کیا اور دوسروں نے تو اس سے سُن کر نَفع اُٹھایا لیکن اس نے نہ اُٹھایا (یعنی اس عِلم پر عمل نہ کیا)۔

(تاریخ دمشق لابن عَساکِر ج ۵۱ ص ۱۳۸ دار الفکر بیروت)

کتاب کے خریدار متوجّہ ہوں

کتاب کی طباعت میں نُمایاں خرابی ہو یا صَفْحات کم ہوں یا بائنڈنگ میں آگے پیچھے ہو گئے ہوں تو مکتبۃُ المدینہ سے رُجوع فرمائیے۔

إنَّ منَ الشِّعْرِ لَحِكْمَةً وإنَّ مِنَ الْبَيَانِ لَسِحْراً

(بے شک بعض اَشعار حکمت بھرے اور بعض بیان جادو اَثر ہوتے ہیں)

("كنز العمال"، ٢/٣٤٨، الحديث: ٨٩٦٤)

قَصِيدَةُ الْبُرْدَةِ
مَعَ شَرحِها
عَصِيدَةُ الشُّهْدَةِ

القصيدة: لأحمد بن أبو بكر البُوصِيري الشافعي المتوفى ٨٤٠ه عليه رحمة الله القوي

والعصيدة: للعلامة السيد عمر بن أحمد آفندي الحنفي المتوفى ١٢٩٩ه

مفتي مدينة "خربوت" نَوَّرَ اللهُ مرقده

تقديم

مجلس: المدينة العلمية (الدعوة الإسلامية)

شعبة الكتب الدراسية

مكتبة المدينة

للطباعة والنشر والتوزيع كراتشي باكستان

الموضوع: الأدب

الكتاب: عَصِيْدَةُ الشُّهْدَةِ شرح قَصِيْدَةِ الْبُرْدَةِ للبُوصِيْرِي

المؤلف: العلامة الهمام الجهبذ الفاضل السيد عمر بن أحمد آفندي مفتي مدينة "خربوت" نور الله مرقده

شارك في التحقيق والترتيب، والتعريب، والتخريج، والتحسين:
القاري أبو الرضا محمد إسماعيل النقشبندي المدني،
أمجد على خان العطاري المدني، عبد العزيز النقشبندي، أختر علي العطاري المدني.

الإشراف الطباعي: **مكتبة المدينة** كراتشي باكستان

التنفيذ: **المدينة العلمية** (الدعوة الإسلامية)

شعبة الكتب الدراسية

عدد الصفحات: ٣١٧ صفحة

مكتبة المدينة، كراتشي، باكستان

هاتف: UAN: 923-111-25 26 92

فاكس: +92-21-4125858

البريد الإليكتروني: ilmia@dawateislami.net

الطبعة الأولى

١٤٣٤هـ/ ٢٠١٣ء

شوّال/ سبتمبر

عدد النسخ: 3000

يطلب من: مكتبة المدينة بكراتشي. أفنان مكتبة المدينة للطباعة والنشر والتوزيع.

مكتبة المدينة: كراچی، شهيد مسجد كهارادر باب المدينه كراچی. هاتف: ٣٢٢٠٣٣١-٠٢١.

مكتبة المدينة: لاهور، دربار ماركيٹ، گنج بخش روڈ. لاهور. هاتف: ٣٧٣١١٦٧٩-٠٤٢.

مكتبة المدينة: سردار آباد (فيصل آباد): أمين پور بازار. هاتف: ٢٦٣٢٦٢٥-٠٤١.

مكتبة المدينة: كشمير، چوک شهيداں، مير پور. هاتف: ٣٧٢١٢-٠٥٨٢٧٤.

مكتبة المدينة: حيدر آباد: فيضان مدينه آفندي ٹاؤن. هاتف: ٢٦٢٠١٢٢-٠٢٢.

مكتبة المدينة: ملتان،نزد پيپل والى مسجد، اندرون بوہڑ گيٹ. هاتف: ٤٥١١١٩٢-٠٦١.

مكتبة المدينة: او كاڑه، كالج روڈ بالمقابل غوثيه مسجد، نزد تحصيل كونسل هال. هاتف: ٢٥٥٠٧٦٧-٠٤٤.

مكتبة المدينة: راولپنڈی: فضل داد پلازه، كميٹی چوک اقبال روڈ. هاتف: ٥٥٥٣٧٦٥-٠٥١.

مكتبة المدينة: خان پور، دراني چوک نهر كناره، هاتف: ٥٥٧١٦٨٦-٠٦٨.

مكتبة المدينة: نوابشاه: چكرا بازار، نزد MCB . هاتف: ٤٣٦٢١٤٥-٠٢٤٤.

مكتبة المدينة: سكهر: فيضان مدينه بيراج روڈ . هاتف: ٥٦١٩١٩٥-٠٧١.

مكتبة المدينة: گجرانواله: فيضان مدينه شيخوپوره موڑ گجرانواله. هاتف: ٤٢٢٥٦٥٣-٠٥٥.

مكتبة المدينة: پشاور: فيضان مدينه گلبرگ نمبر ١، النور سٹريٹ، صدر.

المدينة العلمية

منْ مؤسّس جمعيّة **"الدعوة الإسلامية"** محبّ أعلى حضرة، شيخ الطريقة، أمير أهل السنّة، العلامة مولانا **أبو بلال محمّد إلياس العطّار القادري**(١) الرضوي الضيائي، -دام ظلّه العالي-:

الحمد لله الذي أنزل القرآن، وعلّم البيان، والصّلاة والسّلام على خيْر الأنام سيّدنا ومولانا محمّدن المصطفى أحمد المجتبى ، وعلى آله الطيّبين الطاهرين وصحبه الصدّيقين الصالحين. برحمتك يا أرحم الراحمين! وبعد:

الحَمْد لله -عزّوجلّ- جمعيّة الدعوة العالميّة الحركة الغير السياسيّة **" الدعوة الإسلامية"** لتبليغ القرآن والسنّة تصمّم لدعوة الخيْر وإحياء السنّة وإشاعة علم الشرائع في العالَم، ولأداء هذه الأُمورْ بحسن فعل ونهج متكامل أُقيمت المجالس، منها: مجلس **"المدينة العلمية"**، وبحمد الله - تباركَ وتعالى- أركان هذا المجلس هم العلماء الكِرام والمفتون العِظام -كثَّرهم الله تعالى- عزمُوا عزْماً مصمّماً لإشاعة الأمْر العلْميّ الخالصيّ والتحقيقيّ.

وأنْشأوا لتحصيل هذه الأُمور **عدّة شعب**، فمنها:

---

(١) قامع البدعة حامي السنّة، شيخ الطريقة، أمير أهل السنّة أبو بلال العلاّمة مولانا محمّد إلياس عطّار القادريّ الرضويّ -دامت بركاتهم العالية- ولد في مدينة "كراتشي" في ٢٦ رمضان المبارك عام ١٣٦٩هـ الموافق ١٩٥٠م. عالم، عامل، تقيٌّ، ورِعٌ، حياته المباركة مظهر لخشية الله -عزَّ وجلَّ- وعشق الحبيب المصطفى -صلّى الله تعالى عليه وآله وسلّم-، مع كونه عابداً وزاهدًا فإنه داعية للعالَم الإسلامي، وأمير ومؤسّس لجمعيّة **"الدعوة الإسلامية"** غير السياسيّة العالميّة لتبليغ القرآن والسنّة، محاولاته المخلصة المؤثّرة، من تصانيفه وتأليفاته: المذاكرات المدنيّة (أسئلة حول أهمّ المسائل الدينيّة اليوميّة) والمحاضرات المليئة بالسنن النبويّة، ورسائله الإصلاحيّة في الأردوية كثيرة، ومن بعض رسائله يترجم إلى اللغة العربية، منها: "عظام الملوك"، "هموم الميت"، "ضياء الصلاة والسلام"، وأسلوب تربيّته أدّى إلى حصول انقلاب في حياة الملايين من المسلمين، خاصة الشباب، وأعطى هذا المقصد المدنيّ بأنّه:

"عليّ محاولة إصلاح نفسي وإصلاح نفوس العالم" إن شاء الله عزَّ وجلَّ

ولتحقيق هذا المقصد انتشر الدعاة المستفيضون منه إلى أنحاء العالم المزيّنون بتيجان العمائم الخضر والمعطّرون بـ"الإنعامات المدنيّة" (السنن النبويّة) في "القوافل المدنيّة" (قوافل تسافر للدعوة إلى الله -عزّ وجلّ-) للدعوة إلى الكتاب والسنّة. فالشيخ مع كونه كثير الكرامة فهو نظير نفسه في أداء الأحكام الإلهية واتباع السنّة، إنّه صورة للشريعة والطريقة العمليّة والعلميّة حيث بمظهره يذكّرنا بعهد السلف الصالحين، وتشرف بالإرادة من شيخ العرب والعجم ضياء الدين المدني -رحمه الله-، وهو الخليفة للمفتي الأعظم لباكستان مولانا وقار الدين القادريّ -رحمه الله-، والمفتي وفقيه "الهند" شريف الحق الأمجدي -رحمه الله- أيضاً جعله خليفة له، وأخذ الخلافة أيضاً من عدّة من المشايخ من الطرق الأخرى كالقادريّة والجشتيّة والسهرورديّة ،والنقشبنديّة مع إجازات في الحديث النبويّ الشريف، لكنّه يعطي الطريقة القادريّة فقط. نسأل الله عزَّ وجلَّ أن يغفر لنا بجاه هؤلاء الأولياء. آمين.

ترجمة الشارح

اسمه ونسبه:

الجهبذ اللوزعي والأديب الألمعي الفاضل الجليل العلامة عمر بن احمد بن محمد سعيد الخربوتي المتخلص بنعيمي المدرس.

مولده ونشأته:

ولد في مدينة "خربوت" في سنة ١٢١٦ ولهذا يقال له الخربوتي،هو من بيت العلم ببلده وكان من أعيان الفقهاء وفضلاء عصره.

تصانيفه:

من تصانيفه الكثيرة:

١ــ شرح الإظهار

٢ــ شرح الفريدة لعصام الدين

٣ــ عصيدة الشهدة في شرح قصيدة البردة

وغير ذلك من الحواشي والرسائل.

ثناء العلماء عليه:

(١)..... قال الأستاذ العلامة والجهبذ الفهامة مولانا الشيخ إبراهيم الباجوري رحمه الله القوي:

وهو زبدة أفاضل السادة العلماء، وثمرة شجرة طيبة أصلها ثابت وفرعها في السماء إنسان عين أعيان الروم رب المنطوق والمفهوم حضرت سيد عمر آفندي الحنفي مفتي

مدينة «خربوت» المحمية لا زال مبلغ الأمنية ولا برح رافلاً في أثواب المحاسن وارداً من المعارف شراباً غير آسن.

(٢)..... وقال الإمام الأكمل والهمام الأمثل مولانا الشيخ إبراهيم السقا رحمه الله تعالى:

هوأوحد العلماء الأعلام ومفرد العظماء الفخام الإنسان الكامل الجهبذ الفاضل ذو النسب الرفيع السامي صاحب الأدب البديع النامي قاموس البلاغة والفصاحة ونبراس الإفهام.

(٣)..... وقال العمدة الفاضل الجامع بين الفضائل والفواضل مولانا الشيخ محمد الأبراشي رحمه الله الغني:

ألا إنّه شيخ الإسلام والعمدة الفهامة ألا إنّه ملك العلماء الأعلام الحسيب النسيب الآخذ من كل فن أوفر نصيب المتوكل على المعيد المبدي.

وفاته:

وتوفي في جمادى الأولى في سنة ١٢٩٩ تسع وتسعين ومائتين وألف.

فهرست

الفصل الأول: في شدة حبه وهوى قلبه

عصيدة الشهدة

شرح

قصيدة البردة

للفاضل عمر بن أحمد الخربوتي رحمه الله

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذي ملأ قلوب الشاعرين بحكمته، وزين نفوس العاشقين بمحبته، والصلاة على سيدنا محمد الذي مدحه الواصفون بالقصائد والأشعار، وعجزوا عن بيانه واعترفوا بالإقرار، وعلى آله الذين هم أهل الهدى والاقتداء، وأصحابه الذين من اقتدى بهم اهتدى. **(وبعد)** فيقول العبد العليل والفقير الكليل **"عمر بن أحمد الخربوتي"** كرمهما الله تعالى في الأولى والآتي، لمّا بدأتُ بقراءة القصيدة البردة المباركة في سنة إحدى وأربعين بعد المئتين والألف من الهجرة على مولانا العلامة، وأولانا الفهامة، ذي القلب السديد والرأي الشديد، العاشق لجمال رسول الله، الصادق في حب نبي الله، أستاذنا محمد بن عبد الله القيصري، سَمِيّ نبي الله المَلِك القوي، جعله الله تعالى لنا آية تامة ورحمة عامة، ونفعنا بظل وجوده ورفعنا بأيادي جوده، ووجدتُ تقريراته بهذه القصيدة الرائقة منظومة كنظم اللآلي الفائقة أردت أن أجمعها بلا نقصان مع ازدياد مني من القواعد والبيان، مع عَجزي وعدم استطاعتي في هذا الميدان، بل وجب أن يقال لمثلي في هذا الشان: تَنَكَّبْ لا يُقطِّرْك الزحامُ، لكن تشبثت بأذيال همم علماء هذا العام، لأنهم كالأعلام بين الأنام ومعينو الإسلام، مستعينا من الملك اللطيف الجميل، وهو المعين في كل أمر جليل، فجاء بحمد الله تعالى كتابا مطلوبا وشرحا مرغوبا وسميته بـ«عَصِيْدَة الشُّهْدَة شرح قَصِيْدَة البُرْدَة» فشرعت بعون الله تعالى المَلِك العظيم ولطف ربنا الرحيم الكريم، فقلت: يجب أولا نقل بعض أحوال الناظم وسبب تأليف هذه القصيدة المشتملة على مدائح النبي أبي القاسم عليه السلام وبيان الشروط المبينة في قراءتها، والوجوه المذكورة في تسميتها، وبيان بعض تأثيراتها ليرغب الناس في تعظيماتها.

اعلم! أن الناظم الفاهم رحمه الله تعالى كان ساكنا بـ"مصر" واسمه "شرف الدين محمد البوصيري" نسبة إلى "بوصير" قرية من قرى "مصر"، وكان قدس الله سره عالما بالعلوم العربية، فصيحا في غاية الفصاحة، وبليغاً في نهاية البلاغة، بل لا يوجد له مثل ولا نظير، في الفصاحة والبلاغة في الجمّ الغفير، وكان قدس سره في بداية عمره من مقربي السلاطين مقبولا عندهم ومرغوبا فيما بينهم، وكان يصفهم بالأبيات والأشعار الفصيحة، ويهجو أعداءهم بالأوصاف الفظيعة، وكان قد جاء يوماً من عند أحد السلاطين إلى بيته، فدخل السكة، فصادف شيخاً مليحاً، فقال الشيخ له: أ أنت رأيت رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم الليلة في المنام؟ قال البوصيري: إني لم أر النبي في تلك الليلة لكن امتلأ قلبي من ذلك الكلام بعشقه ومحبته عليه الصلاة والسلام فجئت إلى بيتي فنمت، فإذا أنا رأيت رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم مع الأصحاب كالشمس بين النجوم فانتبهت، وقد ملئ قلبي بالمحبة والسرور، ولم يفارق بعد ذلك من قلبي محبة ذلك النور، أنشدت في مدحه قصائد كثيرة كـ "المضرية والهمزية"، ثم قال الإمام: أصابني خلط فالج فأبطل نصفي، وقطعني عن الحركة، ففكرت أن أعمل قصيدة مشتملة على مدائح النبي صلى الله تعالى عليه وسلم، وأَسْتَشْفِيَ بها من الله تعالى فأنشدت هذه القصيدة، ونمت فرأيت النبي عليه الصلاة والسلام في المنام، فقرأت عليه عليه السلام هذه القصيدة على التمام، فمسح بيده الكريمة على أعضاء الحقير، فقمت من المنام ملابسا بالعافية من الآلام[1]، فخرجت

---

(١) اعلم أنّ نبيّنا محمّدا صلى الله عليه وسلم دافع البلاء والقحط والمرض والألم، **قال الإمام أحمد رضا خان** عليه رحمة الرحمن: إنّ **الله عزوجل** قال: ﴿وَمَا كَانَ اللّٰهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَاَنْتَ فِيْهِمْ﴾ [الأنفال: ٣٣] **سبحان الله!** إنّ نبيّنا صلى الله عليه وسلم سبب لدفع البلاء عن الكفار أيضاً وبِالْمُؤمنين رءوفٌ ورحيمٌ وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: اطلبوا الحوائج إلى ذوي الرحمة من أمتي ترزقوا وفي لفظ: اطلبوا الفضل عند الرحماء من أمتي تعيشوا في أكنافهم فإنّ فيهم رحمتي وفي لفظ: اطلبوا الفضل من الرحماء وفي رواية أخرى: اطلبوا المعروف من رحماء أمتي تعيشوا فى أكنافهم العقيلي والطبراني فى الأوسط باللفظ الأول وابن حبان والخرائطي والقضاعي وأبوالحسن الموصلي والحاكم فى التاريخ بالثاني والعقيلي بالثالث كلّهم عن سعيد الخدري والأخرى للحاكم فى المستدرک عن علي المرتضى رضي الله تعالى عنه.وقال صلى الله تعالى عليه وآله وسلّم: إنّ لله تعالى عباداً اختصّهم لحوائج الناس يفزع الناس إليهم فى حوائجهم أولئک الأمنون من عذاب الله، الطبراني فى الكبير عن ابن عمر رضى الله تعالى عنهما بسند حسن. ("الفتاوى الرضوية" ٣٠/٣٩٠-٣٩٤).

من بيتي غدوة، فلقيني الشيخ أبو الرجاء الصّدِيق لي، فقال لي: يا سيدي! هات قصيدتك التي مدحت بها النبي عليه الصلاة والسلام، والحال أنّي لم أكن أعلمت بها أحدا من الناس، فقلت: أيّ قصيدة تريد؟ فإني مدحته عليه الصلاة والسلام بقصائد كثيرة، فقال: هي التي أولها:

أَمِنْ تَذَكُّرِ جِيْرَانٍ بِذِيْ سَلَمِ	مَزَجْتَ دَمْعًا جَرَى مِنْ مُقْلَةٍ بِدَمِ

فقلت: من أين حفظتها يا أبا الرجاء؟ وما قرأتها على أحد ممن إليّ جاء، قال: لقد سمعتها البارحة تنشدها بين يدي النبي صلى الله عليه وسلم وهو يتمايل ويتحرك استحسانا تحرك الأغصان المثمرة بهبوب نسيم الرياح، فأعطيته إياها، فنشر الخبر بين الناس.

شروط قراءتها:

ثم اعلم! أنه يلزم في قراءتها على الوجه المرضي شروط لتكون مؤثرة فيما قُرأتْ له **أولها**: التوضؤ، **وثانيها**: استقبال القبلة، **وثالثها**: الدقة في تصحيح ألفاظها وإعرابها، **ورابعها**: كون القارئ عالما بمعانيها لأنّ الدعوات لو لم يكن القارئ عالماً بمعانيها لا يكون فيها تأثير كما أشار إليه عَلِي القاري في مقدمة حزبه الأعظم بقوله: «فعليك بحفظ مَبانِيه والتأمّل في مَعانِيه»، **وخامسها**: قراءتها بالنظم لأنّها أُوردت منظومة لا منثورة، **وسادسها**: حفظها، **وسابعها**: أن يكون القارئ مأذونا بقراءتها من أهلها، **وثامنها**: قراءتها مع التصلية على النبي عليه السلام لكن يلزم أن تكون التصلية بالصلاة التي صلى بها الإمام البوصيري، وهي:

مَولايَ صلّ وسلّم دائماً أبداً	على حَبِيْبِكَ خَيْرِ الْخَلْقِ كلّهم

لا بغيرها، وإلا فلا تكون مؤثرة[٢] كما روي أن الإمام الغزنوي كان يقرأ هذه القصيدة في كل ليلة ليرى النبي عليه الصلاة والسلام في منامه، ولم توفق له الرؤيا فشكا ذلك إلى

(٢) **قال الإمام أحمد رضا** خان عليه رحمة الرحمن: ولذا أوصى بعض المشايخ أن اللفظ يقرأ كما نقل عن أولياء الله الصالحين قدست أسرارهم و لا يغير اللفظ و إن كان اللحن يفرض نفسه في ظاهر الأمر فإن لهم أسراراً لا نعلمها و البركة مطروحة فيما نطقت ألسنتهم. (الزَّمْزَمَةُ القُمْرِيَّة فِي الذّبِّ عَنِ الْخَمرِيَّة)

شيخ كامل، وسأل عن سره فقال الشيخ، لعلك لا تراعي شرائطها، فقال: لا! بل أراعيها، فراقب الشيخ، فقال بعدها: وقفت على سره، وهو أنّك لا تصلي بالصلاة التي صلّى بها الإمام البوصيري إذ هو يصلي عليه عليه السلام.بقوله:

"مولاي صل وسلم دائما أبدا على حبيبك خير الخلق كلهم"

وسر تصليته بهذه الصلاة دون غيرها أنه لما أنشدها قرأها عليه عليه السلام؛ ولما جاء إلى قوله:

فمبلغ العلم فيه أنه بشر

وقف الإمام فيه فقال عليه السلام: اقرأ، فقال الإمام: إني لم أوفق للمصراع الثاني لهذا البيت يارسول الله، فقال عليه السلام: قل يا إمام:

وأنه خير خلق الله كلهم

فأدرج الإمام هذا المصراع الذي قرأه عليه السلام في صلاته، وكرره في آخر كل بيت لشدة حرصه وكمال محبته للنبي عليه الصلاة والسلام كذا ذكر في شرح هذه القصيدة المسمى بـ«**الشفاء**»، **وتاسعها**: الصلاة بتلك الصلاة في تمام كل بيت.

ثمّ إنّهم بينوا تأثيراتها، قال الشارح الشهير بـ«شيخ زاده»: وحكاية ما شوهد من **آثار بركاتها** في الكتب مشهورة عند جماهير الأنام فأغناني عن الإكثار في وصفها وإطالة الكلام، وحكى كثير من الشارحين أنه لما كان في عيني سعد الفاروقي رمد عظيم حتى أشرف على العَمَى رأى النبي عليه السلام يقول: إمض إلى فلان، وخذ منه قصيدة البردة، واجعلها على عينيك، فجاء إليه، فأخذ القصيدة، ووضعها على عينيه، وقرأها، فشفاه الله بها، وقال في "شرح معتمد": من قرأ هذه القصيدة في كل ليلة جمعة بين المغرب والعشاء مع مراعات شروطها يموت على الإيمان والإسلام. ثمّ إنّهم اختلفوا في اسمها، فقال بعضهم: اسمها «**برءة**» بضم الباء مع الهمزة لأنّه لما كان الإمام قد برئ من مرضه بهذه القصيدة سمّيت برءة من قبيل تسمية السبب باسم المسبب، وقال بعضهم: اسمها «**بردة**» بضم الباء وفتح الدال، وإنّما سمّي بها لأنّها في المعنى كسوة شريفة قرضت على قد النبي عليه الصلاة والسلام حيث ذكر فيها مدائحه عليه السلام فسميت الصفات باسم الكسوة لأنّ الصفات بتمامها استوعبت بدنه عليه السلام مثل الكسوة، وقيل: اسمها «**بُردِيّة**» بياء النسبة لأنّ الإمام البوصيري قرأها حين الإتمام على النّبي عليه السلام فألبسه عليه السلام

بردته الشريفة، فشُفي بها، فسميت بردية، وأمّا ما اشتهر بين النّاس من تسميتها بـ«القصيدة البريدة» فغلَطٌ صريحٌ. ثمّ قال النّاظم الفاهم اقتداء بالكتاب الكريم وامتثالاً لحديث النبي الفخيم وجرياً على سُنَنِ السَّلَف:

بسم الله الرحمٰن الرحيم

بحث البَسمَلة مشهور بين أرباب الإفادة والاستفادة، فلا حاجة لنا إلى الإعادة، لكن يَرِدُ أنّ تَرْكَ الناظم الفاهم الحَمدَلَةَ والتصليةَ مع ورود الآثار في حقهما لا يخلو عن سوء أدب، ونجيب عنه بأنه لا نسلم أنه تركهما، كيف؟ وقد سُمع من بعض العرب أن الناظم الفاهم ذكرهما في بيت مستقل، وهو قوله:

اَلْحَمْدُ للهِ مُنْشِي الْخَلْقِ مِنْ عَدَمٍ	ثُمَّ الصَّلَاةُ عَلَى الْمُخْتَارِ فِي الْقِدَمِ

ولو سلم عدم ورود هذا البيت منه قدس سره فلِمَ لايجوز أن تكون الهمزة في «أَمِن تَذَكُّرِ... إلخ» إشارة إلى لفظة الجلالة، ويشعر بالحمدلة كما هو المشهور بين أرباب التصوف، ولو سلم عدم جوازه، فلا نسلم أنه ورد في حقهما أعني في كتابتهما حديث بل الحديث الوارد في حقهما يدل على الذكر اللساني، والناظم الفاهم وإن لم يكتبهما لكن تلفظ بهما، ولو سلم فلا نسلم أنه سوء أدب، كيف؟ وتركهما لهضم النفس كما وقع مثله من كبار العلماء. ثمّ اعلم أن الناظم الفاهم جعل قصيدته مرتبة على عشرة فصول، وذكر في الفصل الأول شدة حبه، وهوى قلبه، فقال مخاطباً نفسه أي: ذاته على سبيل التجريد مستفهما عن بكائه الشديد وسائلا عن مُوجِب مزج دموعه بالدم السائل فللّه دَرُّ القائل:

(١) أَمِنْ تَذَكُّرِ جِيْرَانٍ بِذِيْ سَلَمِ ... مَزَجْتَ دَمْعًا جَرٰى مِنْ مُقْلَةٍ بِدَمِ

الهمزة للاستفهام، و«من» متعلّقة بـ«مزجت»، وإنّما قدم للحصر أو للضرورة أو لكونه علة لمزج الدمع بالدم، فقدم وضعاً ليوافق الوضعُ الطبعَ، وأمّا تقديم الهمزة فلِما تقرر من أنّ الاستفهام إنّما يدخل على المسئول عنه، والمسئول عنه هنا ليس مزج الدمع بالدم بل سبب المزج، وهو تذكر الجيران، ولأنّها تقتضي الصدارة كما لايخفى. و«التذكر»

مصدر «تَذَكَّرَ»، فهو إما من «الذِّكر» بكسر الذال وإما من «الذُّكر» بضمها، والفرق بينهما أن الأول يستعمل في الذكر اللساني، والثاني: يستعمل في الذكر القلبي كذا بينه "الخيالي" في بحث العلم، و«التذكر» مضاف إلى مفعوله، وفاعله محذوف، وهو كاف الخطاب أي «أمن تذكرك» بقرينة «مَزَجْتَ»، والخطاب لنفسه، ففيه تجريد بديعي حيث جرد من نفسه شخصا آخر فخاطبه، وإنما احتاج إلى التجريد، ولم يخاطب صاحبه لعدم وجدانه محبًّا صادقاً في الدنيا، ففيه التفات إذ مقتضى الظاهر أن يقول: «تذكري» بياء المتكلم فتركه وعدل إلى صيغة الخطاب[٣]، ففيه التفات على مذهب السكاكي، وهو ظاهر؛ إذ هو لم يَشترط سبق التعبير بمقتضى الظاهر، سواء سبق أو لا، بخلاف الجُمهور حيث اشترطوا سبق التعبير بما هو مقتضى الظاهر، بل يجوز أن يتحقق الالتفات على مذهبهم أيضا حيث سبق التعبير في البسملة بالتكلم، فإن قلت: إنما يتحقق مذهب الجمهور إذا كانت البسملة جزأ من الكتاب، وفيه شبهة، قلت: كونها جزأ من الكتاب هاهنا محقق لدلالة القرينة عليه، وهي كون الناظم الفاهم شافعي المذهب على ما قاله أكثر الشارحين، وعندهم البسملة جزء من الكتاب كما لايخفى على أولي الألباب، فإن قلت: فما نكتة الالتفات هنا؟، قلت: قال العصام في أطوله: نكتة الالتفات ثلاث: من جهة المتكلم، ومن جهة الكلام، ومن جهة المخاطب، فأما النكتة هاهنا من جهة المتكلم: فالإشارة إلى أنه قادر على أن يأتي بالكلام على أساليب مختلفة، وأما من جهة الكلام: فهو تزيين الكلام لورودِ أنّ تغيير الأسلوب تنشط به القلوب، وأما من جهة المخاطب: فهو إخراج الكلام من البيان إلى العيان إذ الخطاب عيان، والتكلم بيان. و «الجيران» جمع «جار» كـ«النيران» جمع «نار»، والجار مَن قَرُبَ دارُه إلى داره، والمراد بـ«الجيران» هاهنا المحبوب على طريق المجاز والاستعارة بأن شبه المحبوب بالجار الحقيقي في كثرة الاختلاط معه والالتفات إليه، فكذلك الناظم صنع بمحبوبه، وادعى أن المحبوب من جنس الجار، ثم استعير الجار للمحبوب، وذكر الجيران وأريد به المحبوب، فعلى هذا يكون جمع الجيران للتعظيم كما في قوله تعالى: ﴿فَنِعْمَ الْمٰهِدُوْنَ﴾

(٣) حيث تقديره «أمِن تَذكُّرِكَ جيراناً» كما مر آنفاً في الشرح قبل سطور. [علمية]

[الذاريات: ٤٨] وتنوينه للتفخيم كما في قوله تعالى ﴿فِيهِ ءَايَٰتُۢ بَيِّنَٰتٌ﴾[آل عمران: ٩٧]. و«الباء» في «بذي سلم» بمعنى «في»، والظرف مستقر صفة لـ«جيران» أي: جيرانٍ كائنين في مكان ذي سلم، و«السلَم» بفتح اللام اسم شجر، وبكسرها اسم جنس للسلِمة كما في «كلم» و«كلمة»، وهي أيضا اسم شجرة في الوادي بين مكة والمدينة، فالمراد هاهنا هذه الشجرة، لأنّ مراده من الجيران محبوبه أعني: النبي عليه الصلاة والسلام، وهذه الشجرة لها مناسبة بالنبي عليه الصلاة والسلام لأنه عليه السلام كان كلما ذهب إلى مكة وسلك ينزل تحت هذه الشجرة ويستريح فيه، فالمعنى: أمن تذكر المحبوب الكائن والملابس في مروره بمكان ذي شجرة معهود، وقيل: المراد من «السلم» دار السلام من الجنان، فيكون فيه استعارة بأن شبه روضة النبي عليه السلام بالجنة المسماة بـ«دار السلام» في كونهما شريفتين وكونهما خير مكان، وادعى أن الروضة من جنس دار السلام ثمّ استعير دار السلام للروضة، فذكر اللفظ الدال على دار السلام، وأريد منه الروضة المباركة، وقيل: المراد من «السلم» معنى السلامة من الآثام لأن قوله: «ذي سلم» صفة موصوف محذوف أي مكان ذي سلامة، والمراد من المكان أعلى عليين، فعلى هذا يكون المراد من «الجيران» أرواح الأنبياء والأولياء والصالحين، والمراد بـ«جاريتهم» جاريتُهم في عالم الأرواح قبل حلولها في الأبدان كما في قول النبي عليه السلام ((اَلْأَرْوَاحُ جُنُودٌ مُجَنَّدَةٌ فَمَا تَعَارَفَ مِنْهَا ائْتَلَفَ وَمَا تَنَاكَرَ مِنْهَا اخْتَلَفَ))(٤) [البخاري].

فحاصل المعنى: أمن تذكرك الجيران في عالم الأرواح الكائنين في محل ذي سلامة لأن محل الأرواح أعلى عليين قبل حلولها في البدن، وأعلى عليين محل ذو سلامة من الآثام والآلام، قال العصام: إن كلمة «ذي» إن كانت صفة لنكرة فهي تضاف إلى نكرة وإن كانت بالعكس فهو بالعكس، والفرق بين «ذي» و«صاحب» أن في «ذي» يكون المضاف أشرف من المضاف إليه كما في قوله تعالى: ﴿ذُو الْعَرْشِ الْمَجِيدُ﴾ [البروج: ١٥]، وفي «صاحب» يكون بالعكس كقولهم لأبي هريرة رضي الله تعالى عنه «صاحب النبي» عليه السلام دون «ذي النبي». «مزجتَ» بصيغة المخاطب خطاب للشخص الذي جرّده من نفسه، عبر بصيغة الماضي إشارة إلى تحقق وقوعه، و«المزج» الخلط، وأكثر

(٤) "صحيح البخاري"، كتاب أحاديث الأنبياء، باب الأرواح جنود مجندة، الحديث: ٣٣٣٦، ٢/٤١٣.

العلماء لم يفرق بينهما لكن فرق بعضهم بأن المزج إنما يقال لما كان بعد الاختلاط حقيقة واحدة كالحلو المطبوخ من العسل والدهن والدقيق، و«الخلط» أعم سواء كان بعد الاختلاط حقيقة واحدة كما في المزج أو حقائق مختلفة كخلط الدراهم بالدنانير، فبينهما عموم وخصوص مطلق، فكل مزج خلط بدون العكس، فاختيار الناظم «المزج» على «الخلط» للمبالغة كما لايخفى. و«الدمع» ماء مالح يجري من العين عند الحُزْن، وفرقوا بين بكاء الحزن وبكاء السرور بأن الماء السائل من العين في السرور بارد وفي الحزن حار، و«الدمع» اسم جنس كتمر وتمرة ولم يقل «دمعة» إما للإشارة إلى أن الجاري من عينيه ليس واحدا بل هو كثير، وإما للنظم. و«جرى» من الجري والجريان، وهو السَّيَلان، والجملة صفة «دمع» لكنه وصف وقوعي لا احترازي كما في قوله تعالى: ﴿وَلَا طَٰٓئِرٖ يَطِيرُ بِجَنَاحَيۡهِ﴾(٥) [الأنعام: ٣٨] و«من مقلة» متعلّق بـ«جرى»، و«المقلة» هي البَياض والسَّواد اللذان في داخل العين كما قال الشاعر:

إِذَا مَا مُقْلَتِي رَمِدَتْ فَكُحْلِي	تُرَابٌ مِن نِعَالِ أَبِي تُرَابِ
هُوَ الْبُكَاءُ فِي الْمِحْرَابِ لَيْلاً	هُوَ الضَّحَّاكُ فِي يَوْمِ الضِّرَابِ

و«بدم» متعلق بـ«مزجت»، والتنوينات في «دمع» وفي «مقلة» وفي «دم» عوض عن المضاف إليه وهو كاف الخطاب، ثم إن مزج الدمع بالدم إما حقيقة كما يشعر به قوله الآتي: «وَأَثْبَتَ الْوَجْدُ خَطَّيْ عَبْرَةٍ وَ ضَنًى»، وإما كناية عن لازمه، وهو شدة الحُزْن والألم. ثم اعلم أن الشخص المجرد من نفسه كأنه لمّا ستر عشقه، وأنكر محبته عملا بما في كتب التصوف من أن العشق كلما كتم في القلب ازداد كالمسك فإنه كلما كان مستورا كان منشورا أثبته الناظم الفاهم في مقابلة الشخص المجرد من نفسه بقوله: «مزجت... إلخ» بترتيب قياس استثنائي ترتيبه هكذا: سلطان المحبة في مدينة قلبك، وإلا أي وإن لم يكن سلطان المحبة في مدينة قلبك لَمَا مزجت الدمع بالدم، لكن التالي باطل والمقدم مثله، فثبت نقيضه، وهو أن سلطان المحبة في مدينة قلبك، ولمّا منع من جهة الشخص المجرد من نفسه ملازمة هذا القياس أثبته بقوله: «أمن تذكر» مع ما عطف عليه لأنه علة له كما سبق وما عطف عليه قوله:

(٥) مثال الوصف الوقوعي. [علمية]

(٢) أَمْ هَبَّتِ الرِّيْحُ مِنْ تِلْقَاءِ كَاظِمَةٍ ... وَأَوْمَضَ الْبَرْقُ فِي الظَّلْمَاءِ مِنْ إِضَمِ

فترتيب قياسه هكذا: مزجُك الدمعَ بالدم من آثار المحبة لأن مزجك الدمع بالدم إما من تذكر الجيران وإما من هبوب الريح من تلقاء كاظمة وإما من إيماض البرق في الليلة الظلماء من إضم، وتذكر الجيران دال على آثار المحبة، وهبوب الريح من تلقاء كاظمة دال على آثار المحبة، وإيماض البرق دال على آثار المحبة، يُنتجُ أن مزجك الدمع بالدم دال على آثار المحبة. ثم إن كلمة «**أم**» متصلة أو منقطعة، وأكثر الشارحين رجحوا الأولى لأن «أم» المنقطعة هي الواقعة بين جملتين كل منهما مستقل بفائدة مستغن عن الآخر، وهاهنا ليس كذلك لأن هذا البيت بمصراعَيه والبيت الأول كلام واحد علة لكون مزج الدمع بالدم من آثار المحبة كما عرفت، وليس كل واحد منها مستغنيا عن الآخر، وأما «أم» المتصلة فهي التي ما قبلها وما بعدها لا يستغني بأحدهما عن الآخر، وهنا كذلك، ومن اختار المنقطعة قال: إن هذا البيت منقطع عما قبله كأنه قيل: أمن تذكر جيران مزجت، لا بل من هبوب الريح، وهي واحدة «الرياح» يُذكَّرُ ويُؤنَّثُ، و«**الريح**» من الرَّوْح، وهو بمعنى: الذَّهَاب، سمي الريح ريحا لكونه رائحا دائما، و«**من تلقاء**» متعلق بـ«هبت»، و«**تلقاء**» بمعنى: الجانب والجهة، كما في قوله تعالى: ﴿تِلْقَآءَ مَدْيَنَ﴾ [القصص: ٢٢] و«**كاظمة**» اسم من أسماء المدينة نورّها الله تعالى إلى يوم القيامة، وهي اسم فاعل من «الكظم»، وهو تسكين الغضب كما في قوله تعالى: ﴿وَالْكَٰظِمِينَ الْغَيْظَ﴾ [آل عمران: ١٣٤]، فإسناد «الكاظمة» إلى «المدينة» مجازي مثل «جرى النهر» لأنّ المدينة غير كاظمة الغضب بل من خواصها أن من يسكن فيها يسكن غضبه، و**قيل**: المراد من «الكاظمة» روضة رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم مجازا من ذكر العام وإرادة الخاص، ثمّ المراد من هبوب الريح من جانب المدينة إما حقيقة؛ لأنه إذا جاء الرِّيح من جانب المحبوب يحرك حزن العاشق، ويُوْرِثُ له البكاء، وإما المراد منه لازمه أعني: وصول آثار المعشوق وأخبار المحبوب لأن الريح من لوازمها إيصال شيء كالرائحة أو الكلأ اليابس مثلاً من مكان إلى مكان آخر، فعلى هذا يكون مجازا مرسلا مركبا على القائلين به، ويكون **حاصل المعنى**: أم وصلت إليك الأخبار والآثار من

طرف الكاظمة، أو المراد من «الريح» الرائحة الطيبة كما في قوله تعالى حكاية عن يعقوب عليه السلام ﴿لَأَجِدُ رِيحَ يُوسُفَ﴾ [يوسف: ٩٤] أي رائحته، فعلى هذا يكون «الهبوب» بمعنى النشر مجازا من ذكر الملزوم وإرادة اللازم، **فالمعنى**: أم شم أنفك الرائحة الطيبة التي نشرت من تلقاء كاظمة، أو المراد من «الريح» ريح الصبا، فيكون المراد به أوصاف النبيّ عليه الصلاة والسلام مجازا واستعارة بأن شبه أوصاف النبي عليه الصلاة والسلام وأخلاقه العظيمة بريح الصبا في كونهما باعثَين للسرور، فكما أن ريح الصبا يعطي الفَرَحَ لمن أصابه كذلك أوصافه عليه السلام وأخلاقه تعطي السرور لمن سمعها، وادعى أن أوصاف النبي من جنس ريح الصبا، ثم استعير ريح الصبا لأوصاف النبي عليه السلام، فذكر ريح الصبا وأريد منه أخلاقه عليه الصلاة والسلام، فعلى هذا يكون «هبت» ترشيحاً للاستعارة المصرِّحة بمعنى: التحريك أو النشر، و«**الواو**» في «**وأومض**» إما على حقيقته أي: للجمع، فيكون سبب البكاء إما تذكر الجيران وإما مجموع هبوب الريح وإيماض البرق، وإما بمعنى: «أو» الفاصلة، فيكون على هذا سبب البكاء إما تذكر الجيران فقط، وإما هبوب الريح فقط، وإما إيماض البرق فقط، وتكون نكتة المجاز أي التعبير بالواو دون «أو» للإشارة إلى أن الترديداتِ الثلاثةَ مانعة الخلو أي: سبب البكاء لا يخلو من هذه الأمور الثلاثة بل يجوز جمعها. **ثم** إن كُلًّا من «هبت الريح» و «أومض البرق» في تأويل المصدر معطوف على «تذكر» أي: هبوب الريح وإيماض البرق، و«أومض» ماض من «الإيماض»، وهو اللمعان والظهور، و«**البرق**» بالرفع فاعل «أومض» و «**في الظلماء**» متعلق بـ«أومض»، و«**الظلماء**» صفة موصوفها محذوف أي: الليلة الظلماء، وهي مؤنث «أظلم»، ولمعان البرق في الليلة الظلماء إما على حقيقته لأنه إذا لمع البرق في جانب المعشوق ينور ذلك الجانب، ويورث دهشة للعاشق، أو المراد من الليلة الظلماء بداية العشق وأوّله مجازاً و استعارةً كما في قوله:

صُدْغُ الْحَبِيْبِ وَحَالِي		كِلَاهُمَا كَاللَّيَالِي

فكأنّه شبه هاهنا بداية العشق وأوّله بالليلة الظلماء في وقوع التحير وفقدان الطريق، فكما أن في الليلة الظلماء يتحير كل من سلك، ويَفْقِد طريقه، فكذلك العاشق في بداية الأمر يعرض له أحوال فيتحير، ويفقد طريقه، ثم استعير الليلة الظلماء لبداية العشق

وذكر الليلة الظلماء وأريد بداية العشق، فعلى هذا يكون في إيماض البرق أيضا استعارة حيث شبه وصلة الحبيب ونهاية العشق بلمعان البرق في سرعة الذهاب، فكما أن لمعان البرق يذهب سريعا فكذلك الوصلة إذ تقرر في موضعه أن العاشق متى وصل معشوقه لا يَبْقَى في الدنيا بل يذهب سريعاً، و«من إضم» متعلق بـ«أومض»، و«إضـم» بكسر الهمزة وفتح الضاد اسم جبل قريب من "المدينة"، وهو محله عليه السلام، إذ في أكثر أوقاته كان يسكن فيه، فهو إما على حقيقته، وإما أن يراد به المحبوب من ذكر المحل وإرادة الحالّ، وهو المناسب إن أريد بلمعان البرق ظهور نور النبي عليه السلام على وجه الاستعارة المصرِّحة بأن شبه ظهور نور النبي عليه السلام بلمعان البرق في الإضاءة ورفع الظلمة ثم يستعار لمعان البرق لظهور نور النبي عليه السلام، وذكر المشبه به، وأريد المشبه، فعلى هذا تكون الليلة الظلماء على حقيقتها، ويؤيد هذا المعنى ما روي: أنه كلما دنا الحاجّ من "المدينة" ظهر منها نور النبي عليه السلام لبعض الخلصاء من الحُجّاج، والناظم الفاهم مِن أَخْلَص الخلصاء، فكيف لا يظهر له، وقال المصنف: يلزم لهبوب الريح وإيماض البرق بُعدُ مسافة المحبوب، ومن عادة البلغاء أنهم يجعلون بعد المسافة استعارة لبعد المرتبة وعلو المكان لعلو القدر كما قال:

هِيَ الشَّمْسُ مَسْكَنُهَا فِي السَّمَاء	فَعَزِّ الْفُؤَادَ عَزاءً جَمِيْلا
فَلَنْ تَسْتَطِيْعَ إِلَيْهَا الصُّعُوْدَا	وَلَن تَسْتَطِيعَ إِلَيْكَ النُّزُوْلا

(٣) فَمَا لِعَيْنَيْكَ إِنْ قُلْتَ اكْفُفَا هَمَتَا ... وَمَا لِقَلْبِكَ إِنْ قُلْتَ اسْتَفِقْ يَهِمِ

فكأنّه لمّا ورد المنع على صغرى القياس للناظم الفاهم من طرف الشخص المجرد من نفسه بأن يقال لا نسلم أن امتزاج دمعي بالدم إما من تذكر الجيران أو هبوب الريح أو إيماض البرق لِمَ لايَجُوْز أن يكون من سبب آخر من مرض أصاب الجسم أو إصابة مصيبة، ترك الناظم ما وجب عليه من إثبات مقدمته الممنوعة وانتقل إلى دليل آخر مثبت لكون مزجه بسبب العشق والمَحَبَة، فقال: «فما لعينيك... إلخ» أي: مزج الدمع بالدم من العشق والمحبة، ولو لم يكن مزجك الدمع بالدم من المحبة والهوى لَكُنْتَ مالكا

لعينيك وقلبك لكن التالي باطل، والمقدم مثله فثبت نقيضه، وهو مزج الدمع بالدم من المحبة والهوى، وأثبت التالي بقوله: «إن قلت... إلخ» أي: أنك غير مالك لعينيك وقلبك، ولو كنت مالكا لهما لَكَفَّ عيناك إن قلت لهما اكففا، واسْتَفَاقَ قَلْبُك إن قلت له استفق، لكن التالي باطل لأنك لو قلت لهما اكففا لا تكفان بل تَهْمِيَانِ، ولو قلت له استفق لا يستفيق بل يهيم، والمقدم مثله، فثبت نقيضه، فإن قلت: الانتقال من دليل إلى دليل آخر لايجوز للمُعَلِّل لأنه إفحام من وجه فكيف يجوز للناظم الفاهم؟ قلت: إنما لايجوز الانتقال من دليل إلى دليل آخر لو لم يكن المعلّل قادرا على إثبات الحكم الأول بأنواع الدلائل كما كان في مُحَاجَّةِ إبراهيم عليه السلام مع نُمْرود عليه اللعنة، وأما إذا كان قادراً وكان مراده إثبات أصل المطلوب بأنواع الدلائل فلا يضر الانتقال، وما وقع هاهنا من قبيل الثاني كما لا يخفى. ثم إن «الفاء» في «فما» فصيحة، والفاء الفصيحة هي التي تدل على الشرط المحذوف، وهو هاهنا «إن لم يكن مزجك الدمع بالدم من العشق والمحبة فما حصل لعينيك... إلخ»، هذا عند الكشاف، وعند السَّكّاكِيّ هي التي تدل على السبب أي: على السبب المحذوف غيرِ الشرط كما في قوله تعالى: ﴿فَقُلْنَا اضْرِب بِّعَصَاكَ الْحَجَرَ﴾ [البقرة: ٦٠] أي: فضرب فانفجرت، وأما عند غيرهما فالفاء الفصيحة هي التي دلت على سبب محذوف سواء كان شرطا أو معطوفا عليه، و«ما» استفهام، فهو ما يسئل به عن الجنس أو الصفة، وهاهنا سؤال عن الجنس، و«لعينيك» اللام فيه متعلق بالمقدر أي: ما حصل لعينيك، وفي الكاف الخطابي تجريد أيضا فتذكر. وجملة «إن قلت اكففا همتا» تفسير لـ«ما»، و«قلت» على صيغة الخطابي، ومفعوله محذوف أي: لهما، فالقول هنا بمعنى الخطاب لما تقرر أن القول يجيء لمعان بحروف لأنه إن استعمل بـ«الباء» يكون بمعنى الحكم وإذا استعمل بـ«عَلى» يكون بمعنى الاعتراض، وإذا استعمل بـ«في» يكون بمعنى الاجتهاد، وإذا استعمل بـ«اللام» يكون بمعنى الخطاب، وقال دده جنكي في "حاشية سعد الدين" من الصرف: القول في استعماله بالباء يجئ لمعان: نحو «قال بيده» أي: أخذ بيده، و«قال برجله» أي: ضرب بها، أو مشى بها، و«قال برأسه» أي أشار برأسه و«قال بالماء على يده» أي: قلب، و«قال بثوبه» أي: رفعه،

وجملة «**اكففا**» مَقُولُ قَولٍ له، واكففا على صيغة التثنية أمر من «كَفَّ» أي: منع، كما قيل:

خَيْرُ الْمَرْءِ مَنْ كَفَّ فَكَّه وَفَكَّ كَفَّه	وَشَرُّ الْمَرْءِ مَنْ كَفَّ كَفَّه وَفَكَّ فَكَّه

فإن قلت كان الإدغام في «**اكففا**» واجبا فَفَكُّه خلاف القياس ومُخِلٌّ بالفصاحة، قلت: أجاب عنه الشارحون بوجوه قال العصام: يجوز أن يكون فكه لضرورة الشعر كما قال الشاعر في عَدّ ضرورات الشعر:

وَإِشْبَاعُ تَحْرِيْكٍ وَفَكٌّ بِمُدْغَمٍ	وَتَذْكِيْرُ تَأْنِيْثٍ وَعَكَسَ بِنُدْرَةٍ

وقيل: تعدد العين إنما هو في الصورة وأما في الحقيقة فواحد، فلفظ «اكففا» بالنظر إلى الحقيقة مفرد وإن كان تثنية في الصورة، وفكّ إدغام المفرد جائز، وهذا الجواب تكلف جداً؛ لأنّه مبني على مذهب الوجودية من المتصوفة، فإنّهم قالوا: العين في الإنسان واحد لا اثنان ولهذا لا يرى الإنسان شيئاً شيئين، والتعدد الصوري لا يقدح في الوحدة في الحقيقة، وقيل: فكّ الإدغام على توهم الإفراد فلا يُخِلٌّ بالفصاحة كما لا يخل في قوله: «الحمد لله العلي الأجلل»، وقال بعضهم: إنّه إشارة إلى أنّ الناظم الفاهم قال به بلسان دَهْشَةٍ وحَيْرَانٍ كأنّه لم يتعقل قواعد البرهان(٦)، ومثل هذا يعد ظرافة في البيان فلا يعاتب

---

(٦) **قال الإمام أحمد رضا** خان عليه رحمة الرحمن: يا هذا لو اعترفنا بلحن صريح في بعض الكلام لأحد المقرّبين إلى رب العالمين جل جلاله بغضّ النظر عن هذا و ذاک فإنّ لحنه أحبّ إلى الله سبحانه وتعالى مائة ألف مرة من صوابک أنت، اسْمَعْ ماذا يقول الشيخ الرومي قدّس سره في "المثنوي المعنوي" ، إنّه القائل: إذا كان حديثک غير مستقيم (أي من ناحية القواعد) و المعنى سليم فإنّه مقبول عند الله تعالى و إذا كان الزيغ في المعنى و الكلام مرصّع فلا يليق ذلک الكلام بشي ء من الحفاوة، يقول الشيخ الرومي رحمه الله تعالى: ذلک بلال الصادق الذي كان يلحن في الآذان للصلاة فيغير «حي» و يقول «هَي» و يؤذّن بكل المواضع حتى قال أصحاب الرسول صلى الله تعالى عليه وسلم: إن هذا اللحن (هي) غير مستقيم و نحن في مستهل عهد الإسلام، قالوا أيّها النبي الرسول عليک الصلاة و السلام نريد مؤذناً أفصحَ من بلال رضي الله تعالى عنه فإنّ اللحن في «حي على الفلاح» في بداية عصر الإسلام ليس إلا عيباً، فظهرت آثار الغضب على رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم وكشف الغطاء عن بعض العطايا الإلهية السرّية على سيدنا بلال قائلاً: إنّ لحن بلال أحبّ إلى الله سبحانه و تعالى من مائة «حي على الفلاح» من غيره من الطاعنين في لحنه فلا ترفعوا أصواتكم حتى لا أفشى أسراركم من البداية إلى النهاية.
اللّهم إنّي أعوذبک من جهد بلائک و أسألک حسن الأدب مع جميع أوليائک آمين آمين آمين إله الحق آمين والحمد لله رب العالمين. (الزَّمْزَمَةُ القُمْرِيَّة فِى الذَّبِّ عَنِ الْخَمرِيَّة)

بسنان اللسان. «**همتا**» ماض مثنى من «هَمٰى يَهْمِي هِمْيَاناً» بمعنى سَالَتَا، وضمير التثنية راجع إلى العينين، وإسناده إلى العينين مجاز، إذ العينان لا تسيلان بل يسيل منهما الماء، فإسناده إليهما من قبيل «سال الميزاب»، ورَدَّ السَّكَّاكِيّ هذا المجاز إلى الاستعارة المكنية والتخييلية، وأنكر المجاز العقلي، فعلى هذا شبه العين في الذهن بالمطر في الشرافة فكما كان المطر أشرفُ المِيَاه كذلك كانت العين أشرف الأعضاء، ثم ادعى للمشبه به فردان: فرد متعارف وهو المطر، وغير متعارف وهو العين، ثم استعير المشبه به في الذهن وهو الفرد المتعارف أعني: المطر، للفرد الغير المتعارف أعني: العين، ثم ذكر في الخارج المشبه وهو الفرد الغير المتعارف أعني: العين، وأريد العين الغير المتعارف، ثمّ انتزع من جانب المشبه، وهو سَيَلانُ العين أمر وهمي، وشبه بِجَرَيَانِ الماء في سرعة الجريان، ثم ذكر اللفظ الدال على المشبه به، هو سالتا، وأريد المشبه، ويجري فيه أيضا مذهب الجُمْهور بأن يشبه العين في الذهن بالمطر في سرعة السيلان، ثم استعير المطر في الذهن للعين، وفي الخارج ذكر المشبه أعني: العين وأريد هو، وللرمز والإشارة إلى الاستعارة التي كانت في الذهن أثبت همتا التي من لوازم المشبه به للمشبه، وهذا الإثبات تخييلية عندهم، ثم إن جملة «**همتا**» جزاء لقوله: «إن قلت اكففا»، فإن قلت: الشرط سبب للجزاء على ما تقرر في النحو، فكيف يكون قوله: «إن قلت اكففا» سببا للهميان وسيلان الماء بل عكسه سبب له، قلت: السبب أعم من السبب العقلي والعادي والعرفي، وهذه الجملة الشرطية وإن لم تكن سبباً عقلياً أو عادياً لهذا الجزاء لكنها سبب عرفي، والمراد من العرف عرف العاشقين لأن في عرفهم العشق يفعل خلاف ما يأمره به العقل، فهاهنا وإن أمر العقل بترك البكاء ومنع عنه لكن العشق عمل ذلك الأمر بخلافه، فسال من عينيه ماء أشد السيلان، «**وما لقلبك**» أي: وما حصل لقلبك، والقلب شكل صنوبري تحت الضلع الأيسر، وهو منبع الحياة والإيمان، قال بعض العارفين: خلق الله تعالى أولا الروح ثم الجسد، وكان الروح مذكرا والجسد مؤنثا، ثم أمر الروح بالازدواج مع الجسد، فَازْدَوَجَهَا، فحصل منهما وَلَدَانِ: ذَكَرٌ وهو القلب الذي هو موضِع الإيمان، وتبع هو للروح، وأنثى وهو النفس محل الفساد وتبعت هي للشيطان والجسد لأنّ النتيجة تابعة

لأخسِّ المقدمتين، و«استفق» أمر من «اسْتَفَاقَ» بمعنى أفاق، والسين للوجدان أي: كن مفيقا، و«يهم» من هام يهيم بمعنى تحير حذف ياؤه للجزم، وجملته جزاء لما قبله، ويرد عليه أيضا السؤال السابق، ويجاب عنه بما يجاب فيه فَتَذَكَّرْ. واختار الماضي في جزاء الشرط الأول لكونه محققاً، واختار هاهنا المضارع لأنّ ما في القلب مضمر، والإطلاع عليه متعذر، ثمّ إنّ في هذا البيت من صنائع البديع جناسا شبيها بالمشتق بين الهيمان والهَيمان كما في قوله تعالى: ﴿قَالَ إِنِّي لِعَمَلِكُم مِّنَ الْقَالِينَ﴾ [الشعراء: ١٦٨] الأول من القول والثاني من القلي.

ثمّ اعلم أنّ خاصّة الأبيات الثلاثة أنّه إذا كان عندك بهيمة لاتقبل التعليم فاكتب هذه الأبيات الثلاثة في زُجَاجٍ، وامْحُها بماء المطر، وأسقاها للبهيمة، فإنّها تتعلم وتذل لك، قال الأستاذ(٧): طول الله بقاءه جرّبته فوجدته صحيحاً، وأيضا إذا كتبت هذه الأبيات الثلاثة في رق غزال، وعلقت على عضد مَن في لسانه رَكَاكَة وضيق يتعلم بإذن الله تعالى ويكون فصيحاً.

(٤) أَيَحْسَبُ الصَّبُّ أَنَّ الْحُبَّ مُنْكَتِمٌ ... مَا بَيْنَ مُنْسَجِمٍ مِنْهُ وَمُضْطَرِمِ

لمّا كان للناظم الفاهم حرص شديد على إثبات دعوى كون المحبة في قلب الشخص المخاطب لم يكتف بدليل واحد بل أتى على دعواه بدليل آخر، ولذا قال: «أيحسب الصب... إلخ» أي لو لم تكن محبتك ثابتة لَمَا كنت دائراً بين دمع منسجم وقلب مضطرم، لكن التالي باطل، والمقدم مثله، فثبت نقيضه، ثم «الهمزة» للاستفهام الإنكاري، وهو بمعنى النفي هاهنا كما كان في قوله:

أَيَقْتُلُنِيْ وَالْمَشْرَفِيُّ مُضَاجِعِي	وَمَسْنُوْنَةٌ زُرْقٌ كَأَنْيَابِ أَغْوَالِ

و«يحسب» بالكسر والفتح من أفعال القلوب، والحِسبان: الظنّ، والمعنى: لا يظن العاشق كون المحبة منكتماً لأنّ الظنّ منهي عنه لكون بعضه إثماً، لقوله تعالى: ﴿اجْتَنِبُوا كَثِيرًا مِّنَ الظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ الظَّنِّ إِثْمٌ﴾ [الحجرات: ١٢]، وفي «يحسب» التفات من الخطاب إلى الغيبة على

(٧) وهو العلامة الفهامة محمد بن عبد الله القيصري رحمه الله القوي كما مرّ في وجه تأليف هذا الشرح. [علمية]

مذهب الجُمهور والسَّكَّاكِيِّ، ونكتة الالتفات عامية وخاصية، فالنكتة العامية: تنشيط القلوب بتغيير الأسلوب، والخاصية: إجراء الصفة المادحة على نفسه، وهي الصب لأنه لو قال: «أتحسب» بصيغة المخاطب لَمَا أمكن إجراءها على نفسه، فإن قيل: لو قال: «تحسب» لأمكن أيضاً إجراء الصفة المادحة عليه بأن يجعل «الصب» صفة لفاعل «تحسب» أعني تاء الضمير أو بدلاً منه، قلنا: لا يمكن على هذين التقديرين لأنّ الضمير لا يوصف ولا يوصف به كما قال الشاعر:

أَضْمَرْتُ فِي الْقَلْبِ هَوَى شَادِنٍ	مُشْتَغِلٍ بِالنَّحْوِ لاَ يُوْصَفُ(٨)
وَصَفْتُ مَا أَضْمَرْتُ يَوْماً لَه	فَقَالَ لِيَ الْمُضْمَرُ لاَ يُوْصَفُ

ولأنّ الضمير لا يبدل المظهر منه إلا إذا كان غائباً، وفيما نحن فيه مخاطب، فإن قلت: لا نسلم كون «الصب» صفة مادحة، قلت: إنّ «الصب» في الأصل مصدر بمعنى: الإراقة، لكن المراد منه هاهنا العاشق الكامل إنما سمي العاشق الكامل به، لأنّه يبكي في كل أحواله كما قال الشاعر:

وَمَا فِي الْخَلْقِ أَشْقَى مِن مُحِبٍّ	وَإِنْ وَجَدَ الْهَوَى حَلْوَ الْمَذَاقِ
تَرَاه بَاكِياً فِي كُلِّ حَالٍ	مَخَافَةَ فُرْقَةٍ أَوْ لاشْتِيَاقِ
فَيَبْكِي إِنْ نَأَوْا شَوْقاً إِلَيْهِمْ	وَيَبْكِيْ إِنْ دَنَوْا خَوْفَ الْفِرَاقِ

و«أن» للتاكيد و«الحب» مصدر بمعنى «المحبة» و«منكتم» من «الانكتام» أي: مستتر وقابل للاستتار، وأكَّدَ هذا الكلام بالأداة، والجملة الاسمية لكون المقام مقام الإنكار، و«ما» زائدة و«بين» ظرف لـ«منكتم»، و«منسجم» صفة موصوف محذوف أي: دمع منسجم، وهو من الانسجام بمعنى الهطل والصب أي: دمع هاطل. و«منه» متعلق بـ«منجسم»، والضمير راجع إلى الصب بطريق الاستخدام، لأنّ المراد من «الصب» العاشق الكامل، ومن الضمير الراجع إليه العضو المخصوص أعني: العين، كما لايخفى. و«مضطرم» معطوف على «منسجم»، وهو أيضاً صفة موصوف محذوف أي: قلب مضطرم، وهو بمعنى ملتهب ومشتعل، وفي المضطرم استعارة مكنية حيث شبه في الذهن قلب العاشق وهو مذكور فيه بإرجاع ضميره إليه بشجرة العود في كونهما قابلين للإيقاد

(٨) هكذا في المخطوطة التي بين أيدينا ولكن وجدنا في الكتب الكثيرة: «لا يُنصِفُ». [علمية]

وشاملين للرائحة الطيبة لأنّ قلب العاشق إذا كان ملتهباً تنتشر منه الرائحة الطيبة على ما قاله المتصوفة، وادعى لشجرة العود فردان؛ فرد متعارف وهو شجرة العود حقيقة، وفرد غير متعارف وهو القلب، ثم استعير المشبه للمشبه به، ثمّ ذكر في الخارج المشبه، وأريد به المشبه به، أعني: القلب، وهذه استعارة مكنية، ثم انتزع من جانب المشبه أمر وهمي، وهو التهاب القلب وإيقاده وكونه مكيفاً بالرائحة الطيبة عند الإيقاد، وشبه بالتهاب شجرة العود، ثمّ ذكر اللفظ الدال على المشبه به، وهو «مضطرم» إذ هو حقيقة في شجرة العود، وأريد المشبه، وهو التهاب القلب، وهذه الاستعارة تخييلية، وهذا عند السَّكّاكِيّ، وأما عند الخطيب فبأن يشبه في الذهن القلب بشجرة العود، وفي الخارج أثبت ما هو من لوازم المشبه به للمشبه للإشارة والرَّمْز إلى التشبيه في الذهن، قال المصنف: في هذا المصراع إيماء إلى أنّ الواشي إذا كان من قِبَل صاحب السر فكتمان السر يتعسر عليه بل يتعذر فكيف إذا كان ذلك الواشي جزأ منه خصوصاً إذا كان اثنين سيّما إذا كانا متعاونين كما فيما نحن فيه انتهى.

وحاصل معنى البيت: لا تظنّ أيها العاشق أن الحب مستتر، كيف والدمع المنسجم والقلب المضطرم شاهدان على دعوى انكشاف الحب فكيف تظن انكتام الحب، كأنّ العاشق ادعى انكشاف المحبة، والشخص المجرد من نفسه أنكره، فذهبا إلى محكمة العشق فتحاكما عند قاضي العشق فأمر القاضي بإتيان شاهدين عادلين لمدعي العشق عملا بالحديث المشهور ((البينة على المدّعي واليمين على من أنكر))[٩]، فأتى العاشق لإثبات مدعاه بالشاهدين اللذين هما دمع العين واضطرام القلب، فشهدا، فحكم القاضي بانكشاف المحبة. فإن قلت: الشاهد الأول مقبول لكن مقبولية الشاهد الثاني ممنوعة لأن حاله مستور، إذ القلب لا يطلع عليه أحد إلا الله تعالى، قلت: الشاهد الأول يقوي الثاني لأن الدمع يدل على ما في القلب كما قال بعض الفضلاء: «إذا انفعل القلب سرى الأثر إلى العين»، فعند اشتداد الحزن تدمع، وعند اشتداد الفرح تلمع، ومن تقريرنا علم أن في هذا البيت استعارة تمثيلية حيث شبه الهيئة المنتزعة من الأمور المذكورة في هذا البيت من كون الدمع المنسجم شاهداً والقلب المضطرم شاهدا آخر،

---

(٩) "مشكاة المصابيح"، كتاب الإمارة والقضاء، باب الأقضية والشهادات، الحديث: ٣٧٥٨، ٢/٣٥٣.

وكونهما مثبتين لدعوى من ادعى المحبة، ومبطلين لدعوى من أنكر المحبة بالهيئة المنتزعة من الأمور المحسوسة، وهي كون الشاهدين في الخارج مثبتين لدعوى رجل على رجل آخر منكر، ومبطلين لدعوى المنكر ونحو ذلك، ثم استعير الهيئة المنتزعة من الأمور المحسوسة للهيئة المنتزعة من الأمور الغير المحسوسة، فذكر المشبه وأريد المشبه به، فعلى هذا تجري استعارة مصرحة في مفردات هذه الأمور بأن يشبه الشاهد بالدمع المنسجم ثمّ ذكر المنسجم وأريد الشاهد، وقِس عليه السائر، تدبّر.

(٥) لَوْلاَ الْهَوَى لَمْ تُرِقْ دَمْعًا عَلَى طَلَلٍ ... وَلاَ أَرِقْتَ لِذِكْرِ الْبَانِ وَالْعَلَمِ

ثمّ شرع في إثبات دعواه بدليل آخر أيضا للتاكيد والتقوية وللإشارة إلى أن دعواه صادقة غير زور وبهتان، فقال: «لولا الهوى... إلخ»، يعني أن سلطان المحبة في مدينة قلبك، ولو لم يكن سلطان المحبة في مدينة قلبك لم ترق دمعا على طلل، ولا أرقت لذكر البان والعلم، لكن التالي باطل، والمقدم مثله، فثبت نقيضه. ثمّ إنّ «**لولا**» يستعمل على أربعة أوجه: **الأول**: أنه يدخل على جملة اسمية، ويكون لامتناع الشيء لوجود غيره، وخبر المبتدأ بعده واجب الحذف، **والثاني**: أن يكون للتحضيض والعرض، فتختص بالمضارع، **والثالث**: أن يكون للتوبيخ والتنديم، فتختص بالماضي، **والرابع**: للاستفهام، وهنا من قبيل الأول، فتقديره «لولا الهوى موجود فيك». و«**الهوى**» بالقصر مصدر هَوِيَ من باب علم، أو هَوَى من باب ضرب، وهو هاهنا بمعنى العشق والمحبة لأن الهوى يجيء على ثلاثة معان: الأول: ميل النفس إلى ما لا يقتضيه الشرع، وهو مذموم كما في قوله تعالى: ﴿أَفَرَأَيْتَ مَنِ اتَّخَذَ إِلَٰهَهُ هَوَاهُ﴾ [الجاثية: ٢٣] والثاني: العشق، والثالث: بمعنى المَهْوِيّ أي: المحبوب كما في قوله: هَوَايَ مَعَ الرَّكْبِ الْيَمَانِيْنَ مُصْعِدٌ،

ويحتمل أن يكون المراد من الهوى المعنى الثالث أيضا، ويكون الألف واللام عوضاً عن المضاف إليه أي: لولا محبوبك. و«**لم ترق**» مضارع من «أَرَاقَ يُرِيْقُ» أصله «يُرْوِقُ» فَأُعِلَّ كإعلال «يُقِيْمُ»، ثم دخل عليه الجازم، فحذفت الياء، والإراقة بمعنى الصَّبِّ كما في قول ابن الحاجب حين قتله:

أَرَى قَدَمِي أَرَاقَ دَمِي	وَهَانَ دَمِي وَهَا نَدَمِي

وفي «لم ترق» التفات من الغيبة إلى الخطاب، والتفاته سريعا إلى الخطاب لإخراج الكلام من البيان إلى العيان. وتعريف الدمع قد مضى، فامض إليه، وتنوينه للتعظيم كما أن تنوين «طلل» للتحقير كما في قوله:

لَه حَاجِبٌ فِي كُلِّ أَمْرٍ يَشِيْنُه	وَلَيْسَ لَه عَنْ طَالِبِ الْعُرْفِ حَاجِبُ

و«**على**» متعلق بـ«لم ترق»، و«**الطلل**» بفتحتين أثر الدار الخربة فكأنه يقول: لو لم تكن لك محبة من أهل المنازل وسكانها لَمَا صَببتَ من عينيك الدمع العظيم على أطلال المنازل الحقيرة، ويحتمل أن يكون مراده بـ«الطلل» مكة المكرمة لأنها بهجرة النبي صلى الله تعالى عليه وسلم منها صارت خربة معنى؛ إذ معموريتها كانت بكون النبي عليه السلام فيها، كما قال الله تعالى: ﴿لَآ أُقۡسِمُ بِهَٰذَا ٱلۡبَلَدِ وَأَنتَ حِلُّۢ بِهَٰذَا ٱلۡبَلَدِ﴾ [البلد: ١،٢]، حيث استفيد منها أن كون مكة المكرمة لائقة بكونها مقسماً به لله تعالى لأجل حلول النبي عليه السلام فيها فبعد هجرته عليه السلام كانت الآثار الباقية الدائمة في مكة المكرمة الآن هي آثار الخربة معنى، ولذا اتفقوا على أنّ التراب الماسّ لبدن رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم في قبره الشريف أفضل الأمكنة وأفخمها كما سيأتي تفصيله، وعلى هذا المعنى يكون «على» بمعنى اللام الأجلية، أي: لو لم تكن محبتك لم ترق دمعا لأجل ملاحظة مكة بأن المحبوب قد هاجر منها، وكانت الأرض الباقية خربة، فتأمل، ويجوز أن يكون في «طلل» استعارة مصرّحة بأن شبه آثار المحبة والعشقِ الكائنةَ في قلب العاشق بآثار الدار الخربة في كونهما دائرين بين الأمرين أعني: عدم المعمورية بالكلية وعدم الانهدام بالكلية، ثم استعير آثار الدار الخربة لآثار المحبة، فذكر اللفظ الدال على المشبه به، وأريد المشبه. «**ولا أرقت**» عطف على «لم ترق»، و«**لا**» زائدة لتأكيد النفي، و«**أرقت**» من «أَرِقَ يَأْرَقُ» من باب «عَلِمَ»، وهو بمعنى سهر الليالي وعدم النوم فيها، فالمعنى لو لم يكن سلطان المحبة في مدينة قلبك لَمَا سهرتَ الليالي لكنّ التّالي باطل، والمقدم مثله، فثبت نقيضه لأن المحب لا ينام كما قال الشاعر:

عَجَباً لِلْمُحِبِّ كَيْفَ يَنَامُ	كُلُّ نَوْمٍ عَلَى الْمُحِبِّ حَرَامُ

و«**اللام**» في «**لذكر البان**» أجلية، و«**الذكر**» إما بالكسر أو بالضم، وهو مصدر مضاف إلى مفعوله، وفاعله متروك أي: لأجل ذكرك البان، و«**البان**» شجر لطيف الرائحة، وقيل: المراد به الشجر المعهود القريب من مكة الذي قد كان النبي عليه السلام يجلس تحته، ويُكَالِمُ الأصحاب رضوان الله عليهم أجمعين، فعلى هذا يكون مجازا من ذكر المحل وإرادة الحالّ، وقيل: هو شجرة طيب الرائحة والقد، ففيه استعارة مصرحة حيث شبه النبي عليه السلام بتلك الشجرة في حسن الطلعة ونهاية اللطافة، ثم استعير الشجرة المذكورة للنبي عليه السلام فذكر المشبه به، وأريد المشبه. و«**العلم**» اسم جبل كما في قوله:

وَإِنَّ صَخْراً لَتَأْتَمُّ الْهُدَاةُ بِه	كَأَنَّه عَلَمٌ فِي رَأْسِه نَارُ

قيل المراد منه هاهنا جبل من جبال مكة، فقيل: هو "جبل أبي قبيس"، وقيل: "جبل حراء"، وقيل: جبل فيه غاره عليه السلام، وعلى كل تقدير يكون مجازا مرسلا من ذكر المحل وإرادة الحال، لأن هذه الجبال كانت أمكنة النبي عليه السلام، أو استعارة مصرحة بأن شبه المحبوب بالجبل في العظمة والمهابة وحسن الهيأة والرفعة، ثم استعير الجبل للمحبوب، فذكر المشبه به، وأريد المشبه، وعلى هذا يكون اللام في قوله: «لذكر البان» للوقتية كما في قوله تعالى: ﴿لِدُلُوكِ ٱلشَّمۡسِ﴾ [الإسراء: ٧٨].

قال الأستاذ[١٠] طول الله بقاءه وجعل آخرته خيرا من أُولاه: **فخاصية هذا البيت** وحده أنّه من كان في قلبه ضيق وكربة وعسرة من الآلام والأكدار فليكتب هذا البيت بالحروف المقطعة على تفاحة وليأكلها، فإنه يزول ضيق قلبه وعسرته، ولو كتبه على زجاجة ومحاه بالماء وشربه يزول ضيق قلبه أيضاً لكن في الكتابة على التفّاح يكون التأثير أزيد، وقال الأستاذ: جرّبناه مراراً فوجدناه صادقاً.

(١٠) وهو العلامة الفهامة محمد بن عبد الله القيصري رحمه الله القوي كما مرّ في وجه تأليف هذا الشرح. [علمية]

(٦) فَكَيْفَ تُنْكِرُ حُبًّا بَعْدَ مَا شَهِدَتْ ... بِهِ عَلَيْكَ عُدُوْلُ الدَّمْعِ وَالسَّقَمِ

لما جاء العاشق على دعواه بشاهدين كأنه قيل من طرف الشخص المجرد من نفسه: إنّ شاهديك غير عدلين فلا يثبت بهما دعواك فأثبت عدالتهما بقوله: «فكيف تنكر... إلخ» «**الفاء**» في «فكيف» فصيحة أي: إذا دلت الأدلة السابقة وبعدها شهدت الشواهد اللاحقة على دعوى أن سلطان المحبة في مدينة قلبك فكيف... إلخ، و«**كيف**» حال لا مفعول فيه، والاستفهام إما للتعجب كقوله تعالى: ﴿كَيْفَ تَكْفُرُونَ بِاللَّهِ﴾ [البقرة: ٢٨]، أو للتوبيخ، أو للاستبعاد أي: لا ينبغي أن تنكره بعد هذا. و«**تنكر**» من الإنكار، وهو الجحد ضد الإقرار. و«**حبا**» مفعول «تنكر»، وتنوينه للتعظيم كما في قوله:

صُبَّتْ عَلَيَّ مَصَائِبُ لَوْ أَنَّهَا		صُبَّتْ عَلَى الأَيَّامِ صِرْنَ[(١١)] لَيَالِيَا

و«**بعد**» بالنصب ظرف لـ«تنكر» و«**ما**» إما مصدرية فضمير «**به**» للحب، وإما موصولة فضمير «**به**» له، و«**الشهادة**» خبر صادر من شخص صادق، وبقرينة الإسناد إلى العدول فيه استعارة مصرّحة وتبعية بأن شبه الدلالة بالشهادة في إعلام الشيء وإظهاره، ثمّ استعير الشهادة لمفهوم الدلالة، ثمّ كأنّه ذكر الشهادة، وأريد منها الدلالة، وبتبعية هذه الاستعارة اشتق من الشهادة «شهدت»، ومن الدلالة «دلت»، وبواسطة العَلاقة في مصدرهما شبه هيئة «دلت» بهيئة «شهدت»، ثمّ استعير «شهدت» لمفهوم «دلت»، فذكر «شهدت»، وأريد مفهوم «دلت»، و«**على**» في «**عليك**» مستعمل في الضرر كما في قوله تعالى: ﴿لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا اكْتَسَبَتْ﴾ [البقرة: ٢٨٦] وكقوله:

قَدَ أَصْبَحَتْ أُمُّ الخِيَارِ تَدَّعِي		عَلَيَّ ذَنْباً كُلُّهُ لَمْ أَصْنَعِ

وإنّما استعمل في الضرر لأنّ قلب العاشق غير راض بإظهار عشقه وإثباته بل ينكره غاية الإنكار ليتفرع عليه الأحوال والأسرار. و«**العدول**» جمع عدل بمعنى عادل

(١١) وفي بعض الكتب وَرَدَ «عُدْنَ» مقام «صِرْنَ». [علمية]

بمعنى الموثوق المعتمد في الشهادة، وإضافته إلى الدمع والسقم بيانيه لغوية، أو بمعنى: «من» أي العدول المستفادة من جهتهما، **واعلم** أنّهم بيّنوا أنّ المضاف إليه إمّا مباين للمضاف، وحينئذ إن كان ظرفاً له فبمعنى «في»، وإلا فبمعنى «اللام»، وإما مساو أو أعم مطلقا فالإضافة ممتنعة، وإما أخص مطلقا كيوم الأحد فبمعنى «اللام»، وإمّا أخص من وجه، فإن كان المضاف إليه أصلا للمضاف فبمعنى «من» وإلا فبمعنى «اللام»، ولا يلزم فيما بمعنى اللام أن يصح التصريح بها بل يكفي إفادة الاختصاص الذي هو مدلول اللام، ثم إنهم قالوا: يشترط في الإضافة البيانية الاصطلاحية أي النحوية العمومُ والخصوصُ من وجه، وكون المضاف إليه أصلاً للمضاف، وفي اللغوية قد يكون بينهما عموم مطلق، وقد يكون من وجه، لكن يشترط على صورة الوجه أن لا يكون المضاف إليه أصلاً، وفي الإضافة اللامية قد يكون بينهما عموم مطلق، فيجتمع من الإضافة البيانية كما كان في هذا المقام، وقد يكون عموم من وجه، ولا يكون المضاف إليه أصلا للمضاف، فاحفظ هذا الكلام فإنه مما ينفعك في أكثر المقام، ويجوز أن تكون إضافة «العدول» من قبيل «أخلاق ثياب»، و«**الدمع**» قد مر تعريفه غير مرة. و«**السقم**» المرض، والألف واللام فيه عوض عن المضاف إليه أي سقم القلب، ومن قال: الألف واللام في «الدمع» أيضا عوض عن المضاف إليه أي دمع العين فقد سها فافهم. **ثم** إن استعمال صيغة الجمع أعني: «العدول» في المثنى أعني: الدمع والسقم إما للتعظيم كما في قوله تعالى: ﴿وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾ [الحجر: ٩] أو مبني على ما قيل إن أقل الجمع اثنان مستدلاً بقوله عليه الصلاة والسلام: ((الإثنان وما فوقهما جماعة))[(١٢)] فتأمل، ويمكن أن يقال إيراد صيغة الجمع لكون كل من الدمع والسقم جمعا باعتبار الأفراد والأنواع من قبيل قوله تعالى: ﴿فَقَدْ صَغَتْ قُلُوبُكُمَا﴾ [التحريم: ٤] فافهم، ثمّ إنّ في الدمع والسقم استعارة بالكناية بأن يشبه كل واحد من الدمع وسقم القلب بالشخص الصادق في إظهار شيء وقع في نفسه، وادُّعِيَ للشخص الصادق فردان: فرد متعارف وهو الشخص الصادق حقيقة، وغير متعارف وهو الدمع أو مرض القلب، ثمّ استعير المشبه للمشبه به، ثمّ ذكر في الخارج المشبه وأريد المشبه به، وهذه الاستعارة مكنية، ثمّ انتزع من جانب المشبه أمر وهمي، وهو شهادة الدمع

(١٢) "سنن ابن ماجه"، كتاب إقامة الصلاة والسنة فيها، باب الاثنان جماعة، الحديث: ٩٧٢، ١/٥١٧.

والسقم، وشبه بشهادة الشخص الصادق في إفادة الحكم، واستعير الشهادة المحققة لمفهوم الشهادة المخيلة ثم ذكر الشهادة المحققة أي: في «شهدت»، وأريد منه الشهادة المخيلة، ثمّ إثبات «العدول» ترشيح لهذه الاستعارة، وهذا البيت أول الأبيات الستة التي تمايل فيها النبي عليه السلام حين قرأه الإمام في رؤياه عليه السلام، وينبغي للقارئ لحاجة أن يقرأ هذا البيت ثلاثا، كذا قاله شارح هذه القصيدة جعفر پاشا. إلهي لاتجعلنا من زمرة أهل الفسق والهوى، واجعلنا ممن قلبه مليء بمحبة نبيك المصطفى، وعينه في كل وقت من عشقه جرى وبكى.

(٧) وَأَثْبَتَ الْوَجْدُ خَطَّي عَبْرَةٍ وَّضَنًي ... مِثْلَ الْبَهَارِ عَلَى خَدَّيْكَ وَالْعَنَمِ

ولمّا شهد على دعوى الناظم بأن في قلبك محبة وعشقا شاهدان صادقان عادلان حكم القاضي في دار الحكومة بأن دعواه حق صادق، وقال لكاتب دار الحكومة: اكتب دعواهما أي: سَجِّلْها، فَسَجَّلَها، ولهذا قال الناظم الفاهم للمخاطب: «وأثبت الوجد... إلخ»، عطف على «شهدت» أي: كيف تنكر حبا بعد شهادة الشاهدين وبعد إثبات الكاتب دعواه أي بالكتابة، و«**الإثبات**» جعل الشيء ثابتا مقررا سواء بالخط أو بغيره، لكن المراد هنا إثباته بالخط بقرينة سياقه، و«**الوجد**» الأحزان القلبية والحالات العشقية، وهو بالرفع فاعل «أثبت»، وإسناده إليه مجازي لأنه سبب لها نحو: «أهلك المرض»، وفيه استعارة مكنية بأن شبه في الذهن الحالات العشقية والأحزان القلبية بكاتب دار الحكومة في الإعلام والإنباء وفي الكتابة على الصحيفة، ثم استعير في الذهن اللفظ الموضوع لكاتب دار الحكومة أعني: النائب مثلا لمفهوم الحالات والأحزان القلبية، ثم ترك هذه الاستعارة في جانب الذهن، وذكر في الخارج اللفظ الدال على المشبه أعني: الوجد، وأريد أيضا معنى الوجد، وهذه الاستعارة مكنية، ثمّ إسناد «الإثبات» الذي هو من ملائم الكاتب إلى «الوجد» تخييل، وإيقاعه على الخط ترشيح، و«**الخط**» إما خط عربي، وهو تصوير اللفظ بحروف هجائه وإما حكمي، وهو ماله طول فقط، وقيل: هو الذي يقبل الانقسام طولاً لا عرضاً ولا عمقاً، وهو على صيغة التثنية سقط نونه بالإضافة. و«**العبرة**» بفتح العين الماء الجاري من العين على الوجه، و«**ضنى**» بالفتح مجرور تقديراً

معطوف على «عبرة»، وهو الهزال والضعف الذي يلازمه عادة صفرة الوجه، والمراد به هاهنا لازمه، وإضافة «الخط» إلى «العبرة» من إضافة المشبه إلى المشبه به كما في «لُجَيْنِ الْمَاءِ» يعني: أثبت الحزن عبرة وصفرة كالخط لأنّ الناظم الفاهم لما بكى طويلاً ومزج الدمع بالدم ظهر على خده الشريف خطان رقيقان كالألف، أحدهما: أحمر، وهو من أثر الماء الجاري من عينه، وثانيهما: أصفر، وهو من حزن قلبه، و«**مثل**» بالنصب على أنه حال أو مفعول ثان لـ«أثبت» بتضمينه معنى «جَعَلَ»، ويجوز أن يكون صفة لـ«خطي» و«**البهار**» على وزن «النهار» اسم لورد أصفر ينبت في أول الربيع، والتشبيه في صفرة اللون فقط لا في الجرم والصورة، و«**على خديك**» متعلق بمقدر حال من «خطي»، و«**العنم**» بفتحتين اسم شجر أحمر لَيِّنُ الأغصان يشبه البنان، قيل: هو الحناء، وقيل: هو البقم، ويُرَجِّحُ الأولَ قولُه:

النَّشْرُ مِسْكٌ وَالْوُجُوهُ دَنَا	نِيرُ وَأَطْرَافُ الْأَكُفِّ عَنَمْ

وأيًا مَا كان فالمماثلة في الإحمرار فقط، وفي هذا البيت من صنائع البديع لف ونشر معكوس حيث ذكر الحمرة ثمّ الصفرة في المصراع الأول، وعكس الحال في هذا المصراع، ونكتته للوزن والنظم.

و**حاصل المعنى:** كيف تنكر المحبة بعد أن شهد بها شاهدًا عدلٍ ما استطعت على جرحهما، وحكم عليك قاض لا ينقض حكمه، وكتب على صحيفة خديك منشور المحبة بخطين أحمرين، فكل من يراك يقرأ آية المحبة من خديك، فإنكارك لا يُسْمِنُ، ولا يُغْنِيْ من جوع، اغفر لي يا من بسعة(١٣) مغفرته شَوَّقَنِي، واعف عني الفعل الذي مِن رِضَاكَ فَرَّقَنِيْ، ولا تحرقني بنار الجحيم لأنّ عشق نبيك أَحْرَقَنِيْ.

(٨) نَعَمْ سَرَى طَيْفُ مَنْ أَهْوَى فَأَرَّقَنِيْ ... وَالْحُبُّ يَعْتَرِضُ اللَّذَّاتِ بِالأَلَمِ

فلما أثبت العاشق دعواه بأن سلطان المحبة في مدينه قلبك، وأنكر الشخص المجرد من نفسه المخاطبُ، ثم أثبت، ثم أنكر إلى أن يأتي العاشق بشاهدين عادلين، وأثبت دعواه،

(١٣) لعل صوابه «سعة». [علمية]

وكتب الكاتب، وسجله، فلم يبق لذلك المخاطب مجال إلى الإنكار، فأقرَّ بتلك الدعوى بالتصديق والإقرار، فقال: «نعم... إلخ». فـ«**نعم**» حَرفُ تصديقِ مُخبِرٍ بعد قول القائل: «قام زيد»، وإعلامِ مُستَخبِرٍ بعد قوله: «أ قام زيد؟» ووعدِ طالبٍ بعد قوله: «إفعل» أو «لاتفعل»، وهاهنا من قبيل الثاني، والفرق بينه وبين «بلى» أن «نعم» حرف تصديق لكن يقع تصديقاً للإيجاب والنفي في الخبر والاستفهام جميعا، و«بلى» يختص بالنفي خبراً و استفهاماً على معنى أنّها إنما تقع تصديقاً للمنفي على سبيل الإيجاب، ولا تقع تصديقاً، ولهذا لو قال القائل: «بلى» كان مؤمناً في جواب ﴿أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ﴾ [الأعراف: ١٧٢] لأنه في قوة «بلى! أنت ربنا»، ولو قال القائل: «نعم» فيه لكان كافراً؛ لأنه في قوة «نعم! لستَ بربنا»، وقد نظمه بعضهم:

بَعْدَ نَفْيٍ قُلْ «نَعَمْ»، «لاَ» بَعْدَ إِيْجَابٍ، كَذَا	بَعْدَ إِيْجَابٍ «نَعَمْ» لاَ بعد إيجاب «بَلى»[١٤]

وجملة «**سرى**» استينافية لأنه لمّا أقرّ بالعشق واعترف بالشوق كأنّ سائلاً قال: كيف كان الحال؟ فقال: «سرى... إلخ»، وهو من السري، وهو مختص بالسير ليلاً كما في قوله تعالى: ﴿سُبْحَانَ الَّذِى أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلًا﴾ الآية، [الإسراء: ١] لايقال: لا نسلم أن «أسرى» في الآية السير ليلاً، كيف وكونه في الليل مأخوذاً من قوله: ﴿ليلاً﴾ وإلا لكان مستدركاً لأنّا نقول: ذكر المفسرون أن «أسرى» هو السير ليلاً وذِكر ﴿ليلاً﴾ بعده في الآية إشارة إلى أنّ السير كان في بعض الليل لا في كله، إذ تنوين ﴿ليلاً﴾ للتقليل، وسيأتي تفصيله. و«**الطَّيفُ**» الخيال، و«**من**» اسم موصول عبارة عن المحبوب أبهمه للتفخيم، و«**أهوى**» نفس متكلم من «هَوِيَ يَهْوٰى»، وضمير المفعول الراجع إلى الموصول محذوف أي: أهواه وأحبّه،، و«**الفاء**» في «فأرقني» جواب شرط محذوف أي: لمّا جاء إليَّ خيال المحبوب ومحبة المعشوق فأرقني، وفيه التفات من الخطاب إلى التكلم[١٥] على عكس ما في المطلع. و«**أرق**» من التأريق، وهو التسهير والإيقاظ من النوم، والنون فيه وقاية، والإيقاظ من النوم إما على حقيقته لأنّه إذا امتلأ قلب المشتاق بخيال المحبوب

(١٤) وحاصل الكلام ما في "كتاب الكليات" حيث قال: «بلى» لا يأتي إلا بعد نفي و «لا» لا يأتي إلا بعد إيجاب و«نعم» يأتي بعدهما. ("كتاب الكليات" لأبي البقاء الكفومي، ١/ ٣٤٧)

(١٥) أي من الخطاب في البيت السابق إلى التكلم في هذا البيت. [علمية]

والأشواق يسلب النوم من عينيه، ولا يحجب عنهما أبداً فيكون في اليقظة في كل حال سرمداً، وإمّا مجاز من سلب الغفلة بأحوال الدنيا ولذاتها، وهو المناسب لسياقه كما ترى. و«**الواو**» في «والحب» إمّا حالية أو استينافية معانية كأنّه قيل هل شغلتَ في أثناء عشقك باللذات؟ فقال: «والحب يعترض اللذات بالألم» ويقول الفقير: يمكن أن يكون الواو عاطفة من عطف العلة على معلولها إذ هو علة لما قبله فكأنّ الناظم الفاهم قال: إذ الحب يعترض، فيمكن فيه ترتيب قياس تقريره هكذا: الحب سالِبُ النومِ ودافعُه لأنّ الحب يعترض اللذات بالألم، وكل شيء شأنه كذلك فهو سالب النوم ودافعه، يُنْتِجُ: الحب سالب النوم ودافعه و«**يعترض**» من «اعترض له بسهم» إذا أَقبَلَ به قَبلَه فَرَمَاه فقَتَلَه، فـ«يعترض» بمعنى: يَقتل، ففي إسناده إلى الحب مجاز واستعارة تبعية حيث شبه القتل بالاعتراض في شده التأثير والتبديل؛ إذ كما في القتل تبديل الشكل فكذا في الاعتراض، ثمّ استعير الاعتراض لمفهوم القتل، فذكر الاعتراض وأريد القتل، وبتبعية هذه الاستعارة اشتق من الاعتراض صيغة «يعترض»، ومن القتل صيغة «يقتل»، وشبه هيئة «يقتل» بهيئة «يعترض» بواسطة العَلاقة التي في مصدرهما، ثمّ ذكر «يعترض» وأريد «يقتل»، وعلى مذهب السَّكَّاكِيِّ في الحب استعارة مكنية كما لايخفى.

و«**اللذات**» جمع لذة، بالنصب مفعول «يعترض» و«**بالألم**» متعلق بـ«يعترض» والألم كالكدر لفظاً ومعنًى لكن هنا مجاز ومستعار من السهم حيث شبه الألم بالسهم في كونه مهلكاً، ويحتمل أن يكون في هذا المصراع استعارة تمثيلية بأن شبه الهيئة المأخوذة من الأمور المعقولة، وهو كون الحب قاتلاً، وكون الألم الحاصل منه مهلكاً، وكون اللذات مهلكاً به، وكون الحب رامياً لألم إلى اللذات بالهيئة المنتزعة من الأمور المحسوسة، وهوكون الشخص رامياً، وكون السهم مَرمِيًّا به، وكون شخص آخر أو حَيَوَانٍ مرمياً إليه، وكون السهم مهلكاً، ثمّ استعير الهيئة المنتزعة من الأمور المحسوسة لمفهوم الهيئة المأخوذة من الأمور المعقولة، ثمّ ذكر الهيئة المنتزعة من الأمور المحسوسة وأريد الهيئة المنتزعة من الأمور المعقولة تدبّر.

و**حاصل المعنى**: أن العشق والمحبة يعرض ويهلك اللذات بسبب الألم كما أن الشخص الرامي يهلك الشخص المرمي إليه بالسهم لأنّ العشق الحقيقي إذا دخل قلبَ

أحد يقطعه عن لذائذ الدنيا ونعيمها فلا يبقى له الذَوق بشيء من الأشياء لأنّ الدنيا والآخرة ضدّان لا يجتمعان في شخص كما روي أنّ هارون الرشيد نظر يوماً في نفسه، وقال إنّي أجمع الدنيا مع الآخرة بغير تركهما، فاطلع "بهلول" الولي على ما في قلب هارون بالمكاشفة، وجاء إلى بيت هارون، وكان في بيته أمام قصره عمود عظيم متروك من سنين حتى لو جمع أهل البلد كلهم على رفعه لعجزوا عن رفعه بل عن تحريكه، فأخذ أحد طرفيه فرفعه، ثم ترك ذلك الطرف وجاء إلى الطرف الآخر، فرفعه أيضا وتركه، ثم جاء إلى وسطه، فأخذه، فما رفعه، وهارون الرشيد ينظر إلى ما فعله، فطلبه الرشيد، فجاء إليه، فقال له الرشيد: ما الغرض من هذا الفعل يا بهلول؟ قال إرشاداً للملك: إني أردت أن أجمع الدنيا فقدرت عليها لكن لم يكن معها الآخرة، ثم تركت الدنيا وأردت الآخرة فقدرت عليها لكن بترك الدنيا، ثم أخذت الوسط لأجمع الدنيا والآخرة، فما حصل لي ذلك، ففهمت أنّ تَفكُّرَك بأن تجمع الدنيا والآخرة باطل،

وخاصية هذا البيت: أنك إذا كنتَ تَتَّهِمُ امرأةً فاكتب هذا البيت على ورقة أترج، وضَعْهَا على ثَدْيِهَا الأيسرِ وهي نائمة، فإنها تَنْطِقُ في حال النوم بجميع ما فَعلتْ من مليح أو قبيح، وهذا مجرب صحيح، وكذا إذا كنت شككت في أحد أنه هل أخذ شيء من مالك، فاكتب هذا البيت في جلد ضفدع مدبوغ، وعلقه في عنقك فإن السارق يندهش، ويُقِرُّ من ساعته بإذن الله تعالى.

(٩) يَالاَئِمي فِي الْهَوَى الْعُذْرِيِّ مَعْذِرَةً ... مِنِّيْ إِلَيْكَ وَلَوْ أَنْصَفْتَ لَمْ تَلُمِ

لما كان المخاطب فيما قَبلُ منكراً للدعوى بأنه مُبتلٍ بالهوى كان المكالمة والخطاب بينهما بالكاف والضمير، ثم لما أقر المخاطب بتلك الدعوى بعد منه المتكلم قليلا إذ الخصم إذا أقر بالدعوى التي أنكرها فيما مضى يرخي له العنان، ويوسع عليه في ذلك الزمان، ويفرق عنه خصمه برهة من الأوان، فعدل عن الخطاب والضمير إلى الخطاب بصيغة النداء، فقال: «يا لائمي... إلخ» إذ صيغة النداء تدل على البعد ويجوز أن يكون عدوله إلى الخطاب بصيغة النداء لإمالة المقصود بالنداء إلى الأداء كذا ذكره "سعدي چلپي" في تفسير قوله تعالى: ﴿يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ﴾ الآية [البقرة: ١٨٣]،

والمقصود بالنداء هنا الاعتذار من المحبة والهوى ورجاء قبول عذره من اللائم، و«اللائم» اسم فاعل من اللوم كما في قوله تعالى: ﴿وَلَا يَخَافُونَ لَوْمَةَ لَائِمٍ﴾ [المائدة: ٥٤] وهو مضاف إلى ضمير المتكلم، والمعنى: يا من يلومني بلومه، ويعاتبني بعتابه، و«في الهوى» ظرف للملامة، وإنما كان ظرفا لها لكون الهوى سببا لها إذ من وقع في الهوى يلام في كل صبح ومساء إذ المُحِبُّ يكون له في كلِّ حالةٍ أَنِيْنٌ ، ويبكي في جميع وقته بكاء شديدا، ويقع في ملامة ومذلة جدا، ولذا قيل:

نونُ الهَوَانِ من الهوى مَسْرُوقَةٌ	فصريعُ كلِّ هوىً صريع هَوانِ

و«العذري» بالجر صفة «الهوى»، وهو بضم العين بمعنى المنسوب إلى قبيلة بني عذرة، وهي قبيلة في "اليمن" مشهورة بكثرة العشق معروفة بوفرة الشوق، وكثير شبانهم يموت بهذا الداء لعدم وجدانهم دواء لمرضهم لأنّ في قلوب رجالهم ضعف أي: ليس فيهم غش ولا دناءة، وفي نسائهم عفة أي: ليس فيهن فحش ولا خباثة، والمعنى: يا من يلومني في وقوعي في الهوى الذي هو مثل هوى قبيلة بني عذرة في الحب الشديد والعشق المديد، أو المعنى في وقوعي في الحب المستولي الذي من شانه أن يقبل العذر به من صاحبه كل أحد لأن ذلك الحب مُسْتَولٍ باضطرار، فلا يلام من ابتلي به عند الصغار والكبار، ويمكن أن يرتب فيه قياس لطيف من الشكل الأول بأن يقال: هواي مقبول لأنّه عذريّ، وكل هوى العذري مقبول، يُنْتِجُ أنّ هواي مقبول، حكي أنّ الأصمعي أراد أن يذهب إلى قبيلة من الأعراب مشهورة بالفصاحة والبلاغة عند أولي الألباب ليتعلم منهم الفصاحة حتى يذهب من لسانه الركاكة ففتش في القبائل، فسمع أن قبيلة بني عذرة مشهورة بالفصاحة فيما بين العرب، فذهب إلى تلك القبيلة في "اليمن"، فأضافه بعضهم، وكان لصاحب البيت بنت رشيقة القد صبيحة الخد فصيحة الكلام مليحة الملام، فجر الأصمعي منها المحبة لكونه مضافا لها والمشهور أن الجر من عمل الإضافة، يقول الأصمعي: ثم خرجت من بيت المضيف لأتفرَّجَ وأطوفَ في هذه القبيلة، فرأيت شابا لطيفا كالهلال نحيفا كالخلال مصفر اللون من العشق كالعنم، وعلامة المحبة في وجهه كالشمس على العالَم في قلبه إيقاد واشتعال كأنّه مرتحل إلى الآخرة بارتحال، فسألته عن الحال وما في جسمه من الملال، فأجاب بالرعشة والاضطراب: «الحبيبة التي كنت في

بيتها ضيفا بنت عم ذلك المصاب»، ولنيران هواها في قلبه اشتعال والتهاب، وما رآها منذ سنين، وله من فراقها زفرة وأنين، قال الأصمعي: فمضيت إلى بنت عمه لأحصل مرام هذا الفتى، وأرجو منها بلعل وليت ومتى، وقلت: يا راحة جراحة كل قلب كئيب أرى فيكم حرمة وذماماً لكل غريب، فجئت إليكم متشفعاً في أمر هذا الشاب، فتعطفي عليه باستمالة قلبه المصاب، قالت: صلاحه وفلاحه في فراقنا، وفوزه في الاحتراق بلواعج أشواقنا، فبعد اللّتيّا(١٦) والتي قبلت إنجاح مُنْيَتِيْ، فذهبت إلى ذلك الشاب، وقلت: استعدّ لمشاهدة المحبوب، وكن مراقباً لمواصلة المطلوب، فبينا ذلك هاج الغبار من جانب المحبوب، فغشي عليه، ووقع في النار التي كانت بين يديه، فاحترق بعض أعضائه، فمشيت إلى الحبيبة، وحكيت لها الحال، فقالت: يا سليم القلب أنه لا يطيق مشاهدة غبار نِعَالنا، فكيف يطيق مشاهدة أنوار جمالنا، كذا ذكره "الشيخ زاده" لكن لا بعين عبارتنا، وقال الشارح "الشَبْرَاخِيْتِي": وحكي **أيضاً** أنّ الأصمعي في أثناء طوافه في هذه القبيلة رأى حجراً قد كتبت عليه هذا البيت:

أَيَا مَعْشَرَ الْعُشَّاقِ بِاللهِ أَخْبِرُوْا	إِذَا اشْتَدَّ عِشْقٌ بِالْفَتَى كَيْفَ يَصْنَعُ

فكتب الأصمعي على الحجر تحت هذا البيت بيتاً وهو:

يُدَارِيْ هَوَاهُ ثُمَّ يَكْتُمُ سِرَّهُ	وَيَصْبِرُ فِي كُلِّ الْأُمُوْرِ وَيَخْشَعُ

فلما جاء الأصمعي رأى مكتوباً بعد بيته هذا البيت:

فَكَيْفَ يُدَارِيْ، وَالْهَوَى قَاتِلُ الْفَتَى	وَفِي كُلِّ يَوْمٍ رُوْحُه يَتَقَطَّعُ

فكتب الأصمعي تحته هذا البيت:

إِذَا لَمْ يُطِقْ صَبْراً وَكَتْماً لِسِرِّهِ	فَلَيْسَ لَه شَيْءٌ سِوَى الْمَوْتِ أَنْفَعُ

فلما جاء الأصمعي في اليوم الثالث رأى شاباً واضعاً رأسه على الحجر ميتاً وقد كتب على الحجر هذا البيت:

سَمِعْنَا أَطَعْنَا ثُمَّ مُتْنَا فَبَلِّغُوْا	سَلَامِيْ إِلَى مَنْ كَانَ لِلْوَصْلِ يَمْنَعُ

وقد ذكر هذه الحكاية "قره باغي" في محاضراته أيضا، و«معذرة» مصدر من العذر منصوب بفعل مقدر أي: اِقْبَلْ بصيغة الخطاب أو اعذر و«مني» متعلق به، و«إليك» صلة

(١٦) «اللتيا» بضم اللام المشددة أو فتحها، تصغيرُ «التي» سَماعاً. [علمية]

«معذرة»، وقال "شيخ زاده" رحمه الله تعالى: يجوز أن تكون «معذرة» مفعولا له، و«إليك» اسم فعل أي: يا لائمي لطلب معذرة أُبْعُدْ فإنّك ظالم، وقوله: «ولو أنصفت» الواو إبتدائية أو حالية و«لو» لانتفاء الثاني لانتفاء الأوّل نحو: لو جئتني لأكرمتك، والإنصاف العدل أي: لو عدلت لَمَا هجوتني بالملام ولعذرت مَن ابتُلي برزايا الآلام.و«**لم تلم**» فعل جحد مطلق من الملامة. وياء المتكلم مفعوله أي: تنفي الملامة عني، ففي هذا المقام قياس استثنائي تقريره هكذا: إنك لم تنصف لأنك لو أنصفت لما لمتني لكن التالي باطل لأنك لمتني كما فهم من قوله: «يالائمي» والمقدم مثله لأنك لمتني، فثبت أنك غير منصف.

(١٠) عَدَتْكَ حَالِيْ لَا سِرِّيْ بِمُسْتَتِرٍ ... عَنِ الْوُشَاةِ وَلَا دَائِيْ بِمُنْحَسِمِ

لما كان العاشق ارتجى من اللائم أن يقبل عذره ويترك الملامة له لكون عشقه غير اختياري بل هو عذري ولم يقبل اللائم عذره بل لامه فقابل العاشق ذلك اللائم بقوله: «عدتك حالي.... إلى آخره»، كلمة «**عدا**» إن تعدي بـ« إلى» يكون بمعنى «سرى»، وإن تعدي بـ«على» يكون بمعنى «ظلم»، وإن تعدى بـ«عن» يكون للبعد والمجاوزة، وهنا إما متعد بـ«إلى» أي: عدت إليك فيكون من قبيل الحذف والإيصال كما في قوله تعالى: ﴿وَاخْتَارَ مُوسَىٰ قَوْمَهُ﴾ [الأعراف: ١٥٥] فعلى هذا جملة «عدت» إمّا دعاء على اللائم، أو دعاء له، أما كونه دعاء على اللائم فلكونه لائماً له صورة فحينئذ يكون فيه إشارة إلى قوله عليه الصلاة والسلام: ((من عيَّر أخاه بذنبٍ لم يمت حتى يعمله))(١٧)، وأما كونه دعاء له فإما لكونه ناصحاً له حقيقة وإما عملاً بقوله عليه الصلاة والسلام ((صِلْ مَنْ قَطَعَك، وَاعْفُ عَمَّن ظَلَمك، وأَحْسِن إلى مَن أساء إليك))(١٨)، وإما متعد بـ«عن» أي: عدت عنك، والجملة أيضا إما دعاء عليه بالحرمان من الوصول إلى مرتبة العشاق، فيكون المعنى تجاوز عنك حالي، ولم يبق فيك، وإما دعاء له بأني أدعو الله ليتجاوز عنك حالي أي: سُقْم القَلْب وبكاء العين وكوني ملوماً، وعلى كل تقدير جملة «عدت» إخبارية

(١٧) "مشكاة المصابيح"، كتاب الآداب، باب حفظ اللسان، الحديث: ٤٨٥٥، ٣/٤٤.

(١٨) "جامع الأصول في أحاديث الرسول"،كتاب اللواحق، الفصل الأول، الحديث: ٩٣١٨، ١١/٦٨٨.

مستعملة في معنى الإنشاء مجازاً أو استعارة بأن يشبه النسبة الإنشائية الكائنة في ليعد بالنسبة الإخبارية، وأريد النسبة الإنشائية، وبتبعية هذه الاستعارة استعملت الصيغة الموضوعة للنسبة الإخبارية أعني: عدت حالي في النسبة الإنشائية أعني: ليعد حالي، ونظيرها كثير في الحديث والقرآن كما لا يخفى على أهل البيان. ونكتة المجاز إما التفاؤل كأنّه دعا واستجيب، وإما لإظهار شدة حرصه ورغبته على وقوعه كأنه لكمال حرصه تخيل وقوعه، فعبر بالماضي، وقوله: «**حالي**» بالرفع على أنه فاعل «عدت»، وهي مؤنث سماعي وقد تذكّر، والحال في اللغة نهاية الماضي وبداية المستقبل، وفي اصطلاح النحويين: ما يبين هيئة الفاعل أو المفعول به لفظاً نحو: ضربت زيدا قائماً، أو معنى نحو زيد في الدار قائماً، وفي اصطلاح الحكماء: كيفية في النفس غير راسخة فيها لأنهم قسموا الكيفيات النفسانية إلى قسمين لأنها إن كانت راسخة في النفس فهي ملكة، وإن لم تكن راسخة فهي حال، فالحال بهذا المعنى ما لا يكون معدوماً ولا موجوداً ولا دائماً كالحزن والسرور الغير الدائمين، و«**الحال**» في اصطلاح أهل الحق والتصوف: معنى يرد على القلب من غير تصنع ولا اجتناب ولا اكتساب من طرَب أو حزن أو فيض أو بسط أوهيبة أوخشية، ويزول بظهور صفات النفس سواء يعقبه المثل أو لا فإذا دام وصار ملكة يسمّى مقاماً، فالأحوال مواهب، والمقامات مكاسب، والأحوال تأتي من عين الجود، والمقامات تحصل ببذل المجهود، والمراد هاهنا الحال التصوفي، فيكون المعنى سرى إليك ما كان في قلبي من الحب الحقيقي؛ لأنك وإن لمتني صورةً لكن ما لمتني حقيقةً أو ابتلاك الله بمثل ما ابتليت به، ثمّ كأن سائلاً: قال: كيف كان حالك؟ فأجاب بقوله:

«لا سري... إلى آخره»، فتكون جملة «لا سري بمستتر» استينافية معانية، ولا مشبّهة بلَيس، و«**سرّي**» مضاف إلى ياء المتكلم وهو الأمر الخفي، وهوبالرفع محلا اسم لا، فإن قلت: إن اسم «لا المشبّهة بِلَيْسَ» لا يكون معرفة فكيف يكون قوله: «سري» اسم «لا» مع كونه معرفة لكونه مضافا إلى المعرفة؟ قلت: هذا مبني على مذهب الأخفش، فإنّه وإن لم يجوزه الجمهور لكن الأخفش جوزه والباء في «بمستتر» زائدة، وهو خبر «لا» و«عن» متعلق بـ«مستتر»، و«**الوشاة**» جمع واشٍ كالنُّحاة والغُزاة، والواشي بمعنى الفاجر المنافق الذي يسعى بالفساد بين العاشق والمعشوق ليفرّق بينهما قال الشاعر:

لئن كنت قد بُلِّغْتَ عنّي جناية		لَمُبْلِغُك الواشي أغشُّ وأظلمُ

وقال آخر:

قالوا الوشاة قد ادّعى بك نسبةً		أحزنت لما قلت قد صدقته

وقوله: «**ولا دائي**» عطف على «لا سري»، وإعادة حرف النفي للتاكيد، والداء: المرض مضاف إلى ياء المتكلم «**والمنحسم**» اسم فاعل من الانحسام بمعنى الانقطاع أي: ولا مرضي بمنقطع بالوصول إلى المحبوب، ويمكن أن يرتب فيه قياس تقريره هكذا: دائي ليس بمنحسم لأنّ دائي لو كان منحسماً لوجد له الأطبّاء ولو وجد له الأطباء لوجد وصلة الأحباء ينتج أنه لو كان دائي منحسماً لوجد له وصلة الأحباء لكن التّالي باطل والمقدم مثله، فثبت نقيضه أعني: أن دائي ليس بمنحسم.

فحاصل معنى البيت: يا لائمي إنّي رجوت الاعتذار منك كثيراً فما قبلت، وما تركت الملامة، فأنا أرجو الله تعالى أن يبتليك مثل ابتلائي فكأنّ السائل سأل عن ابتلائه بأنّه كيف الحال في ابتلائك؟ فقال: كنت ملابساً بحال لم يكن سري بمستري عن الغمازين بين المحب والمحبوب لأنّه سلب عني الاختيار، وكان سري مكشوفاً بالاضطرار؛ إذ ورد عن الكُمَّل والكبار العشق هتك الأستار وكشف الأسرار، وكان أيضاً مرضي أعني العشق للنبي المختار غير منقطع عني في كل ليل ونهار، ولا ينفعني البُعد عنه والفرار إلا الوصلة إلى جنابه الذي كلّمه الأحجارُ والأشجارُ وإلى جماله الذي طلعت منه الأنوار.

(١١) مَحَضْتَنِي النُصْحَ لَكِنْ لَّسْتُ أَسْمَعُهُ ... إِنَّ الْمُحِبَّ عَنِ الْعُذَّالِ فِيْ صَمَمِ

ولمّا فهم الناظم الفاهم أن لوم اللائم وإن كان لوماً له صورة لأنّه حمل عشقه على المجازي، وقال: إنّ عشقك لفلان بن فلان لا للنبي ولا للرحمن لكنّه في الحقيقة نصح له بأنّ العشق المجازي ليس كما ينبغي لأنّه تضييع الأوقات فيما لا يعني وبذل النفس فيما لا يُسْمِنُ ولا يغني، فقال هضماً لنفسه وإنكاراً لحبه الحقيقي احترازاً عن العجب الذي هو أعظم الذنوب وأفخمها ولذا قال عليه الصلاة والسلام: ((لو لم تذنبوا لخشيت

عليكم ما هو أعظم من ذلك العجب العجب))[١٩]: قوله: «محضتني النصح... إلخ»، وهو بصيغة الخطاب خطاب لمن يلومه في العشق المجازي، وهو من التمحيض، والتمحيض كالإمحاض جعل الشيء محضاً أي خالصاً وصافياً عمّا لا ينبغي، و«**النصح**» منصوب على أنّه مفعول ثان له أي: جعلت لي النصيحة محضاً خالصاً بحيث لا يَشُوْبها غرض من الأغراض الفاسدة والآراء الكاسدة، و«النصح» النصيحة، وهو إراءة الخير للغير، وكلمة «**لكن**» للاستدراك: وهو دفع توهم نشأ من الكلام السابق لأنّه لمّا قال: «محضتني النصح» تولّد منه توهّم بأنّك هل انتصحت بنصحه؟ فدفعه فقال: «لكن لست... إلخ» هضماً لنفسه وإلا فلم يكن في الناظم الفاهم عشق مجازي حتى يتركه بنصح ناصحٍ؛ لأنّ عشقه حقيقي لأنّه للنبي عليه السلام وقوله: «لست أسمعه» بمعنى لم ألتفت إليه بطريق المجاز التبعيّ بأن يشبه الالتفات بالإسماع في توجه القلب فذكر الإسماع وأريد الالتفات، ثمّ اشتق من الالتفات «ألتفت»، ومن الإسماع «أسمع»، فشبه ألتفت بالعلاقة التي في مصدرهما بـ«أسمع»، فذكر «أسمع» وأريد ألتفت وقوله «إن المحب...إلخ» علة لعدم السماع، فالتقدير لأنّ المحب، فحذف الجار لكونه قياسياً كقوله تعالى: ﴿عَبَسَ وَتَوَلَّىٰٓ أَن جَآءَهُ ٱلْأَعْمَىٰ﴾ [عبس: ١-٢] والألف واللام في «المحب» للاستغراق أي كل محب، فإن قلت: اللام الداخلة على اسم الفاعل والمفعول بمعنى الذي فكيف يكون اللام هاهنا للاستغراق؟ قلت: اللام الداخلة عليهما ليست بمعنى الذي مطلقا بل إنما تكون بمعناه إذا كان الفاعل والمفعول بمعنى الحدوث نحو الضارب والمضروب بمعنى الذي ضرب، وأما إذا كان بمعنى الثبوت كالواجب والمؤمن وغيرهما فلا يكون كذلك بل يكون حكمه حكم الصفة المشبهة، والألف واللام فيه للتعريف، وما وقع هاهنا من هذا القبيل، فاحفظ هذا، و«المحب» منصوب على أنّه اسم «إن»، فإن قلت: ما النكتة في نصب إن اسمه ورفعه خبره ولِمَ لَمْ يجعل الأمر بالعكس؟ قلت: تفصيله أنه لمّا صار عاملاً فلا يخلو إما أن يرفع المبتدأ والخبر معا أو ينصبهما معاً أو يرفع المبتدأ وينصب الخبر، أو ينصب المبتدأ ويرفع الخبر، والأوّل باطل لأنّ الخبر والمبتدأ كانا قبل دخول «إنّ» عليهما مرفوعين، فلو بقيا كذلك بعد دخول «إن» عليهما

(١٩) "كشف الخفاء"، حرف اللام، الحديث: ٢١١٩، ٢/١٤٧.

لَما ظهر له أثر، ولأنّه أخذ العمل من المشابهة بالفعل والفعل لا يرفع الاسمين، وكذلك ما يشابهه لأنّ الفرع لا يكون أقوى من الأصلي، والثاني أيضاً باطل لأنّه أخذه من الفعل، وهو لا ينصب شيئين مع خلوه عمّا يرفعه، والثالث أيضاً باطل لأنّه لو رفع المبتدأ و نصب الخبر لكان بين الأصل والفرع تساو، وهو باطل ولمّا بطلت الأقسام الثلاثة تعيّن القسم الرابع، وكذا الكلام في أخوات «إن» و«أن» مع اسمه وخبره جملة والجملة استينافية كأن قائلاً: قال: لِمَ لَمْ تسمع النصيحة؟ فأجاب بقوله: «إن المحب... إلخ» و«عن» في «عن العذال» متعلق بـ«الصمم» المؤخر، فإن قلت: إن تقديم «ما» في حيز حرف الجر عليه ممتنع فكيف يصح تقديم معمول «ما» في حَيِّز حرف الجر لأنّ المعمول لا يقع إلا حيث يصحّ وقوع العامل فيه؟ قلت: تقديمه هنا للاتساع في الظروف لأنّ الظروف يُغْتَفرُ فيها ما لا يُغْتفرُ في غيرها، أو لضرورة الشعر كما قال الشاعر في بيان ضرورة الشعر:

وَقَدْ جَاءَ فِي التَّرْكِيْبِ بَعْضُ تَصَرُّف		كَفَصْلٍ وَتَقْدِيْمٍ ومثل زِيَادَةٍ

و«**العذال**» جمع عاذل بمعنىَ اللائم، ويجوز أن يكون العذال هنا بمعنى المتكلّم مطلقاً لائماً كان أو ناصحاً من قبيل ذكر الخاص وإرادة العام كما يشير إليه التعميم في الحديث. و«في صمم» أي: في وقر عن سماع كلامهم، وهو ظرف مستقر خبر «إنّ» و«**الصمَمَ**» بفتحتين ضد السمع، والظرفية مجازية، واستعارة تبعية بأن يشبه شمول العموم المطلق بشمول الظرفية المطلقة في الإحاطة المطلقة، فاستعير شمول الظرفية المطلقة لمفهوم شمول العموم المطلق، فذكر شمول الظرفية المطلقة وأريد شمول العموم المطلق وبتبعية هذه الاستعارة شبه العموم الجزئي بشمول الظرفية الجزئية في الإحاطة، ثم استعير الكلمة الموضوعة لشمول الظرفية الجزئية أعني في المفهوم شمول العموم الجزئي، ثم ذكر في الموضوعة لشمول الظرفية الجزئية وأريد شمول العموم الجزئي ونكتة المجاز المبالغة، ويمكن أن تكون الاستعارة مكنية في مدخول «في» أعني: «صمم» بأن شبه الصمم بالكوز في الاشتمال، وأثبت له ما هو من خواص المشبه به أعني: الأداة الدالة على الحلول الحقيقي، وفي هذا البيت تلميح إلى قوله عليه الصلاة

والسلام فيما رواه البخاري ((حُبُّكَ الشَّيْءَ يُعْمِي وَيُصِمِ))[٢٠]، فاعلم أنه يمكن أن يكون في هذا البيت قياس اقتراني ترتيبه هكذا: أني لم أسمع نصحك لأني محب، والمحب في صمم عن العذال، ينتج أني في صمم عن العذال، وكل من هو في صمم عن العذال لايسمع نصحك، ، ينتج إني لم أسمع نصحك، وصغرى القياس الأول مسلمة عند الخصم، ودليل كبراه الحديث السابق، وتقريره بأن يقال: كل محب في صمم عن العذال لأنّه لما قال صلى الله تعالى عليه وسلم: ((حُبُّكَ الشَّيْءَ يُعْمِي وَيُصِمِ))، وكان هذا الحديث خاص اللفظ عام المعنى كان كل محب في صمم عن العذال لكن المقدم حق والتالي مثله.

وخاصية هذا البيت: أنك إذا كنت تخاف من شر أحد أو مكره فاكتب هذا البيت في كاغَد، ويكون الكاغَد دائرة، واجعلها على مقدم رأسك تحت العمامة فإنّك تكون بإذن الله تعالى محفوظاً من شره ومكره.

(١٢) إِنِّي اتَّهَمْتُ نَصِيحَ الشَّيْبِ فِي عَذَلِيْ ... وَالشَّيْبُ أَبْعَدُ فِيْ نُصْحٍ عَنِ التُّهَمِ

ولمّا ورد المنع على دليل عدم سمعه نصيحة الناصح بأنّه لا نسلّم إن عدم قبولك واستماعك النصح من كونك محباً لم لايجوز أن يكون من حملك نصيحة الناصح على الحسد والطمع أثبت دعواه السابقة بقوله: «إني اتهمت ...إلى آخره»، فتقدير «إني» لإني حذف الجار لكونه قياسياً، فهو في الحقيقة علة و«اتهمت» نفس متكلم من باب الافتعال بمعنى حملت على التهمة يقال: اتهمت فلاناً بكذا أي: نسبته إلى شيء يورثه العار، والتهمة اسم منه، وتاءه بدل من الواو إذ أصله وهمة كما في تخمة، و«نصيح الشيب» منصوب على أنه مفعول لـ«اتهمت»، و«النصيح» فعيل بمعنى الفاعل أي: الناصح مضاف إلى الشيب، والإضافة إما من قبيل إضافة الصفة إلى موصوفها أي: حملت الشيب الناصح على التهمة، وإما من قبيل المشبّه إلى المشبّه به أي: الذي هو كالناصح في الإخبار عن قرب الموت أو «النصيح» مصدر، فإضافته إلى الشيب من إضافة المصدر إلى فاعله،

(٢٠) "التاريخ الكبير"، الحديث: ١٨٥٣، ٢/٩٣.

ويحتمل أن تكون الإضافة بيانية و«الشيب» كون الشعر بياضاً وقيل: هو الشعر الأبيض، والمراد بنصيحة الشيب، كون الشيب قائلاً بلسان الحال: قد قرب الارتحال، وحان الزوال، فهذا أوان التوبة من سيء الأحوال كما قال الشاعر الفارسي:

موے سپید از کفن آرد پیام		پشت خم از مرک رساند سلام

وورد في الخبر أن عمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنه لمّا كان خليفة نبه إعرابيا أن ينادي في كل صباح وراء داره بيا عمر لاتنس موتك واعمل في الدنيا بقدر مقامك فيها، فلمّا وجد عمر رضي الله تعالى عنه في لحيته بياضاً قال للأعرابي: اترك النداء؛ لأنّ مخبري ومذكّري حصل في نصب عينيّ فلم يبق لندائك حاجة وقوله: «في عذلي» متعلق بـ«اتهمت» و«العذل» بسكون الذال المعجمة بمعنى اللوم حرّك الذال لضرورة الشعر وللخفة، وقال المحقق العصام: هو بالتحريك على الأصل، وإضافته إلى ياء المتكلم من إضافة المصدر إلى مفعوله أي: في لومه إياي، والمعنى: إني حملت على التهمة الشيب الذي هو كالناصح، أو ناصح شيب أي: شيخ في لومه إياي؛ لأنّ الناصح يلوم ويعاتب لمن يلقى إليه النصح، وقرئ أيضاً «في عدلي» بالدال المهملة، فيكون مصدراً بمعنى العدول وعلى هذا يتعلق «في» بـ«نصيح» وإضافته إضافة المصدر إلى الفاعل أي: نصيح الشيب في حق عدولي عن الأحوال السيئة، وهذه القراءة أحسن من جهة أنّه على هذا تكون إضافته إلى الياء من إضافة المصدر إلى فاعله، فهو أصل في المصدر والواو في «والشيب» حالية والشيب مبتدأ، و«أبعد» خبره، وهو اسم تفضيل، ويلزم في استعماله ولو تقديراً أحد الشروط الثلاثة أعني: الاستعمال باللام أو بمن أو بالإضافة، وهنا استعمل بمن المقدرة لأنّ المعنى أن الشيب أبعد من كل شيء ناصح وفي نصح متعلق بأبعد، وتنوينه عوض عن المضاف إليه أي: في نصحه. و«عن التهم» متعلق بـ«أبعد»، وفي بعض الروايات «من التهم»، فإن قيل: فعلى هذا يلزم تعلق الجارين بمعنى واحد بمتعلق واحد مع أنه غير جائز قلت: فعلى هذا تكون من المذكورة متعلقة بمادة البعد لا بصيغة أفعل التفضيل كما في قولهم: الإنسان الأعم من زيد كذا فإن قولهم من زيد متعلق بمادة العموم لا بالصيغة وإلا لزم استعمال أفعل التفضيل بمجموع الأمرين أعني اللام وكلمة

من، وهو باطل كما تقرر في النحو، كذا قاله كلنبوي في "حاشية التهذيب"، ثم اعلم أنه لما كان هذا البيت علة لما قبله أمكن أن يرتب هاهنا قياس بأن يقال: إني لم أسمع لومك ونصحك لأني اتهمت نصيح الشيب في عذلي مع أن الشيب أبعد في نصح عن التهم، وكل من شأنه كذا فلا يسمع نصحك ولومك، ينتج إني لم أسمع لومك ونصحك، ويمكن أن يرتب بترتيب آخر أحسن من الأول بأن يقال: إني اتهمت نصيح الشيب في عذلي، والشيب أبعد في نصح عن التهم، ينتج من غير متعارف الشكل الأول إني اتهمت النصيح الأبعد في نصح عن التهم، فنضم إليه الكبرى لينتج الدعوى بأن يقال: وكل من اتهم النصيح إلا بعُد في نصح عن المتهم لا يسمع لومك ونصحك، ينتج من المتعارف أني لم أسمع لومك ونصحك.

(١٣) فَإِنَّ أَمَّارَتِيْ بِالسُّوْءِ مَا اتَّعَظَتْ ... مِنْ جَهْلِهَا بِنَذِيْرِ الشَّيْبِ وَالْهَرَمِ

لمّا فرغ من الكلام السابق الذي كان في العشق والهوى انتقل إلى الكلام الذي هو في داء النفس ودوائها بانتقال حسن إذ جعل قوله: «فإن أمّارتي ...إلى آخره» علة لما سبق أي: لقوله: «إني اتهمت... إلى آخره»، وبين العلة والمعلول مناسبة تامة كما لايخفى. فالفاء في «**فإن**» للتعليل، ويمكن أن يرتب هاهنا قياس من الشكل الأول بأن يقال: إني اتهمت نصيح الشيب في عذلي لأنّ نفسي الأمارة بالسوء ما اتعظت من جهلها بنذير الشيب والهرم، وكل من شانه كذا يتهم نصيح الشيب في عذلي، ينتج إني اتهمت نصيح الشيب في عذلي، و«**الأمارة**» مبالغة اسم الفاعل بمعنى الآمر بالسوء مبالغة، وإضافته إلى ياء المتكلم للعهد أي: أمارتي المعهودة، وهي النفس، ويجوز أن يكون من حذف الموصوف، وذكر الصفة، وإرادته منها فإن الآمر بالسوء مبالغة صفة النفس بقرينة تخصيصه تعالى بالنفس في قوله حكاية عن يوسف عليه الصلاة والسلام: ﴿إِنَّ النَّفْسَ لَأَمَّارَةٌۢ بِالسُّوٓءِ﴾ [يوسف: ٥٣] فيكون في هذا البيت صنعة تلميح إلى هذه الآية. وقوله: «بالسوء» صلة لـ«أمارة» و«**السوء**» بالضمة اسم بمعنى الفتنة والعذاب والبلاء، وبالفتح مصدر يقال: «رجل سوء» على طريق التوصيف بالمصدر للمبالغة مثل قولهم: «رجل عدل»: وقوله: «**ما اتعظت**» «ما» نافية، و«اتعظت» من الإتعاظ بمعنى قبول الوعظ، وجملته خبر «إن»

و«من جهلها» متعلق بالنفي، و«**من**» إما على معناه الأصلي أي: عدم قبولها الوعظ ناشئ من جهلها أو بمعنى لام التعليل، فعلى هذا يمكن ترتيب قياس هكذا: نفسي الأمارة بالسوء مااتعظت لأن نفسي الأمارة بالسوء جاهلة بنذير الشيب والهرم، وكل نفس شأنها كذا ما اتعظت، ينتج نفسي الأمارة بالسوء ما اتعظت. وقوله: «بنذير» يجوز أن يكون متعلقا بـ«اتعظت»، وأن يتعلق بجهلها فيكون من قبيل تنزيل العالم منزلة الجاهل لعدم جريه على موجب العلم، و«**النذير**» إما بمعنى الإنذار كالنكير بمعنى الإنكار، أو بمعنى المنذر كالبديع بمعنى المبدع، فعلى الأول تكون إضافته من إضافة المصدر إلى فاعله، وعلى الثاني تكون من قبيل الإضافة البيانية، ويجوز أن تكون إضافته من قبيل إضافة الصفة إلى موصوفها، وإن اعتبرت المشابهة بين الشيب والنذير يكون من قبيل لُجَيْنِ الْمَاء «والهرم» عطف على «الشيب»، وهو بفتحتين، أو بكسر الراء تناهي الشيب، وقال الخادمي: والمراد لازمه أعني: انحراف القامة، ثم اعلم: أن هذا المقام يقتضي بسطا من الكلام حتى يفهم المرام، فنقول: أولا اختلفوا في أن النفس ما هي؟ فذهب بعض **المتكلمين** إلى أنها الجسد والهيكل المحسوس، وبعضهم ذهبوا إلى أنها الأجسام الأصلية باقية من أول العمر إلى آخره، وقال ابن الراوندي: إنها أجزاء لا تتجرد عن القلب، والنظام: ذهب إلى أنها جسم لطيف نوراني يسري في البدن كَسَرَيَانِ النار في الفَحْم، وبعض الأطباء ذهب إلى أنها هي القوة المودعة في الجانب الأيسر من القلب، وتسمى الروح الحيواني، وعند بعض آخر منهم هي القُوَّةُ الْمُودَعَةُ في الدماغ، وتسمى بالنفس الإنسانية، و**عند الحكماء:** جوهر مجرد يتعلق بالبدن تعلق التدبير والتصرف، والمراد هنا النفس الإنسانية، وهي التي قد خاطبها الله تعالى، وجعلها موضع الأمر والنهي، وهي مَعْدِنُ الأخلاق الذميمة مُودَعَة في جميع جسد الإنسان، وهي مَجْبُولة على ضد الروح الرحماني التي في أعلى علّيّين، فإنها تأمر بالخير وتنهى عن الشر، فتلك النفس تابعة للأرواح التي في أسفل السافلين كالشياطين الذين لا يأمرون إلا بالشر، ولا ينهون إلا عن الخير، وأما منشأ خلق النفس فإن الله تعالى لما نفخ الروح المخلوق بأمره في جسد آدم عليه الصلاة والسلام خلق من ازدواج الروح مع الجسد وَلَدَين ولدا ذكرا وهو القلب اللطيف الشبيه بوالده الذي هو الروح العُلْوِيُّ، فيأمر بالخير وينهى عن الشر، وكان ذلك

منظر ربنا ذي الرحمة والغفران وبين أصبعي الرحمن ولداً أنثى، وهي النفس الكثيفة الشبيهة بوالدتها التي هي الجسد السفلى، فتأمر بالشر وتنهى عن الخير، وجعل موضعها جميع الجسد، ثم إن المتصوفين قالو: للنفس سبع مراتب الأولى: النفس الأمارة: وهي التي تميل إلى الطبيعة البدنية، وتأمر باللذات والشهوات الحسية، وتجذب القلب إلى الجهة السفلية، فهي مأوى الشرور ومنبع الأخلاق الذميمة لأنها مبدأ الكبر والحرص والشهوة والحسد والغضب والبخل والحقد، والثانية: النفس اللوامة: وهي التي تنورت بنور القلب، فتطيع العاقلة تارة، وتعصي أخرى، ثم تندم فتلوم نفسها، وهي منبع الندامة لأنها مبدأ الهوس والعثرة والحرص، والثالثة: النفس المطمئنة: وهي التي تنورت بنور القلب حتى تخلت عن صفاتها الذميمة، وتخلقت بالأخلاق الحميدة، والرابعة: النفس الملهمة: وهي التي ألهمها الله العلم والتواضع والقناعة والسخاوة، فلذا كانت منبع الصبر والتحمل والشكر، والخامسة: النفس الراضية: وهي التي رضي الله تعالى عنها، ويظهر فيها أثر رضاه تعالى وهو الكرامة والإخلاص والذكر، والسادسة: النفس المرضية: هي التي رضيت عن الله تعالى كما قال الله تعالى: ﴿وَرَضُواْ عَنْهُ﴾ [البينة: ٨]، ويترك فيها الكرامات، ويعرف فيها الله تعالى حق معرفته، والسابعة: النفس الصالحة: وهي التي مقام الأسرار بين الله تعالى وبينها، ثم إن الأولى نفس الكافرين والشياطين والفاسقين، والثانية نفس الغير الفاسقين من المؤمنين، والثالثة نفس المتعلمين العاملين، والرابعة نفس المعلمين العاملين، والخامسة نفس الأولياء الكرام، والسادسة نفس العارفين، والسابعة نفس الأنبياء والمرسلين، ونفس الناظم الفاهم من قبيل الخامسة لأنه ولي كامل ذو الكرامة والفخامة، وعد نفسه من نفس الفاسقين لهضم نفسه كما قال يوسف عليه السلام هضماً لنفسه: ﴿وَمَآ أُبَرِّئُ نَفۡسِيٓۚ إِنَّ ٱلنَّفۡسَ لَأَمَّارَةُۢ بِٱلسُّوٓءِ﴾ [يوسف: ٥٣]، ولأنّ فيه سلوكا إلى طريق المنصف كما في قوله تعالى: ﴿وَمَا لِيَ لَآ أَعۡبُدُ ٱلَّذِي فَطَرَنِي وَإِلَيۡهِ تُرۡجَعُونَ﴾ [يس: ٢٢] لكون هذه الطريقة عجيبة الشان في البلاغة لأنه يكون أكثر إيقاظا لإصغاء السامعين، وأقوى ذريعة لقبولهم من حيث أنه لايخاطب بما يمجه سماعهم، ولا ينفر منه طباعهم، اللهم اجعلنا ممن نفوسهم راضية، وقلوبهم وجلة، وارحمنا حين وصلت الروح إلى الحلقوم، وصعدوا بها إلى الحي القيوم.

(١٤) وَلَا أَعَدَّتْ مِنَ الفِعْلِ الْجَمِيْلِ قِرى ... ضَيْفٍ أَلَمَّ بِرَأْسِي غَيْرَ مُحْتَشَمِ

لما بين أن النفس الأمارة بالسوء لم تجتنب عن شيء من القبائح ولم تنته بالنهي عنها أراد أن يبين كونها غير مؤتمرة بالأمر بالأفعال الجميلة والأخلاق الحميدة، فقال: «ولا أعدت من الفعل... إلخ»، فعلى هذا تكون هذه الجملة معطوفة على جملة «اتعظت» على أن يكون الاتعاظ عبارة عن الاجتناب عن القبائح والإعداد عبارة عن الإتيان بالأفعال الحميدة، فيكون البيت الأول إشارة إلى أن نفسه لم تنته بنهي العاقلة والبيت الثاني إلى أنها لم تأتمر بأمرها ويحتمل أن يكون من قبيل عطف الخاص على العام على أن يكون الاتعاظ عبارة عن الاجتناب عن القبائح والإتيان بالمحاسن، ويكون الإعداد عبارة عن الإتيان بالمحاسن فيكون أخص من الاتعاظ، ثم إن تكرير «لا» للتأكيد، و«أعدت» من الإعداد، وهو التهيأ كما في قوله تعالى: ﴿وَسَارِعُوٓاْ إِلَىٰ مَغۡفِرَةٖ مِّن رَّبِّكُمۡ وَجَنَّةٍ عَرۡضُهَا ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلۡأَرۡضُ أُعِدَّتۡ لِلۡمُتَّقِينَ﴾ [آل عمران: ١٣٣] أي: أحضرت وهيئت. وقوله: من الفعل متعلق بـ«أعدت»، ويجوز أن يكون من الفعل الجميل بيانا لـ«قرى ضيف» قدم عليه للوزن، والفعل الجميل ما يستحسن شرعا لا ما يستحسن مطلقا لأن بعض الأفعال يستحسنه العقل مع أنه في الشرع مذموم، وفي الفعل الجميل استعارة مكنية تعبيرها هكذا شبه الفعل الجميل في الذهن بالقرى في تحصيل اللذة والسرور،وادعى أن الفعل الجميل من جنس القرى، ثم استعير القرى في الذهن لمفهوم الفعل الجميل، ثم ذكر القرى في الذهن، وأريد منه الفعل الجميل، وفي الخارج ذكر الفعل الجميل، وأريد نفسه، وإثبات الإعداد للفعل الجميل يكون تخييلية، و«قِرى» بكسر القاف، والقصر مصدر قولهم: «قريت الضيف» إذا أحسنت إليه بالطعام، فالقرى يجيء في اللغة على معنيين أحدهما المعنى المصدري وهو الإطعام، وثانيهما الحاصل بالمصدر، وهو الطعام، والمراد به هاهنا التوبة والأعمال الصالحة، وإضافته إلى الضيف لامية، والمراد بالضيف الشيب مجازا واستعارة تعبيرها هكذا شبه الشيب بالضيف في المجيء فجأة من غير خبر ولا مقدمة ولا رائد، فاستعير الضيف للشيب، فذكر الضيف، وأريد منه الشيب، فيكون قوله: «ألمّ» قرينة لهذه الاستعارة وقرى ترشيحا لها، ويكون المراد بـ«القرى» الفعل الجميل

مجازا واستعارة تعبيرها هكذا شبه الفعل الجميل وأهمل الصالح بالقرى في إيراث المنفعة لصاحبه، فاستعير القرى للفعل الجميل، فذكر القرى وأريد الفعل الجميل والعمل الصالح. لايقال: لايجوز الاستعارة في هذا المقام لأنه قد ذكر فيه المشبه والمشبه به معا وكل مقام ذكر فيه المشبه والمشبه به معا فلا تجوز الاستعارة فيه لأنا نقول: إن أردتم من ذكر المشبه والمشبه به ذكرهما على وجه ينبئ عن التشبيه فلا نسلم الصغرى كيف وفي هذا المقام لم يكن ما ينبئ عن التشبيه، وإن أردتم ذكرهما مطلقا فلا نسلم الكبرى كيف وإن البيانيين صرحوا بأن ذكرهما إنما يضر الاستعارة لو كان على وجه ينبئ عن التشبيه وإلا فلا كما في قوله:

لا تَعْجَبُوا من بِلَى غِلالتِهِ	قد زَرَّ أزْرارَه على الْقَمَرِ

ثم إن قوله: «**ألمّ**» ماض من الإلماء بمعنى النزول كما في قوله :

أَلَمَّتْ فَحَيَّتْ ثُمَّ قامتْ فَوَدَّعَتْ	فلمَّا تَوَلَّتْ كادَتِ النَّفْسُ تَزْهَقُ

وجملة «ألم» مجرور محلا صفة «ضيف» وقوله: «برأسي» متعلق به، فإن قيل: لم خصص الرأس من بين الأعضاء؟ قلنا: لأنه أول ما يظهر فيه الشعر البياض وقوله: «**غير محتشم**» بالنصب حال من المضاف إليه أعني الضيف لأنّ المضاف مصدر لأنّ بعض المحققين صرحوا بأن الحال من المضاف إليه إنّما يجوز إذا كان المضاف مصدرا أو يكون جزأ من المضاف إليه أو بمنزلة جزئه، ومنهم ابن مالك في "ألفيته"

وَلاَ تُجِزْ حَالاً مِنَ الْمُضَافِ لَهُ	إلاَّ إذَا اقْتَضَى الْمُضَافُ عَمَلَهُ
أَوْ كَانَ جُزْءَ مَالَهُ أُضِيفَا	أَوْ مِثْلَ جُزْئِهِ فَلاَ تَحِيفَا

وما قيل إنه من قبيل قوله تعالى: ﴿أَنِ اتَّبِعْ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفاً﴾ [النحل: ١٢٣] لايستقيم؛ لأنّه مشروط بكون العامل في الحال عاملا في المضاف لما بين المضاف والمضاف إليه من الاتحاد، وهاهنا لايجوز أن يكون «أعدت» عاملا في «غير محتشم» كما لايخفى. ويجوز أن يكون حالاً من فاعل «ألم» ويمكن أن يكون حالا من ياء المتكلم في الرأس، وهو المناسب لو قرئ «محتشم» على صيغة اسم الفاعل، ويمكن أن يكون «غير» بالجر على أنه صفة للضيف لكن فيه ما فيه، فقوله: «محتشم» إما على صيغة الفاعل من الاحتشام بمعنى الاحترام، وهو المناسب للأول، وإما على صيغة اسم المفعول من الاحتشام بمعنى التوقير أي غير موقر، ومن الاحتشام بمعنى الحشامة والعسكر أي غير

مقارن بالعسكر بل جاء وحدانا، وهو مناسب لكونه حالا من الضيف أو من فاعل «ألم»، فإن قيل: لو كان محتشم على صيغة المفعول لورد عليه أن باب الافتعال لا يأتي منه صيغة اسم المفعول، قلنا: وإن لم يأت اسم المفعول منه مستقلا لكنه أتى مقارنا بحرف الجر، وهنا مقدر أي غير محتشم فيه فخذ ما آتيتك وكن من الشاكرين.

(١٥) لَوْ كُنْتُ أَعْلَمُ أَنّيْ مَا أُوَقِّرُهُ ... كَتَمْتُ سِرّاً بَدَا لِيْ مِنْهُ بِالْكَتَمِ

فكأنه لما لم تتعظ نفس الناظم الفاهم بنصح الشيب أي: نصيحة الناصح الكامل ولا أعدت الضيافة من الفعل الجميل مثل الطاعة والتوبة لضيفه الشيب حال كون ذلك الضيف غير موقر ومحترم في نفسه ندمت من هذه الأفعال السيئة وأظهرت ندامتها قال: «لو كنت... إلخ»، اعلم أنّ «لو» لامتناع الثاني لامتناع الأول، فالتقدير لكن لم أعلم فلم أكتم سراً بدا لي... إلخ و«كنت» مع خبره أعني: جملة «أعلم» فعل شرط و«ما» في «ما أوقره» نافية. و«أوقر» على صيغة المتكلم من التوقير بمعنى التعظيم والتكريم والاحترام، وضمير المفعول راجع إلى الضيف والمراد منه الشيب و«كتمت» جزاء الشرط، و«الكتم» الإخفاء كما في قوله تعالى: ﴿وَلَا تَكْتُمُوا الشَّهَادَةَ وَمَنْ يَكْتُمْهَا فَإِنَّهُ آثِمٌ قَلْبُهُ﴾ [البقرة: ٢٨٣]، والمراد من السر هنا إنذار الشيب بقرب الرحلة بلسان الحال. وجملة «بدا» صفة للسر، وبدا بمعنى ظهر كما في قوله تعالى: ﴿إِنْ تُبْدُوا الصَّدَقَاتِ فَنِعِمَّا هِيَ﴾ [البقرة: ٢٧١] و«منه» متعلق بـ«بدا»، وضميره للشيب أي من طرفه، و«الكتم» نبت يختضب به كالحناء، وفي هذا البيت من صنائع البديع رد العجز على الصدر، وهو في البيت أن يكون أحد اللفظين في آخر البيت، والآخر في صدر المصراع الأول، أو يكون أحدهما في آخر البيت، والآخر في صدر المصراع الثاني كقوله:

وَقَدْ كَانَتِ الْبِيضُ الْقَوَاضِبُ في الوغى	بَوَاتِرَ فَهْيَ الآنَ مِنْ بَعْدِهِ بُتْرُ

وحاصل معنى البيت: لو كنت عالماً بأنّي ما أعظم وما أكرم وما أوقر الضيف أعني الشيب بالإطعام بالفعل الجميل لكنت كاتماً وساتراً أول وهلة للأمر الذي ظهر لي

من ذلك الضيف أعني الشيب بالخضاب بالحِنّاء لأنه سنة[٢١] من نزل عليه الوحي في جبل حراء، فلا يعرف أحد أمري، ولا يظهر سري، ويرفع عني الفضاحة، ويقطع مني الهجو والشناعة، **وتلخيصه** أني لو كنت عالماً بأني لا أكون عاملاً في حال الاختيار والشيخوخة وزاهداً وتاركاً للسيئات والشرور لكتمت شيبي بالخضاب بالحناء حتى لا يهجوني الناس بأنه كان شيخاً ذا شيب، وهو في هذ السن لا يكون عاملاً وزاهداً بل يكون تاركاً للأوامر والسنن لكن ما علمت عدم عملي فلا كتمت فقد هجوني هذا ما ظهر للخاطر الفاتر، ونِعْم ما قيل: معنى الشعر في بطن الشاعر.

(١٦) مَنْ لِّي بِرَدِّ جِمَاحٍ مِّنْ غَوَايَتِهَا ... كَمَا يُرَدُّ جِمَاحُ الْخَيْلِ بِاللُّجُمِ

فكأنّه لما عجز عن سوء نفسه الأمارة الغدارة المكارة ولم تقبل نصيحة الناصح الكامل فكأنه قيل له، أصلح نفسك بإرشاد المرشد الكامل لأن المرشد له إرشاد كل من استغرق في الهوى، ولم يعلم ذلك إلا النبي والولي، وبه يكون أكثر الفاسقين صالحاً، وأوفر العاصين زاهداً بل كل رجل يلزم له أن ينيب إلى مرشد كامل، ولهذا قال أبو يزيد البسطامي: «مَنْ لَّمْ يَكُنْ له شَيْخٌ فَشَيْخُه شَيْطَان»، وقال غيره: لو أن الرجل يوحى إليه ولم يكن له شيخ لا يجيء منه شيء، وإلى ما قلنا يشير قوله تعالى: ﴿وَابْتَغُوٓا۟ إِلَيْهِ الْوَسِيلَةَ﴾ [المائدة: ٣٥] فقال مجيباً لذلك القائل: «من لي... إلخ»، الاستفهام إما إنكاري أي: هل يوجد كفيل يتضمن لي برد... إلخ أي: لا يوجد كفيل يتضمن ذلك المذكور لأن نفسي

(٢١) واعلم أن الخضاب بالسواد لم يثبت عن نبينا صلى الله عليه وسلم قطعا بل الأحاديث الكثيرة واردة على المنع كما حقق **الإمام أحمد رضا خان** عليه رحمة الرحمن في رسالته "**حک العيب فی حرمة تسويد الشيب**":حرم الخضاب بالسواد مطلقاً إلا للجهاد والأحاديث الصحيحة المعتبرة ناطقة على حرمته،في المعجم الكبير والحاكم للمستدرك عن عبد الله ابن عمر رضي الله عنهما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: الصفرة خضاب المومن والحمرة خضاب المسلم والسواد خضاب الكافر، وفي الديلمي وابن النجار عن أنس ابن مالك قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: أول من خضب بالحِنّاء والكتم ابراهيمُ وأول من اختضب بالسواد فرعونُ وقال العلامة المناوي تحت هذا الحديث: فلذلک کان الأول مندوباً والثانی محرماً الا للجهاد وفي المحيط: الخضاب بالسواد قال عامّة المشائخ: إنه مكروه، وفي الذخيرة: عليه عامّة المشائخ، وقال الشيخ المحقق عبد الحق الدهلوي في "شرح المشكاة": خضاب بسواد حرام ست وصحابه وغيرهم خضاب سرخ می کردند وگاهے زرد نیز ملخصاً، وهذا هو القول المختار و مذهب الجُمهور.

("الفتاوى الرضوية" ٢٣/٤٩٣-٤٩٦ ملخصاً)

في الضلالة والطغيان فلا هادي لها إلا الله الملك المنان نعم قد ورد ﴿وَلِكُلِّ قَوْمٍ هَادٍ﴾ [الرعد: ٧] لكن وجود مثل هذا الشخص إنما هو بمحض عناية الله تعالى وتوفيقه كيف وقد آل الأمر في هذا الزمان إلى أن من لم يكن مريدا قط يدعي الشيخوخة ويجيز بها لانتشار ذِكره وشهرته وكثرة مريده، وقد جعلوا هذا الشان العظيم لعبة الصبيان وضحكة الشيطان حيث يتوارثونه، وإذا مات واحد منهم يجلسون ابنه مقامه صغيرا كان أو كبيرا، ويلبسونه الخرقة، ويتبركون به، وينزلونه منازل الشيوخ، فهذه مصيبة قد عمت، ولعل هذه الطريقة قد انمحت واندرست آثارها، والله أعلم بأخبارها، ويجوز أن يكون استفهام للتمني والاستعطاف والاستغاثة بكل أحد، ثمّ إنّ قوله: «لي» و«برد» ظرفان متعلقان بالمقدر أعني يتضمن أو يتكفل، و«**الرد**» الصرف والمنع مصدر مضاف إلى مفعوله، و«**الجماح**» جمع جموح هو من الخيل القوي الشديد الذي لا يضبط لشدة رأسه، وعلى هذا فيه تشبيه واستعارة حيث شبه النفس بالخيل في صعوبة ضبطها وشدة إمساكها وإهلاك صاحبها، ثم استعير الخيل للنفس، ثم ذكر ما يدل على المشبه به، وأريد المشبه، وهذه الاستعارة مأخوذة من لسان الشرع كما جاء في الحديث الشريف ((نفسك مطيتك فارفق بها))[٢٢]، وكما قال الإمام الغزالي: أنت باعتبار غضبك كلب، وباعتبار شهوتك بهيمة كالفرس، وباعتبار عقلك مَلَك، وأنت مأمور بالعدل بينهم والقيام بحقوقهم والإعانة لهم لتقبض بمعونتهم شرف الدارين وسعادتهما، فإن روضت الفرس وأدبت الكلب وسخرتهما للملك يتيسر لك الظفر بما طلبت، وإلا فأنت هلكت، ويجوز أن يكون الجماح مصدراً بمعنى الشدة، فحينئذ يكون التنوين فيه عوضاً عن المضاف إليه أي جماح نفسي، فيكون على حقيقته فتدبّر. و«من غوايتها» متعلق بـ«رد»، وقيل صفة جماح أي: جماح ناش من غوايتها، والغواية الضلالة، والضمير للنفس، وحذف في هذا المصراع آلة رد النفس عن الضلالة، ولم يذكر كما في المصراع الثاني لضرورة الشعر، وهو وعظ المرشد ونفسه وهمته، وقوله: «كما يرد» صفة مصدر محذوف أي، ردا مثل رد جماح، فـ«ما» مصدرية، وإنما أتى بهذا التمثيل تسلية لقلبه لأنه استصعب وجود ردها عن المعاصي فرده بأنه يوجد لأن له نظيراً و«**الجماح**» الثاني بكسر الجيم مصدر جمح

(٢٢) "تخريج. "الكسب" للامام محمد بن حسن الشيباني. ٨٦/١ "المكتبة الشاملة"

جموحا بمعنى الشدة والغلظة، وعلى هذا يكون الرد بمعنى الإزالة، ويجوز أن يكون جمعا، فتكون إضافته بيانية، أو من قبيل إضافة الموصوف إلى صفة أي الخيل الجماح فافهم، و«**باللجم**» متعلق بـ«يرد» وهي جمع لجام ككتب وكتاب، واللجام معرب لكام الفارسي، وقال قوم: إنّه عربي لا تعريب فيه كذا ذكره الجوالقى في كتابه: "المعرب"، وهو الذي يضرب بفم الفرس ليكون صاحبه قادراً به ليتوجه نحو المطلوب، وفي هذا البيت من صنائع البديع جناس بين «مَن» و«مِن» وبين «برد» و«يرد» وبين «الجماح» و«الجماح»، وتناسب بين الخيل واللجم، وحاصل معنى البيت ظاهر مما ذكرنا ظهوراً لا حاجة إلى إعادته.

(١٧) فَلاَ تَرُمْ بِالْمَعَاصِيْ كَسْرَ شَهْوَتِهَا ... إِنَّ الطَّعَامَ يُقَوِّيْ شَهْوَةَ النَّهِمِ

فلمّا عدّ في الأبيات السابقة انغماس النفس في أودية المعاصي والذنوب وعدم قبول وعظ الناصح بالإنذار بقرب الوقت كالغروب وعجز عن إصلاحها بعد الندامة واسترشد بالمرشد الكامل ولم يجد ذلك المرشد فكأنّه قيل: إنّ مرشد نفسك حاضر عندك فلا حاجة إلى الطلب وتبعيد وجوده، وهو استيفاءها بالمعاصي لأنّ النفس إذا استوفت وشبعت من شيء كمال الشبع تسأم منه فلا ترغب إليه بعده أبداً، فأنت إذا استوفيتها بالمعاصي كلها كسرت شهوتها، ولاتميل إليها بعده أبداً قال رداً لذلك القائل: «فلا ترم بالمعاصي إلخ» بتغيير الأسلوب من التكلّم، إلى الخطاب، وهو التفات عند جُمهور أولى الألباب، ونكتة الشروع في رد جماح النفس وبيان كيفيته «ولا ترم» نهي حاضر من «رام» بمعنى «طلب»، وصيغة النهي دالة على كون المنهي عنه قبيحاً كما أنّ الأمر بالشيء يدل على حسنه، والفاء فيه جزائية أي: إذا أكرمت النفس وأشبعتها بضيافة الذنوب «فلاترم إلخ» والباء في «بالمعاصي» للاستعانة كما في «كتب بالقلم»، والمعاصي جمع معصية، وهي الذنب صغيراً كان أو كبيراً و«**كسر**» بالنصب مفعول لـ«فلا ترم»، و«الكسر» بمعنى القطع والإنكسار أي: فلاتطلب انقطاع اشتهاء النفس بالمعاصي وانكسارها، وفي قوله: «بالمعاصي» استعارة، مكنية تعبيرها هكذا: شبه المعاصي للنفس بالطعام للإنسان في كونها مشتهيات وملذات، وذكر المشبه كما في قوله: «أنشبت المنية

أظفارها»، وقوله: «إنّ الطعام» علة لما قبله حذف حرف التعليل أي: لأنّ لكون حذف حرف الجر من «إنّ» و«أنّ» قياسيا وفي هذا المقام قياس اقتراني تقريره هكذا: المعاصي لا تطلب بها كسر شهوة النفس لأنّ المعاصي بمنزلة الطعام، والطعام يقوي شهوة النهم، ينتج المعاصي بمنزلة ما يقوي شهوة النهم، ونضم إليه كبرى، ينتج عين الدعوى، فنقول، وكل ماهي بمنزلة ما يقوي شهوة النهم لا تطلب بها كسر الشهوة، ينتج المعاصي لا تطلب بها كسر الشهوة، ويمكن ترتيبه من الاستثنائي وهو سهل، فلا حاجة إلى ذكره، وقوله: «**يقوي**» من التقوية خبر «إنّ» والشهوة بالنصب مفعوله، و«النهم» بفتح النون وكسر الهاء صفة مشبة على وزن حذر أي: الحريص على كثرة الأكل والشرب، ومن جعله مصدرا وقع في تكلف، وعلى كلا التقديرين فيه استعارة حيث شبه النفس بالنهم أي الآكل كثيراً في عدم الشبع لأن النهم كما لا يشبع من كثرة الأكل كذلك النفس لا تشبع من كثرة المعاصي بل تتألف بها وتنهمك فيها، ثمّ استعير النهم للنفس، فذكر النهم، وأريد النفس، فعلى هذا يكون الطعام أيضاً مجازاً واستعارة عن المعاصي كما سبق استعارة عكسه فتذكر.

و**حاصل المعنى:** يا من زَيَّن نفسه بحب الشهوات والنساء والبنين وكان حاله من العشق في البكاء والأنين لا تطلب كسر شهوة النفس وقطعها بالمعاصي والذنوب إذ من المقرر والشهير بين الصغير والكبير أنّ المعاصي تقوي شهوة النفس والنفس لا تسأم ولا تشبع منها، ألّلهم لاتكلنا إلى أنفسنا في زمان يسير، ولا تجعل مصيرنا دار السعير، واجعل أمورنا موافقة لمرضاتك، إنّك كاشف كل عسير ومعين كل أسير وعنايتك لعبادك كثير ويسير.

(١٨) وَالنَّفْسُ كَالطِّفْلِ إِنْ تُهْمِلْهُ شَبَّ عَلَى ... حُبِّ الرَّضَاعِ وَإِنْ تَفْطِمْهُ يَنْفَطِمِ

لمّا فهم من الأبيات السابقة أن النفس في يد صاحبها أتى به تصريحاً مع تشبيه المعقول أعني النفس بالمحسوس أعني الطفل، فقال: «والنفس كالطفل... إلخ» الواو إما عاطفة، وإما استينافية، و«**النفس**» أظهرها في مقام الإضمار اهتماما بشانها لأن النفس مطية الإنسان كما ورد ((نفسك مطيتك فارفق بها)) وإما لضرورة الشعر، والألف واللام فيها

للعهد، أو للاستغراق لكن الأول أولى أي: النفس المعهودة الأمارة وقوله: «كالطفل» الكاف بمعنى المثل رفع حملاً على الخبرية أي: النفس الأمارة كائنة مثل الطفل، و«الطفل» ولد يمضي عليه بعد ولادته زمان قليل، والإنسان في الرحم يسمى جنيناً، وإذا ولد يسمى وليداً، وإذا مضى عليه زمان قليل يسمى طفلاً، وبعده يسمى صبياً، وبعده مراهقاً، وبعده غلاما إلى أن يبلغ تسع عشرة سنة، ثم منه شاباً إلى ثلاث وثلاثين، ثم منه كهلاً إلى إحدى وخمسين ثم منه شيخاً إلى آخر العمر، وقيل: الطفل من مضى عليه بعد ولادته حولان كاملان، وفيه أقوال أخر لكن المناسب لهذا المقام المعنيان المذكوران، وإنّما قال: كالطفل، ولم يقل: كالصبي لأنّ الصبي العاقل كالبالغ الكامل في كون إيمانه وردته وصومه وصلاته وغير ذلك معتبراً، فإذا كان كذلك يكون فاعلا مختارا فلا يطيع أمر غيره فلا يناسب التمثيل والمقام، وقوله: «إن تهمله» آثر «إنْ» الدالة على الشك دون «إذ» الدالة على القطع لكون مدخوله مشكوكاً، و«تهمله» مضارع من الإهمال على صيغة الخطاب. وشب الصبي إذا بلغ أوان شبابه، و«على» إما بمعنى «إلى» متعلق بـ«شب»، وإما بمعناه متعلقاً بمحذوف أي: حريصاً وملازماً عليه، وإما بمعنى «مع» كما في قوله تعالى: ﴿وَيُطْعِمُونَ الطَّعَامَ عَلَىٰ حُبِّهِ مِسْكِينًا وَيَتِيمًا وَأَسِيرًا﴾ [الدهر: ٨]، والحب معلوم، و«الرضاع» بالفتح والكسر شرب الولد لبن أمه، وفي كلام السلف كثرة الرضاع تفسد الطباع، «وإن تفطمه» عطف على «إن تهمله»، وهو مضارع من الفطم على صيغة الخطاب أي إن قطعته عن الرضاع ينفطم، وهو مضارع من الانفعال على صيغة الغيبة وضميره راجع إلى الطفل، والمعنى أن الطفل يقبل الانقطاع بسهولة، وحاصله أنه لو لم يقطع الرجل ولده عن ثدي أمه لغاية محبته لطفله فرضع الطفل ثلاث سنين مثلا كما هو مذهب بعض الفقهاء، ثم لو ترك على حال شب ذلك الطفل على حبه إلى بلوغه، ثم وثم إلى شيخوخته حتى لو لم تعطه أمه ثديها لَلَطم أمه لطماً شديداً لأنّ الله تعالى خلق في لبن ثدي الأم لذة جميع الأطعمة والأشربة، فإذا لم تعطه إياه، يلطم أمه حتى يهلكها، فالنفس كذلك حتى لو لم تقطع عن المعاصي شبت على المعاصي، وألفت بها وتكون ملذة لها فتزداد كل يوم لذتها بازدياد المعاصي فتهلك صاحبها حتى تكون سبباً لسلب الإيمان معاذ الله تعالى، فإن قلت: إن ما في هذا البيت من التشبيه أردى التشبيهات لأنّهم قالوا:

إذا كان التشبيه على وجه ليس فيه شيء ينبئ عن التشبيه يكون استعارة، وهي أحسن التشبيه بلاغة وفصاحة، وإذا كان على وجه ذكر المشبه والمشبه به فقط يكون تشبيهاً بليغاً، فهو أدنى من الاستعارة، وإذا ذكر فيه المشبه والمشبه به وأداة التشبيه ووجه الشبه يكون أردى وأرذل من التشبيه البليغ، فهو عند البلغاء كهدير حمام وصرير باب مخل بالفصاحة، فما وقع هاهنا من هذا القبيل لأنّه ذكر فيه المشبه وهو النفس، والمشبه به هو الطفل، وأداة التشبيه وهو الكاف، ووجه الشبه وهو الشب على حب شيء على تقدير الإهمال وقبول الانفطام على تقدير الفطم، والناظم الفاهم مع كونه أفصح الفصحاء ذهب هنا إلى هذا التشبيه، فما وجهه؟ قلت: ذَهَابه إلى هذا الطريق ليكون المقام أقرب إلى فهم المرام ولشدة حرصه على طريق الإفهام كما لايخفى على العلماء الكرام والفضلاء الفخام.

(١٩) فَاصْرِفْ هَوَاهَا وَحَاذِرْ أَنْ تُوَلِّيَهُ ... إِنَّ الْهَوٰى مَا تَوَلّٰى يُصْمِ أَوْ يَصِمِ

لمّا كانت النفس كالطفل في قبول التربية والانقطاع عما يحبه شرع الآن في الأمر بتربيتها فقال: «فاصرف... إلخ»، الفاء فصيحة أي: إذا عرفت حال النفس الأمارة بأنك إن تركتها على حالها تأمر بالسوء والفحشاء، وإن ربيتها تقبل التربية كالطفل فاصرفها ولا تتركها على حالها، «اصرف» أمر من «صرف يصرف» بمعنى امنع، وقيل: بمعنى غير، فعلى الأول مصدر «هوي يهوى» من باب «علم» بمعنى الميل والالتذاذ بالشهوات؛ إذ النفس إذا خليت وطبعها تميل إلى الشر لا إلى الخير لأنها أمّارة بالسوء، وعلى الثاني المصدر بمعنى المفعول أي: مهويها كما في قوله:

هَوَايَ مَعَ الرَّكْبِ الْيَمَانِينَ مُصْعِدُ	جَنِيبٌ وجُثْمَانِي بِمَكَّةَ مُوثَقُ

فالمعنى غير محبوب النفس السيء إلى المحبوب الحسن في الشرع، وتقدير الكلام اصرفها عن هواها، أو اصرف عن النفس هواها، و«حاذر» أمر بمعنى أحذر، وصيغة المفاعلة للمبالغة، و«أن توليه» «أن» مصدرية، و«تولية» بالنصب مضارع من ولاه بالتضعيف إذا جعله والياً أو بمعنى التقلد والالتزام أو بمعنى الغلبة، وهي بصيغة الخطاب للمخاطب الذي جرده من نفسه في المطلع، وضمير المفعول فيه راجع إلى الهوى لكونه

مصدرا، والمصدر يجوز فيه التانيث والتذكير وقوله: «إنّ الهوى» علة الأمر بالحذر أي لأن الهوى ففيه ترتيب قياس تقريره هكذا: الهوى يلزم لك الحذر من أن توليه لأنّ الهوى ما تولى يصم أو يصم، وكل شيء شأنه كذا فيلزم لك الحذر من أن توليه، ينتج الهوى يلزم لك الحذر من أن توليه. و«ما» في «ما تولى» شرطية زمانية بمعنى: «كلما» أو بمعنى «إن» الشرطية، و«تولى» فعل ماض والضمير راجع إلى الهوى أي: كلّما كان هوى نفسك واليا عليك أو إن كان هوى النفس غالباً وواليًا عليك يصم من «أصمى يصمي» يقال: «أصمى الصيد» إذا قتله في مكانه أي: يهلك ويقتل حذف منه الياء علامة للجزم لأنه مجزوم بـ«ما» الشرطية وقوله: «أو يصم» كلمة «أو» للعطف وهو يجيء لمعان كما قاله الأصوليون: إنّه في الأكثر يجيء للشك أو للتشكيك وقد يجيء للإباحة والتخيير نحو جالس الفقهاء أو المحدثين، وقد يجيء بمعنى «بل» كقوله تعالى: ﴿فَهِيَ كَٱلۡحِجَارَةِ أَوۡ أَشَدُّ قَسۡوَةٗ﴾ [البقرة:٧٤] وقد يجيء بمعنى «حتى» كقوله تعالى: ﴿لَيۡسَ لَكَ مِنَ ٱلۡأَمۡرِ شَيۡءٌ أَوۡ يَتُوبَ عَلَيۡهِمۡ﴾ [آل عمران: ١٢٨] وقد يجيء بمعنى «إلى» نحو: لألزمنك أو تعطيني حقي، وقد يجيء بمعنى «إلا أن» إذا وقع بعدها مضارع منصوب، ولم يكن قبلها مضارع كذلك كقول امرئ القيس:

فقلتُ لهُ لا تَبْكِ عَيْنيكَ إنّما	تُحاوِلُ مُلكاً أو تموتَ فتُعذرا

وما وقع هاهنا فهو بمعنى الشك كما لايخفى. وقوله: «يصم» مضارع من وصمه إذا جعله ذا عيب حذف مفعولهما للضرورة أي: يصمك ويجعلك ذا عيب في الناس، ثم إن بين الفعلين أعني: يُصْم ويَصِم جناسا تاما كما لايخفى.

وحاصل معنى البيت: أيُّها المخاطب إذا عرفت كون النفس قابلة للانفطام فاصرفها عن الهوى واستلذاذها بالآثام، واحذر من أن يأمر الهوى على مملكة عقلك، ولا تجعل عقلك مغلوبا للهوى، فإنّه سبب للبعد عن المولى فإنه إذا استولى تهلك في الحال أو يجعلك ذا عيب بالإضلال كما قال الله تعالى: ﴿وَلَا تَتَّبِعِ ٱلۡهَوَىٰ فَيُضِلَّكَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾ الآية [ص: ٢٦]، وفي آية أخرى: ﴿وَمَنۡ أَضَلُّ مِمَّنِ ٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ﴾ [القصص: ٥٠] وقال عليه

الصلاة والسلام: ((ما عبد إله في الأرض أبغض على الله من الهوى))[٢٣]، وفي حديث آخر طويل ((وأمّا المهلكات فثلاث شح مطاع وهوى متبع وإعجاب المرء بنفسه))[٢٤]، حكي عن إبراهيم بن شيبان أنه قال: ما بِتُّ تحت سقف أربعين سنة، وكنت أشتهي عَدْساً ولم يتفق لي، فوقتاً حُمل إليّ عدس، فتناولته، فخرجت، فرأيت قوارير، فظننته خلاًّ، فقيل خمر وهذه الدنان أيضاً خمر فصببتها، والخمار يتوهم أن فعلي بأمر السلطان، فعند معرفة حالي حملني إلى ابن طولون، فضربني مائتي خشبة، وطرحني في السجن، فبعد مدة شفع لي أبو عبد الله المغربي، فلما وقع بصره عليّ قال: أيّ شيء فعلت؟ فقلت: شبعة عدس ومئتي خشبة فقال: نجوت مجاناً. وعن السَّرِيِّ أن نفسي تطالبني ثلاثين سنة أو أربعين أن أغمس جَزَرَةً في دِبْسٍ، فما أطعمتها، وفي "رسالة القشيري" عن أبي تراب النخشبي: ما تَمَنَّتْ نفسي من الشهوات إلا مرّة تمنت خبزا وبيضا، وأنا في سفر فعدلت إلى قرية، فأخذني أهل القرية، وقالوا: إنه من اللصوص، فضربوني سبعين درة، ثم عرفوني، واعتذروا إليّ فحملني واحدٌ إلى منزله، فقدم إليّ خبزا وبيضا، فقلت لنفسي: كلي بعد أكل سبعين درة كذا في "الخادمي على الطريقة" حكي أيضا أنه كان ملك عظيم السلطنة، وكانت عادته إذا جاء شهر رمضان يأمر المداحين والملاحين بضرب الطنابير والمزامير في كل يوم بعد العصر إلى المغرب لينتهي عليه هذ الوقت بالسرور، ولا يجد ألم الجوع والعطش لأن الصائم يجد في ذلك الوقت لأثر الصوم من الجوع والعطش نِكاية في قلبه، فلو مضى وقته بالسرور والغرور لا يجد ألم الجوع والعطش، فمر عليه شيخ كامل، واطلع على الحال، فقال في نفسه: إني أذهب وأرفع هذا المنكر، وأوقظ الملك من الغفلة؛ لأنّ هذا الوقت وقت الإفطار، وهو وقت الرحمة والمغفرة فلا ينبغي للمسلم أن يشتغل فيه بالفعل الحرام مع أن دفع المنكر واجب على الأنام، فدخل الشيخ إلى بيت الملك فضرب المداحين، وكسر مزاميرهم وطنابيرهم، والملك كان على قصره ينظر إليهم فغضب من فعل الشيخ فأمر الخدَم بأخذه، فأخذوه وجاءوا به أمامه، فقال: يا شيخ! لم فعلت هذا الفعل الغير المناسب؟ فقال الشيخ: هذا منكر، ونحن

(٢٣) "روح المعاني"، الجزء الثالث والعشرون، سورة ص، الآية: ٨٨، صـ ٣٠٥.

(٢٤) "كنز العمال"، كتاب المواعظ، الباب الثاني، الحديث: ٤٣٨٦٠، ١٦/٢٠.

مأمورون بدفع المنكر، فقال الملك: أ لم تخف مني؟ فقال الشيخ: أصبر على ما يصيبني منك كما قال الله تعالى: ﴿وَاصْبِرْ عَلَىٰ مَا أَصَابَكَ﴾ [لقمان: ١٧] بل لا أخاف منك أصلاً لأنك عبد عبدي، فقال لمن في حول الملك من الأكابر: هيهات ضيع الشيخ عقله، فقال: إني ما ضيعت عقلي بل هو عبد عبدي في الحقيقة لأنّ الإنسان على نوعين: نوع: جعل نفسه مغلوباً وكان غالباً على نفسه يصرفها إلى أي عبادة شاء، ونوع: جعل نفسه غالباً عليه وواليًا على مملكة بدنه، فأنت أيّها الملك من أي قسم؟ ففكر الملك، فقال: من الثاني، فقال الشيخ: فحينئذ النفس عبدي، وأنت عبد النفس، فأنت عبد عبدي، فسلم الملك كلام الشيخ فتاب، وأرشده.

(٢٠) وَرَاعِهَا وَهْيَ فِي الْأَعْمَالِ سَائِمَةٌ ... وَإِنْ هِيَ اسْتَحْلَتِ الْمَرْعَى فَلَا تُسِمِ

لمّا فرغ من بيان منع النفس عن الهوى شرع في بيان التحلية الموصوفة بالرياضة وقد تحقق في موضعها أن رياضة النفس منعها عن هواها وجبرها على طاعة مولاها فقال: «وراعها... إلخ» الواو عاطفة من عطف الإنشاء، على الإنشاء أعني على جملة «حاذر» و«راع» أمر من راعى يراعي مراعاة من الرعي وهو إرسال الدابة إلى موضع الكلأ لكن مع ترقب وانتظار إليها لئلا تدخل ملك الغير، وضمير المؤنث إلى النفس ففيه استعارة بالكناية كأنه شبه النفس في الذهن بالدابة في لزوم الترقب لها في رعيها في الكلأ واستعمالها في العبادة، ثم استعير الدابة في الذهن للنفس، فذكر الدابة في الذهن وأريد النفس، وفي الخارج ذكر المشبه وأريد عينه، وإثبات الرعي للنفس تخييلية وقوله: «**وهي**» أي النفس أسكن الهاء لضرورة الشعر، وقيل: إسكان الهاء في «وهي» جائز في السبعة كما في قراءة "قالون" و"الكسائي" وغيرهما والواو حالية و«في الأعمال» متعلق بـ«سائمة» والمراد من الأعمال الأعمال الصالحات لأنّ السيئات لخلوها عن النفع ليست بأعمال، وقوله: «**سائمة**» خبر المبتدأ، وهو من «سامت الماشية» إذا رعت وأخرجت إلى المرعى فـ«السائمة» حيوان مرسل إلى المرعى يسير ويروح ويأكل ويشرب، فقوله: «وهي في الأعمال سائمة» تشبيه بليغ عند الجُمهور، واستعارة على مذهب البعض، والمعنى: أن النفس مثل السائمة في الأعمال الصالحة إن ترعها، وتسقها ترح إلى ما تشاء

من العبادات وإن لم ترع تبق فيما اعتادته، وقوله: «وإن هي استحلت... إلخ»، الواو للاستئناف، والجملة جواب لسؤال مقدر، وهو هل تترك النفس في رعيها في الأعمال في كل الأوقات والأحوال؟ فقال: لا! بل إن هي استحلت... إلخ، ويجوز أن يكون الواو عاطفة، وتكون الجملة الشرطية معطوفة على جملة «راعها»، فإن قيل: على هذا يلزم عطف الإخبار على الإنشاء وهو فاسد قلنا: لا يلزم هذا، وإنما يلزم لو لم يكن الجزاء إنشائية لأنهم صرحوا أن خبرية الشرطية، وإنشائيتها تابعة للجزاء، والجزاء هنا إنشائية كما لايخفى. و«إن هي استحلت» من قبيل قوله تعالى: ﴿وَإِنْ أَحَدٌ مِّنَ الْمُشْرِكِينَ اسْتَجَارَكَ﴾ [التوبة: ٦]، أي: وإن استحلت هي استحلت، و«**استحلت**» أصله استحليت من «استحلى الشيء» أي: عده ووجده حلواً، و«**المرعى**» بفتح الميم موضوع الرعي، والمراد منه النوافل لا الواجبات والمستحبات فإنّهما لا يستوجبان الترك بالاستحلاء كما قاله صاحب الزيادة، ففي الرعي مجاز واستعارة تعبيرها هكذا شبه الأعمال الصالحة والعبادات الفالحة بالمرعى في الانتفاع به، واستعير المرعى لمفهوم الأعمال الصالحة ثم ذكر المرعى وأريد الأعمال الصالحة، وقوله: «**فلا تسم**» نهي حاضر من أسام إذا أخرج الدابة إلى المرعى، فحذف منه الياء للجزم والمعنى فلا تبق نفسك في ذلك بل ازجرها وامنعها، ويجوز أن تكون في هذا البيت استعارة تمثيلية بأن انتزع هيئة من الأمور المعقولة في النفس من كون صاحبها راعياً وكونها سائمة بين الأعمال ووجدانها لذة في العبادة وكون الأعمال مرعى لها، وشبه تلك الهيئة بالهيئة المنتزعة من الأمور المحسوسة من كون الحيوان سائماً في المرعى ووجدانه لذة فيها وكون صاحبه راعياً له في كون كل واحد منهما دائراً بين أمرين، وهو الحفظ إن حفظت، وعدم الحفظ والضرر إن لم يحفظ، ثم استعير الهيئة المنتزعة من الأمور المحسوسة للهيئة المنتزعة من الأمور الغير المحسوسة، فذكر المشبه وأريد المشبه به.

وحاصل معنى البيت: وراع النفس ولازمها، والحال أنّها مثل السائمة في الأعمال الصالحة، فإن ترعها وتحفظها فه رعيها عن الضرر والفساد تعمل صالحاً، وإن يتركها ترح إلى ما اعتادته وتضر صاحبها بفعلها ضرراً سيئاً، وإن النفس إذا ألفت بعض النوافل وعدته حلواً واعتادت فلا تسم تلك النفس، ولا ترسلها على حالها، وازجرها

وامنعها لأنّ النفس لو وجدت في عبادة من العبادات لذة في غاية اللذات لكان فيها معصية من العجب والرياء والفخر بين القوم والورى، فيلزم جعلها مشتغلة بعبادة لا تجد فيها حلاوة لأنّها لو جعلت العبادة عادة لما كان فيها نفع وفائدة، حكي عن بعض الصالحين أنه قال: حججت كذا وكذا مرة فبان لي أن جميع ذلك مشوب بحظي، وذلك أن والدتي سألتني يوما أن أسقيها جرعة ماء، فثقل ذلك على نفسي، فعلمت أن مطاوعة نفسي في الحجات كانت لحظ وشرف لنفسي إذ لو كانت نفسي على خلوص لم يصعب عليها ما هو حق الشرع كذا في البريقة، **والمعنى التصوفي** لهذا البيت: أيها العارف بالله اجعل نفسك فانياً في الله، وحصّل رضى الله، ولاتبق في الأعمال فإن البقاء في الأعمال مرتبة الصلحاء والزهاد من الرجال، وكن مستغرقاً في ملاحظة واجب الوجود، واترك رؤية القعود والسجود، فإن بقيت فيها تكن محجوبا وإن تركتها وبلغت إلى ما فوقها تكن مطلوباً فإن وراء الأعمال والاستدلال أصول الكمال وهو حقيقة الوصال، فإن النفس لخباثتها أحبَّتْ أن تبقى في الذكر والتفكر والتأمل فعليك بالتحول ولو بالتحمل هذا.

(٢١) كَمْ حَسَّنَتْ لَذَّةً لِلْمَرْءِ قَاتِلَةً ... مِنْ حَيْثُ لَمْ يَدْرِ أَنَّ السُّمَّ فِي الدَّسَمِ

لمّا ذكر فيما سبق قبول النفس الاتعاظ والصرف عن الهوى أمر بالرعي في الأعمال ونهي عن الإسامة لو وجدت لذة في المرعى وكان سبب النهي عنها نظرياً بيّنه بقوله: «كم حسنت لذة... إلخ» وتقرير قياسه هكذا لمّا ثبت أن النفس كثيراً ما حسنت لذة للمرء قاتلة من حيث لم يدركما أن السم لا يدرى في الدسم فالنفس إن وجدت لذة في المرعى فلا تسمها لكن المقدم مسلم، والتالي مثله، ثم اعلم أنّ «كم» خبرية لا استفهامية، والفرق بينهما أن قائل: كم الخبرية يكون مخبرا وقائل كم الاستفهامية يكون مستخبرا، وأن ما بعد «كم» الخبرية يكون إخبارا، وما بعد «كم» الاستفهامية يكون إنشاء، وأن مميز «كم» الخبرية يكون مجرورا في الأكثر، ومميز «كم» الاستفهامية يكون منصوبا غالباً، و«كم» هنا منصوبة المحل على المصدرية أي: كثيراً بمعنى كم مرّة و«**حسنت**» ماض من التحسين على صيغة التانيث، وضميره راجع إلى النفس، ومعنى «حسنت»

جعلت حسنا في الظاهر، فيكون المعنى كم مرة جعلت النفس حسنا في الظاهر شيئاً لذيذاً بالعجب والغرور، فعلى هذا يكون «لذة» مفعول «حسنت» أو يكون صفة موصوف محذوف أي: شيئاً لذيذاً، والمراد منه العمل النفل، ويجوز أن يكون المراد من الشيء اللذيذ الاغترار بكرم الله تعالى ورحمته قال القاضي في قوله تعالى: ﴿مَا غَرَّكَ بِرَبِّكَ الْكَرِيمِ﴾ [الانفطار: ٦] فاعل المعاصي بالاغترار بكرم الله تعالى مثل من يشرب السم اعتماداً لطبيعته، فعلى هذا التقدير يكون «السم» استعارة من عذاب أليم، و«الدسم» استعارة من الاغترار بكرم الكريم فلا تغفل عن ترتيب استعارتهما أو معنى «حسنت» عدت حسناً ويكون مفعوله محذوفا أعني: المرعى ويكون أصل لذة بلذة ثم حذف الجار، وانتصب المجرور، ويكون تنوينه عوضا عن المضاف إليه أي: العجب والغرور، فعلى هذا يكون المعنى كم مرة عدت النفس المرعى حسنا بسبب لذة العجب والغرور وقوله: «**للمرء**» متعلق بـ«قاتلة» قدم لضرورة الشعر واللام لتقوية العمل، أو متعلق بحسنت، والمرء قال العاصم في: "ترجمة القاموس المسمى بـ«أوقيانوس»" بالحركات الثلاث في الميم وبسكون الراء الإنسان مطلقا ذكراً كان أو أنثى، وعلى قول مختص بالرجل لكن هنا أعم، ولم يوجد له جمع من لفظه، وإنما جمعه رجال، وعلى قول جاء جمعه مَرْؤُوْنَ، ويقال في مؤنثه:مرأة بتاء التانيث، وقد جاء مَرَةٌ بترك الهمزة وفتح الراء، وقد تدخل على أولها همزة الوصل، وكذا لام التعريف وكذلك تدخل همزة الوصل على أوّل المرء، فحينئذ إن لم يكن مقارنا بحرف التعريف يجوز فيه ثلاث لغات: الأولى: فتح الراء دائما في الرفع والنصب والجر، والثانية: ضمها دائما في الحالات الثلاث، والثالثة كونها معربة أعني بتبعيتها للحرف الأخير في الإعراب، فإن كان آخره مرفوعاً يكون الراء أيضا مرفوعاً، وإن منصوبا يكون الراء أيضاً منصوباً، وإن مجروراً يكون الراء أيضاً مجروراً، وإن كان مقارناً بحرف التعريف كان الراء ساكنة البتة هذا وقوله: «**قاتلة**»، منصوب على أنه حال من لذة أو صفة له، والمراد من القتل هاهنا الإهلاك بذكر الملزوم وإرادة اللازم لأن القتل لا يكون إلا بآلة جارحة أو ثقيلة، وهنا ليس آلة كذلك، وقوله «**من حيث**» متعلق بـ«قاتلة» وقيد الحيثية يستعمل لمعان ثلاثة الإطلاق والتقييد والتعليل، أما الإطلاق فكما في قولهم: الماهية من حيث هي هي، والتقييد كقولهم: علم الطب ما يبحث فيه

عن بدن الإنسان من حيث الصحة والمرض أي: لا مطلقا بل من هذه الحيثية، والتعليل كقول السابح الماء يبرد وجود الإنسان من حيث إنّه بارد وهاهنا للتقييد أو للتعليل، وحيث في الأصل للمكان، واستعير هاهنا لمعنى الجهة، وقال الأخفش: ترد للزمان ويلزمها الإضافة إلى الجملة اسمية كانت أو فعلية، وإضافتها إلى الفعلية أكثر، وإضافتها إلى المفرد نادر ولذا أضيف هاهنا إلى جملة «لم يدر» و«لم يدر» على صيغة المبني للمفعول أو للفاعل بمعنى لم يعلم و«السم» بالحركات الثلاث فى السين لكن الرواية هاهنا بالفتح للمناسبة دواء يهلك الإنسان بسرعة وهو بالفارسية «زهر»، والمراد هاهنا المعصية من العجب والرياء على سبيل المجاز والاستعارة بأن شبه العجب والرياء بالسم في الإهلاك لأنّه كما أن السم مهلك للإنسان كذلك الرياء والعجب مهلك الأعمال كما ورد في الحديث ((إن أخوَفَ ما أخاف على أمتي الإشراك بالله أما إني لست أقول تعبدون شمساً ولا قمراً ولا وثناً ولكن أعمالاً لغير الله))(٢٥) الحديث، ثمّ استعير السم للعجب والرياء، فذكر السم، وأريد العجب والرياء وقوله: «في الدسم» ظرف مستقر خبر إن وجملته نائب فاعل لقوله: «لم يدر» أو مفعوله وهو طعام فيه دسومة كثيرة، والمراد منه الأعمال والطاعات مجازاً واستعارة تعبيرها هكذا شبه الأعمال والطاعة بطعام فيه دسومة في كونه لذيذاً ومشتهى بحيث لا يدري فيه السم استعير الطعام الذي فيه دسومة لمفهوم الطاعات والأعمال فذكر الدسم الدال على الطعام، وأريد منه الأعمال والعبادات، ثمّ اعلم أن في هذا البيت إيهاماً حسناً إلى أنّه كما أن السم في الدسم في المعنى كذلك لفظ السم في الدسم كما قيل مثله في قوله عليه الصلاة والسلام: ((السفر قطعة من السقر))(٢٦) كما لايخفى. وقال الشاعر:

النارُ آخرُ دينارٍ نطقْتَ به	والهمُّ آخر هذا الدرهم الجاري

وحاصل معنى البيت: أن النفس أمارة غدارة خداعة مكارة، فكثيراً ما خدعت المرء وحسنت في باصرته ما يفسد باطنه إذ هي كالأعداء لأنّ الأعداء يدخلون السم في الطعام اللذيذ ويهلكون المرء لأنّه لايعلم السم بسبب لذة الطعام، وكذلك النفس تدخل

(٢٥) "كنز العمال"، كتاب الأخلاق، حرف الراء، الحديث: ٧٤٨٦، ٣/١٩٠.
(٢٦) "الموطأ" للإمام محمد، باب النوادر، ٣/٥٠٨.

الرياء والعجب في العبادة، وتهلك صاحبها لأنه لا يعلم شرها الخفي بسبب لذة العجب والرياء، فإن العجب يضر في كل الأحوال ولو كان في غير العبادة والأعمال ألا ترى إلى ما روي أنه لما نظر بعض من أصحاب رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم إلى كثرة العسكر وأسلحتهم في غزوة حنين قيل: إنه الصديق الأعظم رضي الله تعالى عنه قال إعجاباً من الكثرة والشوكة: لا انهزام لنا فيما بعد، ولمّا وصل إلى سمعه صلى الله تعالى عليه وسلم كره ذلك فرفع الله النصرة في أول تلك الغزوة تأديباً لهم بأن الكثرة لا تغني شيئاً بدون نصرة الله تعالى، قال الله تعالى: ﴿لَقَدْ نَصَرَكُمُ اللّٰهُ فِيْ مَوَاطِنَ كَثِيْرَةٍ وَّيَوْمَ حُنَيْنٍ إِذْ أَعْجَبَتْكُمْ كَثْرَتُكُمْ﴾ الآية [التوبة: ٢٥]، وأما الرياء فانظر إلى ما في إسرائيليات أن حكيما صنف ثلاثمئة وستين كتابا، فأوحى الله إلى نبيهم أن قل له: قد ملأت الأرض نفاقا، ولم تردني بشيء من ذلك، ولا أقبل منه شيئا فندم وترك وخالط العامة وتواضع، فأوحى الله إليه أن قل له الآن: قد وافقت رضاي انتهى، وأيضاً إلى حديث ((إنّ أخوف ما أخاف عليكم الشرك الأصغر قالوا: وما الشرك الأصغر يارسول الله؟ قال: الرياء يقول الله تعالى يوم القيامة: أنا أجازى العباد بأعمالهم إذهبوا إلى الذين كنتم تراؤن لهم في الدنيا))(٢٧)، وفي حديث آخر طويل إن الله يقول للملائكة: ((إن هذا لم يردني بعمله، فاجعلوه في سجين))(٢٨).

(٢٢) وَاخْشَ الدَّسَائِسَ مِنْ جُوْعٍ وَّمِنْ شَبَعٍ ... فَرُبَّ مَخْمَصَةٍ شَرٌّ مِّنَ التُّخَمِ

لَمَّا بين أنّ النفس يلزم حفظها وترقبها في العبادات لئلاّ تقع في الفسادات شرع في بيان لزوم ترقبها وحفظها بين المباحات التي لا بدّ للسالك منها في الحالات، فقال: «واخش... إلخ»، الواو عاطفة ويحتمل أن تكون استينافية معانية، ويكون جواباً لسؤال مقدّر كأنّه قيل: فبأيّ شيء تستعمل النفس حتى تصلح؟ فقال مجيباً: «واخش الدسائس» أي: اجعلها بين الجوع والشبع، و«اخش» أمر من «خشي يخشى» من الباب الرابع، وصيغة الأمر هاهنا للتأديب أو للإرشاد؛ لأنّهم بيّنوا أنّ للأمر معان على ستة عشر وجها،

(٢٧) "مشكاة المصابيح"، كتاب الرقاق، باب الرياء والسمعة، الحديث: ٥٣٣٤، ٣/١٤٠.
(٢٨) "إحياء علوم الدين" بيان ذم الرياء ٣/٣٦١.

الأول: الإيجاب، كقوله تعالى: ﴿وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ﴾ [البقرة: ٤٣]، والثاني: الندب، كقوله تعالى: ﴿فَكَاتِبُوهُمْ﴾ [النور: ٣٣]، والثالث: التأديب، كقوله عليه السلام ((كُلْ ممّا يَلِيْكَ))[٢٩]، والرابع: الإرشاد، كقوله تعالى: ﴿وَاسْتَشْهِدُوا﴾ [البقرة: ٢٨٢]، والخامس: الإباحة، كقوله تعالى: ﴿كُلُوا وَاشْرَبُوا﴾ [البقرة: ٦٠]، والسادس: التهديد، نحو: ﴿اعْمَلُوا مَا شِئْتُمْ﴾ [فصلت: ٤٠]، والسابع: الامتنان، نحو: ﴿كُلُوا مِمَّا رَزَقَكُمُ اللهُ﴾ [الأنعام: ١٤٢]، والثامن: الإكرام، نحو: ﴿ادْخُلُوهَا بِسَلَامٍ﴾ [الحجر: ٤٦]، والتاسع: التعجيز، نحو: ﴿فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِّن مِّثْلِهِ﴾ [البقرة: ٢٣]، والعاشر: التسخير، نحو: ﴿كُونُوا قِرَدَةً خَاسِئِينَ﴾ [البقرة: ٦٥]، والحادي عشر: الإهانة، نحو: ﴿ذُقْ إِنَّكَ أَنتَ الْعَزِيزُ الْكَرِيمُ﴾ [الدخان: ٤٩]، والثاني عشر: التسوية، نحو: ﴿اصْبِرُوا أَوْ لَا تَصْبِرُوا﴾ [الطور: ١٦]، والثالث عشر: الدعاء، نحو: «اَللّٰهُمَّ اغْفِرْلِيْ»، والرابع عشر: التمني، نحو قول الشاعر: ''ألا أيها الليل الطويل ألا انجلي'' والخامس عشر: الاحتقار، نحو قوله تعالى: ﴿أَلْقُوا مَا أَنتُم مُّلْقُونَ﴾ [يونس: ٨٠]، والسادس عشر: التكوين، نحو: ﴿كُن فَيَكُونُ﴾ [البقرة: ١١٧]، و«**الدسائس**» جمع دسيسة كالكتائب جمع كتيبة والدسيسة الكيد والحيلة الخفية والألف واللام فيها عوض عن المضاف إليه أعني: النفس، وهي بالنصب على أنّها مفعول «اخش»، وقوله: «**من جوع**» ظرف مستقر إمّا حال من الدسائس أو صفة لها أي: احذر من الدسائس حال كونها ناشئة وصادرة من جوع ومن شبع أو الدسائس الناشئة والحاصلة المتولدة من جوع ومن شبع، والجوع الإنساني حالة يشتهي الإنسان بها أكل الخبز بلا إدام، وقيل: علامة جوع الإنساني شم الذباب ريقه وعدم وقوفه عليه كما قال الشاعر:

في حَد جوعِ الفَتى قولان قيلَ بأَنّ		يشتهي به الخبز فردا حالة الأكل
وَقيلَ إن وَقَعت في الأَرضِ رِيقَتُهُ		شَمَّ الذُبابُ وَجَدَّ السَيرُ في عَجَل

و«**الشبع**» عكس الجوع ونقيضه، والمراد من الدسائس الحاصلة منهما الآفات المتولدة منهما أمّا الآفات الحاصلة من الجوع، فمثل الحدة والشدة والذبول والكلال، وملال النفس في تحصيل الكمال والخيالات الفاسدة والأوهام الكاسدة، وأمّا الآفات الحاصلة من

(٢٩) "صحيح مسلم"، كتاب الأشربة، باب آداب الطعام والشراب وأحكامهما، الحديث: ٢٠٢٢، صـ ١١١٨.

الشبع، فكثرة النوم المقتضية للكسل وقساوة القلب وغفلته وموته بطول الأمل وإطفاء نور اليقين وكثرة الشهوات وغير ذلك من الغفلات، ويحتمل أن يراد بالجوع الفقر مجازاً لأنه ملزوم الجوع، فعلى هذا يكون المراد من الدسائس المهالك، فإن الفقر يلقي الإنسان إلى المهالك، ولذا استعاذ منه عليه الصلاة والسلام وقال في حديثه: ((كاد الفقر أن يكون كفرا))[٣٠]، وفي آخر: ((الفقراء سود الوجوه يوم القيامة))[٣١]، وهي مثل السرقة وتغيير المذهب والملة كما قال الشاعر:

كمْ عالمٍ عالمٍ أعيتْ مذاهِبُه		وجاهلٍ جاهلٍ تلقاهُ مَرْزُوْقَا
هذا الذي ترك الأوهامَ حائرةً		وصيَّر العالم النحريرَ زِنْدِيْقَا

ويراد أيضا بالشبع الغنى، ويراد بالدسائس مهالك الغنى، وهي حبّ الدنيا مع أنّه رأس كلّ خطيئة وطول الأمل والكسل عن الطاعة ونسيان الآخرة وقسوة القلب والكبر والعجب والحرص والطمع والبخل وغير ذلك، ويجوز أن يراد من الجوع الجهل، ومن الشبع العلم، ويجوز أيضا أن يراد من الجوع عدم العمل، ومن الشبع العمل، ويجوز أيضاً أن يراد من الجوع السكوت، ومن الشبع الكلام، ويجوز أيضاً أن يراد من الجوع سهر الليل، ومن الشبع نومه، ويجوز أيضاً أن يراد من الجوع العزلة، ومن الشبع الخلطة، ويجوز أيضا أن يراد من الجوع العزوبة، ومن الشبع التزوج، ويكون في لفظي الجوع والشبع على هذه التقادير مجاز واستعارة، ويكون وجه الشبه في كل منها حلو الغذاء للنفس وحصوله، وتكون الدسائس عبارة عن مهالك كل منها كما لايخفى على أهل البصيرة وقوله: «فرب مخمصة... إلخ»،الفاء للتعليل لأنّه علة لدعوى مقدرة مفهومة ممّا سبق وهو أن الخشية دسائس الجوع لازمة كما لايخفى، و«**رُبّ**» حرف جر لايدخل إلا على النكرة، وهي للتقليل، وعند البعض للتكثير، وفي كلمة «رب» لغات عديدة لأنها قد تكون مشددة ومخففة، ويلحق آخرها التاء، وكلمة «ما» والتاء مع «ما» مخففا ومشددا، وبالجملة قال شيخ الإسلام زكريا الأنصاري: في كلمة «رب» سبعون لغة، وعدها في شرحه على القصيدة المنفرجة، وإن أردت فارجع إليه، فإن قلت: لم خص

(٣٠) "مشكاة المصابيح"، كتاب الآداب، باب ما ينهى عنه من التهاجر... إلخ، الحديث: ٥٠٥٠، ٣/٨٢.

(٣١) لم نعثر عليه.[علمية]

التعليل بالخشية من الجوع دون الشبع؟ قلت: لأن ضرر الشبع بديهي بين الأنام كما بينه كثير من الأعلام، وقد أشار أبو سليمان الداراني إلى ست نكات في الشبع، فقال: من شبع لم يجد حلاوة العبادة، وتعذر عليه حفظ الحكمة، وحصل له حرمان الشفقة على الخلق، وثقل عليه العبادة، وحصل لديه زيادة الشهوة، وإن سائر المؤمنين يدورون حول المساجد والشبعان حول المزابل، وإن أردت التفصيل فعليك التعويل على كتب مفصلة ومطولة، وأما ضرر الجوع فخفي بل يترتب عليه فوائد عديدة ومنافع كثيرة، منها: صفاء القلب، ومنها: رفع النوم ودوام السهر، ومنها: تيسر المواظبة على العبادة، ومنها: خفة المؤنة، ومنها: التمكن بذلك من الإيثار والتصدق وغير ذلك مما لايتناهى، ولذلك علل به، ثم إن «**المخمصة**» شدة الجوع المفرط، و«**شر**» أصله أشرر، فخففت بإسقاط الهمزة، وقد لحن أبو قلابة في قراءته سيعلمون غدا من الكذاب الأشر على صيغة التفضيل، ولم يوافقه أحد عليها قال الحريري: شر: فيه معنى التفضيل لا يثنى، ولا يجمع، ولا يؤنث، ولايقال: أشر إلا في لغة رديئة، و«**التخم**» جمع تخمة، وهي مصدر بمعنى عدم هضم الطعام مع استثقاله على صاحبه، وتعفنه في معدته، وإنما كانت المخمصة شرا من التخم مع أن إتفاق العلماء على شرّيّة شدة الشبع وخيريّة الجوع لأنّ المخمصة وشدة الجوع تورث الإنسان ضعفا حتى لا يقدر على أداء العبادة قال صلى الله تعالى عليه وسلم لمعاذ: ((إن نفسك مطيتك فارفق بها وليس من الرفق أن تجيعها وتذيبها))[٣٢]، وقد قرر في الكتب الفقهية أن الأكل إما فرض: إن كان مقدار ما يدفع عنه الهلاك، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ((إن الله ليؤجر في كل لقمة يرفعها العبد إلى فمه))[٣٣] وإما مندوب: إن زاد على ذلك ليتمكن من أداء الصلاة قائما، ويسهل الصوم قال عليه السلام: ((المؤمن القوى أحب إلى الله تعالى من المؤمن الضعيف))[٣٤]، وإمّا مباح: لا أجر ولا وزر إن زاد على ذلك لمجرد تقوى البدن فيحاسب حسابا يسيرا، وإمّا حرام: إن فوق الشبع لإضاعة المال والإسراف.

(٣٢) "المبسوط" للسرخسي، الجزء ٣٠، صـ ٣٠١.

(٣٣) "إحياء علوم الدين"، كتاب آداب الأكل، ٣/٢.

(٣٤) "صحيح مسلم"، كتاب القدر، باب في الأمر بالقوة... إلخ، الحديث: ٢٦٦٤، صـ ١٤٣٢.

(٢٣) وَاسْتَفْرِغِ الدَّمْعَ مِنْ عَيْنٍ قَدِ امْتَلأَتْ ... مِنَ الْمَحَارِمِ وَالْزَمْ حِمْيَةَ النَّدَمِ

لما بين طريق استعمال النفس في هذه الحال وفيما سيأتي أراد أن يبين سبب المغفرة للذنوب التي قد اكتسبها فيما مضى، فقال، تحريضاً على التوبة وتحضيضاً على الأوبة: «واستفرغ الدمع... إلخ»، الواو عاطفة، ويجوز أن تكون استينافية جواباً لسؤال مقدر كأنه قيل: هل يكون طريق على عفو الذنوب التي فعلتها فيما مضى؟ فقال: «واستفرغ» أي: نعم! استفرغ، و«**استفرغ**» أمر من استفرغ، وهو طلب الفراغ، وهو جعل وعاء أو نحوه خالياً عما فيه بإخراج ما فيه وإراقته، والمعنى: اجْرِ وأَرِقْ واستخرجْ و«**الدمع**» ماء مالح يجري من العين، وتقييد استفراغ الدمع بقوله: «**من عين**» إظهار لما علم ضمناً لا للإحتراز، وقوله: «**قد امتلأت**» صفة العين وضمير المؤنث راجع إلى العين لكن بطريق الاستخدام بأن يراد من العين المذكورة الباصرةُ، وبالضمير العينُ بمعنى القلب؛ إذ الممتلىء بالمحارم، القلب والمعدة، فعلى هذا لا حاجة إلى جعل امتلاء العين كناية عن كثرة الذنوب كما لايخفى على ذوي القلوب وقوله: «**من المحارم**» متعلق بـ«امتلأت» و«المحارم» جمع محرم بمعنى الحرام كما يقال: «ذو رحم محرم» إذا لم يحل للرجل نكاحها، والمعنى: إذا امتلأ قلبك ومعدتك بالمحارم والأفعال السيئة ففرغ عينك الحسية لأن البكاء للعصيان من خشية الرحمن يمنع العبد من دخول النيران كما قال عليه السلام: ((لا يدخل النار من بكى من خشية الله تعالى حتى يلج اللبن الضرع))[٣٥]، وقيل: إذا كان يوم القيامة تخرج من الجحيم نار مثل الجبال فتقصد أمة محمد فيجتهد رسول الله عليه السلام في دفعها فلم يقدر فينادي جبرائيل: «الحقّ الحقّ» فإنّ النار قد قصدت أمتي لتحرقهم، فيأتي جبرائيل بقدح من الماء، فينادي الرسول فيقول: خذ هذا، ورشّه عليها فيرشه فتنطفئ في الحال ويقول: يا جبرائيل! ما هذا الماء لم أر مثله في إطفاء النار فيقول جبرائيل: ما هذا إلا دموع أمتك الذين بكوا من خشية الله في الخلوات، أمرني ربي أن آخذ وأحفظه إلى وقت احتياجك إليه لتطفئ به النار التي قصدت أمتك، وقوله: «**والزم**» دفع سؤال نشأ مما قبله، وهو أنه هل يكون البكاء مطلقا مذهبا للعصيان ومطهرا

(٣٥) "مشكاة المصابيح"، كتاب الجهاد، الفصل الأول، الحديث: ٣٨٢٨، ٢/٣٦٥.

للإنسان؟ أي: لا بل يلزم أن تلزم حمية الندم مع البكاء، و«**الحمية**» بمعنى الاحتماء والحفظ، وهو بالنصب مفعول «الزم»، و«**الندم**» بمعنى الندامة واليأس، وبالفارسي **پشيمان شدن**، وإضافة الحمية إليه إما بيانية أي: حفظا هو الندامة على ما مضى أو بمعنى من أي: الاحتماء الحاصل من الندم؛ لأنه لو ندم حفظ من العصيان، وإما من إضافة المشبه إلى المشبه به كما في لجين الماء أي: ندامة كالاحتماء في عدم السلوك إلى المعاصي، فإن قلت: استفيد من هذا البيت أن علاج جميع المعاصي هو البكاء والندامة مع أن المظالم وأخذ حق الغير لاتغفر بالبكاء والندامة بل بردها إلى أصحابها والاستحلال منها؟ قلت: رد المظالم والاستحلال من الخصوم ونحوهما داخل في الندامة كما لايخفى.

و**حاصل معنى البيت**: يا من امتلأت عينه من المحرمات وشحن قلبه بمرض الغفلات عليك باستخراج الدموع والبكاء لأنه يذهب كل ما اكتسبت من الهوى كما قالوا: صب العبرات يحط السيئات ويرفع الدرجات، وكما في بعض الأخبار المروية أنه يؤتى بعبد يوم القيامة وتشهد عليه أعضاءه بالزلة والعصيان فيستحق أن يدخل النيران فتطاير شعرة من جفن عينه فتستأذن تلك الشعرة من الله تعالى بالشهادة له فيقول الله تعالى عزوجل: تكلمي يا شعرة واحتجي عن عبدي، فتشهد تلك الشعرة لذلك العبد بأنه قد بكى في الدنيا من خوف ربه، فيغفر له وينادي مناد هذا عتيق الله تعالى بشعرة كما سئل من الإمام حجة الإسلام عن العينين المذكورتين في قوله تعالى: ﴿فِيهِمَا عَيْنَانِ تَجْرِيَانِ﴾ [الرحمن: ٥٠] هما لمن؟ فقال: عينان تجريان لمن له اليوم عينان تجريان، هذا ما قرر في التفسير "روح البيان".

ثم اعلم! أنّ من خواص هذا البيت أنّه لو عسر عليك في مطالعتك محل من درسك ولم يمكن لك كشفه فاقرأ هذا البيت مئة وتسع عشرة مرة فإنه يكشف عليك بإذن الله تعالى.

(٢٤) وَخَالِفِ النَّفْسَ وَالشَّيْطَانَ وَاعْصِهِمَا ... وَإِنْ هُمَا مَحَضَاكَ النُّصْحَ فَاتَّهِمِ

لمّا بين ولوغ النفس في هواها وبلوغ الهوى في المضرة منتهاها وكون النفس في يد صاحبها شرع في بيان المخالفة التامة لها: فقال: «وخالف... آه»، الواو عاطفة من قبيل

عطف الإنشاء على الإنشاء، و«**خالف**» أمر من المخالفة آثر صيغة المخالفة للمبالغة، و«النفس» بالنصب مفعول «خالف» والألف واللام فيها للعهد أي: النفس الأمّارة المكارة، و«الشيطان» بالنصب عطف على «النفس»، واختار من الحروف العاطفة «الواو» ليدل على اجتماعهما واشتراكهما في الأمر بالسوء والفحشاء، كما في قوله تعالى: ﴿إِنَّ النَّفْسَ لَأَمَّارَةٌ بِالسُّوءِ﴾ [يوسف: ٥٣] وقوله تعالى: ﴿الشَّيْطَانُ يَعِدُكُمُ الْفَقْرَ وَيَأْمُرُكُم بِالْفَحْشَاءِ﴾ [البقرة: ٢٦٨]، فإن قلت: فعلى هذا يكون عطف الشيطان على النفس مستدركاً لأنّ الأمر بمخالفة النفس مغنٍ عن الأمر بمخالفة الشيطان؛ لأنّهما شريكان ومتّحدان في الأمر بالسوء فالأمر بالمخالفة لأحدهما أمر بالمخالفة للآخر فلا فرق بينهما؟ قلت: الفرق بينهما بيّن؛ لأنّ النفس لو أمرت بمعصية تكون مصرة عليها حتى لو فعل معصية أخرى غير ما أمرت النفس لا تسكن إلا بفعل المعصية التي أمرت بها؛ لأن النفس فيها نفسانية بخلاف الشيطان، ثمّ إنّ «**الشيطان**» إما فيعال على أن تكون نونه أصلية من شطن إذا بعد لبعده عن الخير والرحمة أو فعلان على أن تكون نونه زائدة من شاط إذا هلك، أو إذا أسرع في السير لسرعة سيره في باطن الآدمي أو في إضلال الآدمي أو إذا احترق لكون أصله ناراً أو لكون أوله ناراً فعلى هذين يجوز صرفه وعدمه إذا جعل علماً قال الجعبري: الشيطان إبليس وجنوده، والمراد الجنس، وقيل: عن تفسير "الخازن" جنس للمردة من الشياطين، ثم اختلف في الشيطان والجن هل هما موجودان أو معدومان؟ والأصحّ هو الأول، فعلى الأوّل اختلف أيضا هل هما مجردان أو لا؟ وأكثر المتكلمين على الثاني، فعلى الثاني اختلف أيضا في أنّهما هل هما مختلفان بمعنى أن الشيطان جسم لطيف ناري قادر على التشكل بأشكال مختلفة، والجن هوائي قادر على التشكل كذلك، وأيضا الملك جسم لطيف نوراني كذلك، أو متحدان جنساً فما يكون منهم خيراً سعيداً جن، وما يكون شريرا شقيا شيطان، فإن قيل: هل للشيطان نسل؟ قال أبو المعين النفسي في "بحر الكلام": قيل: إن الشيطان يبيض بيضات ويخرج منها الولد، وفي الخبر: أن في أحد فخذيه فرجا وفي الآخر ذكرا فيجامع نفسه، فيخرج منه الولد وهذه رواية شاذّة، وقيل: يدخل ذنبه في دبرة فيخرج منه الولد وهذا غير صحيح، فالصحيح هو الأوّل، ثم اعلم! أنّ المراد من الشيطان هاهنا أعمّ من الإنس والجن؛ لأنّ

الشيطان الذي من الإنس يأمر أيضا بالسوء، فتلزم المخالفة لأمره بل لا تجوز المقارنة به؛ لأنّ الطبيعة سارية ألا ترى أنّ العلماء أمروا بالمباعدة عن الكسلان فكيف عن أهل العصيان، فإن قلت: لم قدّم النفس على الشيطان مع أن عداوة الشيطان ثابتة في كل الزمان؟ قلت: إمّا لأنّ النفس عدوّ في الداخل لا يفارق الإنسان في كلّ حالاته حتى الذكر والعبادة فتكون عداوته أشدّ من الشيطان؛ لأنّه عدوّ من الخارج يدفع شره بالاستعاذة والذكر والثناء والشكوى إلى صاحبه؛ لأنه كلب الله، فيشتكي من شره إلى الله تعالى فيخلص منه بإذن الله تعالى بخلاف النفس؛ وإمّا لأنّ النفس وإن كانت عدواً لكنّه محبوب، والإنسان عن عيب محبوبه عمي، كما قال الشاعر:

وعين الرِّضا عن كلّ عيبٍ كليلةٌ	ولكنّ عين السُّخط تُبدي المساويا

ويلزم في النفس عدم القهر بالكلية لأنّها مطيّة المرء في الإيصال إلى المقصد فمن قهرها تذله في السبيل وعدم الموافقة لها بالكلية، فمن وافقها تضله عن سبيله، فالخلاص، الاعتدال بينهما، وأما الشيطان فعداوته خالصة لا يشوبها محبة أصلا لأنه عدو قديم حيث بدأ العداوة مع أبينا آدم عليه الصلاة والسلام فقال: ﴿يَا آدَمُ هَلْ أَدُلُّكَ عَلَى شَجَرَةِ الْخُلْدِ وَمُلْكٍ لَّا يَبْلَى﴾ [طه: ١٢٠]، وعدوّ الأب لا يكون لإبنه محباً وقوله: «**واعصهما**» عطف على «خالف» فإن قلت: هذا القول أي: واعصهما، مستدرك لأنّ الأمر بالمخالفة لهما يستلزم عصيانهما؟ قلت: إنّ العصيان أعمّ من المخالفة؛ لأنّ العصيان ترك الانقياد سواء أمر بفعل أو نهي عنه فتركه أو لم يؤمر ولم ينه فتركه، والمخالفة إنما تكون بترك الفعل الذي أمر به أو بفعل الفعل الذي نهي عنه فيكون هذا العطف من قبيل عطف العام على الخاص فلا استدراك، ويجوز الجواب: بأنّ يكون كل واحد من المخالفة والعصيان بالنظر إلى كل واحد من الأمر والنهي يعني أن يكون «خالف» مختصاً بالمخالفة لأمرهما ويكون «واعص» مختصاً بالعصيان لنهيهما فيصح حينئذٍ العطف لكن فيه ما فيه، وقوله: «**وإن هما**» «إن» شرطية، وضمير التثنية راجع إلى النفس والشيطان، و«**محضاك**» ماض من التمحيض أو من المحض بمعنى التخليص أي: أخلصاك، و«**النصح**» بالنصب مفعول ثان لـ«محضا»، والنصح: إراءة الخير للغير، وقوله: «**فاتّهم**» الفاء للجزائية، و«اتهم» أمر من التهمة أي: احمل نصحهما على التكذيب، فإن قلت: هل يكون للنفس والشيطان

نصيحة حتى تحمل على الكذب؟ قلت: نعم أما نصيحة النفس فكما نقله الخادمي عن المنهاج من أنه روي عن بعض يقال له: أحمد بن أرقم البلخي أنه قال: نازعتني نفسي بالخروج إلى الغزو فقلت: سبحان الله! إن الله تعالى يقول: ﴿إِنَّ النَّفْسَ لَأَمَّارَةٌ بِالسُّوءِ﴾ [يوسف: ٥٣]، وهذه تأمرني بالخير، قلت: مرادها الخلاص من حبس الوحدة والوصول إلى الخلطة والاستراحة بالألفة وإكرام الخلق فقلت لها إذا كان مرامك ذلك لا أنزلك العمران أبداً ولا أدلك على معرفة أحد فأجابت: أسأت الظن فقلت: الله تعالى أصدق وقلت: أقاتل العدو مقدما على الكل فتقتلني فأجابت: ثم عددت أشياء فأجابت عن كلها ثم قلت: يارب نبهني لها فإني متهم لها ومصدق لك فكوشفت كأنّ النفس تقول: يا أحمد أنت تقتلني كل يوم مرات بمنع شهواتي وبمخالفة ميولاتي، فإن قاتلت قتلت أنا مرة واحدة فنجوت من قتلاتك، ويتسامع الناس شهادتي، فتكون لي ذكرا وشرفا، قال: فقعدت، ولم أخرج إلى الغزو، وأما نصيحة الشيطان فما حكاه المولوي في كتابه «المثنوي» أنّ معاوية كان نائما عند الصباح فجاء الشيطان وقال: حي على الفلاح، ففطن معاوية لمكره وغدره في ظهوره وأمره فقال: أنت يا شيطان! ما تأمر إلا بمعصية فكيف أمرك لي بالطاعة فما سبب هذا الأمر العجيب فإنّه من مثلك غريب؟ فقال: سببه أنّه قد فاتك الصبح يوماً من الأيام بسبب المنام عن صلاة الجماعة مع سيد الأنام فندمت على ما فات وتحيرت عليه في الأوقات، فكتب لك أضعاف ما كنت تلحقه من الطاعات، فخفت أن تنام عن الصلاة مرة أخرى، فيحصل لك زيادة المثوبة في الأخرى، فالزم الحذر من شرهما لا سيما في وقت قد كانا اختصما.

(٢٥) وَلاَ تُطِعْ مِنْهُمَا خَصْماً وَّلاَ حَكَماً ... فَأَنْتَ تَعْرِفُ كَيْدَ الْخَصْمِ وَالْحَكَمِ

لما ظن إنكار المخاطب اتهام نصحهما إذ النصيحة بالخير لا تحمل على الشر أكد ما قبله لكونه أمراً مهما واجب الامتثال فقال: «ولا تطع منهما... إلخ» نهى من الإطاعة، وهي قبول أمر الآمر، و«**منهما**» ظرف مستقر حال من الخصم والحكم، قدمت على ذي الحال لضرورة الشعر كما قال الشاعر: في بيان مواضع تجري فيها الضرورة

وقد جاء في التركيب بعض تصرف ... كفصل وتقديم ومثل زيادة.

و«**الخصم**» العدو الذي ظهرت عداوته، «**والحكم**» بمعنى الحاكم في الدعوى يقال له: قاضي الحكم والمعنى لا تطع الخصم ولا الحكم حال كونهما ناشئين من النفس والشيطان يعني أنّ النفس لو كان خصما أو حكما وكذا الشيطان لو كان خصما أو حكما فلا تطعهما بل جانبهما، قال الشارح الزركشي: إنّ هذا البيت من أصعب الأبيات في القصيدة من جهة معرفة أنّ خصم النفس وحكمها ما هو؟ ولذا قالت الشراح: هاهنا كلمات لا تسمن ولا تغني، بل كلها من قبيل ما لا يعني، وأمّا أنا فقد تحيرت فيه برهة من الزمان، ثم رأيت في المكاشفة الناظم الفاهم أعني: محمد البوصيري، فقلت له: ما مرادك من هذا البيت يا إمام؟ فقال: لو تأملت دواعي الإنسان لعرفت المرام، فقلت له: أرجوا منك التفصيل فقال: إنّ الدواعي في الإنسان ثلاثة: وهي القلب والنفس والشيطان فإذا أراد القلب أن يعمل خيراً تكون النفس له مانعة فتطلب تركه ومنعه فيختصمان ويريدان أن يحتكما فينصبان الشيطان حكماً وهو يأمر بالسوء فعلى هذا كان الشيطان حكماً والنفس خصماً ولو أراد الشيطان أن يعمل عمل الشر يقول القلب له: لا تفعل فإنه شر ويقول الشيطان: لا بل هو خير فاختصما واحتاجا إلى الحكم فاحتكما النفس وهي تأمر بالسوء فعلى هذا كانت النفس حكماً والشيطان خصماً فكل واحد منهما خصم من جهة وحكم من جهة أخرى انتهى بتغيير عبارته وتفصيله. والفاء في «**فأنت**» للتعليل لِمَا قبله فيمكن أن يرتب هاهنا قياس تقريره هكذا: إنّك يلزم لك عدم إطاعة كل منهما خصما ولا حكما لأنك تعرف كيد الخصم والحكم، وكل من يعرف كيد الخصم والحكم فيلزم له عدم إطاعة كل منهما خصماً ولا حكماً ينتج أنّك يلزم لك عدم إطاعة كل منهما خصما ولا حكما و«**الكيد**» المكر والخيانة ويجيء بمعنى الحيلة والمراد من «الخصم» و«الحكم» الثاني ما سبق لأنّ لامهما للعهد، فإن قلت: ما كيفية الوسوسة مع أنا لا نرى الشيطان بأحد مشاعرنا فكيف يكون لما في قلبنا مدعيا وحكما وموسوساً؟ قلنا: نقل عن "الإحياء" في كيفيتها أن القلب كالقبة لها أبواب تنصب إليها الأحوال من كل باب ومثل هدف ترمى إليه سهام من كل جانب فَكُلّمَا أدرك شيئاً من الحواس الخمس الظاهرة ومن الباطنة كالخيال ونحوه حدث فيه أي: القلب أثر وكذا عند هيجان شيء من نحو الشهوة والغضب وهذه الخواطر وهي محركات للإرادة

التي تحرك الأعضاء فإن محمودة فإلهام، وإن مذمومة فوسواس انتهى، وفي حديث أنس ((إن الشيطان واضع خُرطومَه على قلب ابن آدم فإنْ ذكر الله تعالى خنس وإنْ نسي التقم قلبه))(٣٦)، فإن قلت: بأي شيء يخلص من وسوسته؟ قلت: قالوا: سلاح المؤمن على الشيطان ستة: الاستعاذة، وكلمة الشهادة، والبسملة، وترك الطمع، وترك الأمل، وترك الدنيا، وروي أنّ قوماً شكوا إلى الحسن البصري من الشيطان قال: إنّه خرج من عندي الآن، ويشكو منكم، وقال: قل للناس يدعوا دنياي حتى أدع دينهم، والنافع الكثير في دفع وسوسته الاشتكاء إلى الله والرجاء منه تعالى بحبسه وعدم إخراجه عليه؛ لأنّه كلب مبين، والكلب يلتجأ من شره إلى صاحبه، فإن قلت: إنه وإن لم يجب عليه تعالى شيء في أفعاله لكن لا يخلو فعله عن حكمته، ولا شك أنّ النفس والشيطان شرّ بديهيّ فما الحكمة في خلقهما وتسليطهما على الإنسان؟ قلت: أمّا الحكمة في خلق النفس في الإنسان وعدم جعله مجردا كملائكة الرحمن فتفضيله بها على عامة الملائكة لأن النفس فيها عوائق وموانع كالشهوات والغضب وسنوح الحاجات الضرورية الشاغلة عن اكتساب الكمالات، ولا شك أنّ العبادة وكسب الكمال مع الشواغل والصوارف أشق وأدخل في الإخلاص، وكل شيء شانه كذا فهو أفضل، وإن أردت تفصيل هذا البحث فعليك بالمطولات، وأما الحكمة في خلق الشيطان ففيه مسلكان، أما **المسلك الأول**: فالقول بأنّ لا إطلاع لنا على حكمة جميع فعله تعالى لأنه لا يسئل عما يفعل وهم يسئلون لأنّها وإن لم تظهر علينا فهي ظاهرة على الراسخين، وأما **المسلك الثاني**: فبيان حكمته كما قال بعض العلماء: إن الحكمة في خلقه اختيار أوليائه من غيرهم إذ من يتبع عدوه يعني الشيطان ليس بوليه تعالى، وقال بعضهم: الحكمة عدم اغترار العابدين بعبادتهم، وبعضهم قال: الحكمة الاعتبار من حال الشيطان بسبب العصيان والانزجار عن الطغيان وإعلام ضرر الكبر والعدوان على أهل الإيمان والتفصيل في المطولات، و**خاصية** هذين البيتين: أنه إذا كان شخص مصرا على معصية ونزعت نفسه إلى عدم التوبة فليكتب هذين البيتين في صحيفة بعد صلاة الجمعة وليمحها بماء الورد وليشربه وليستمر جالساً مستقبل القبلة حتى يصلي العصر والمغرب والعشاء وهو ملازم على الابتهال والتضرع إلى الله والصلاة

(٣٦) "الكامل" لابن عدي، الجزء الرابع، صـ ١٢٩.

على النبي عليه السلام ويسأل الله التوبة فإنه لا يقوم من مقامه حتى يغلب على نفسه ويلهم الله إليه التوبة، يا أخي! نصحي لك الاجتناب في العبادات عن ملل والملازمة على مداومتها بلا زلل.

(٢٦) أَسْتَغْفِرُ اللهَ مِنْ قَوْلٍ بِلاَ عَمَلٍ ... لَقَدْ نَسَبْتُ بِهِ نَسْلاً لِذِيْ عُقُمِ

لَمَّا رأى الناظم الصادق والناصح العاشق أنّ نفسه متلوّث بالمناهي وملتبس بالملاهي وقد قال تعالى: ﴿أَتَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبِرِّ وَتَنسَوْنَ أَنفُسَكُمْ وَأَنتُمْ تَتْلُونَ الْكِتَابَ أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾ [البقرة: ٤٤]، وقال الله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفْعَلُونَ، كَبُرَ مَقْتًا عِندَ اللَّهِ أَن تَقُولُوا مَا لَا تَفْعَلُونَ﴾ [الصف: ٢،٣]، والأمر بالمعروف من غير عمل وإن كان حسنة لكنه بحسب العرف الظاهر سيئة فلذا أناب إلى الله وتاب عما سواه فقال: «أستغفر الله... إلخ»، اعلم أنّ الاستغفار بمعنى طلب الغفر وهو الستر وهو هاهنا بمعنى تبت إلى الله وأطلب الستر من الله، ورجعت إلى الله عما فعلته، وقوله: «من قول» متعلق بـ«أستغفر»، فإن قيل: لو تعلق به يلزم تعلق الجارين بمعنى واحد بفعل واحد؛ لأنّه في تقدير أستغفر من الله، قلت: لا نسلم لزوم هذا المحذور في ذلك التقدير ولو سلم فلم لايجوز أن يكون من قبيل المطلق والمقيد، ولو سلم فلا نسلم أنهما متعلقان بفعل واحد كيف وإن «من» الأولى متعلقة بالطلب المستفاد من السين و«من» الثانية بمادة المغفرة والمراد من القول، اللفظي، وقوله: «**بلا عمل**» ظرف مستقر صفة لـ«قول» أي: من قول ملتبس بترك العمل والتنوين في كل من القول والعمل عوض عن المضاف إليه أي: من قول ملتبس بترك عملي وقوله: «**لقد نسبت**» جملة استينافية معانية كأنّه قيل: لم تستغفر من القول الفصيح المشتمل على المصالح العاري عن المفاسد والقبائح؟ فقال مجيباً: «لقد نسبت» اللام لتوطئة القسم، والنسبة بمعنى الإضافة، والباء في «به» للسببية وضميره راجع إلى قول بلا عمل، و«**النسل**» الولد كما في الحديث ((تناكحوا تناسلوا)) أو هو مفعول «نسبت» والمراد بالولد والنسل العمل مجازا واستعارة حيث شبه العمل بالولد في كونهما منتفعاً بهما فكما أن الولد ينتفع به في الدنيا كذلك العمل ينتفع به في الآخرة، واستعير العمل لمفهوم الولد فذكر وأريد العمل، و«لذي» متعلق بـ«نسبت»، و«**العقم**» بالضم داء لا دواء له وهو عدم

قبول الرحم أو الصلب الولد وأراد بـ«ذي عقم» نفسه حيث شبه نفسه الغير العامل برجل ذي عقم في عدم إنتاج الشيء ثم استعار الرجل الذي له عقم لنفسه، فذكر ذو عقم وأريد نفسه.

و**حاصل معنى البيت**: أستغفر الله تعالى من قولي آمراً وناهياً بلا عمل؛ لأنّ الظاهر أنّ الآمر بالخير والناهي عن الشر مؤتمر به ومنته عنه، فلمّا لم يكن مؤتمراً به ومنتهياً عنه في نفس الأمر كان ذلك كنسبة الفضل إلى غير أهله وكنسبة الولد إلى رجل ذي عقم وهو معصية وعصيان؛ لأنّه زور وبهتان مع أن مثل هذا الكلام الذي لا يعمل به صاحبه لا يفضي إلى إتيان المرام كما قيل: إن القول الذي يخرج عن اللسان لا يبلغ الآذان والذي يخرج عن الجنان وقع على الجنان، وفي حديث روي عن أسامة بن زيد أنه قال: سمعت رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم يقول: ((مررت ليلة أسرى بي إلي السماء بأقوام تقرض شفاههم بمقاريض من نار، فقلت: من هؤلاء يا جبرائيل؟ قال: خطباء أمتك الذين يقولون ما لايفعلون))، وهاهنا **حكاية لطيفة** أوردها إسماعيل الحقي في تفسيره، وهي ما روي أنّه كان عالم من العلماء مؤثر الكلام قوي التصرف في القلوب وكان كثيراً ما يموت من أهل مجلسه واحداً أو اثنان من شدة تاثير وعظه وكان في بلدة العالم عجوز لها ابن صالح رقيق القلب سريع الانفعال وكانت تحذره وتمنعه عن حضور مجلس الواعظ فحضره يوما على حين غفلة منها فوقع من أمر الله ما وقع ثم إنّ العجوز لقيت الواعظ يوما في الطريق فقالت:

أتهدي الأنامَ ولا تهتَدِي	ألا إنّ ذلك لا ينفع
فيا حجر الشحذ حتى متى	تحد الحديد ولا تقطع

فلما سمعه الواعظ شهق شهقة فخر عن فرسه مغشياً عليه فحملوه إلى بيته فمات، فيلزم لك العمل بكلام تكلمت به.

(٢٧) أَمَرْتُكَ الْخَيْرَ لَكِنْ مَا ائْتَمَرْتُ بِهِ ... وَمَا اسْتَقَمْتُ فَمَا قَوْلِي لَكَ اسْتَقِمِ

لمّا كان عدم عمله في قوله غير معلوم بينه بقوله: «أمرتك الخير... إلخ»، قال شيخ زاده: إنما ترك العاطف بين قوله: «أمرتك» وبين قوله: «نسبت» لأنّ بينهما كمال الاتصال لأنه تفسيره وبيانه، والأمر صيغة تدل على طلب الفعل استعلاء، فإن قيل: لم خص الأمر بالذكر دون النهي، وقد سبق منه أمر ونهي قلنا: أراد بالأمر ما يعمهما كما يقال: أمر السلطان أن لا يؤذي أحد أحدا، «والخير» بالنصب من قبيل الحذف والإيصال أي: بالخير، «والخير» ماله عاقبة حميدة ولَمَّا كان قوله: «أمرتك الخير» موهماً أنّه عمل به؛ لأنّه لازم له في الشرع استدرك، وقال: «لكن ما ائتمرت به»، والإئتمار لازم وهو قبول الأمر «وما استقمت» عطف على «ما ائتمرت»، والاستقامة دوام قيام العلم والعمل بلاترك، وإنّما نفى الاستقامة لأنّها أمر عظيم، ولذا قال عليه السلام: ((شيبتني سورة هود))[٣٧] كما روي عن بعض الصلحاء أنه قال: رأيت رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم في النوم فقلت له: روي عنك أنّك قلت: ((شيبتني سورة هود))، فقال: نعم! فقلت: فما الذي شيبك منها أ قصص الأنبياء أم هلاك الأمم؟ قال عليه السلام: لا، ولكن قوله: ﴿فَاسْتَقِمْ كَمَا أُمِرْتَ﴾ [هود: ١١٢]، وذلك لأنّ حقيقة الاستقامة هي الوفاء بالعهود كلها، وملازمة الصراط برعاية حد التوسط في كل الأمور من الطعام والشراب واللباس وفي كل أمر ديني ودنيوي ترغيب وترهيب وذلك هو الصراط المستقيم في الآخرة والتمشي على هذا الصراط الذي يقال له: الاستقامة الاعتدالية عسير جداً كما قال: في "بحر العلوم": الاستقامة على جميع حدود الله على الوجه الذي أمر الله بالاستقامة عليه مما يكاد يخرج عن طوق البشر ولذلك قال عليه السلام: ((شيبتني سورة هود))، فكل من كان أتمّ معرفة كان أتمّ استقامة، وقال "أبو علي الجرجاني": كن طالب الاستقامة لا طالب الكرامة، فإن نفسك متحركة في طلب الكرامة، وربك يطلب منك الاستقامة، فالكرامة الكبرى الاستقامة في خدمة الخالق لا بإظهار الخوارق، وقيل لبعض الأولياء: فلان يمشي على الماء فقال: وكذلك الضفدع والسمك ثم قيل: فلان يطير في الهواء،

(٣٧) "مشكاة المصابيح"، كتاب الرقاق، باب التوكل والصبر، الحديث: ٥٣٥٣، ٣/١٤٥.

فقال: وكذلك الذباب، ثم قيل: فلان يذهب من المشرق إلى المغرب في ساعة، فقال: كذلك الشيطان، فقيل له: ماالمقبول عندك؟ قال: الاستقامة في الدين، وقوله: «فما قولي... إلخ»، الفاء للعطف، وهو معطوف على قوله: «أمرتك» عطف الإنشائية على الخبرية لفظا وعطف الإنشائية على الإنشائية نظراً إلى المعنى المقصود ولأنّ قوله: «أمرتك» في الصورة إخبار وفي المعنى إنشاء تحسر وتأسف على حاله كما في قوله: «هواي مع الركب اليمانين مصعد»، أو من عطف الخبرية على الخبرية؛ لأنّ معنى قوله: «فما قولي لك» ما ينبغي أن أقول لك، و«ما» في قوله: «فما» استفهامية يولد منها معنى مناسب للمقام مثل التوبيخ والتعجب والاعتراف بالقصور ومثل الإنكار، وقوله: «لك» متعلق بـ«القول»، فالقول هنا بمعنى الخطاب؛ لأنّه مستعمل باللام، وقوله: «استقم» أمر من استقام، وجملته مقول قول لـ«قولي» أي: فما خطابي لك بـ«استقم»، فإن قلت: أين أمره بـ«استقم» بل هو غير موجود فلا يستقيم هذا القول؛ لأنّه لم يسبق منه هذا القول؟ قلنا: وإن لم يسبق منه هذا القول تصريحا لكنه قد سبق تلويحا وضمنا؛ إذ المقصود مما قبله تطويع النفس الأمارة وإطاعتها للنفس المطمئنة بحيث تأتمر بأمرها وتنتهي بنهيها، وذلك لا يحصل إلا بالإطاعة لها حتى تستقيم، وبالجملة أنّه وإن لم يسبق لفظ «استقم» لكن سبق معناه، والمراد هاهنا معناه لا لفظه.

وحاصل المعنى: أني مسيء وعاص؛ لأنّي أمرتك ونصحتك بالخير مع أنّي ما انتصحت وما استقمت به وقلت لك: استقم! فعجباً ما فائدته، إذ وعظ الغير المتعظ غير مؤثر في السامع كما قيل ولا يستقيم الظل والعود "أعوج"، وكقول الشاعر:

وَغَيْرُ تَقِيِّ النَّاسِ يَأْمُرُ بِالتُّقَى	طَبِيبٌ يُدَاوِي النَّاسَ وَهُوَ مَرِيضٌ

ولذا قيل لبعض الواعظين: عظ نفسك فإن اتعظت فعظ الناس، وإلا فاستحيى من الله تعالى، ولكن يلزم للمؤمن أن يقبل قول كل واعظ، ولا ينظر إليه لأن الحكمة ضالة للمؤمن أينما وجدها أخذها أف من شر نفسي لم أحصل بها راحلة، ولم أدرك بسببها رفيقا وقافلة.

(٢٨) وَلاَ تَزَوَّدْتُ قَبْلَ الْمَوْتِ نَافِلَةً ... وَلَمْ أُصَلِّ سِوَى فَرْضٍ وَلَمْ أَصُمِ

لَمَّا كان قوله فيما سبق «لكن ما ائتمرت به» نظرياً وخفياً بينه وكشفه فقال: «ولا تزودت... إلخ»، الواو عاطفة، وتكرير «لا» لتأكيد النفي، و«**التزوّد**» من باب التفعّل من الزاد وهو الطعام الذي اتّخذ للسفر، والمراد منه هنا الطاعات والعبادات، ففيه استعارة مكنية شبه نفسه في الذهن بالرجل الذي يريد السفر في كونهما محتاجين لاتخاذ ما يلزم لهما فكما أن مريد السفر من مكان يلزم له اتخاذ الزاد والراحلة فكذلك يلزم للنفس التي تريد السفر من الدنيا إلى الآخرة اتخاذ زاد وهو تقوى الله والأعمال الصالحة ثم استعير في الذهن الرجل الذي يريد السفر ثم في الخارج ذكر المشبه أعني نفسه حيث ذكر بضمير التكلّم وأريد المشبه نفسه، وللرمز والإشارة إلى هذه الاستعارة التي في الذهن أثبت التزود الذي من لوازم المشبه به للمشبه وهذا الإثبات تخييلية، ويحتمل أن يكون في «تزوّدت» استعارة مصرحة وتبعية بأن يشبه كسب العبادات والاتّقاء والسير إلى الله باتخاذ الزاد للسفر في كونهما منتفعا بهما، ثم استعير التزود الذي هو اتخاذ الزاد للسفر للاتّقاء من الله الذي هي اتخاذ الزاد للآخرة فذكر التزود الذي هو اتخاذ الزاد للسفر وأريد منه كسب العبادات والإتقاء من الله، وبتبعية هذه الاستعارة اشتقّ صيغة «تزودت» من المصدر الذي هو التزوّد، وصيغة «اتقيت من الله» من المصدر الذي هو الاتقاء وشبه «اتقيت» بصيغة تزودت ثم ذكر هيئة تزودت وأريد اتقيت، ونكتة المجاز أي التعبير بـ«تزودت» دون اتقيت، وتنفلت إشارة إلى أن الدنيا دار رحلة، والناس عابروا سبيل فلابد من الزاد و أثاث السفر كما قال عليه السلام: ((كُنْ في الدنيا كأنّك غريب أو عابر سبيل وعُدْ نفسك من أصحاب القبور))[٣٨]، فكما أنّ الزاد وصلة إلى قرب المقصود كذلك النافلة وصلة إلى قرب الله تعالى كما قال تعالى في الحديث القدسي: ((لا يزال العبد يتقرب إليّ بالنوافل حتى أحبه))[٣٩]، وقوله: «**نافلة**» بالنصب مفعول «تزودت» والمراد من النافلة قربة ليست بواجب ولا فرض وقوله: «**ولم أصل**» عطف تفسير لِمَا قبله ودفع

---

(٣٨) "سنن الترمذي"، كتاب الزهد، باب ما جاء في قصر الأمل، الحديث: ٢٣٤٠، ١٤٩/٤.

(٣٩) "كنز العمال"، حرف الهمزة، الحديث: ١١٥٣، ١٢٧/١.

لتوهم أنه لم يصل الفرائض، ولم يصمها وهو بمعنى ولم أقم الصلاة سوى الفرض، والفرض في اللغة: التقدير والقطع، وفي الشرع: ما ثبت بدليل قطعي لا شبهة فيه، وقوله: «**ولم أصم**» عطف على «لم أصل»، ومفعوله محذوف بقرينة سابقة أي: لم أصم سوى فرض، والصوم في اللغة: الإمساك، وفي الشرع: عبارة عن إمساك مخصوص عن الأكل والشرب والجماع من الصبح إلى المغرب، والفرضان في الموضعين صفة موصوف محذوف أي: صلاة فرض وصوم فرض، فإن قلت: الإقامة بالفرض خير وفيه ثواب وله عاقبة حميدة فهلا ينافي هذا القول بقوله: «لكن ما ائتمرت بالخير»؟ قلت: تنوين فرض للتقليل، والمراد أنى ما قمت بحق العبودية حق القيام بزيادة النوافل في الليالي والأيام والصلاة والصوم المفروضان دينيان كأنه لم يجعلهما معتدًّا بهما في جنب الامتثال لقوله تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُوْنِ﴾ [الذاريات: ٥٦].

و**حاصل معنى البيت**: ما جعلت شيئا من النوافل زاد السفر قبل الفوت ولاتهيأت للوصول إلى مراتب الكمال قبل الموت، واقتصرت من قصور همتي على فرض الصلاة والصيام، وما قمت بحق العبودية حق القيام بزيادة النوافل كما زاد السلف كما نقل أن الجنيد كان يدخل كل يوم حانوته ويرسل الستر ويصلي أربع مئة ركعة ثم يعود إلى بيته، وعن أبي عبد الله بن خفيف أنّه كان يقول: ربما كنت أقرأ في ابتداء أمري في ركعة واحدة عشرة آلاف مرة ﴿قل هو الله أحد﴾، ورُبما كنت أقرأ في ركعة واحدة القرآنَ كلّه، وربما كنت أصلي من الغداة إلى العصر ألف ركعة، وفي بعض الكتب قال شريك: كنت مع أبي حنيفة رحمه الله تعالى سَنَةً فما رأيته وَضَعَ جنبَه على الأرض، وكان أصحابه يَشهدون أنّه كان يصلي صلاة الغداة بوُضوء العشاء، وقال شعبة: حسست أبا حنيفة وقت دخول الناس مضاجعهم فخرج من منزله ودخل المسجد واشتغل بالصلاة فلم أقدر على السهر وألقيت حصيات في نعليه ورجعت فعند قرب الصبح رجعت فوجدته في مكانه يدعو ويبكي ونظرت نعليه والحصيات باقية، والتفصيل في المطولات، وأما الصوم فما ذكر في "الرسالة القشيرية" كان سهل بن عبد الله يفطر في كل خمسة عشر يوما مرة، وفي رمضان إلى رؤية الهلال، وكان في كل ليلة يفطر بالماء القراح، وأبو تراب البخشي أكل أكلتين من "البصرة" إلى "مكة"، وأبو عثمان المغربي يقول: الرباني

يأكل مرة في أربعين يوما و"الصمداني" في ثمانين يوما، وروي أن "سهلا" اقتات بثلث درهم في ثلاث سنوات كذا ذكره في "شرح الطريقة".

خالفت أمر رسول شانه قد علا		ولم أطع قوله في كل أمر جلا

(٢٩) ظَلَمْتُ سُنَّةَ مَنْ أَحْيَ الظَّلَامَ إِلَى ... أَنِ اشْتَكَتْ قَدَمَاهُ الضُّرَّ مِنْ وَرَمِ

لَمَّا فرغ من الفصل الثاني الكائن في بيان معرفة النفس من كونها أمّارة بالسوء وكونها غير معدة عملاً صالحاً وكونها مشتغلةً بالهوى وكونها قابلةً للتربية كالطفل، وبيان تربيتها والاستغفار مما عملت من المحارم شرع في الفصل الثالث في مدائح النبي عليه الصلاة والسلام فقال: «ظلمت سنة من... إلخ» بترك الواو الواصلة إشارة إلى ربط ولطافة، فإن قلت: وما المناسبه بين الفصلين؟ قلت: إنّه لَمَّا بين في الفصل المقدم معرفة النفس أراد أن يبين في هذا الفصل معرفة الرب عملاً بما ورد: ((من عرف نفسه، فقد عرف ربه))(٤٠)، ومعرفة الرب إنّما تكون بمعرفة النبيّ فيكون مدحه صلى الله تعالى عليه وسلم راجعا إلى مدح الله تعالى إذ مدح النقش راجع إلى مدح نقّاشه كما لايخفى. وإنما اختار صيغة المتكلم وحده إظهارا لتذلله في مقام مدح النبي وإعلاماً لاستقلال مدحه بأنّه لايشوب في مدحه مدح غيره و«**ظلمت**» مشتق من الظلم وهو في اللغة: وضع الشيء في غير موضعه، وفي الشرع: التجاوز عن الحق إلى الباطل والتصرّف في ملك الغير بغير إذنه، والمراد هنا الترك مجازاً من معناه اللغوي لأنّه يلزم لوضع الشيء في غير موضعه ترك موضعه الأصلي فيكون من قبيل ذكر الملزوم وإرادة اللازم. و«**سنة**» بالنصب مفعول «ظلمت» وهي في اللغة: الطريقة، وفي الشرع: الطريقة المسلوكة في الدين غير فرض ولا واجب، فالسّنة إن واظب النبي عليها كانت مؤكّدة، وإن لم يواظب كانت سنة الهدى، وهاهنا أعمّ من السنن المؤكّدة وسنّة الهدى فالمراد الطريقة الشريفة الحنيفية المنسوبة إلى النبي عليه الصلاة والسلام التي من سلك فيها يصل إلى مقصودة و«من» موصولة والمراد به النبي عليه الصلاة والسلام، وإنَّما أبهمه للتفخيم أي: سنّة الذات الفخيم العظيم

(٤٠) "كشف الخفاء"، باب الميم، الحديث: ٢٥٣٠، ٢/٢٣٤.

الكريم الحليم النبي المخلص الرحيم الذي أحي وهو بمعنى: ترك النوم للعبادة مجازاً؛ لأنّ النوم يشبه الموت في انتفاء الإدراك وانتفاء الانتفاع، وكذلك اليقظة تشبه الحياة ففي «أحي» استعارة مصرحة وتبعية حيث شبه ترك النوم للعبادة بالإحياء في الانتفاع والسرور فاستعير الإحياء لترك النوم للعبادة فذكر الإحياء وأريد ترك النوم للعبادة وبتبعية هذه الاستعارة اشتق من الإحياء صيغة «أحي»، ومن ترك النوم للعبادة صيغة «ترك» أو «سهر» وشبّه ترك بـ«أحيى» بواسطة العلاقة في مصدرهما فذكر «أحي» وأريد ترك النوم للعبادة، وإنّما قيدنا ترك النوم بقولنا: للعبادة؛ لأنّ ترك النوم للفسق والمعاصي لايعدّ إحياء بل إماتة وخسراناً، و«**الظلام**» بالفتح ذهاب النور، والمراد به الليل مجازاً من قبيل ذكر اللازم وإرادة الملزوم، وإيقاع «أحي» على «الظلام» مجاز كما كان الطرفان مجازين فمعنى أحيى الظلام ترك نيامه في الأوقات اللطيفة الشريفة المباركة التي يكون فيها خير الأنام مشتغلاً بالوحي والإلهام في الليالي المظلمة الخالية عن الأغيار والرقباء المانعة وقوله: «إلى أن اشتكت... إلى الانتهاء» متعلق بـ«أحيى»، و«أن» مصدرية، و«**اشتكت**» من الاشتكاء وهو إخبار المظلوم عن ظلم من لا يستطيع دفع ظلمه فاشتكت بمعنى أظهرت الشكوى، كما في قوله:

شَكَوْتُ وَمَا الشَّكْوَى لِمِثْلِي عَادَةً		وَلَكِن تَفِيضُ الْكَأْسُ عِندَ امْتِلائِهَا

وهاهنا ليس على معناه الأصلي بل هو الإظهار والدلالة على الوجع الناشي من العوارض البشرية والأمور الحسية أي: أظهرت ودلت قدماه أي: رجلاه المكرمتان المحترمتان اللتان تراب نعلهما كحل عين العالمين، و«**الضر**» بالفتح أو الضم شدة الحال وهو بالنصب مفعول «اشتكت». وقوله: «من ورم» حال من الضر أو بيان له، و«**الورم**» بفتحتين الانتفاخ يعني: أنّ النّبي صلى الله تعالى عليه وسلم لَمَّا نزل عليه الوحي اجتهد في العبادة، وكان يصلي الليل كله، ويقوم على إحدى رجليه تخفيفاً على الأخرى لطول القيام ويتعب نفسه كل الإتعاب حتى ورمت قدماء المحترمتان المكرمتان، وانتقلتا من الحالة الأولى إلى الحالة الأخرى فأنزل الله تعالى تسلية لنفسه الشريفة وتخفيفاً له عليه الصلاة والسلام ولأمّته الضعيفة: ﴿طه مَآ أَنزَلۡنَا عَلَيۡكَ ٱلۡقُرۡءَانَ لِتَشۡقَىٰٓ﴾ [طه: ١-٢] أي: ضع يا محمد قدميك على الأرض ولا تتعب نفسك فإن لها عليك حقاً لأنا ما أنزلنا عليك

القرآن العظيم لتتعب نفسك وتجعلها في حالة تقرب الهلاك، ثم كانت عادته عليه الصلاة والسلام بعد هذه الآية أنه يقوم بعد ثلثي الليل يتهجد، ثم اعلم! أن المفسرين قالوا: كانت صلاة التهجد فرضاً له عليه الصلاة والسلام لا لأمته بقوله تعالى: ﴿ فَتَهَجَّدْ بِهِۦ نَافِلَةً لَّكَ﴾الآية [الإسراء: ٧٩] فكان هذا من خصائصه صلى الله تعالى عليه وسلم، ثم إنّهم قالوا: إنّ التهجّد سنة لأمته عليه الصلاة والسلام كيف وقد قال عليه الصلاة والسلام: ((ركعتان يركعهما العبد في جوف الليل الأخير خير له من الدنيا وما فيها ولولا أن أشقّ على أمتي لفرضتهما))(٤١)، وفي حديث آخر: ((ما زال جبرائيل يوصيني بقيام الليل حتى ظننت أن خيار أمتي لا ينامون))(٤٢) ثم إنهم قالوا: إنّ التهجّد من أربعة إلى إثني عشر، وقال بعضهم من إثنين إلى إثني عشر ثمّ إنّهم اختلفوا في أنّ التهجّد هل يطلق على قيام الليل كله أو لا، والأصح عند الخادمي على ما ذكره في "شرح الطريقة" ما يكون بعد النوم، فإن قيل: لم قدم الناظم الفاهم هذا المدح من مدائحه عليه السلام على غيره؟ قلت: إشارة إلى أنّ هذه الخصلة الحميدة أشرف الخصال وأكرم الفعال مع ما في هذا المدح من التوبيخ لأمته من أنّه عليه الصلاة والسلام كان يعبد ربه غاية العبادة ويطيع له غاية الإطاعة مع رفعة جاهه وعلو منصبه حتى قيل له: حين ورمت قدماه المحترمتان أتتكلف وقد غفرلك ما تقدم من ذنبك وما تأخر، فقال: ((أفلا أكون عبداً شكوراً))(٤٣) أي: على ما أنعم ربي عليّ من المغفرة مع إيمائه عليه الصلاة والسلام في ذكر لفظ العبد إلى أنّه لا بدّ له من القيام بوظائف العبودية والمبالغة في أداء شكر حقوق الربوبية، وإنّكم أيها الأمّة مع كونكم مختلطين بالمعاصي والذنوب بل بترك أوامر علاّم الغيوب لا تعبدون الله وتنامون من المساء إلى الصباح كأنّكم مبشّرون بالجنة والكوثر والفلاح، فهيهات ما تظنون والله خلقكم للعبادة وإنّكم لا تعلمون، فإن قيل: لم قدم من بين عباداته عليه الصلاة والسلام إحياء الليالي؟ قلت: اقتداء بالنظم الكريم لأنه تعالى كُلّما ذكر في القرآن الصوم قدم عليه الصّلاة والسّلام لأنّ قيام الليالي أفضل العبادات لأنّ الليل

(٤١) "فردوس الأخبار" للديلمي، باب اللام، الحديث: ٥٤٤٤، ٢/٢٢٧.
(٤٢) "كنز العمال"، كتاب الصلاة، حرف الصاد، الحديث: ٢١٤٢١، ٧/٣٢٥.
(٤٣) "صحيح مسلم"، كتاب صفة القيامة، باب إكثار الأعمال، الحديث: ٢٨١٩، صـ ١٥١٤.

يكون فيه بين العابد والمعبود خلو من الأغيار وتكون فيه الدعوات أسرع إجابة إذ هو وقت الأخيار، ولذا قيل: إنّ العابد في الليالي يستحق أجرين أجراً لترك النوم وأجراً للعبادة مع أنّ ترك النوم في الليالي الكثيرة المتوالية وإحياء جميعها بالصّلاة لا يقدر عليه إلاّ رسول الله الوهاب، إلهي! لا تجعلنا ممّن ضلّ وغوى فأخذته بذنوبه فَتَوِيَ واحشرنا في زمرة من لا ينطق عن الهوى.

(٣٠) وَشَدَّ مِنْ سَغَبٍ أَحْشَآءَهُ وَطَوٰى ... تَحْتَ الْحِجَارَةِ كَشْحاً مُتْرَفَ الْأَدَمِ

لَمَّا بين عبادته صلى الله تعالى عليه وسلم التي هي الوسيلة إلى الدرجات العليا في العقبى شرع في بيان مقام زهده في الدنيا واختياره الرياضة في مرضاة المولى فقال: «وشد من سغب... آه» الواو عاطفة فجملة «شد» معطوفة على «أحي»، ومعنى «شد» عقد وكلمة «من» سببية أي: بسبب سغب، و«السغب» بفتحتين الجوع مطلقاً، وقيل: السغب الجوع المقارن بمشقة وتعب والمعنى هنا عقد من إظهار سغب ليستن به غيره من الصحابة الكرام عليهم رضوان الله الملك العلام، وإلاّ فهو صلى الله تعالى عليه وسلم لا يجوع أصلاً لأنّ قلبه مملوء بنور مولاه لا يحتاج إلى الأكل وشرب المياه مع أنه يطعمه ربه ويسقيه كما ورد في حديثه عليه الصلاة والسلام: ((أنا أبيت عند ربي يطعمني ويسقيني))(٤٤)، و«أحشاء» بالنصب مفعول «شدّ»، وضميره راجع إلى الموصول، و«الأحشاء» جمع حشي بمعنى القلب وإنّما جمع مع أنه ماجعل الله لرجل من قلبين في جوفه للتعظيم والتفخيم كما في قوله تعالى: ﴿فَنِعْمَ الْمَاهِدُونَ﴾ [الذاريات:٤٨] فيكون مجازاً واستعارة بأن شبه قلبه عليه الصلاة والسلام بالقلوب الكثيرة في العظم والخطر ثم استعير القلوب لقلبه عليه الصلاة والسلام، وذكر القلوب، وأريد منها قلبه عليه الصلاة والسلام وقوله: «وطوى» عطف على «شد» عطف تفسير فحرف العطف بمعنى حرف التفسير أو من قبيل عطف العلة على المعلول فحرف العطف بمعنى «إذ» ومعنى «طوى» لف، وقال الشهاب في "شرح الشفاء" في معنى الحديث: أنه قال ابن عباس: كان رسول الله صلى

(٤٤) "المسند" للإمام أحمد بن حنبل، الحديث: ٧٤٣٧، ١٢/٤٠٨.

الله تعالى عليه وسلم يبيت هو وأهله في الليالي المتتابعة طاوياً لا يجدون عشاء الطي بمعنى الجوع لكن الأنسب لهذا المقام كونه بمعنى اللف كما لايخفى وإذا كان بمعنى اللف يكون المراد هاهنا تداخل الجسد بعضه في بعض لانتهاء الجوع إلى حد الكمال، وقوله: «**تحت الحجار**» ظرف لـ«طوى» بتضمين معنى الوضع، و«كشحا» بالنصب مفعول طوى، و«**الكشح**» بالفتح والسكون ما بين الخاصرة والضلع و«**مترف**» بالنصب حال من الكشح وهو اسم مفعول من الإتراف بمعنى النعومة، فالمراد من المترف المفرط في النعومة واللطافة و«**الأدم**» بفتحتين جمع أديم، وهو بمعنى الجلد، وإضافة المترف إليه من إضافة الصفة إلى موصوفها أي: الجلد الناعم اللين.

وحاصل المعنى: أني سهرت وتركت سنة الذات الفخيم والنبي الحليم المخلص الصفي الذي عقد بطنه الشريف اللطيف لإظهار جوعه إلى الأصحاب ليستنوا به ووضع خاصرته اللطيفة الناعمة الجلد تحت الحجارة المقبولة المباركة لتدفع برودة الحجر عنه عليه الصلاة والسلام حرارة الجوع.

وحاصل معنى البيت: إما كناية عن مبالغة رياضته عليه السلام لأنّه عليه الصلاة والسلام كان في أكثر أوقاته دائم الجوع حتى قالت عائشة رضي الله تعالى عنها: ((بكيت لما رأيت به من الجوع وشدة السغب، فقال: يا عائشة! والذي نفسي بيده لو سئلت ربي أن يجري معي جبال تهامة ذهبا لأجراها حيث شئت من الأرض ولكن اخترت الجوع في الدنيا على شبعها وفقر الدنيا على غنائها وحزن الدنيا على فرحها يا عائشة! إنّ الدنيا لا تنبغي لمحمد ولا لآل محمد))(٤٥) الحديث، وفي حديث آخر قالت عائشة: قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم: ((عرض عليّ أن يجعل "بطحاء مكة" ذهبا فقلت: لا يارب أجوع يوما وأشبع يوما فأما اليوم الذي أجوع فأتضرع إليك وأدعوك وأما اليوم الذي أشبع فأحمدك وأثني عليك))(٤٦)، وفي "الرسالة القشيرية" «أن فاطمة رضي الله عنها جاءت بكسرة خبز لرسول الله عليه السلام فقال: ما هذه الكسرة يا فاطمة؟ قالت: قرص خبزة ولم تطب نفسي حتى أتيتك بهذه الكسرة فقال: أما إنّه أول

(٤٥) "فيض القدير"، حرف الدال، الحديث: ٤٢٨٤، ٣/٧٣٦.
(٤٦) "سنن الترمذي"، كتاب الزهد عن رسول الله، باب ما جاء في الكفاف والصبر عليه، الحديث: ٢٣٥٤، ٤/١٥٥.

طعام دخل فم أبيك منذ ثلاثة أيام»(٤٧) وأما إشارة إلى ما وقع في غزوة الخندق، وبيانه أنه عليه السلام لما أخرج بني النضير من اليهود من أطراف المدينة ذهب أبو عمرو الراهب منهم إلى مكة لتحريك المشركين للمحاربة مع النبي فجاء إلى بيت أبي سفيان حين جهالته، فأخبره بالحال فأكرمه أبو سفيان وشرع في جمع عسكر فجمع مقدار عشرة آلاف من الأحزاب وخرجوا إلى جانب المدينة فوصل هذا الخبر إلى سمعه عليه السلام، فاستشار مع الأصحاب فقال سلمان الفارسي: يارسول الله! إنّ في بلاد العجم إذا هجم العدو في بلدة ولم يقدر أهل البلدة على محاربتهم يحفرون أطراف تلك البلدة ويجعلونها خندقاً، ويحفظونها فاستصوب رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم هذا الرأي فشرعوا في حفر الخندق خمسين يوماً ثمّ جاء العدو فحاصروا المدينة تسعة وعشرين يوما فوصل للمسلمين فيه مشقة كثيرة واستولى عليهم خمسة أنواع من المشقة الأول: القحط، والثاني: كثرة الأعداء، والثالث: خوف القتل، والرابع: الجوع، والخامس: شدة البرد حتى رحم النبي عليه السلام حال الصحابة ونادى من يأتيني بإخبار العدو فهو رفيقي في الجنة ولم يجيبوا له عليه السلام لشدة جوعهم وعدم طاقتهم على الذهاب ثمّ صرح بأسماء أربعة من الصحابة فقالوا: يارسول الله لا يحركنا من موضعنا ما معنا من الجوع والبرد ثمّ دعا حذيفة بن اليمان وأرسله للاستخبار فذهب فجاء بخبر فرارهم وهلاكهم من شدة البرد، وروي أنه عليه الصلاة والسلام ربط على بطنه الشريف حجراً دفعاً لثقل الجوع وتعليماً للأصحاب ولذا كان سنة لمن كان جائعاً ولم يجد خبزاً أن يعقد حجراً على بطنه لأنّه يسكن ألم الجوع، وهذا من هدايا النبي عليه السلام، أللهم لا تَبْلُنا في الدنيا بالكرب، واجعل رتبتنا في الدارين أرفع الرتب بحرمة النبي ذي المجد والحسب.

(٣١) وَرَاوَدَتْهُ الْجِبَالُ الشُّمُّ مِنْ ذَهَبٍ ... عَنْ نَفْسِهِ فَأَرَاهَا أَيَّمَا شَمَمِ

فلمّا توهم العوام من عقده عليه السلام على بطنه الشريف اللطيف المملوء بالحكم الإلهية الحجارة لأجل السغب الظاهري أنّ رياضته عليه السلام وشدة الحجر لضرورته واحتياجه دفع الناظم الفاهم ذلك المقال فقال: «وراودته الجبال... إلخ» الواو عاطفة،

(٤٧) "الرسالة القشيرية"، باب الجوع، صـ ١٧٧.

والجملة معطوفة على القريب أو البعيد، و«**المراودة**» المطالبة بالجد والاشتهاء وصيغة المفاعلة إذا لم تكن للمغالبة فهي للمبالغة، وضمير المفعول راجع إليه صلى الله تعالى عليه وسلم أو «المراودة» بمعنى المجيئة و«**الجبال**» بالرفع فاعل «راودت» وهي جمع جبل، و«**الشم**» بضم الشين جمع أشم بمعنى الرفيع غاية الرفعة وهي صفة الجبال أي جاءت الجبال الرفعية أو طلبت الجبال الرفيعة، و«**من ذهب**» صفة الجبال أو حال منها والألف واللام في الجبال للعهد؛ إذ الجبال التي راودت الرسول عليه السلام خمسة جبال في حوالي "مكة المكرمة" أعني: "جبل أبي قبيس" و"جبل حرا" و"جبل ثور" و"جبل بطحاء" و"جبل عرفات"، و«عن نفسه» متعلق بـ«راودته» بتضمين معنى الميل يعني: أن الجبال الرفيعة المنقلبة إلى الذهب طلبت النبي عليه الصلاة والسلام مائلة لنفسه عليه الصلاة والسلام، والفاء للتعقيب بلا تراخ، و«**أرى**» ماض من الإراءة فاعله راجع الى النبي عليه السلام وضمير المفعول راجع إلى الجبال، ومفعوله الثاني محذوف أي: أرى رسول الله عليه السلام الجبال حين عرضت نفسها عليه شمماً واستغناء، «أيّما شمم» و«**ما**» زائدة وقيل: صلة للتأكيد، و«**أيّ**» صفة موصوف محذوف هو مفعول ثان لـ«أرى»، و«أيّ» يفيد في هذا المقام معنى الكمال لأنهم قالوا: إن «أي» كان مضافا إلى ما هو من جنس الموصوف فهو يفيد الكمالية، كما تقول: «رأيت رجلاً أيَّ رجلٍ» أي: كامل في الرجولية، والمعنى شمماً واستغناء في غاية الاستغناء وكمال الارتفاع.

و**حاصل المعنى**: أن رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم أعرض عن الدنيا وأقبل على المولى وآثر متاعب الفقر الظاهري على مناصب الغنى حتى أن الجبال الشامخة عرضت نفسها عليه ومالت غاية الميل إليه رجاء أن يوقع النظر عليها فترفع عن الالتفات إليها. وفي هذا البيت إشارة إلى ما روي أن جبرائيل عليه السلام نزل عليه فقال: إن الله يقرؤك السلام ويقول لك: أتحب أن أجعل هذه الجبال ذهباً وتكون معك أينما كنتَ؟ فتوقف ساعةً فقال: يا جبرائيل! إن الدنيا دار من لا دار له ومال من لا مال له قد يجمعها من لا عقل له فقال له جبرائيل عليه السلام: ثبتك الله يا محمد بالقول الثابت، وفي هذا الحديث برهان شاف وبيان كاف على فضل الفقير الصابر على الغني الشاكر كما اجتمعت عليه السادة السنية والطائفة الصوفية، وإلى هذا المقام أشار من قال من أرباب

الكمال «همة الرجال تهدم الجبال»، وفي هذا البيت تلميح إلى قوله تعالى: ﴿وَرَٰوَدَتۡهُ ٱلَّتِي هُوَ فِي بَيۡتِهَا عَن نَّفۡسِهِۦ﴾ [يوسف: ٢٣]، وإيماء مليح إلى مزية فضيلة نبينا صلى الله تعالى عليه وسلم على يوسف عليه السلام من وجوه لأنّ المراودة ليوسف عليه السلام كانت لحسنه الغير الاختياري ولأنّها كانت هناك على ما حرم الله تعالى ولأنّها كانت هناك من ذي عقل تتصور المراودة منه ولأنّ يوسف عليه السلام اختار في الدنيا ما يزيد في اللذة، وأما المراودة لنبينا صلى الله تعالى عليه وسلم فوقعت لخلقه الاختياري وعلى ما أباحه الله تعالى ومن جماد لا تتصور الراودة منه، وأنه عليه السلام ما اختار لذة الدنيا مع أنه تعالى قال له عليه السلام: ((لا حسابَ لِما أخذتُه من الدنيا))، فعلى هذا يكون في هذا البيت استعارة تمثيلية بأن تشبه الهيئة المنتزعة من الجبال ومراودتها عن نفسه عليه السلام وعدم ميله عليه السلام إليها بالهيئة المنتزعة من زليخا ومراودتها عن نفس يوسف عليه السلام وعدم ميله إليها في الطلب المطلق، فاستعير الهيئة المنتزعة من المشبه به للهيئة المنتزعة من المشبه، فذكر المراودة الدالة على مراودة زليخا وأريد مراودة الجبال، وقال الشارح الشبراخيتي: إن الأشم من الشمم وهوالأنف ومعناه طلبت الجبال التي هي أولو أنف ميل نفسه عليه السلام إليها يعني: أن الجبال انحنت وأطالت أنفها أي: طرفها الذي كالأنف في الإنسان إلى النبي عليه السلام فما مال إليه أصلا بل أظهر الترفع والاستغناء.

(٣٢) وَأَكَّدَتْ زُهْدَهُ فِيْهَا ضَرُوْرَتُهُ ... إِنَّ الضَّرُوْرَةَ لَا تَعْدُوْ عَلَى الْعِصَمِ

لمّا توهّم المتوهّم أن ضرورته واحتياجه يكون مانعا لعبادته وزهادته دفعه فقال: «وأكدت زهده... إلخ»، الواو عاطفة أو ابتدائية، و«**أكدت**» من التأكيد، والتأكيد هو التقرير والتثبيت، و«**الزهد**» قلة الرغبة في الشيء، وفي الاصطلاح: الإعراض عن الدنيا وترك راحته، روي أن رسول الله عليه السلام كان مضطجعاً على سرير مفروش بشيء خفيف رطب أخضر وتحت رأسه وسادة من أديم مملوءة بليف، فدخل عليه عمر رضي الله تعالى عنه مع جماعة من الصحابة فانحرف النبي عليه السلام فرأى عمر أثر الفراش في جنبه عليه السلام فبكى فقال عليه السلام: ما يبكيك يا عمر؟ فقال: فكيف لا أبكي آن كسرى و قيصر يتنعمان فيما يتنعمان فيه من الدنيا وأنت على هذه

الحالة، فقال عليه السلام: يا عمر! أما ترضى أن يكون لهم في الدنيا ولنا في الآخرة، قال: بلى فنزل جبرائيل، وقال سنة الله قد جرت على أن لذة الآخرة تنقص على كل أحد بحسب ازدياد لذة الدنيا فكلما كانت لذة الدنيا أكثر كانت لذة الآخرة أقل كما في قوله تعالى: ﴿أَذْهَبْتُمْ طَيِّبَٰتِكُمْ فِي حَيَاتِكُمُ الدُّنْيَا﴾ [الأحقاف: ٢٠] لكن الله يقول: قل لمحمد: خذ من عظائم الدنيا ما تريد واطلب ما تشاء فإنك مجاب لا تنقص من لذاتك في الآخرة بسبب لذاتك في الدنيا فقال عليه السلام: والله خير وأبقى ثمّ إن «زهده» بالنصب على أنّه مفعول «أكدت» والضمير راجع إليه عليه الصلاة والسلام. و«فيها» متعلق بـ«أكدت» أيضا وضميره راجع إلى الدنيا المذكورة ضمناً والأولى أن يكون راجعاً إلى الجبال، و«ضرورته» بالرفع فاعل «أكدت» و«الضرورة» شدة الاحتياج ومنها الاضطرار ضد الاختيار والاحتياج وإن لم يكن في نبينا عليه الصلاة والسلام حقيقة لكن يكون المراد منه الضرورة الظاهرية والاحتياج الحسي وقوله: «إن الضرورة... إلخ» استيناف كأنّه قيل: كيف تؤكد الضرورة الزهد فيها مع أنّ الضرورة توقع الإنسان في المهالك وقد أشار عليه السلام إلى مشقة الضرورة وعدم تحملها كل أحد في قوله: ((كاد الفقر أن يكون كفراً))(٤٨) فقال: «مجيباً إن الضرورة لا تعدو على العصم» ويمكن أن يرتب فيه قياس تقريره هكذا، إنّ الضرورة لا تعدوا على النبي لأنّ الضرورة لا تعدوا على العصم، والنبي معصوم، ينتج من غير متعارف، الشكل الثاني الضرورة لا تعدو على النبي فإن قيل: لم أظهر في مقام الإضمار لأن المناسب أن يقول إنها؟ قلت: لضرورة الشعر، ولئلا يختل مرجع الضمير لأنه لو قال: لأنها لتوهم أنّ ضميره راجع إلى مرجع ضمير فيها كما لايخفى. و«تعدو» من عدا عليه إذا غلبه واستولى عليه فمعنى «لا تعدو» لا تغلب ولا تستولى، و«العصم» جمع عصمة وهي قوة زاجرة أودعها الله تعالى في خواص عباده وأكابر عباده تمنعهم عن التعرض لمنهياته مع بقاء اختيارهم وقدرتهم، و«العصمة» مصدر هنا بمعنى المفعول أي: المعصوم.

وحاصل المعنى: قد أكد فقره الظاهري واحتياجه الحسي زهده وإعراضه عن الدنيا وعدم إقباله على الجبال العُليا مع كونها ذهبا فتعب نفسه تعبا فكيف تكون

(٤٨) "مشكاة المصابيح" كتاب الآداب، باب ما ينهى عنه من التهاجر...إلخ، الحديث: ٥٠٥٠، ٨٣/٣

ضرورته غالبة عليه مع أن ضرورته تابعة لعصمته الكبرى وتأبيداته الكبرى ومغلوبة له والمغلوب لا يستولي على الغالب بخلاف ضرورة سائر الناس فإنّها غير تابعة لهم فجاز أن تغلب عليهم وتجذب همتهم إلى زخارف الدنيا وزهرتها حفظنا الله تعالى منها.

(٣٣) وَكَيْفَ تَدْعُوْ إِلَى الدُّنْيَا ضَرُوْرَةُ مَنْ ... لَوْلَاهُ لَمْ تَخْرُجِ الدُّنْيَا مِنَ الْعَدَمِ

لمّا بين رياضته الشديدة ومجاهدته السديدة أراد أن يشرع في بيان أفضليته وعيان أشرفيته لكن مع ربط أنيق وترتيب رشيق حيث كان هذا البيت تأكيداً لما قبله فقال: «وكيف تدعوا... إلخ»، «الواو» عاطفة على مقدر أي: أنه عليه الصلاة والسلام مائل إلى الله تعالى فقط، وكيف تدعوه الدنيا ونعيمها والجنة ونعيمها، وفيه إشارة إلى حديث قدسي ((الدنيا حرام على أهل الآخرة والآخره حرام على أهل الدنيا وكلاهما حرامان على أهل الله تعالى))(٤٩) وإلى أن الدنيا والآخرة لا تجتمعان على وجه الكمال، ولذا قيل: إنهما ضرّتان أو مثل كفتي الميزان، وقال صلى الله تعالى عليه وسلم: ((من أحب دنياه أضر بآخرته ومن أحب آخرته أضر بدنياه فآثروا ما يبقى على ما يفنى))(٥٠)، و«كيف» استفهام إنكاري، و«تدعوا» من الدعوة، وفاعله «ضرورة» ومفعوله محذوف أي: تدعوه صلى الله تعالى عليه وسلم ضرورته، و«الدنيا» نقيض الآخرة، وهي إما ما على الأرض من الهواء والجو وإما كل المخلوقات من الجواهر والأعراض قبل الآخرة، والأصل في «الدنيا» دُنْوَي بدلالة قولهم: دَنَوْتُ إلى الشيء دُنُوًّا فقلبت الواو ياء ولم تقلب مثل ذلك في القصوى؛ لأنّه ذهب بالدنيا مذهب الاسم في قولهم: الدنيا والآخرة وإن كان أصلها صفة فخففت لأنّ الاسم أحق بالتخفيف، ثمّ إنّ المسموع من العرب في النسبة إلى الدنيا دُنْيِيٌّ ودُنْيَوِيٌّ، ومنهم من شبه ألفها بألف بيضاء في كونهما علامتي التانيث فقال: فيها دنياوي، وأما إلحاق الهمزة بها فلا وجه له لأنّه اسم مقصور غير مصروف، والهمزة إنّما تلحق الممدود المنصرف، ثمّ إنّ الدنيا نصبها بالتنوين غلط لأنّ دنيا وما هو على وزنها لا ينون، فإن قيل: لم سميت الدنيا؟ قلت: إما لدنوها أي: لقربها إلى الآخرة أو لقرب

(٤٩) "كنز العمال"، كتاب الأخلاق، الحديث: ٦٠٦٨، ٧٦/٣.
(٥٠) "مشكاة المصابيح"، كتاب الرقاق، الفصل الأول، الحديث: ٥١٧٩، ١٠٩/٣.

مشتهياتها إلى القلب أو لدناءتها وخساستها، ولذا من اتبع الدنيا يكون خسيساً، فإن قلت: لو قبل النبي عليه الصلاة والسلام أموال الدنيا وأنفقها إلى الفقراء هلا يكون حسناً من الفقر؟ قلنا: لا يكون حسنا لأنه لو قبل المال وصرفه إلى الفقراء يكون براً، ولو لم يقبل لكان أبرّ والأبرّ يكون أبر من البرّ، والضمير في «**لولاه**» مرفوع على أنّه اسم «لولا»، خبره محذوف وجوباً أي: لولاه موجود وقوله: «**لم تخرج**» جواب «لولا»، و«**تخرج**» إما على المبني للفاعل من الخروج أو على المبني للمفعول من الإخراج وعلى كل تقدير لا يخلو من الإشارة إلى أنّه عليه السلام قد بلغ في السببية إلى مرتبة كأنّه عليه الصلاة والسلام أخرجها من العدم ولذا آثر الناظم الفاهم قوله: «تخرج» على قوله: «لم تخلق» فتأمل، وفي هذا البيت تلميح إلى ما نقل في الحديث القدسي ((لولاك لما خلقت الأفلاك))(٥١)، والمراد من الأفلاك جميع المكونات إطلاقاً لاسم الجزء على الكل وإشارة إلى ما وقع له عليه السلام في ليلة الإسراء فإنّه عليه الصلاة والسلام لما سجد لله تعالى في سدرة المنتهى قال الله تعالى له عليه السلام: ((أنا وأنت وما سوى ذلك خلقته لأجلك، فقال عليه السلام: أنا وأنت وما سوى ذلك تركته لأجلك))(٥٢)، وإشارة أيضاً إلى أنّ الدنيا تابعة له عليه السلام ولا خلقت إلا له ولأصحابه، فكيف يكونون تابعين لها أو مغلوبين لِهَوَاهَا.

وحاصل معنى البيت: أن الدنيا محتاجة إلى رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم، ولو كان الرسول محتاجاً إليها لَدَارَ أوتَسَلْسَلَ وكل منهما باطل كما لايخفى على أولى الألباب وذوى الآداب الحمد لله ملهم الصواب وإليه المرجع والمآب.

(٣٤) مُحَمَّدٌ سَيِّدُ الْكَوْنَيْنِ وَالثَّقَلَيْنِ ... وَالْفَرِيْقَيْنِ مِنْ عُرْبٍ وَّمِنْ عَجَمِ

لمّا ذكر الرسول الأكرم والنبي المحترم صلى الله تعالى عليه وسلم وأبهم اسمه الشريف تفخيماً له أراد أن يتبرك بذكر اسمه في قصيدته مع أن الإبهام أوّلا والتفصيل ثانياً أوقع في النفوس فقال: «محمد... إلخ» بالرفع على أنه خبر مبتدأ محذوف أي: هو أو بالجر على

(٥١) "كشف الخفاء"، حرف اللام، الحديث: ٢١٢١، ٢/١٤٨.

(٥٢) "روح البيان"، الجزء السابع والعشرون، سورة النجم، الآية: ١٢، صـ ٢٢١.

أنه بدل من «**من**»، والأظهر أنه مبتدأ و«**سيد**» خبره وهو على صيغة اسم المفعول مبالغة من كثرة الحمد، ثم نقل من الوصفية إلى الاسمية فسمّي به النبي عليه السلام لأنّه محمّد وموصوف في خَلقه وخُلقه قال القاضي عياض في "الشفاء": حمي اسم محمد ولم يسمّ به أحد من العرب ولا غيرهم إلى أن شاع قبل وجوده وميلاده عليه السلام أن نبياً يبعث اسمه محمّد فسمّى قوم أبناءهم بذلك رجاءً أن يكون أحدهم هو، والله تعالى يعلم حيث يجعل رسالته(٥٣)، فإن قيل: لم اختار هذا الاسم من بين أسمائه عليه السلام لأنّه ذكر البخاري في "شرح الإرشاد" أن للنبي عليه السلام ألف اسم، وقيل: ثلاث مئة وقيل: تسعة وتسعون؟ قلنا: لأنّ هذا الاسم أشهرها وأفضلها لأنّه يفيد المبالغة في المحمودية وهي تسلتزم المبالغة في الحامدية فيكون هو أفضل منها هذا، و«**سيد**» على وزن «جيد» أصله سيود، وهو بصيغة اسم الفاعل من السيادة بمعنى: العلو والرفعة، قيل في تعريفه: هو الذي يلجأ إليه الناس في حوائجهم، والمراد من «**الكونين**» الدنيا والآخرة أو عالم الشهادة وعالم الغيب، وتفصيل بيان سيادته في الدارين وإن ذكر في الكتب المفصّلة لكن علينا أن نذكره هاهنا أيضاً إجمالاً فنقول: أمّا سيادته في الدنيا فلأنه عليه الصلاة والسلام كان خاتم جميع الأنبياء والمرسلين، وكان المعراج مخصوصاً به دون سائر الأنبياء، ولأنه عليه الصلاة والسلام أرسل إلى كافّة الثقلين دون سائر الأنبياء، وأرسل إلى الجن والملك وبعث رحمةً للعالمين حتى الكفار بتأخير العذاب، وبلده أفضل البلاد ومسجده أفضل المساجد والبقعة التي دفن فيها أفضل من الكعبة كما سيأتي تفصيله، وكذا سيادته عليه الصلاة والسلام بحسب نوره الروحي مفضل على الجميع ثابت بالآثار وتكاثر الأخبار بل نوره اللطيف أصل أنوار جميع الأنبياء قال في "المواهب" قوله تعالى: ﴿وَإِذْ أَخَذَ اللّٰهُ مِيثَاقَ النَّبِيّٖنَ لَمَآ اٰتَيْتُكُمْ مِّنْ كِتٰبٍ وَّحِكْمَةٍ ثُمَّ جَآءَكُمْ رَسُوْلٌ مُّصَدِّقٌ لِّمَا مَعَكُمْ لَتُؤْمِنُنَّ بِهٖ وَلَتَنْصُرُنَّهٗ قَالَ ءَاَقْرَرْتُمْ وَاَخَذْتُمْ عَلٰى ذٰلِكُمْ اِصْرِيْ قَالُوْٓا اَقْرَرْنَا﴾ الآية، [آل عمران: ٨١] عن علي وابن عباس رضي الله تعالى عنهما ما بعث الله تعالى نبياً من الأنبياء إلا أخذ عليه الميثاق لئن بعث محمد عليه الصلاة والسلام وهو حي ليؤمنن به ولينصرنه(٥٤)، وفي "المواهب" أيضاً عن عبد

(٥٣) "الشفا بتعريف حقوق المصطفى" فصل في أسمائه، ١/٢٣٠.

(٥٤) "روح المعاني" سورة آل عمران، تحت آيت: ٨١، ٣/٢٧٥.

الرزاق عن جابر ما إجماله اعلم أن الله تعالى خلق نور نبينا عليه السلام قبل كل شيء فخلق منه القلم واللوح والعرش وحَمَلَتَه والكرسي وسائر الملائكة والسموات والأرض والجنة والنار وأيضاً نور أبصار المؤمنين ونور قلوبهم ونور أنفسهم(٥٥) وأمّا سيادته في الآخرة فلِمَا ذكره القرطبي: أن الزَّبَانِيَةَ يأتون بجهنم يوم القيامة وهي تمشي على أربع قوائم وتقاد بسبعين ألف زمام في كل زمام سبعون ألف حلقة على كل حلقة سبعون ألف ملك، فإذا انفلتت من أيديهم لم يقدروا على إمساكهم لعظم شانهم فيبحثوا كل من في الموقف على الركب حتى المرسلين ويتعلق إبراهيم وموسى وعيسى عليهم السلام بقوائم العرش، وهذا قد نسي الذبيح، وهذا قد نسي هارون، وهذا قد نسي مريم عليهم الصلاة والسلام قائلين: نفسي نفسي لا أسئلك اليوم غيرها، ومحمد عليه السلام يقول: أمتي أمتي سَلِّمْهَا ونَجِّهَا يارب! فيقوم عليه الصلاة والسلام ويأخذ بحطامها ويقول: ارجعي مدحورة إلى خلفك، فتقول: خل سبيلي فإنّك يا محمد حرام عليَّ، فينادى من سرادقات العرش اسمعي وأطيعي له ثمّ تجذب وتجعل شمال العرش، فيخف وجل أهل الموقف(٥٦). وقوله: «**والثقلين**» عطف على «الكونين» من قبيل عطف الخاص على العام، ونكتته دفع قول من قال: إنّه عليه السلام رسول إلى الإنس لا إلى الجن، فالمراد من «الثقلين» الإنس والجن؛ لكونهما ثقيلين على الأرض، فإن قيل: إنّ الجنّ ليس له ثقل فكيف يطلق عليه الثقل؟ قلت: إطلاق الثقل عليه تغليب من تغليب الثقيل على الخفيف، ثم إنّ عطف قوله «والفريقين» مع دخوله فيما سبق مرّتين لنكتة الرد على من خص رسالته عليه السلام بالعرب دون العجم، وإنما بَيَّنَ الفريقين بقوله: «من عرب ومن عجم». دون الكونين والثقلين لأنّ الكونين والثقلين معلوم في عرفنا فلا يحتاج إلى البيان بخلاف الفريقين، و«**عرب**» كقفل بمعنى: العرب وهو خلاف العجم، والعرب مؤنث بتأويل الطائفة يقال: الْعَرَبُ الْعَارِبَة والْعَرَبُ الْعَرْبَاءُ، وبعضهم خصّص العرب بمن سَكَنَ في بلادهم، وبعضهم جَعَلَه شاملاً للبَلَدِيّ والبَدَوِيّ وهو المراد هنا قال في "البصائر": إنّ الأعراب ليس جمع عرب كما توهم لأنّه لم يكن لها مفرد لكن قال الراغب في مفرداته:

(٥٥) "المواهب اللدنية" المقصد الأول، ١/٣٦.

(٥٦) لم نعثر عليه. [علمية]

إنّه جمع عرب، وفي "مصباح اللغة" أنّ عرب يجمع على أعرب كزمن وأزمن وعلى عرب كأسد وأسد انتهى، والمراد من «**العجم**» ما سوى العرب فيشتمل "الترك" و"الكرد" و"الفرس" و"الروم" و"الهند" وغير ذلك، وإعادة حرف الجرّ لضرورة الوزن.

(٣٥) نَبِيُّنَا الآمِرُ النَّاهِيْ فَلاَ أَحَدٌ ... أَبَرَّ فِيْ قَوْلِ لاَ مِنْهُ وَلاَ نَعَمِ

لما كان معنى «السيد» مشتبهاً أراد أن يبيّنه فقال: «نبينا الآمر الناهي... إلخ» لأنّ المراد من «**السيد**» المولى الكريم الرفيع ومثل هذا يأمر وينهى لأنّه لازمه، و«**النبي**» من النبأ بمعنى: المخبر إن كان مهموزاً أو بمعنى: الارتفاع إن لم يكن مهموزا، وفي الاصطلاح: إنسان بعثه الله تعالى إلى الخلق لتبليغ ما أوحي إليه، والنبي مرادف للرسول على ما حكى ابن الهمام عن المحققين، وقيل: الرسول هو المامور بتبليغ أمر لم يكن قبله سواء كان له كتاب أم لا، والنبي أعم من ذلك، وتفصيل الكلام في كتب الكلام، فإن قلت: لم آثر النبي على الرسول مع عدم الضرورة لوزن النظم فيه أيضا وإن منصب الرسالة أفضل من النبوة؟ قلت: إما لأنّ عند الناظم الفاهم الرسول والنبيّ مترادفان فلا أفضلية لأحدهما على الآخر، وإمّا لإيهام أنّه لو لا جهة الرسالة فيه عليه السلام لكفت جهة النبوة في الأفضلية وإمّا لأنّ في معنى النبي الارتفاع دون الرسول، فالنبي أولى للمقام لأنّ المقام تفسير السيد وهو بمعنى المرتفع كما سبق، فالمناسب تعريفه بما في معناه الارتفاع هذا، و«**الآمر**» من يخاطب إلى من دونه بمآل صيغة «افعل» و«**الناهي**» من يخاطب بصيغة «لا تفعل»، وإطلاق الآمر والناهي على الرسول عليه الصلاة والسلام إما حقيقة كما دل عليه آيات كثيرة كقوله تعالى: ﴿وَأْمُرْ بِالْمَعْرُوفِ وَانْهَ عَنِ الْمُنكَرِ﴾ [لقمان: ١٧]، وغير ذلك وهو الأصوب، وإمّا مجاز في الإسناد أي: في إسناد الآمر والناهي إلى الرسول عليه الصلاة والسلام لأنّ الآمر والناهي في الحقيقة هو الله تعالى والرسول مُبلِّغ، وما قال الرسول من عنده فهو أيضاً من عند الله تعالى لأنّه عليه الصلاة والسلام ما ينطق عن الهوى إن هو إلا وحي يوحى، وحذف مفعول «آمر» و«ناه» للتعميم أي: كل معروف في الأول وكل منكر في الثاني، ومن قال إن حذف مفعوله للتعميم باطل لإفادته أنّه آمر بكل شيء فهو يشمل النواهي، وناه عن كل شيء فهو يشمل الأوامر فهو غافل عن مادة الأمر ومادة

النهي؛ لأنّ الأمر يقتضي أن يكون مفعوله كل معروف لا كل شيء لأنّ الأمر بجملته لا يتعلق بالنهي وكذا مادة النهي تقتضي أن يكون مفعوله كل منكر لأنّ النهي لا يتعلق بالأمر كما لايخفى. و«**الفاء**» في قوله: «**فلا أحد**» للجزاء أي: إذا كان محمد سيد الكونين ونبينا الآمر الناهي فلا أحد، و«**الأحد**» اتفق النحاة وأهل اللغة على أنه مشترك بين معنيين أحدهما: بمعنى الواحد نصف الإثنين، والثاني: جنس العقلاء من الأقل إلى غير النهاية، والأول: فاءه همزة مبدلة من واو، والثاني: همزته أصلية غير مبدلة منها وهذا ممّا شاع وذاع إلا أنه أشكل عليهم بأن اللفظين صورتهما ومادتهما واحدة، ولفظ الوحدة يتناولها والواو فيهما أصلية فيلزم قطعاً انقلاب الألف عنها وأن يكونا مشتقين من الوحدة، أما جعل أحدهما مشتقا منها دون الآخر فترجيح من غير مرجح، وأجيب: بأن الفرق المذكور أشار إليه سيبويه في الكتاب وغيره، وأما قولكم لفظهما واحد مادة وصورة فمسلم ولكن لا نسلم أن اتحاد لفظيهما يدل على اتحاد معنييهما لم لايجوز أن يكون معناهما متغايرين، وله نظائر كثيرة كقَلَى فهو قال بمعنى أبغض، وقَلاَ فهو قال بمعنى شوى ونضج، وأيضاً أن الذي بمعنى الواحد ليس بعام ويكون في النفي والإثبات ويطلق على العقلاء وغيرهم، ولا يكون بمعنى الجماعة، والثاني يختص بالنفي خلافاً للمبرد، ويختص بالعقلاء ويجيء بمعنى الجماعة ويعم والأول لا يعم، والتفصيل في رسالة مستقلة للشهاب في حق كلمة «أحد» فإن أردت فارجع إليها، قوله: «**أبر**» اسم تفضيل من البر بمعنى: الصدق في الكلام كما يفيد هذا المعنى سياقه، وفي قوله: «في قول لا» متعلق بـ«أبر» أي: في قوله: «لا»، و«**لا**» كناية عن النفي، وقوله: «ولا نعم» عطف على «لا أبر» أي: أصدق منه أيضا في قوله: «نعم» وهو كناية عن الإثبات، ولم يكن «لا» و«نعم» كناية عن عدم إعطائه عليه السلام وإعطائه، لأنه عليه الصلاة والسلام ما سئل عن شيء قط إلا قال: «نعم» كما قال بعض أهل الكمال(٥٧) في شانه عليه الصلاة والسلام:

ما قال "لا" قط إلا في تشهده		ولا "نعم" قط إلا جاءت النِّعَم

(٥٧) وقال الإمام أحمد رضا خان عليه رحمة الرحمن في مدحه عليه السلام
مانگیں گے مانگے جائیں گے منہ مانگی پائیں گے ... سرکار میں نہ لا ہے نہ حاجت اگر کی ہے (حدائق بخشش)

و**حاصل معنى البيت**: سيدنا ونبينا محمد عليه السلام هو الآمر بما هو مأمور من عند الله من العقائد الرضية والأعمال السنية، والناهي عن الأمور الدنية والأفعال الردية، وهو في كل أخباره صادق، وفي تكميل الناقصين حاذق فلا أحد أصدق منه في النفي والإثبات، ولا أحق منه في الوعد والوعيد وسائر الحالات لأنّه ما ينطق عن الهوى إن هو إلا وحي يوحى وكان صدقه بديهياً ومسلّماً عند الخصم والكفار كما قال الله الملك الجبار: ﴿فَإِنَّهُمْ لَا يُكَذِّبُونَكَ وَلَكِنَّ الظَّالِمِينَ بِآيَاتِ اللَّهِ يَجْحَدُونَ﴾ [الأنعام: ١٨] اللهم اجعلنا رفيقاً للصديقين والشهداء والصالحين آمين.

(٣٦) هُوَ الْحَبِيْبُ الَّذِيْ تُرْجَى شَفَاعَتُهُ ... لِكُلِّ هَوْلٍ مِّنَ الْأَهْوَالِ مُقْتَحِمِ

لمّا كان كونه عليه السلام سيِّد جميع الأنام نظريا عند بعض الأقوام أراد أن يثبته بدليل في غاية الأحكام فقال: «هو الحبيب الذي... إلخ» أي: لأنّه هو الحبيب الذي فيمكن أن يرتب هاهنا قياس تقريره هكذا: محمد سيد الكونين والثقلين لأنّ محمداً هو الحبيب الذي يرجو كل الناس شفاعته، وكل من شانه كذا فهو سيد الكونين والثقلين، فينتج المطلوب، ثم اعلم أن جملة «هو الحبيب» صفة بعد صفة لمحمد، وأورد ضمير الفصل ليدل على الحصر، وهو مبتدأ راجع إليه عليه السلام و«الحبيب» بالرفع خبره، وتعريف الخبر باللام لإفادة قصره على المبتدأ، فإن قلت: كيف يجوز حصر الحبيبية فيه عليه السلام مع أن إبراهيم عليه السلام خليل الله تعالى بل كل من اتبع الرسول فهو محبوب الله تعالى كما يدل عليه قوله تعالى: ﴿قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ﴾ [آل عمران: ٣١]؟، وما أجيب عن هذا السوال من أن الحصر هذا إضافي يعني: بالنسبة إلى بعض الأنبياء، فيرده المقام إذ هو لا يناسب المقام لأنّه مقام المدح فيقتضي المبالغة، والحق في الجواب: أن الحصر في هذا الباب حقيقي، ويجوز ذلك الحصر فيه عليه السلام وما أوردتم من أن إبراهيم عليه السلام خليله لا يضر الحصر لأنه فرق جلي بين الحبيب والخليل من وجوه؛ لأن الخليل فعيل بمعنى: الفاعل مسند إلى إبراهيم عليه السلام في قوله تعالى: ﴿وَاتَّخَذَ اللَّهُ إِبْرَاهِيمَ خَلِيلًا﴾ [النساء: ١٢٥]، وأما الحبيب: فيحتمل أن يكون بمعنى

فاعل أو مفعول، ولا شك أنّ نسبة المفعولية أتم من نسبة الفاعلية في المرام إذ يقال محمد حبيب الله، والله حبيب محمد، ولايقال: الله خليل إبراهيم مع جواز إبراهيم خليل الله لما فيه من إيهام أن يكون مأخوذاً من الخلة التي هي الحاجة، والثاني: أن الخليل: يصل إلى من اتخذه بالواسطة، والحبيب: يصل إليه بذاته بلا واسطة، والثالث: أن الخليل: الذي تكون مغفرته في حد الطمع كما قال إبراهيم عليه السلام: ﴿وَالَّذِي أَطْمَعُ أَن يَغْفِرَ لِي خَطِيئَتِي﴾ [الشعراء: ٨٢] والحبيب: هو الذي مغفرته في حد اليقين كما قال تعالى: ﴿لِيَغْفِرَ لَكَ اللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِن ذَنبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ﴾ [الفتح: ٢]، والرابع: أن الخليل من أعطي بسؤال، والحبيب: هو الذي أعطي بلا سؤال، فالحبيبية بهذه المعاني المذكورة مقصورة على نبينا عليه السلام دون غيره من الأنبياء فكيف سائر الناس، ويمكن الجواب بأن يقال: إن حصر الحبيبية حقيقي لكن مع ما بعده أي: مع قوله: «الذي ترجى شفاعته» لأن الشفاعة العامة خاصة نبينا عليه السلام دون غيره، ولذا روي أن الإمام الغزالي قال: كنت في ليلة خارج البلدة، واطلعت بالمكاشفة على أنّ أهل تلك البلدة كلهم نائمون في ذلك الوقت ولم يكن أحد منهم في عبادة ربه وطاعة خالقه، فقلت في نفسي: لو كنتُ قادراً على إحراق أهل هذه البلدة لأحرقتُها كلّها لتركهم عبادةَ ربِّهم، ثمّ تأمّلت أنّ إحراق العباد مختصّ بالله تعالى فندمتُ ورجعتُ عن هذا القول، فقلت: لو كنت شافعاً لشفعتُ لهم كلهم عامة ثمّ تأمّلت أنّ الشفاعة العامّة مقصورة على نبيّنا عليه السلام فإذا جاء نداء من هاتفٍ يقول: يا شيخ لو لم ترجع عن هذا القول أيضاً لأنزلتُك إلى قعر الأرض ومحوتُك من دفاتر الأولياء، وقوله: «الذي ترجى شفاعته» صفة «الحبيب»، و«ترجى» من الرجاء بمعنى: الطلب، قال بعض الفضلاء: الرجاء بالمد الطمع ويرادفه الأمل، والفرق بينه وبين الرجاء بمعنى: الخوف بالاستعمال؛ إذ الأول: يستعمل في الإيجاب والنفي كقوله تعالى: ﴿وَتَرْجُونَ مِنَ اللَّهِ مَا لَا يَرْجُونَ﴾ [النساء: ١٠٤]، والثاني: في النفي فقط، فإن قيل: ماالفرق بين الرجاء والتمنى قلت: قال ابن الجوزي: الرجاء الطمع فيما يمكن حصوله بخلاف التمنى، وقيل: الرجاء مختص بالطمع في الممكن والتمنى عام وهو على صيغة المبني للمفعول، وإنّما ترك فاعله ليعلم أنّ شفاعته عليه السلام يرجوها كلُّ أحد من الأنام، و«الشفاعة» هي طلب العفو والفضل من الغير إلى الغير، وشفاعة نبينا عليه الصلاة والسلام ثابتة

بالأخبار والأحاديث الصحيحة مذكورة في كتب الأحاديث قال المحقق الدواني: إنّه عليه السلام يشفع لجميع الإنس والجن إلا أنّ شفاعته للكفار لتعجيل فصل القضاء فتخفف عنهم أهوال يوم القيامة وللمؤمنين للعفو ورفع الدرجات، فشفاعته عامة لقوله تعالى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ﴾ [الأنبياء: ١٠٧] قال في "المواهب" الشفاعات خمس: الأولى: في الإراحة من هول الموقف وهي أعظمها وأعمها، والثانية: في إدخال قوم الجنة بغير حساب، والثالثة: فيمن استوجب النار، والرابعة: في إخراج من دخل النار، والخامسة: في رفع الدرجات، وزاد السيوطي سادسة: هي في تخفيف العذاب عمن استحق الخلود في النار، وزاد في "المواهب" أيضا سابعة: وهي لأهل المدينة خاصة، وقوله: «لكل هول من الأهوال مقتحم» متعلق بـ«ترجي»، أو بـ«شفاعته»، و«اللام» في «لكل» بمعنى: في كما في قوله تعالى: ﴿يَا لَيْتَنِي قَدَّمْتُ لِحَيَاتِي﴾ [الفجر: ٢٤] أو للتوقيت كما في قوله: ﴿أَقِمِ الصَّلَاةَ لِدُلُوكِ الشَّمْسِ﴾ [الإسراء: ٧٨] أو فيه حذف مضاف أي: لدفع كل هول، و«الهول» الشدة والمصيبة، وإضافة الكل إليه تفيد العموم أي: كل بلية، والمراد بلايا الآخرة بقرينة الشفاعة أو المراد بلايا الدارين كما يفيده قوله: «من الأهوال» لأنّه عليه الصلاة والسلام دفع ببركة وجوده في الدنيا المسخ والخسف والاستيصال وأخّر العذاب، و«مقتحم» من الاقتحام إما على صيغة اسم الفاعل أي: بلية داخلة بين الناس، وإما اسم مفعول أي: في كل بلية مقتحم فيها، ثم اعلم! أن هذا البيت أول أبيات المناجات وإجابة الدعاء فمن كان له حاجة دنيوية أو أخروية فليقرأ هذ البيت في مجلس واحد ألفا وواحدة، فإن الله تعالى يقبل دعاه ويقضي حاجته بلا تخلف إن شاء الله تعالى، قال المولى أبو سعيد الخادمي: إن هذا البيت كان ترياقا لكل حاجتي، وقال أستاذنا طول الله بقاه وأنال ما تمناه إنه كان أستاذنا الشهير بالحاج عثمان آفندي الأقشهري مفتيا في بلدة "قيصر" فنزل منها يوماً فكان محزوماً ومتكدراً، واشتهى أن يكون مفتيا أيضا، فدعاني مع اثنين من شركائي إلى بيته، فقرأنا هذا البيت ألفا وواحدة في مجلس بلا تكلم في أثنائه فبعد زمان قليل ظهر منشوره لإفتائه.

(٣٧) دَعَا إِلَى اللهِ فَالْمُسْتَمْسِكُوْنَ بِهِ ... مُسْتَمْسِكُوْنَ بِحَبْلٍ غَيْرِ مُنْفَصِمِ

لمَّا قصر كمال الحبيبية عليه عليه السلام وكان ذلك صغرى للقياس المقدم وكانت تلك الصغرى نظرية أثبتها بهذا البيت فقال: «دعا إلى الله... إلخ»، فإنه وإن لم يكن في صورة الدليل لكنه دليل حقيقة لأن الدليل والعلة إما تصريحي: وهو ما كان مصورا في اللفظ أو التقدير بإذ أو باللام أو بالفاء،وإما تلويحي: بأن يكون صفة أو حالا أو غير ذلك، وهاهنا كذلك فيمكن أن يرتب هنا قياس تقريره: هذا محمد هو الحبيب الذي ترجى شفاعته لأن محمدا دعا إلى الله تعالى فالمستمسكون به مستمسكون بحبل غير منفصم، وكل من شانه كذا فهو الحبيب الذي ترجى شفاعته، ينتج المطلوب، ثم إن «**دعا**» من الدعوة، ودعوته عليه الصلاة والسلام كانت إلى جميع ذي نطق من العرب والعجم وأهل الكتاب والمجوس والوثني والجن وغير ذلك، ولأجل هذا التعميم حذف الناظم الفاهم مفعول «دعا» وكذا أثر دعا على هدى لأجل هذا التعميم، فإن قيل: ما الفرق بين الإرشاد والدعوة قلت: إن الإرشاد أنما يستعمل في الأولياء والدعوة في الأنبياء، وفي «**إلى الله**» حذف مضاف أي: إلى دين الله أو إلى عبادة الله تعالى أو إلى شرع الله تعالى، وقوله: «**فالمستمسكون به**» الفاء تفريعية أي: إذا كان داعيا إلى الله تعالى فالمستمسكون... آه، وهو من الاستمساك بمعنى: التمسك والأخذ باليد، و«**به**» متعلق بـ«مستمسكون»، والضمير راجع إليه عليه الصلاة والسلام لكن المراد شرعه عليه الصلاة والسلام، أو ما يبلغه ففي ضمير «به» استخدام لأنه أريد بالمرجع معنى، والضمير الراجع إليه معنى آخر، لكن الأول حقيقة والثاني مجاز، وبعد هذا يكون في هذا المقام استعارة مكنية بأن شبه الشرع بالحبل الممدود من الله تعالى إلى العباد في كونه موصلا إلى المقصود كما أن ذلك الحبل لو استمسك به أحد فذهب يصل إلى الله تعالى كذلك الشرع الشريف، ثم استعير الحبل في الذهن لمفهوم الشرع، ثم ذكر الشرع في الخارج أعني: تقديرا، وأريد هو أيضا، وذكر الاستمساك وهو ملائم المشبه به، وأريد الشريعة، فعلى هذا يكون المستمسكون ترشيحا لهذه الاستعارة، فيكون باقيا على حقيقته على مذهب ومجازا واستعارة تبعية على مذهب آخر بأن يشبه الإطاعة بالاستمساك في الإيصال إلى المطلوب، ثم استعير الاستمساك لمفهوم الإطاعة، فذكر الاستمساك، وأريد الإطاعة، ثم

اشتق من الاستمساك مستمسكون ومن الإطاعة مطيعون، فشبه مطيعون بمستمسكون، فالستعير المستمسكون لمفهوم المطيعون، فذكر مستمسكون، وأريد المطيعون، ثم غير منفصم ترشيح على الترشيح، وكلما زاد ترشيح الاستعارة زاد حسنها، و«**منفصم**» اسم فاعل من الانفصام بمعنى: القطع من غير فصل، وأما «الانقصام» بالقاف فهو القطع بفرق وفصل، ثم اعلم أن في أول هذا البيت تلميحا إلى قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ إِنَّآ أَرۡسَلۡنَٰكَ شَٰهِدٗا وَمُبَشِّرٗا وَنَذِيرٗا ۝ وَدَاعِيًا إِلَى ٱللَّهِ بِإِذۡنِهِۦ﴾ الآية [الأحزاب: ٤٥،٤٦]، وإلى قوله تعالى: ﴿وَمَنۡ أَحۡسَنُ قَوۡلٗا مِّمَّن دَعَآ إِلَى ٱللَّهِ﴾ الآية [فصلت: ٣٣]، وفي المصراع اقتباس من قوله تعالى: ﴿وَٱعۡتَصِمُواْ بِحَبۡلِ ٱللَّهِ جَمِيعٗا﴾ [آل عمران: ١٠٣]، وفي هذا البيت إشارة أيضا إلى قوله عليه السلام ((من تمسك بسنتي عند فساد أمتي فله أجر مئة شهيد))[٥٨] كما لايخفى على من ألقى السمع وهو شهيد.

(٣٨) فَاقَ النَّبِيِّينَ فِيْ خَلْقٍ وَفِيْ خُلُقٍ ... وَلَمْ يُدَانُوْهُ فِيْ عِلْمٍ وَّلَا كَرَمِ

فلمَّا ورد النقض على البيت الأول الذي قد كان دليلا لدعوى حصر الحبيبية عليه عليه السلام من أن دليلك هذا أي: قولك: «دعا إلى الله» إلى آخر البيت جاز أيضا في سائر النبيين مع أن المدعى متخلف عنه أراد أن يثبت دعواه بدليل آخر قوي فانتقل إليه فقال «فاق النبيين إلى آخره» فتقرير قياسه هكذا محمد هو الحبيب الذي ترجى شفاعته؛ لأن محمداً فاق النبيين في خَلق وفي خُلق ولم يدانوه في علم ولا كرم، وكل من شانه كذا فهو الحبيب الذي ترجى شفاعته، فينتج المطلوب، ثم إن «**فاق**» بمعنى: ربح وزاد عليه في الرفعة، وهو من الفوق، والفوق والتفوق حقيقتهما أن يستعملا في الرفعة المكانية لكن استعمل هاهنا في الرفعة الرتبية مجازا واستعارة تبعية بأن شبه علو القدر ورفعة المرتبة بالتفوق المكاني في الرفعة المطلقة، ثم استعير التفوق المكاني للعلو القدري، ثم ذكر التفوق المكاني، وأريد العلو القدري، وبتبعية هذه الاستعارة اشتق من العلو القدري علا ومن التفوق المكاني فاق، فشبه علا بـ«فاق» بواسطة العلاقة التي في مصدرهما، ثم استعير

(٥٨) "مشكاة المصابيح"، كتاب الإيمان، باب الاعتصام بالكتاب والسنة، الحديث: ١٧٦، ١/٩٧.

«فاق» لمفهوم علا فذكر فاق وأريد علا، ويمكن أن يراد حقيقة التفوق فتبصره و«**النبيين**» جمع نبي؛ وهو بالنصب مفعول «فاق» و«**الخَلق**» بفتح الخاء المعجمة وسكون اللام في اللغة بمعنى: التقدير والإيجاز، وهنا بمعنى المفعول والمراد الكمالات الظاهرة من حسن الصورة وتناسب الأعضاء والأشكال والألوان واعتدال الأطراف و«**الخُلُق**» بضم الخاء واللام جمع خلق بمعنى: الطبيعة الحسنة، والمراد الكمالات الباطنة واعتدال قوى النفس، وإنما أفرد الأول وجمع الثاني إشارة إلى أن الأخلاق كثيرة والخلق واحد، اعلم أيها المحب! لهذا النبي الكريم الباحث عن تفوقه على سائر الأنبياء في ابتداء الخلق والحسن والكمال والخصال الحميدة من الجلال والجمال وفقك الله تعالى وإيانا في كل حال أن نبينا عليه الصلاة والسلام أفضل الأنبياء بالآيات والأحاديث أما الآيات فكما قال تعالى: ﴿تِلْكَ الرُّسُلُ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ﴾ [آل عمران: ٢٥٣]، قال أهل التفسير: المراد به محمد عليه السلام كما قال تعالى في مقام آخر، ﴿وَكَانَ فَضْلُ اللهِ عَلَيْكَ عَظِيمًا﴾ [النساء: ١١٣]، وقال أيضا ﴿وَرَفَعْنَا بَعْضَهُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَاتٍ﴾ [الزخرف: ٣٢] قال أهل التفسير: أراد به محمدا عليه السلام، وأما الأحاديث فكقوله عليه السلام: ((أنا سيد الأولين والآخرين ولا فخر))(٥٩) وقوله عليه السلام: ((أنا سيد ولد آدم ولا فخر))(٦٠) وقوله عليه السلام: ((أنا أتقى ولد آدم وأكرمهم على الله ولا فخر))(٦١) وكرواية عائشة رضي الله عنها أنها قالت: قال عليه السلام: ((أتاني جبرائيل فقال: قلبت مشارق الأرض ومغاربها، فلم أر رجلا أفضل من محمد عليه السلام))(٦٢) أما بيان فضيلته في ابتداء خلقه عليه السلام فيكفيك قوله عليه السلام: ((كنت نبيا وآدم بين الجسد والروح))(٦٣) وقوله عليه السلام: ((كنت أول الأنبياء في الخلق وآخرهم في البعث))(٦٤) وقول العلماء في تفسير قوله تعالى: ﴿وَإِذْ أَخَذَ اللهُ مِيثَاقَ النَّبِيِّينَ لَمَا آتَيْتُكُمْ﴾ الآية [آل عمران: ٨١] إن الله تعالى

---

(٥٩) "سنن الترمذي"، كتاب المناقب عن رسول الله، باب في فضل النبي، الحديث: ٣٦٣٦، ٥/٢٥٤.

(٦٠) "سنن ابن ماجه"، كتاب الزهد، باب ذكر الشفاعة، الحديث: ٤٣٠٨، ٤/٥٢٢.

(٦١) "كنز العمال"، الكتاب الثاني في الأذكار، الحديث: ٣٠٤٧، ٢/٢٠.

(٦٢) "مجمع الزوائد"، كتاب علامات النبوة، باب في كرامة أصله، الحديث: ١٣٨٢٩، ٨/٤٠٠.

(٦٣) "كنز العمال"، كتاب الفضائل، حرف الفاء، الباب الأول، الحديث: ٣١٩١٤، ١١/١٨٤.

(٦٤) "كنز العمال"، كتاب الفضائل، حرف الفاء، الباب الأول، الحديث: ٣٢١٢٣، ١١/٢٠٥.

أخذ الميثاق والعهد على كل من النبيين لئن بعث محمد عليه السلام، وهو حي ليؤمنن به ولينصرنه كما سبق، فنبينا عليه السلام كان نبيا لجميع الأنبياء تقديرا، وأما بيان فضيلته عليه السلام على سائر الأنبياء في الحسن والجمال والبهجة والكمال، فمستفاد من إشارة قوله تعالى: ﴿وَالضُّحَى وَاللَّيْلِ إِذَا سَجَى﴾ [الضحى: ١،٢] حيث استعير «الضحى» من وجهه عليه السلام و«الليل» من صدغه عليه السلام، وكفاك شاهدا حديث أنس أنه قال: قال عليه السلام: ((ما بعث الله نبيا إلا حسن الوجه وحسن الصوت وكان نبيكم أحسنهم وجها وأحسنهم صوتا))(٦٥) وقوله عليه السلام حين سئل عن حسن يوسف وحسنه عليه السلام ((أنا أملح))(٦٦) وأما بيان فضيلته عليه السلام عليهم في الأخلاق المرضية فيكفيك قوله تعالى في شانه عليه السلام: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾ [القلم: ٤] حيث حصر الله تعالى الخلق العظيم فيه عليه السلام دون غيره، وقوله عليه السلام فيما رواه أحمد ومالك في "المؤطا" ((بعثت لأتمم مكارم الأخلاق))(٦٧) وحيث أشار في هذا البيت إلى أن الأنبياء عليهم السلام كانوا موسومين بالأخلاق المرضية لكنه عليه السلام كان جامعا لجميع الأخلاق العلية ومشتملا على الأحوال السنية بحيث لا يتصور فوقه كمال، فإن قلت: قد ورد النهي عن تفضيل بعض الأنبياء على بعض وعن تفضيله عليه الصلاة والسلام على غيره من الأنبياء حيث قال عليه السلام في حديث ((لاتفضلوا بين الأنبياء))(٦٨) وفي حديث آخر ((لا تفضلوني على يونس ابن متى))(٦٩) فكيف يصح من الناظم الفاهم هذا البيت مع ما بعده؟ قلت: إن للعلماء في هذه الأحاديث تأويلات: الأول: أن لا يفضل بينهم تفضيلا يؤدي إلى تنقيص بعضهم عن بعض الثاني: منع التفضيل في حق النبوة والرسالة فإن الأنبياء فيها على حد واحد؛ إذ هي شيء واحد لا تفاضل فيها وإنما التفاضل بأمور أخر زائدة عليها ولذلك منهم رسل ومنهم أولو العزم من الرسل، قال الله تعالى: ﴿وَلَقَدْ فَضَّلْنَا بَعْضَ النَّبِيِّينَ عَلَى بَعْضٍ﴾ [الإسراء: ٥٥]، والثالث: أنه عليه السلام نهى عن

---

(٦٥) "الشمائل المحمدية"، روي عن قتادة، باب ما جاء في قراءة رسول الله، الحديث: ٣٠٣، صـ ١٨٣.

(٦٦) "صحيح مسلم"، باب كان النبي أبيض مليح الوجه، الحديث: ٢٣٤٠، صـ ١٢٧٥.

(٦٧) "الموطأ" للإمام مالك، كتاب حسن الخلق، باب ما جاء في حسن الخلق، الحديث: ١٧٢٣، ٢/٤٠٤.

(٦٨) "صحيح مسلم"، كتاب الفضائل، باب من فضائل موسى، الحديث: ٢٣٧٣، صـ ١٢٩١.

(٦٩) "سبل الهدى والرشاد"، كتاب جماع أبواب أسمائه، الباب الثالث في ذكر ما وقفت عليه ...إلخ، صـ ٤٧٢.

تفضيله على غيره قبل أن يعلم أنه سيد ولد آدم، والرابع: أن نهيه عليه السلام كان على طريق التواضع وتحرزا عن العجب، والتفصيل في الكتب المطولة. ثم قوله: «ولم يدانوه في علم ولا كرم» الواو استيناف كأنه قيل: فهل فاق عليهم في أخلاق العلم والكرم مع كونهما أعظمها وأشرفها، فقال مبالغة: «**ولم يدانوه**» أي: لم تقاربه عليه السلام الأنبياء عليهم السلام في العلم والكرم، ولا تتوهمن من ظاهر هذا الكلام أنهم لا يعلمون، ويجوز عليهم إطلاق الجهل لأنه يؤدي إلى نسبة النقص والبله والغفلة إليهم عليهم السلام وإنهم منزهون عنه، وعن الجهل فيما يلزم لهم، نعم! يجوز أن يقال: إنّه عليه السلام كان أعلم منهم ببعض الأمور كأمور الآخرة وأشراط الساعة وأحوال السعداء والأشقياء وعلم ما كان وما يكون.

ثمّ اعلم أنّ بيان علمه ثابت بقوله تعالى: ﴿وَعَلَّمَكَ مَا لَمْ تَكُنْ تَعْلَمُ﴾ [النساء: ١٣]، وبقوله عليه السلام: ((أنا مدينة العلم))(٧٠) الحديث وغير ذلك، ثمّ أن تفوقه في الكرم أيضاً ثابت بقوله تعالى على ما ذكره بعض المفسرين: ﴿إِنَّهُ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ﴾ [الحاقة: ٤٠] وبقوله عليه السلام ((وأنا أكرم ولد آدم ولا فخر))(٧١) وسيأتي بيان بعض ما وقع من كرمه عليه السلام، وهذا ثاني الأبيات التي تمايل فيها النبي عليه السلام عند قرائة الناظم الفاهم في رؤياه عليه السلام فينبغي لقارئ هذه القصيدة أن يكرره عند قرائته لكن يلزم أن يكرّره وتراً.

(٣٩) وَكُلُّهُمْ مِّنْ رَّسُوْلِ اللهِ مُلْتَمِسٌ ... غَرْفًا مِّنَ الْبَحْرِ أَوْ رَشْفًا مِّنَ الدِّيَمِ

لمّا توهم أن يرد على البيت الأول شبهة المجاز أو غيره أراد أن يدفعه فقال تأكيدا: «وكلهم من رسول الله... إلخ»، «**الواو**» إما للعطف أو للابتداء لكن الثاني أولى كما لايخفى، ولفظة «**كل**» مأخوذة من الإكليل الذي هو المحيط بجوانب الرأس فلذلك توجب الإحاطة، وهو من الأسماء اللازمة الإضافة، ولهذا لا تدخل إلا على الأسماء؛ إذ الإضافة من خصائص الاسم قال الأصوليون: إن لفظ كل إذا أضيف إلى معرفة يوجب

(٧٠) "كنز العمال"، كتاب الفضائل، الباب الثالث، الحديث: ٣٢٨٨٧، ١١/٢٧٥.

(٧١) "سنن الترمذي"، كتاب المناقب، باب ما جاء في فضل النبي الحديث: ٣٦٣٠، ٥/٣٥٢.

إحاطة الأجزاء، وإذا أضيف إلى نكرة يوجب إحاطة الأفراد، فيصح قول الرجل: كل التفاح حامض، أي جميع أجزائه ولا يصح كل تفاح حامض؛ لحلوا البعض منه. وضمير الجمع راجع إلى النبيين، و«من رسول الله» متعلق بـ«ملتمس» قدم للوزن وللحصر أي: منه دون غيره من الأنبياء، فإن قلت: لم أظهر في مقام الإضمار؟ قلت: للتنبيه على وصفه العظيم لأن الرسالة صفة عظيمة في غاية العظمة لايقال: لا يستفاد من قوله: «من رسول الله» أن الأنبياء ملتمسون من نبينا عليه الصلاة والسلام؛ إذا الرسل على ما روي عنه عليه السلام ثلاث مئة وثلاثة عشر لأنا نقول: المقام قرينة على أن المراد منه نبينا صلى الله تعالى عليه وسلم، على أنهم قالوا: كلما ذكر لفظ رسول الله في كتب هذه الأمة فالمراد نبينا دون غيره، وله جواب آخر فتأمل. وقوله: «**ملتمس**» خبر المبتدأ أعني: «كلهم»، والضمير فيه راجع إلى الكل باعتبار لفظه، وإلا لوجب أن تكون العبارة ملتمسون، الفرق بين السؤال والالتماس والأمر، أن طلب الأدنى من الأعلى سوال ودعاء، وطلب المساوي من المساوي التماس، وطلب الأعلى من الأدنى أمر، وإنما اختار الالتماس لرعاية الأدب في حق الأنبياء وقوله: «غرفا من البحر ورشفا من الديم» «**غرفا**» بالنصب مفعول «ملتمس»، و«الغرف» بفتح الغين المعجمة وسكون الراء أخذ الماء باليد ملئ الكف، و«**من البحر**» متعلق بـ«غرفا»، والمراد من البحر أخلاقه عليه الصلاة والسلام، ففيه استعارة مصرحة حيث شبه أخلاقه الباطنية بالبحر في الكثرة والوفرة وعدم الاختلاط بشيء قليل، ثم استعير البحر لخلقه عليه السلام، فذكر البحر، وأريد منه أخلاقه عليه السلام وإثبات الغرف ترشيح لها وفي الترشيح أيضا استعارة بأن يشبه أخلاق الأنبياء بغرفة من البحر في القلة بالنسبة إليه عليه السلام فاستعير الغرفة لأخلاقهم عليهم السلام، فذكر الغرفة، وأريد أخلاقهم، و«**أو**» في «أو رشفا» بمعنى الواو الواصلة، و«**الرشف**» أخذ الماء بالفم أي: الجرعة من الماء و«من الديم» متعلق بـ«رشفا»، ويجوز أن يكون كل من البحر ومن ديم حالا أو صفة، و«**الديم**» جمع ديمة، وهو مطر ينزل بسكون بلا رعد ولا برق ويدوم، وأقله ثلث النهار أو ثلث الليل، وأكثره يوم وليلة، والياء في لفظة «ديمة» بدل من الواو لأن أصله دومة من الدوام، فإن قلت: لم خص الغرفَ بالبحر والرشفَ بالديم؟ قلت: للإشارة إلى أن ماء البحر لا يشرب لكونه مرا بل يجوز استعماله للوضوء والغسل

وغير ذلك بخلاف ماء المطر فإنه يشرب للطافته بل هو ألذ من جميع ماء العيون، وفي الديم والرشف استعارة كما في البحر والغرف لكن المراد من البحر علمه عليه الصلاة والسلام ومن الديم، كرمه فتذكر، وإنما أفرد البحر وجمع الديم، إشارة إلى أن البحر اسم جنس يطلق على الصغير والكبير بخلاف الديمة.

وحاصل معنى البيت: أن جميع الأنبياء وكل واحد منهم طلبوا وأخذوا العلم من علمه عليه الصلاة والسلام الذي هو كالبحر في السعة والكرم من كرمه عليه السلام الذي هو كالديم لأنه عليه السلام مفيض، وإنهم مستفاضون لأنه تعالى خلق ابتداء روحه عليه السلام ووضع علوم الأنبياء وعلم ما كان وما يكون فيه، ثم خلقهم فأخذوا علومهم منه عليه السلام، أو المراد أنه تعالى لما خلق نور محمد قبل الأشياء خلق اللوح والقلم والسموات والأرضين والعرش والكرسي والملائكة والجنة والنار وأرواح الأنبياء والمؤمنين ونور قلوبهم ونور أنفسهم من نوره عليه السلام، فعلم الأنبياء كان كنقطة بالنسبة إلى ما في اللوح والقلم مخلوقان من نوره عليه السلام فيكون علمهم نقطة من علمه عليه السلام كما لايخفى، ثم اعلم! أن هذا البيت ثالث الأبيات التي تمايل فيها النبي عليه السلام فيلزم لقارءه أن يكرره بشرط كونه وترا.

(٤٠) وَ وَاقِفُوْنَ لَدَيْهِ عِنْدَ حَدِّهِم ... مِنْ نُقْطَةِ الْعِلْمِ أَوْ مِنْ شَكْلَةِ الْحِكَمِ

وهذا البيت تأكيد آخر لِمَا قبله آكد من الأول وأبلغ في مدحه عليه السلام وتفوقه على سائر الأنبياء، و«الواو» للعطف أو للحال، و«واقفون» خبر بعد خبر للمبتدأ أعني قوله: «كلهم»، وقد جمع الناظم الفاهم بين اللغتين حيث أفرد الخبر أولا، وجمعه ثانيا، و«واقفون» بمعنى: مطلعون، فمفعوله الثاني محذوف أي: مطلعون شيئا، و«لدي» بمعنى: عند، وضميره راجع إليه عليه السلام، وفي «لدي» ثمان لغات: الأولى: لدى بالألف المقصورة، والثانية: لَدُن بفتح اللام وضم الدال وسكون النون، والثالثة: لَدْنِ بفتح اللام وسكون الدال وكسر النون، والرابعة: لَدَن بفتح اللام والدال وسكون النون، والخامسة: لُدْنِ بضم اللام وسكون الدال وكسر النون، والسادسة: لَدْ بفتح اللام وسكون الدال، والسابعة: لُدْ بضم اللام وسكون الدال، والثامنة: لَدُ بفتح اللام وضم الدال، وكلها

بمعنى: عند، والفرق فيما بينه وبين «عند» أن «لدى» مختص بالحضرة دون «عند» مثلا يقال: المال عند زيد، فيما يحضر عنده وفي ما في خزائنه إن كان غائبا عنه، ولايقال: المال لدى زيد أو لدن زيد إلا فيما يحضر عنده، و«لديه» حال من ضمير «واقفون» متعلق بمحذوف أي: كائنين لديه، و«عند» متعلق بـ«واقفون». و«الحد» بفتح الحاء يجيء على ستة معان: الأول: بمعنى المرتبة، والثاني: بمعنى الغاية والنهاية، والثالث: بمعنى الحاجز والمانع بين الشيئين، والرابع: بمعنى تشحيذ السيف، والخامس: بمعنى عقوبة مقدرة تجب إقامتها على الإمام، والسادس: بمعنى التعريف المشتمل على ذاتياته، والمراد هاهنا هو المعنى الأول، وضمير الجمع إلى الأنبياء عليهم السلام وقوله: «من نقطة العلم» «من» لبيان المفعول الثاني لـ«واقفون» فتكون زائدة. فعلى هذا يكون

حاصل معنى البيت: أن الأنبياء مطلعون عند النبي عليه الصلاة والسلام على مراتبهم شيئا هو نقطة العلم أو شكلة الحكم، فيكون علم نبينا عليه الصلاة والسلام كالنقطة في جنب علم الله تعالى وحكمته كالشكلة من الحكم في جنب حكمة الله تعالى لكون علم سائر الأنبياء جزأ من تلك النقطة وحكمتهم جزأ من شكلة الحكمة، وهذا الإطلاع كان في ليلة المعراج حيث حضروا مجلسه عليه السلام وقعدوا حضوره على مراتبهم، واطلعوا على علمه وحكمته، أو يكون في القيامة تحت اللواء حيث روي أن جميع الأنبياء تجتمع تحت لواء الحمد الذي هو عَلَم النبي عليه الصلاة والسلام، ويجلسون على مراتبهم، أو كان في خلق الأرواح قبل الأجساد، ثم اعلم! أن النقطة فعلة من نقطه نقطا أي: وضع عليه النقطة وأظن أن النقطة مشترك بين اللغات كالصابون، و«أو» بمعنى الواو وإنما قلنا: إنه بمعنى الواو لأنه لو كان بمعناه للزم أن يكون في بعض الأنبياء علم دون حكمة، وفي بعضهم بالعكس، وهو مخالف لما ثبت أنه تعالى أعطى الأنبياء علماً وحكماً، كما قال الله تعالى: ﴿وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُۥٓ ءَاتَيۡنَٰهُ حُكۡمٗا وَعِلۡمٗا﴾ [اليوسف: ٢٢]، وقال أيضا ﴿وَكُلًّا ءَاتَيۡنَا حُكۡمٗا وَعِلۡمٗا﴾ [الأنبياء: ٧٩] فتأمل. و«الشكلة» بالفتح من شكلت الكتاب قيدته بالإعراب أعني: الرفع والنصب والجر و«الحكم» جمع حكمة، وهي علم بأحوال أعيان الموجودات على ما هي عليه في نفس الأمر، وإنما خص النقطةُ بالعلم والشكلةُ بالحكم لأن النقطة أولى بمزية الظهور ولذا أضيفت إليه، والشكلة أمر زائد

خارج من ماهية المفهوم المتوقف على النقطة التي مدار الدائرة عليها، ولذا نسبت إلى الحكم، وهي علوم دقيقة عن العلوم الشرعية، ثم اعلم! أنه يجوز أن يكون «واقفون» بمعنى ساكتون حاضرون في حضور رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم على مراتبهم، ويكون «من» متعلقا بـ«واقفون» بتضمين معنى آخذين، وتكون إضافة النقطة إلى العلم من إضافة المشبه به إلى المشبه أي: العلم كالنقطة.

فحاصل معنى البيت على هذا: أن الأنبياء حاضرون وساكتون في حضور النبي عليه الصلاة والسلام على مراتبهم آخذون العلم كالنقطة والحكم كالشكلة بالنسبة إلى علمه صلى الله تعالى عليه وسلم، ويجوز أن يكون في هذا استعارة تمثيلية بأن ينتزع هيئة من أمور أي: من كون النبي عليه السلام رئيسا ومتبوعا لسائر الأنبياء وكونهم متوقفين في حضوره عليه السلام وأخذهم العلم منه عليه السلام وكونهم في أمره عليه السلام، وشبه هذه الهيئة بالهيئة التي انتزعت من أمور محسوسة لنا ككون ملك عظيم قاعدا في مجلس وكون اتباعه واقفين على مراتبهم وانتظارهم إلى كلام الملك وأخذهم الفائدة منه وكونهم في أمره، ثم استعير الهيئة المشبهة بها إلى الهيئة المشبهة، فذكر الألفاظ الدالة على الهيئة المحسوسة، وأريد الهيئة الغير المحسوسة لنا، ثم اعلم! أن في هذا البيت إيماء إلى قوله تعالى: ﴿وَمَآ أُوتِيتُم مِّنَ ٱلۡعِلۡمِ إِلَّا قَلِيلٗا﴾ [الإسراء: ٨٥]، وإشارة إلى قول الخضر لموسى عليه السلام حين اتباعه لأخذ العلم (ما علمك وعلمي وعلم الخلائق إلا كما أخذ هذا العصفور بمنقاره من البحر بالنسبة إلى علم الله تعالى)، وإلى أن في كل من الأنبياء نوعا من العلوم دون نوع، وأنه عليه السلام جمع أنواع العلوم التي في الأنبياء وسائر الخلائق، وفي "الشفاء" خص الله تعالى به عليه السلام الإطلاع على جميع مصالح الدنيا والدين ومصالح أمته وما كان في الأمم وما سيكون في أمته من النقير والقطمير وعلى جميع فنون المعارف كأحوال القلب والفرائض والعبادة والحساب، وقد وردت آثار بمعرفته حروف الخط وحسن تصويرها، وفي حديث يروى عن معاوية أنه كان يكتب بين يديه صلى الله تعالى عليه وسلم فقال له: ((ألق الدواة وحرف القلم وأقم الباء وفرق السين ولا تعور الميم وحسن «الله» ومد «الرحمن» وجوّد «الرحيم»))[٧٢] مع أنه

(٧٢) "كنز العمال"، كتاب العلم، باب في آداب العلم، حرف العين، الحديث: ٢٩٥٥٢، ١٠/١٣٩.

صلى الله تعالى عليه وسلم لم يكتب ولم يقرأ من كتاب الأولين قطعا كما قال الله تعالى: ﴿وَمَا كُنتَ تَتۡلُواْ مِن قَبۡلِهِۦ مِن كِتَٰبٖ وَلَا تَخُطُّهُۥ بِيَمِينِكَ﴾ الآية، [العنكبوت: ٤٨] بخلاف سائر الخلق.

(٤١) فَهْوَ الَّذِيْ تَمَّ مَعْنَاهُ وَصُوْرَتُهُ ... ثُمَّ اصْطَفَاهُ حَبِيْباً بَارِئُ النَّسَمِ

لمّا كانت الأبيات السابقة دليلا على كونه عليه الصلاة والسلام حبيبا كاملا وكانت تلك ثابتة مبينة أنتجت المطلوب فلذا قال: «فهو الذي تم... إلخ» فالفاء في «فهو» للنتيجة، و«**هو**» بسكون الهاء، وهو راجع إلى نبينا عليه الصلاة والسلام، و«**تم**» بمعنى: كمل من تمام الشيء بمعنى: كماله، و«**المعنى**» اسم مكان أو مصدر ميمي بمعنى: المفعول أو مخفف معنى اسم مفعول من عنيت بكلامي كذا أي: قصدته، فمعنى الشيء هو المقصود منه، ومنه الرجل كماله أي: الذي تم به، و«**الصورة**» بمعنى: الشكل والهيئة، وإنما قدم المعنى على الصورة لكون المعنى أصل المقصود، والمراد من المعنى والصورة هاهنا كماله الباطني وكماله الظاهري أعني: حسن خَلقه وعظم خُلقه، أو الوحي الباطني والبعث الظاهري، أو طريقته وشريعته، أو روحانيته وجسمانيته، أو علمه وعمله، أو عبادته للحق ومعاملته للخلق، وكلمته «**ثم**» إما على أصلها أعني: للتراخي الزماني بناء على أن المراد من اصطفائه حبيبا بعد بعثه، ولا شك أن بعثه متراخ عن بلوغه إلى مرتبة الكمال وبناء على أن اصطفاءه حبيبا كان في المعراج، حيث حكي أن الله تعالى قال له في تلك الليلة: يا محمد! إن الملوك إذا آثاروا عبدا بإيتاء الملك إياه وجعله ملكا ذا اعتبار بادروا لإظهار شرفه فأي شيء تريد أن نجعل لك؟ فقال عليه السلام: أضفني إليك يارب بالعبودية فأرسل إليه ﴿سُبۡحَٰنَ ٱلَّذِيٓ أَسۡرَىٰ بِعَبۡدِهِۦ﴾ الآية [الإسراء: ١]، وقال: هذا ما طلبت ولك أحسن من هذا، وهو إضافتك إلينا بالحبيبية، فأنت حبيب الله فلا شك أن المعراج كان بعد البعثة والكمال، وأما للتراخي الرتبي فيكون في «ثم» مجاز واستعارة تبعية لأن الحقيقة فيه التراخي الزماني وذلك بتشبيه التباعد الرتبي بالتراخي الزماني في الاشتمال على مطلق التباعد وتكون نكتة المجاز الإشارة إلى أن مرتبة الاصطفاء أعلى من مرتبة الكمال

و«الاصطفاء» بمعنى الاختيار والانتخاب. و«حبيبا» حال من ضمير «اصطفاه»، أو مفعول ثان له بتضمين معنى الجعل، و«البارئ» بمعنى الخالق كما في قوله: ع يا بارئ البر آبرئني بمستمل. و«النسم» بفتحتين جمع نسمة، وهي النفس أوكل ذي روح، وقيل: هي الآدمي، ثم اعلم! أن في هذا البيت إيماء إلى وجه انتظار الاصطفاء إلى المدة الأربعينية وترجيحه على عيسى ويحيى ممن أعطي النبوة في حال الطفولية، وإن كان المتبادر إلى الوهم عكس هذه القضية وتلويحا إلى قوله تعالى: ﴿ٱللَّهُ يَصْطَفِى مِنَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ رُسُلًا﴾ الآية [الحج: ٧٥] وتلميحا إلى حديث روي عن واثلة بن الأسقع أنه قال: قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم: ((إن الله اصطفى من ولد إبراهيم إسماعيل واصطفى من ولد إسماعيل بني كنانة واصطفى من بني كنانة قريشا واصطفى من قريش بني هاشم واصطفاني من بني هاشم))(٧٣) ولو تأملت معاني البيت لوجدت فيه إشارة إلى شيء كثير كما لايخفى.

(٤٢) مُنَزَّهٌ عَنْ شَرِيْكٍ فِيْ مَحَاسِنِهِ ... فَجَوْهَرُ الْحُسْنِ فِيْهِ غَيْرُ مُنْقَسِمِ

لمّا بين الناظم الفاهم الصفات الثبوتية له عليه السلام شرع في بيان صفاته السلبية، ثم لما علم مما سبق أن نبينا فائق على جميع الأنبياء والأولياء فإنهم لم يصلوا إلى خلقه الباطني وخلقه الظاهري ناسب أن يسلب عنه الشريك في محاسنه، فقال: «منزه عن شريك في محاسنه... إلخ»، «منزه» خبر مبتدأ محذوف، وهو على صيغة اسم مفعول من التنزيه بمعنى التبرئة والتبعيد و«شريك» نكرة وقع في سياق النفي، فيفيد العموم، فإن قيل: لم يكن في هذا المقام نفي حتى يفيد العموم؟ قلنا: وإن لم يكن في الظاهر لكنه في معنى التنزيه؛ لأنه في معنى لم يكن له شريك، وهو فعيل بمعنى فاعل أي: معادل، و«المحاسن» جمع حسن على خلاف القياس، وهو متعلق بـ«شريك»، وإنما لم يقل في شمائله ليعم الحسن والجمال، ولا يخص الخلق والخصال، ولقائل: أن يقول: إن هذا الحكم أي: كونه عليه السلام منزها عن شريك في كل محاسنه فاسد لأنه قد كان سائر الأنبياء شريكا له في محاسن النبوة والرسالة وعدم العبادة لغير الله، اللّهم إلا أن

(٧٣) "سنن الترمذي"، كتاب المناقب عن رسول الله، فصل في فضل النبي، الحديث: ٣٦٢٥، ٥/ ٣٥٠.

يقال: إنه ادعائي فليتأمل. وقوله: «فجوهر الحسن فيه... إلخ»، «الفاء» للتنيجة أي: لما كان منزها عن شريك في محاسنه لزم أن يكون جوهر الحسن الذي فيه غير منقسم، وإلا أي لو كان جوهر الحسن الذي فيه منقسما للزم أن يكون مشتركا فيه إذ الانقسام إنما يكون بالتقسيم إليه وإلى غيره لكن التالي باطل، والمقدم مثله، فثبت نقيضه، وهو أن جوهر الحسن الذي فيه غير منقسم، و«الجوهر» اختلف فيه هل هو معرب أو لا؟ قال بعضهم: إنه معرب گوهر فارسي، وقال بعضهم: إنه مشتق من الجهر أو من الجهارة، وهو يجيء بمعنى: الحجر المستخرج من البحر المنتفع به كالياقوت والزبرجد والزمرد، وبمعنى: أصل الشيء وجبلته الذي طبع عليه، والجوهر عند الحكماء خمسة: الأول: الهيولى، والثاني: الصورة، والثالث: الجسم، والرابع: العقل، والخامس: النفس، وعند المتكلمين اثنان: الأول: الجوهر الفرد الذي لا يتجزأ، والثاني: النفس، وتفصيل الكلام في علم الحكمة والكلام. والمراد منه هاهنا هو الثاني أعني: أصل الحسن ومادته الذي خلق عليه الحسن، فلا حاجة إلى جعله بمعنى الحجر المنتفع به، وجعل إضافته بيانية أو جعله بمعنى الجوهر الفرد الذي لا تجزأ لأن كله تكلف، والشارحون وقعوا هاهنا في حَيْص بَيْص. وقوله: «فيه» ظرف مستقر صفة الحسن الكائن فيه، أو خبر، أو حال من الحسن، فمن جعله متعلقا بقوله: «غير منقسم» وقع في تكلف، وقوله: «غير منقسم» خبر، أو خبر بعد خبر، ومعناه: غير مشترك فيه بل هو منفرد بذلك الجوهر الفائض من معدن الكمال ومنبع الخير، ثم اعلم! أن في هذا البيت لطافة حيث أثبت الجوهر للحسن الذي هو عرض وحكم عليه بعدم الانقسام، وهو بحث طويل بين أهل الحكمة والكلام، والحمد لله المَلِك المِنْعَام.

(٤٣) دَعْ مَا ادَّعَتْهُ النَّصَارٰى فِيْ نَبِيِّهِمْ ... وَاحْكُمْ بِمَا شِئْتَ مَدْحًا فِيْهِ وَاحْتَكِمِ

لَمَّا جعل عليه الصلاة والسلام منزّهاً عن الشريك في جميع أوصافه ومحاسنه توّهم منه بعض العوام أنه يجوز وصفه عليه الصلاة والسلام بما وصف به النصارى نبيَّهم عيسى عليه الصلاة والسلام لأنّ ذلك الوصف نهاية الأوصاف وغاية الأمداح فدفع ذلك الوهم

فقال: «دع ما ادّعته النصارى في نبيهم.. إلى آخره»، «**دع**» أمر من «ودع يدع» بمعنى اترك، وما زعمت الصرفية من أنّ العرب أَمَاتُوا مَاضِيَ يدع، ومصدره فمحمول على قلة الاستعمال، وإلا فالنبي عليه الصلاة والسلام أفصح العرب، وقد روي عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما أنه قال عليه الصلاة والسلام: ((لَيَنْتَهِيَنَّ أَقْوَامٌ عَنْ وَدْعِهِمُ الْجَمَاعَاتِ أو لَيُخْتَمَنَّ على قُلُوْبِهم))(٧٤) أي: على تركهم إياها، وقال الشاعر:

لَيْتَ شِعْرِي عن خَلِيلي ما الّذي		غالَهُ في الحُبِّ حتى وَدَعَهْ

وعن عروة ومجاهد أنّهما قرآ ﴿مَاوَدَعَكَ﴾ [الضحى: ٣] بالتخفيف كذا ذكره حسن چلپي في حاشية "المطول"، وخطاب «دع» عام لكل من يصلح أن يكون مخاطباً ممن مدح النبي عليه الصلاة والسلام، وقوله: «**ادعته**» عبر بالإدعاء لكونه باطلاً لأنّ الإدعاء يستعمل كثيراً في الباطل كما أنّ الدعوى تستعمل في الحق، و«**النصارى**» جمع نصران كالندامى جمع ندمان، والياء في «نصراني» للمبالغة كما في «الأحمري» سمّوا بذلك لأنّهم نصروا نبيّهم عيسى عليه السلام أو لأنّهم كانوا معه في قرية يقال لها: "نصران" أو "ناصرة" فسموا باسمها أو من اسمها، والمراد من نبيهم عيسى روح الله ابن مريم عليه السلام، والمراد ممّا ادّعته النصارى ما يفضي إلى التوليد والحلول والاتحاد؛ إذ النصارى تفرّقوا بعد عيسى عليه الصلاة والسلام اثنتين وسبعين فرقة، وكبار فرقهم ثلاث: الملكائية والنسطورية واليعقوبية، **الملكائية**: أصحاب ملكان الذي ظهر بـ"الروم"، واستولى عليهم، ومعظم "الروم" الملكائية، وهم قالوا إن الكلمة اتحدت بجسد المسيح، وتدرعت بناسوته، ويعنون بالكلمة أقنوم العلم، وقالوا: إن المسيح قديم أزلي وقد ولدت مريم إلهاً أزلياً، وأطلقوا لفظ الأبوة والبنوة على الله تعالى الله عن ذلك وعلى المسيح لمَا وجدوا في «الإنجيل» حيث قال: إنك أنت الابن الوحيدة. **والنسطورية**: أصحاب نسطور الحكيم الذي ظهر في زمان المأمون وتصرف في «الإنجيل»، وقال: إنّ الله تعالى واحد ذو أقانيم ثلاثة: الوجود والعلم والحياة، وهذه الأقانيم ليست بزائدة على الذات وحلت هذه الصفات في بدن عيسى عليه السلام ولذا يحيي الموتى ويبرئ الأكمه والأبرص، **واليعقوبية**: أصحاب يعقوب رجل من النّصارى قالوا بالأقانيم الثلاثة كما ذكرنا إلا أنهم قالوا: انقلبت الكلمة لحماً ودماً فصار

(٧٤) "سنن ابن ماجه"، كتاب المساجد والجماعات، باب التغليظ في التخلف عن الجماعة، الحديث: ٧٩٤، ١/٤٣٦.

الإله هو المسيح وهو الظاهر بجسده وبيانهم على الوجه المفصل في كتاب "الملل والنحل". وقوله: «واحكم بما شئت مدحا... إلى آخر» دفع سؤال نشأ مما قبله أي: هل لايجوز وصفه عليه السلام بما شئنا من الأمداح؟ فقال: «واحكم» على صيغة الخطاب بما شئت أي: احملوا عليه ما أردته من المدح. وقوله: «**مدحا**» حال من الضمير المحذوف الراجع إلى الموصول، ويجوز أن يكون حالاً من الفاعل أي: حال كونك مادحاً فيكون المصدر على هذا بمعنى اسم الفاعل وقوله: «**واحتكم**» إمّا بمعنى: احكم فيكون تأكيداً للأول أو بمعنى: اتقن في الحكم بالمدحة حتى لا تتجاوز عن الحد الإنسانيّ إلى الوصف الصَمَدانيّ؛ إذ صفات القديم بخلاف صفات المخلوق، فكما أنّ ذاته تعالى لا يشبه الذوات كذلك صفاته تعالى لا تشبه صفات المخلوقين؛ إذ صفاتهم لا تنفك عن الأغراض والأعراض وهو تعالى منزه عن ذلك وكفى في هذا قوله سبحانه: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ﴾ [الشورى: ١١]، وقوله: ﴿يَاأَهْلَ الْكِتٰبِ لَا تَغْلُوْا فِيْ دِيْنِكُمْ وَلَا تَقُوْلُوْا عَلَى اللّٰهِ اِلَّا الْحَقَّ﴾ [النساء: ١٧١]. وإنّه عليه السلام وإن وصف بأكثر ما وصف الله به تعالى لكن صفاته عليه السلام حادثة وصفاته تعالى قديمة.

(٤٤) فَانْسُبْ إِلَى ذَاتِهِ مَا شِئْتَ مِنْ شَرَفٍ ... وَانْسُبْ إِلَى قَدْرِهِ مَا شِئْتَ مِنْ عِظَمِ

لَمَّا كان معنى قوله: «واحكم بما شئت... إلى آخره» خفياً؛ إذ لا يطلق كل شيء على رسول الله صلى الله عليه وسلم فسره بهذا البيت فقال: «فانسب إلى ذاته... إلى آخره» «الفاء» للتفسير والنسبة الإضافة، و«**الذات**» قال صاحب الكشاف: إن التاء في «الذات» ليست كالتاء في «بنت» بل جرت مجرى التاء في نحو: «لات»، ولهذا جوزوا إطلاقه على الله تعالى مع تحاشيهم عن إطلاق علامة التانيث انتهى. وقال ابن سيدة: التاء في ذات وشاة ليست للتانيث؛ لأنّها غير موقوف عليها هاء وتاء التانيث هي التي يوقف عليها هاء انتهى. وفي الچارپردي: أصل «ذات» ذوي فحذفت الياء فبقي «ذو» وعوض التاء فصارت «ذوت» فقلبت الواو ألفاً لتحرّكها وانفتاح ما قبلها فصارت «ذات»، وكذلك «شاة»، وجملة الكلام على ما حققه التفتازاني في سورة آل عمران أن «الذات» وإن كان في الأصل مؤنث «ذو» لكن تاءه قد انسلخ عنها الدلالة على التانيث وأجريت مجرى التاء

الأصلية، ثمّ أطلق على معنى النفس والحقيقة ولذلك قالوا: في النسبة ذاتي بإثباتها وجوزوا إطلاقه على الله تعالى مع امتناع إطلاق العلامة عليه تعالى لوجود التاء، وقد يطلق الذات ويراد به ما قام بذاته، وقد يطلق ويراد به المستقل بالمفهومية ويقابل الصفة، وقد يطلق ويراد به الرضى، وقد يطلق ويراد به مفهوم الشيء، كذا في "كليات أبي البقاء". والتنوين في «شرف» للتعظيم والتعميم أي: من شرف عظيم وكرم كثير من تناسب الأعضاء وجمال الخلق وكرم اليد وطِيْبِ العَرَقِ وذَكَاء اللُّبِّ وصَفَاء الجنان وبلاغة الكلام وفصاحة اللسان وسائر كمالات الإنسان، فإنّه منبع الإحسان ومبدع الرحمن، وقوله: «وانسب إلى قدره» و«القدر» المقدار والمراد مقدار المرتبة و«عظم» على وزن كبر جمع عظمة بمعنى: الفخامة، فإن قيل: ماالفرق بين الشرف والعظمة؟ قلنا: إن الشرف ينسب إلى الذات، والعظمة تنسب إلى الصفات كما قال النبي عليه الصلاة والسلام في مكتوبه إلى هرقل: ((من محمد رسول الله إلى هِرَقْلَ عظيم ملك الروم))(٧٥) فـ«عظيم» في مكتوبه بالنسبة إلى مرتبته لا ذاته، فالمراد بـ«ما شئت من عظم» علو قدره ومرتبته وجمال طوره وعظمته والمعجزات والإرهاصات والمعراج والمناجات والإمامة للأنبياء والدنو إلى جنابه الأعلى والتفضيل في القيامة باللواء والوسيلة والشفاعة العظيمة، وهذا البيت إجمال ما سيأتي من الأبيات المشتملة على أمداحه عليه الصلاة والسلام.

(٤٥) فَإِنَّ فَضْلَ رَسُوْلِ اللهِ لَيْسَ لَهُ ... حَدٌّ فَيُعْرِبُ عَنْهُ نَاطِقٌ بِفَمِ

لَمَّا كان في مضمون البيت السابق شبهة بعض المشبهة من أنّه لا يجوز إطلاق جميع الأوصاف الكاملة عليه بل إنّما يقتصر على توصيفه بما ورد من الشرع في وصفه نفسه أثبته وعلله فقال: «فإنّ فضل رسول الله... إلخ» فالفاء للتعليل فيمكن أن يرتب هاهنا قياس من الإقتراني بأدنى تغيير بأن يقال: يجوز أن تنسب إلى ذات رسول الله ما شئت من شرف وتنسب إلى قدره ما شئت من عظيم؛ لأنّ رسول الله ليس لفضله حد فيعرب عنه ناطق بفم، وكل من شانه كذا فيجوز أن تنسب إلى ذاته ما شئت من شرف وتنسب إلى

(٧٥) "صحيح البخاري"، كتاب تفسير القرآن، باب قل يا أهل الكتاب تعالوا، الحديث: ٤٥٥٣، ٣/١٩٢.

قدره ما شئت من عظيم فينتج المطلوب، وأما تقريره من الاستثنائي فظاهر بأن يقال: يجوز أن تنسب إلى ذات رسول الله ما شئت من شرف؛ لأنّه لما كان فضل رسول الله ليس له حد فيعرب عنه ناطق بفم جاز أن تنسب إلى ذاته ما شئت من شرف لكن المقدم حق فالتالي مثله. و«الفضل» بمعنى الزيادة والتفوق وهو مصدر مضاف إلى فاعله و«الحد» هاهنا بمعنى الغاية والنهاية أو بمعنى الوصف المحيط، والفاء في «فيعرب» جواب للنفي و«يعرب» منصوب بـ«أن» المقدرة وهو من الإعراب وهو يجيء بمعنى الإظهار والإبانة ويجيء بمعنى التحسين، يقال: «جارية عروب» أي: حسناء وبمعنى التغيير يقال: «عربت معدة الفصيل» إذا تغيرت والمراد هاهنا هو الأول و«عنه» متعلق بـ«يعرب». و«الناطق» بمعنى المتكلم، والباء في «بفم» للاستعانة متعلق بـ«ناطق»، والنطق لا يكون إلا باللسان فالتعبير عنه بالفم من ذكر المحل وإرادة الحال، وتقييد النطق بالفم إما للتوكيد على طريقة قوله تعالى: ﴿يَطِيْرُ بِجَنَاحَيْهِ﴾ [الأنعام: ٣٨]، أو لأن النطق يطلق على ما يجري على الجنان أيضا كما هو مذهب بعض العلماء، وإنما قيد «الحد» بقوله: «يعرب عنه ناطق بفم» احترازا عن الحد المعلوم له عليه السلام عند ربه عزوجل فإنه تعالى يعلم فضل رسوله إذ لو لم يعلم لزم الجهل والتالي باطل، وبما قررنا اندفع ما أورده شيخ زاده فتأمل. وفي هذا البيت تلميح إلى قوله تعالى: ﴿وَاَنَّ الْفَضْلَ بِيَدِ اللهِ يُؤْتِيْهِ مَنْ يَّشَآءُ وَاللهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيْمِ﴾ [الحديد: ٢٩].

(٤٦) لَوْ نَاسَبَتْ قَدْرَهُ آيَاتُهُ عِظَمًا ... أَحْيَى اسْمُهُ حِيْنَ يُدْعَى دَارِسَ الرِّمَمِ

لَمَّا أراد الناظم الفاهم أن يدفع التوهم الناشي من إيراد أوصافه عليه السلام أنه مبين أوصافه ومورد لكل أمداحه قال معترفا بعجزه عن وصفه على ما يناسب له عليه السلام: «لو ناسبت قدره ... إلى آخره»، كلمة «لو» حرف شرط وهو لانتفاء الثاني لانتفاء الأول أي: لو ناسب قدره آياته عظما أحيى اسمه حين يدعى دارس الرمم فلم تكن آياته مناسبة لقدره يعني أن آياته غير مناسبة لعلو قدره وعظم مرتبته بل المناسب لقدره أن يعطي أزيد مما فيه وأفضل من الآيات التي أعطيها، فإن قلت: الآيات صيغة جمع وصيغة الجمع من صيغ العموم فيدل على جميع الأفراد وهو باطل قطعا؛ لأنّ من

أفراد آياته القرآن والمعراج على قول الرؤية أيضا، فلو كان المراد من الآيات جميع الأفراد للزم كون القرآن والمعراج على قول الرؤية غير لائق بشانه عليه السلام وهو باطل قطعا؛ لأن القرآن كلام الله القديم وكذا المعراج على هذا شيء عظيم لائق بشانه بل فاضل عنه؟ قلت: أجيب عنه بوجوه: أما أولا: فبأنا لا نسلم أن صيغة الجمع باقية هاهنا على عمومها كيف وهو عام قد خص منه البعض، فيكون المراد بالآيات غير القرآن والمعراج، وأما ثانيا: فبأنا لو سلمناه على عمومه فلا نسلم أن القرآن والمعراج داخلان في الآيات لأن المراد منها ما عداهما بقرينة كون إضافتها للعهد أي: الآيات التي صدرت عنه عليه السلام بالاختيار وهما حاصلان بالاضطرار، وأما ثالثا: فبأن المراد من الآيات الآيات السابقة بقرينة أن الألف واللام فيها للعهد وهما غير داخلين فيما سبق فتدبر. وأما رابعا: فبأن يقال إن المراد بالآيات الآيات الدالة على عظمته أعني: المقصودة في الدلالة على العظمة لا في الشرافة، والقران والمعراج غير ظاهرين في الدلالة على العظمة، وفيه ما فيه. ثم إن «**ناسبت**» من المناسبة، وهي الاشتراك في شيء أو أكثر و«**قدره**» بالنصب مفعول «ناسبت»، وقدر الشيء مبلغه في الكمال أو النقصان، وغلب استعماله في الكمال خصوصاً عند الإطلاق و«**آياته**» بالرفع فاعل «ناسبت»، وهي جمع آية بمعنى العلامة. و«**عظما**» بالنصب تمييز عن إسناد «ناسبت»، وهو بمعنى العظمة. وجملة «أحيى» جواب «لو»، و«**أحيى**» من الإحياء، وهو إيجاد الحياة وإعطاؤها. و«**اسمه**» بالرفع فاعل «أحيى»، والمراد من «الإسم» إما ما يرادف العَلَم أو بمعنى التسمية بمعنى ذكر الاسم، وإسناد «أحيى» إليه مجاز؛ إذ المحيي هو الله و«**يدعى**» على صيغة المجهول من «دعا» إذا طلبه ودعا الله سأله، وضمير «يدعى» راجع إلى الله تعالى. و«**دارس الرمم**» بالنصب مفعول «أحيى». و«**الرمم**» جمع رِمَّة كالقطع جمع قطعة، وهي العِظام البالية يقال: «درس الرمم» إذا عفا فدراستها زيادتها في البلى وإضافة الدارس إليها من إضافة الصفة إلى الموصوف أي: الرمم الدارسة.

وحاصل معنى البيت: أنه لو كانت آياته العظام مناسبة لمقدار كماله لأحيى الله تعالى بعد وفاته ببركة اسمه العظام البالية والأجساد الفانية لكن ما أحيى الله تعالى بعد وفاته تلك العظام لستر غايات كمالاته بين الأنام، فإن قلت: لم لم يعط صلى الله تعالى عليه

وسلم هذه المعجزة أعني: إحياء الموتى بعد وفاته ببركة اسمه حين يدعى الله تعالى كما أعطى سائر المعجزات؟ قلت: لو أعطها أيضا لكان إيمان المؤمنين بعد عصر سعادته عليه الصلاة والسلام إيمانا بالمشاهدة وإيمان الغيب أولى من الإيمان بالمشاهدة كما لايخفى. ومن فهم من هذا البيت أن مراد الناظم أن إحياء الموتى لم يعط له عليه الصلاة والسلام أصلا فقال: معترضا على الناظم أن هذا البيت مخالف لما سيأتي من قوله: وكل آي أتى الرسل اهـ ؛ إذ يفهم منه أن إحياء الموتى أعطي إليه عليه السلام إذ كان ذلك معجزة لعيسى عليه السلام وهذه المعجزة اتصلت إلى عيسى عليه السلام من نور نبينا عليه الصلاة والسلام انتهى. فقد خبط خَبْطَ عَشْوَاءَ وركِب مَتن عَمْياءَ إذ ليس مراد الناظم أنه لم تعط له عليه السلام هذه المعجزة أصلاً بل مراده أن تلك المعجزة لم تعط له عليه السلام بعد وفاته إلى يوم القيامة، وإلا فهو عليه السلام جامع لجميع المعجزات التي ظهرت في أيدي سائر الأنبياء مع معجزات خاصة به عليه الصلاة والسلام، وإن كنت في ريب مما ذكرناه فانظر إلى ما ذكر في "دلائل النبوة" من أنه مات في زمانه عليه السلام فتى من الأنصار فزمله من في أطرافه، فجاءت أمه الضعيفة العمياء، فأخبروها بموته، فقالت: اللهم إن كنت تعلم أني هاجرت إليك وإلى نبيك رجاء أن تغيثني في كل شدة فلا تحمل عليَّ هذه المصيبة بحرمة نبيك، فبعد هذا الدعاء كان ابنها الميت حيا فكشف وجهه، فقام وأكل الطعام مع الحاضرين. وكذا ما روي أن جابر ابن عبد الله دعا رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم دعوة فذبح له غنما فجاء ابنه الكبير، فسأل من أخيه الصغير قائلا كيف ذبح أبونا الغنم؟ فقال الغلام الصغير له: جئ حتى أريك، فأطاعه الغلام الكبير، فشد يديه ورجليه، فأخذ السكين وذبحه، فذهب برأسه إلى أمه، فبكت أمه، فخاف الغلام منها ففر وصعد السطح، فمرت أمه من خلفه، فرمى الغلام نفسه من السطح، فمات، فصبرت أمهما على هذه المصيبة فلفتهما في خرقة وحفظتهما في البيت، وشرعت في طبخ الطعام، فلما جاء الرسول عليه الصلاة والسلام حضروا الطعام، فنزل جبرائيل فقال له عليه السلام أمر الله تعالى لك أن تأكل هذا الطعام مع ابني جابر، فأعلم رسول الله عليه الصلاة والسلام جابرا فجاء جابر إلى زوجته فسألها فقالت: ليسا بحاضرين هنا، فجاء جابر إليه عليه الصلاة والسلام فقال: إنهما ليسا بحاضرين يارسول الله، فأمر رسول الله تكرارا بإتيانهما، فجاء جابر، فأقدم على

زوجته، فاضطرت وأخبرت بالسر، فجاء جابر إليه عليه الصلاة والسلام باكيا، فأخبره بالقضية، فتفكر رسول الله، فنزل جبرائيل فقال: إن الله تعالى يأمرك أن تدعو لهما، ويقول: منك الدعاء ومنا الإجابة، فدعا رسول الله لهما بالحياة فأحياهما الله تعالى، فقاما وأكلا معه عليه السلام. ومثل هذا كثير وفيركما لايخفى على من هو بكتب الأحاديث خبير. ثم اعلم أن **خاصية** هذا البيت: أنه لو قرئ على مُحْتَضَرٍ قد اشتدت سكرات موته في آخر وقته إن تم أَجَلُه يموت وإلا فيفيق ويخلص من ألم ذلك الوقت وشدته كذا أخبر به الأستاذ طال بقاه.

(٤٧) لَمْ يَمْتَحِنَّا بِمَا تَعْيَ الْعُقُوْلُ بِهِ ... حِرْصًا عَلَيْنَا فَلَمْ نَرْتَبْ وَلَمْ نَهِمِ

لَمَّا توهم مما سبق أنه عليه الصلاة والسلام في غاية العظمة ونهاية المَهَابَة فلا يبالي بأمته الضعيفة كسلاطين الزمان لأنهم إذا وصلوا إلى المرتبة العليا لم يبالوا بالرعايا بل كلما فاقت مراتبهم يحملون رعاياه على الأعمال الشاقة والأفعال التي لا وسع لهم عليها ولا طاقة دفعه فقال: «لم يمتحنا بما تعي العقول به...إلخ»، «**لم يمتحنا**» من الامتحان بمعنى: الاختبار والابتلاء، أو من المِحْنَة أي: لم يحملنا على المِحْنَة، والباء في «**بما**» متعلق بـ«يمتحن»، و«**ما**» عبارة عن الشرع الشريف. و«**تعي**» مضارع من «عيي» لا من «أعي»، والفرق بين العي والإعياء أن كل عجز حصل بعد حركة وسكون فهو إعياء، وكل عجز حصل في رأي وعقل فهو عي، وهاهنا حكاية: وهي أن الكسائي تعلم النحو في كبر سنه، وكان سبب تعلّمه أنه مشى يوما حتى أعي، فجلس عند قوم ليستريح، فقال: عيّيت بالتشديد بغير همزة، فقالوا له: لا تجالسنا، وأنت تلحن قال الكسائي: فكيف أقول؟ قالوا: إن أردت من التَّعَبِ والمَشَقَّةِ، فقل أعييت، وإن أردت من التحير في الأمر والرأي فقل: عَيِيتُ مخففًا فقام الكسائي من فوره، وسأل عمن يعلم النحو، فأرشدوه إلى معاذ، فجاء وقرأ عليه حتى نفد ما عنده، ثم خرج إلى "البصرة" إلى الخليل بن أحمد كذا ذكره الحقي في "تعريفاته". و«**العقول**» جمع عقل، وهو في الأصل بمعنى: الحبس سمي به الإدراك الإنساني لحبسه عما يقبح ومنعه مما لا يحسن، وفي "الدرر" العقل: في الأصل بمعنى الدية سميت به لأنها تعقل الدماء من أن تسفك، و منه العقل، والعقل والنفس

والذهن واحد بالذات إلا أنه إذا كان مدركا يسمى عقلا، وإذا كان متصرفا يسمى نفسا، وإذا كان مستعدا للإدراك يسمى ذهنا، ثم اعلم! أن العقل له معان: منها جوهر مجرد متعلق بالبدن تعلق التدبير والتصرف، قال التفتازاني: هذا ما قيل: جوهر ليس بجسم ولا جسماني، ومنها قوة للنفس الإنسانية بها يتمكن من إدراك الحقائق، ولعل هذا ما قالوا: قوة للنفس بها تستعد للعلوم والإدراكات، ومنها: القوة الغريزية التي يلزمها العلم بالضروريات ونفس العلم بذلك، ومنها: قوة مميزة بين الأمور الحسنة والقبيحة، ومنها: هيئة محمودة للإنسان، ومنها: قوة للنفس بها تنتقل من الضروريات إلى النظريات، ومنها: جوهر مجرد عن المادة في ذاته مقارن لها في فعله، وهي النفس الناطقة التي يشير إليها كل أحد بقوله: أنا، ثم اختلف في محل العقل، فقيل: نور في بدن الآدمي، وقيل: في الرأس ونوره في القلب، وقيل: في القلب وإشراقه في الدماغ. ثم **اعلم!** أن الحكماء أثبتوا العقول العشرة، وسموا جبريل بالعقل العاشر، والعقل الفعال، وقالوا: إنه خلق العالم الأصغر من السطح المقعر لفلك القمر من العناصر الأربعة والمواليد الثلاثة وزعموا أنه لا يصدر من الواحد إلا واحد، وكله كذب، وتفصيل قواعدهم في علم الحكمة. وقوله: «**به**» متعلق بـ«تعي»، والضمير راجع إلى الموصول، وقوله: «**حرصا**» بالنصب مفعول له أو حال أي: ذا حرص، و«على» متعلق بـ«الحرص»، و«**الحرص**» شدة الرغبة في الشيء والميل إليه وصرف الهمة له: والفاء في «فلم نرتب» نتيجة، فما قبله من المقدمات ينتج هذا المطلوب، فترتيب قياسه هكذا أن نبينا عليه الصلاة والسلام لم نرتب به ولم نهم لأنه عليه الصلاة والسلام لم يمتحنا بما تعي العقول به، ومن امتحننا بما تعي العقول به نرتاب ونهيم به، ينتج من الشكل الثاني عين المطلوب، وترتيبه من الشكل الأول سهل لمن هو أهل. و«**نرتب**» من إرتاب بمعنى: شك. و«**نهم**» مضارع من هام إذا تحير كقوله:

كل البلا بل في أفصاح خصلته		**سحبان هام به ما فاز بالزمل**

وحاصل معنى البيت: أنه عليه السلام لم يختبرنا، ولم يبتلنا، ولم يحملنا على تعب ومحنة بإتيان شريعة تعجز عنها العقولة، ولم يكلفنا شيئا من التكاليف الشاقة كما كان في أمم قبلنا، مثل تعيين القصاص في العمد والخطأ وحرمة الدية، وقطع الأعضاء الخاطئة، وقرض موضع النجاسة، وقتل النفس في التوبة، وقطع الثوب المتنجس

بالمقراض، وترك العمل في يوم السبت، وعدم جواز الصلاة في غير الكنائس، وفرض خمسين صلاة في يوم وليلة، وصرف ربع المال للزكاة، وغيرها بل أتانا بالحنيفية السهلة السمحاء، فلم نتحير في متابعته، ولم نشك في رسالته قال الحسن في تفسير قوله تعالى: ﴿عَزِيزٌ عَلَيْهِ﴾ [التوبة: ١٢٨] أي: أن تدخلوا النار ﴿حَرِيصٌ عَلَيْكُم﴾ [التوبة: ١٢٨] أي: أن تدخلوا الجنة، قال في "التفسير الكبير" المراد أنه حريص بإيصال الخيرات إليكم في الدنيا والآخرة، وقال الفراء: الحريص، الشحيح، ومعناه أنه شحيح عليكم أن تدخلوا النار انتهى. قال في المواهب: قال تعالى في شانه: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ﴾ [الأنبياء: ١٠٧] ولا رحمة مع التكليف بما لا يفهم، وبالجملة في هذا البيت تلميح إلى قوله تعالى: ﴿لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ﴾ الآية [التوبة: ١٢٨]، وإيماء إلى قوله تعالى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ﴾ [الأنبياء: ١٠٧]، وإشارة إلى قوله تعالى: ﴿وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَالْأَغْلَالَ الَّتِي كَانَتْ عَلَيْهِمْ﴾ [الأعراف: ١٥٨]، وتلويح إلى قوله عليه السلام: ((بعثت بالحنيفية السهلة السمحاء))(٧٦) وإلى قوله عليه السلام: ((لقد جئتكم بها بيضاء نقية))(٧٧) اللهم أنت خالق الورى اجعلنا من أهل المغفرة والتقى بحرمة النبي الذي في صورة قد بدأ.

(٤٨) أَعْيَ الْوَرَى فَهْمُ مَعْنَاهُ فَلَيْسَ يُرَى ... لِلْقُرْبِ وَالْبُعْدِ مِنْهُ غَيْرُ مُنْفَحِمِ

لَمَّا احتمل أن يتوهم من قوله: «فلم نرتب ولم نهم» أنا وصلنا إلى فهم حقيقة معناه دفعه فقال: «أعي الورى فهم معناه... إلخ» «**الإعياء**» التعجيز، و«**الورى**» بمعنى: الخلق، والألف واللام فيه للاستغراق فالمعنى أعجز جميع المخلوقات؛ لأن استغراق المفرد أشمل، وهو بالنصب مفعول «أعي»، و«**فهم**» بالرفع فاعله، وهو مضاف إلى مفعوله أي: فهمهم معناه، ومعنى الرجل كماله الخاص به، والفاء في «**فليس**» فصيحة أي: إذا عجز المخلوقات عن فهم معناه فليس يرى... إلخ، و«ليس» قالوا: إن أصل «ليس» «لأيس» والأيس اسم للموجود، فإذا قيل: لا أيس فمعناه لا موجود ولا وجود، ثم كثر استعماله

(٧٦) "إحياء علوم الدين"، بيان دواء الرجاء، ٤/١٨٦.

(٧٧) "مشكاة المصابيح"، كتاب الإيمان، باب الاعتصام بالكتاب والسنة، الفصل الثاني، الحديث: ١٧٧، ١/٥٥.

فحذفت الألف فبقي «ليس»، ثم اعلم! أن القاعدة في كلمة «ليس» أنه إذا دخل على الفعل يكون اسمه ضمير شان، فهاهنا كذلك و«**يرى**» مضارع على صيغة المجهول إما من الرؤية البصرية، أو من الرؤية القلبية، فإن كان من الأولى يكون قوله الآتي مفعولها القائم مقام الفاعل، وإن كان من الثانية فالمفعول الثاني أحد الجارين مع المجرور، وقوله: «**للقرب**» وقع في بعض النسخ بـ«في»، وبعضها باللام، فاللام بمعنى «في» والقرب والبعد إما زمانيان أو مكانيان، و«**منه**» وقع في بعض النسخ بدله «منهم» فعلى الأول يكون الضمير راجعا إلى معناه، وعلى الثاني يكون راجعا إلى «الورى»، و«**الانفحام**» قبول الإلزام، والمراد به العجز عن إتيان كمال معناه.

و**حاصل معنى البيت:** أن فهم معانيه الخفية البهية وكمالاته العلية السنية أعجز الكائنات بأسرها والمخلوقات بشرا شرها فلايبصر بل لايعلم للقرب والبعد غير العجز عن إدراك حقيقة معناه وغير السكوت عن حقيقة مبناه، فكان وصفه عليه الصلاة والسلام أصعب من جميع الجهات بين الأنام، ولذا قال الشيخ بدر الدين الزركشي: ولهذا لم يتعاط فحول الشعراء المتقدمين كأبي تمام والبحتري وابن الرومي مدحه عليه السلام مع كونهم مسومين بالفصاحة والبلاغة بين الأنام لأن مدحه عليه السلام كان من أصعب ما يحاولونه، فإن المعاني دون مرتبته والأوصاف دون وصفه، وكل علو في حقه تقصير، فيضيق على البليغ وصفه وقال في "تذكرة القرطبي": لم يظهر كمال حسنه عليه السلام، وإلا لما أطاقت أعين الصحابة رضي الله تعالى عنهم النظر إليه انتهى.

(٤٩) كَالشَّمْسِ تَظْهَرُ لِلْعَيْنَيْنِ مِنْ بُعُدٍ ... صَغِيرَةً وَتُكِلُّ الطَّرْفَ مِنْ أَمَمِ

لَمَّا كان في مفهوم البيت الأول خفاء أتى له بنظير فقال: «كالشمس تظهر... إلخ» «**الشمس**» كوكب نهاري مضيء لجميع العالم. و«**تظهر**» من الظهور على صيغة التأنيث لأنّ الشمس مؤنث، و«تظهر» مع ما بعده إشارة إلى وجه التشبيه بالشمس لا مطلقا، وقد بيّن عيب التشبيه بها على الإطلاق أبو نواس حيث قال:

يتيهُ الشمسُ والقمرُ المنيرُ	إذا قلنا كأنّكما الأميرُ
لأنّ الشمسَ تغرُبُ حينَ تمسي	وأنّ البَدْرَ يُنقصُهُ المَسيرُ

وهذا التشبيه وغيره مما ورد في حقه عليه السلام إنّما هو على سبيل التقريب والتمثيل، وإلا فذاته أعلى وأمجد، فإن قلت: المناسب أن يشبه جماله عليه السلام بالقمر والبدر؛ لأن القمر يملأ الأرض بنوره ويؤنس كل من يشاهده ونوره من غير حر يفزع ولا كلل ينزع...؟ قلت: نعم! كذلك إلا أنّ الناظم الفاهم قصد تشبيهه عليه السلام بالشمس في العجز عن التمكن من النظر على وجه الكمال إلى وجهه عليه السلام وفي أتمية الضياء؛ لأنّ الشمس أتم ضياء من القمر كما لايخفى. وقوله: «**للعينين**» على صيغة التثنية متعلق بـ«تظهر»، والألف واللام فيه للاستغراق أي: لكل عين سواء كانت عين الأولياء والأصفياء، و«**من بعد**» متعلق به أيضاً، و«البُعُد» بضمتين لغة في البُعْد، والبعد ضد القرب، وهو عبارة عن امتداد قائم بالجسم أو بنفسه عند القائلين بوجود الخلاء وقوله: «**صغيرة**» بالنصب حال من فاعل «تظهر» وقوله: «**وتكل**» من الإكلال، وهو التعجيز عن الإدراك، و«**الطرف**» العين، و«من أمم» متعلق بـ«تكل» أو حال من الظرف، والأمم بتفحتين القرب.

وحاصل معنى البيت: أنه صلى الله تعالى عليه وسلم في وصفه الذي تقدم من أنه عجز عن فهم مبناه وعلم معناه كالشمس التي تظهر للعينين من جهة العبد حال كونها صغيرة وتعجز البصر والنظر من القرب وتصير نفس الرائي حسيرة، والحاصل: أن الشمس على ما قيل: إنها قدر كرة الأرض مأة وبضعا وستين مرة كما أنها تظهر من المسافة البعيدة صغيرة، وإذا تقرب الشخص لإدراك حقيقتها يرى نفسه عاجزة حقيرة كذلك عليه السلام يرى في بادي النظر أنه فرد من أفراد البشر، وإذا تأمل في جمال ذاته وكمال صفاته عجز وتحير، وفي هذا البيت إشارة دقيقة إلى قوله عليه السلام: ((اللهم اجعلني في عيني صغيرا)) أي: لمشاهدة عظمتك ((وفي عين الناس كبيرا))[٧٨] أي: لمكاشفة قدرتك.

---

(٧٨) "مجمع الزوائد"، كتاب الأدعية، باب الأدعية المأثورة، الحديث: ١٧٤١٢، ١٠/٢٨٩.

(٥٠) وَكَيْفَ يُدْرِكُ فِي الدُّنْيَا حَقِيْقَتَهُ ... قَوْمٌ نِيَامٌ تَسَلَّوْا عَنْهُ بِالْحُلُمِ

لَمَّا بَيَّن العجز عن إدراك كمالاته عليه السلام بالغ فيه مع الإشارة إلى علة ذلك العجز فقال: «وكيف يدرك في الدنيا... إلخ»، وفي بعض النسخ وقع بالفاء فيكون تفريعا لما تقدم، وفي بعضها بالواو فتكون عاطفة، و«**كيف**» ظرف «يدرك» قدم عليه لصدارته لأنه كلمة استفهام، والاستفهام لإنكار الوقوع و«**يدرك**» مضارع معلوم من الإدراك، والإدراك بمعنى: مطلق التصور أو بمعنى الإحاطة بجوانب المرئي، قال بعضهم: أول مراتب وصول العلم إلى النفس، الشعور، ثم الإدراك، ثم الحفظ، وهو استحكام العقول في العقل، ثم التذكر، وهو محاولة النفس في استرجاع مازال من المعلومات، ثم الذكر، وهو رجوع الصورة المطلوبة إلى الذهن، ثم الفهم، وهو التعقل، ثم الفقه، وهو العلم بغرض المخاطب، ثم الدراية، وهي المعرفة الحاصلة بعد ترتيب مقدمات، ثم اليقين، ثم الذهن، وهو الاستعداد لكسب العلوم الغير الحاصلة، ثم الفكر، ثم الحدس. و«**في الدنيا**» متعلق بـ«يدرك»، وإنما قيد عدم الإدراك بالدنيا لأن استتار حقيقة المحمدية واختفاء كمالاته الأحمدية مخصوص بالدنيا لأن في الآخرة تظهر مراتب كل واحد، ولذا يرى المؤمنون في الآخرة ربَّهم بغير كيف ومكان ولذا قال صاحب الأمالي: « يراه المؤمنون بغير كيف» لأن في الآخرة تبدل الأعيان إلى حالة أخرى، ولذا قال بعض العارفين: وإنما امتنع رؤية الله تعالى في الدنيا الفانية لأن الباقي لايرى إلا بالعين الباقية وقوله: «**حقيقته**» بالنصب مفعول «يدرك»، وضميره راجع إليه عليه الصلاة والسلام وحقيقة الشيء كماله الخاص به يقال: حقيقة الله، ولايقال: ماهية الله لإيهامها معنى التجانس. وقوله: «قوم» بالرفع فاعل «يدرك» و«**القوم**» اسم لجماعة الرجال خاصة لأنهم القوامون بأمور النساء فاللفظ مفرد بدليل أنه يثنى ويجمع، واختصاص القوم بالرجال دون النساء صريح في قوله تعالى: ﴿لَا يَسْخَرْ قَوْمٌ مِّن قَوْمٍ عَسَىٰٓ أَن يَكُونُوا۟ خَيْرًا مِّنْهُمْ وَلَا نِسَآءٌ مِّن نِّسَآءٍ﴾ [الحجرات: ١١]، وقول زهير: (ع) أقوم آل حصن أم نساء . وأما في مثل هذا المقام، فذكر الذكور وترك النساء لأنهن توابع لرجالهن فيكون تغليبا، ثم اعلم! أن في القوم ثلاثة أقوال: أحدها: أنه اسم جمع، وثانيها: أنه جمع لا واحد له من لفظه، وثالثها: أنه جمع له واحد من لفظه كما

قال صاحب "الكشاف" في سورة الحجرات: هو في الأصل جمع قائم. وقوله: «**نيام**» بالرفع صفة «قوم»، وهي جمع نائم، والنوم ريح يقوم من أغشية الدماغ فإذا وصل إلى العين فترت، وإذا وصل إلى القلب نام، والمراد من النيام الغفل إما على طريق الاستعارة أو المجاز أما الأول فبأن يقال: شبه الغفلة بالنوم في عدم إدراك فائدة ما، ثم استعير النوم للغفلة، وذكر النوم وأريد الغفلة، ثم اشتق من الغفلة الغفل الذي هو جمع غافل، واشتق من النوم نيام، وشبه الغفل بالنيام فاستعير النيام للغفل، فذكر النيام وأريد الغفل، فعلى هذا يكون قوله: «تسلوا عنه بالحلم» ترشيحا لهذه الاستعارة، وأما الثاني: فبأن يكون مجازا مرسلا تبعيا بأن يقال: إن الغفلة لازمة للنوم، فذكر الملزوم وأريد اللازم، ثم اشتق من الغفلة غفل، ومن النوم نيام، فذكر النيام وأريد الغفل، وقوله: «**تسلوا**» من التسلية بمعنى قنعوا واكتفوا. و«**عنه**» متعلق بـ«تسلوا»، والضمير إما راجع إليه عليه السلام وإما إلى حقيقته. و«**الحُلُم**» بضمتين ما يراه النائم في نومه من الخيالات.

وحاصل معنى البيت: كيف تعلم في الدنيا الدنية حقيقة الذات المحمدية وحقيقة الصفات الأحمدية جماعة غافلة كالنيام قنعوا عن معرفته بالخيالات والأوهام، وفي هذا البيت تنبيه إلى قوله عليه الصلاة والسلام: ((الناس نيام فإذا ماتوا انتبهوا))[٧٩] والحمد لله العلام.

(٥١) فَمَبْلَغُ الْعِلْمِ فِيْهِ أَنَّهُ بَشَرٌ ... وَأَنَّهُ خَيْرُ خَلْقِ اللهِ كُلِّهِمِ

فلَمَّا كان المراد بتسليتهم بالحلم خفيا أراد أن يفسره فقال: «فمبلغ العلم... إلخ»، فالفاء للتفصيل والتفسير، و«**المبلغ**» بمعنى المنتهى والغاية و«**العلم**» الألف واللام فيه عوض عن المضاف إليه أي: منتهى علم الناس، و«**فيه**» متعلق بـ«مبلغ»، أو ظرف مستقر صفة للعلم وفيه حذف مضاف أي: في شانه و«**أن**» مع اسمها وخبرها خبر المبتدأ، والضمير له عليه السلام، و«**البشر**» هو علم لنفس الحقيقة من غير اعتبار كونها مقيدة بالتشخصات والصور، وأما الرجل فهو اسم لحقيقة معتبرة معها تعينات وصور حقيقية فالمتبادر في الأول نفس الحقيقة وفي الثاني الصورة، وفي "القاموس" «البشر» بالحركات الإنسان ذكرا

(٧٩) "كشف الخفاء"، الجزء الثاني، الحديث: ٢٧٩٤، صـ ٢٨٠.

كان أو أنثى واحدا كان أو جمعا نحو قوله تعالى: ﴿بَشَرًا سَوِيًّا﴾ [مريم: ١٧]، وقوله: ﴿إِمَّا تَرَيِنَّ مِنَ الْبَشَرِ أَحَدًا﴾ [مريم: ٢٦]، وقد يثنى ويجمع على البشار، فإن قلت: هل العلم بكونه صلى الله تعالى عليه وسلم بشرا ومن العرب شرط في صفة الإيمان أو هو من فروض الكفاية؟ قلت: أجاب عنه "الشيخ ولي الدين العراقي" بأنه شرط في صحة الإيمان، لأنهم قالوا: لو قال شخص: آمنت برسالة محمد عليه السلام إلى جميع الخلق، ولكن لا أدري هل هو من البشر أو من الملائكة أو من الجن، أو لا أدري هل هو من العرب أو من العجم، فلا شك في كفره لتكذيبه القرآن وجحده ما تلقته قرون الإسلام خلفا عن سلف، وصار معلوما بالضرورة عند الخاص والعام، ولا أعرف في ذلك خلافا وإن كان جاهلا بالقرآن، أو كان في غيب لا يعرف ذلك الاتفاق وجب تعريفه له، فإن جحده بعد ذلك حكمنا بكفره انتهى. قوله: «وأنه خير خلق الله كلهم» عطف على «أنه بشر»، و«**الخير**» قد سبق تفصيله، و«**الخلق**» بمعنى المخلوق، وضمير «**كلهم**» راجع إلى الخلق، وجمعيته باعتبار المعنى، أو مبنية على ما ذكره القاضي من أن ضمير الجمع قد يرجع إلى المفرد وبالعكس، وإنما أكد بـ«الكل» دفعا لخلاف البعض.

وحاصل معنى البيت: أن نهاية بلوغ علمنا وغاية وصول فهمنا في مبنى ذاته أنه بشر عظيم وجوهر جسيم من أفراد الإنسان وأجياد الأعيان، وفي معنى صفاته أنه أفضل المخلوقات وسيد الكائنات.

(٥٢) وَكُلُّ آيٍ أَتَى الرُّسْلُ الْكِرَامُ بِهَا ... فَإِنَّمَا اتَّصَلَتْ مِنْ نُوْرِهِ بِهِمِ

لَمَّا كان قوله في المصراع الثاني «وأنه خير خلق الله كلهم» نظريا أثبته وأحكمه فقال: «وكل آي أتى الرسل... إلخ»، فالواو عاطفة، والعطف من قبيل عطف العلة على معلولها أي: إذ كل آي، فيمكن أن يرتب هاهنا قياس من الشكل الأول بأدنى تغيير بأن يقال: نبينا خير الأنبياء كلهم؛ لأن نبينا عليه الصلاة والسلام كل آي أتى الرسل الكرام بها، فإنما اتصلت من نوره بهم، وكل من شانه كذلك، فهو خير الأنبياء كلهم، فينتج المطلوب، وترتيبه من الاستثنائي سهل لمن هو أهل. و«**كل**» بالرفع مبتدأ مضاف إلى نكرة فيفيد عموم الأفراد فيناسب المقام، و«**الآي**» جمع آية بمعنى العلامة الظاهرة

واشتقاقها من أيّ لأنها تبين أيًّا من أيّ، ويستعمل في المحسوسات والمعقولات، والمراد هاهنا المعجزات. و«**أتى**» يجيء لمعان كمعنى فعَل ومعنى حضَر، يقال: «أتى المكان» أي: حضره، وبمعنى جامع يقال: «أتى المرأة إتيانا» أي: جامعها، ومعنى أنفذ، يقال: «أتى على شيء» أي: أنفذه، ومعنى بلغ، ومعنى أهلك يقال: «أتى عليهم الدهر» أي: أهلكهم وأفناهم، ومعنى أمر، كقوله تعالى: ﴿وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ﴾ [الحشر: ٧] أي أمركم، ومعنى انتسب، يقال: «أتى الرجل القوم» أي: انتسب إليهم وليس منهم، وقد يتعدى إلى الثاني بالباء مثل: أتيته بالبلية، وذكر الزمخشري أنه يجيء بمعنى صار كما في قولك: أتى البناء محكما أي: صار، وبمعنى كان وقوله تعالى: ﴿وَلَا يُفۡلِحُ ٱلسَّاحِرُ حَيۡثُ أَتَىٰ﴾ [طه: ٦٩]، أي: كان، والمراد هاهنا إما معنى حضر أو معنى جاء. و«**الرسل**» بسكون السين لضرورة الوزن جمع رسول، لايقال المناسب أن يقول: كل النبي بها، ليعم ويشمل؛ لأنا نقول: بنى الناظم هذا القول على أن النبي والرسول مترادفان، أو النبي يفهم بطريق الدلالة مع أنه في الرسل دخل رسل الملائكة كجبريل وعزرائيل وميكائيل وإسرافيل، فظهر أفضليته عليه السلام عليهم جميعا كيف وقد قال جمهور أهل السنة والجماعة: إن خواص بني آدم وهم الأنبياء أفضل من خواص الملائكة، وهم الأربعة المذكورة وحملة العرش والمقربون والكروبيون والروحانيون وخواص الملائكة أفضل من عوام بني آدم قال التفتازاني: بالإجماع بل بالضرورة، وعوام بني آدم من المؤمنين أفضل من عوام الملائكة فالمسجود له أفضل من الساجد، وفيه بحث مفصل في كتب الكلام. و«**الكرام**» جمع كريم، وهو إما من الكرم لأنهم منعمون على أمتهم بالشرائع وإراءة طريق الهداية والخلاص من الكفر والضلالة، وإما من الكرامة عند الله تعالى ولذا جعلهم رسلا وأنبياء. والباء في «**بها**» للملابسة متعلق بـ«أتى»، والضمير راجع إلى «**الآي**»، و«من نوره» متعلق بـ«اتصلت»، وضمير «نوره» راجع إلى محمد عليه الصلاة والسلام. و«**النور**» الجوهر المضي والنار كذلك غير أن ضوء النار مغمور بالدخان والنار الصرفة كالنفس في اللطافة ولزوم الحركة لها إلا أن كرة النار تتحرك على استدارتها بمتابعة الفلك والنفس تتحرك دائما بحركات مختلفة إرادية كذا قالوا. و«**بهم**» متعلق بـ«اتصلت» أيضا، والضمير للرسل.

وحاصل معنى البيت: أن جميع ما أتي الرسل والأنبياء من خوارق العادات فإنما اتصلت وحصلت تلك الآيات الظاهرة والمعجزات الباهرة من أثر نوره الأصلي فمعجزات السابقين معجزة له كما أن كرامات اللاحقين كرامة له، فالسابقون واللاحقون إنما هم في الحقيقة له نائبون كالمقدمة والساقة للأمير، ومعنى البيت لا يظهر إلا بنقل ما روى عبد الرزاق بسنده عن جابر بن عبد الله الأنصاري وهو أنه قال: قلت: يارسول الله! بأبي أنت وأمي أخبرني عن أول شيء خلق الله تعالى قبل الأشياء؟ قال: ((يا جابر إن الله تعالى خلق قبل الأشياء نور نبيك من نوره فجعل ذلك النور يدور بالقدرة حيث شاء الله تعالى ولم يكن في ذلك الوقت لوح ولا قلم ولا جنة ولا نار ولا ملك ولا سماء ولا أرض ولا شمس ولا قمر ولا جن ولا إنس، فلما أراد الله تعالى أن يخلق الخلق قسم ذلك النور أربعة أجزاء، فخلق من الجزء الأول: القلم، ومن الثاني: اللوح، ومن الثالث: العرش، ثم قسم الجزء الرابع أربعة أجزاء، فخلق من الجزء الأول: حملة العرش، ومن الثاني: الكرسي، ومن الثالث: باقي الملائكة، ثم قسم الجزء الرابع أربعة أجزاء، فخلق من الأول: السموات، ومن الثاني: الأرضين، ومن الثالث: الجنة، والنار، ثم قسم الرابع أربعة أجزاء فخلق من الأول: نور أبصار المؤمنين، ومن الثاني: نور قلوبهم، وهي المعرفة بالله، ومن الثالث: نور أنفسهم، وهو التوحيد **لا إله إلا الله محمد رسول الله**، فالعرش والكرسي من نوري، والكروبيون والروحانيون من الملائكة من نوري، وملائكة السموٰت السبع من نوري، والجنة وما فيها من النعم من نوري، والشمس والقمر والكواكب من نوري، والعقل والقلم والتوحيد من نوري، وأرواح الأنبياء والرسل من نوري، والشهداء والسعداء من نوري، فأقام النور، وهو الجزء الرابع في كل حجاب ألف سنة، وهو مقام العبودية، وهو حجاب الكرامة والسعادة والهيبة والرحمة والرأفة والعلم والحلم والوقار والسكينة والصبر والصدق واليقين، فلما خرج النور من الحجب ركبه في الأرض، فكان يضيء منه ما بين المشرق والمغرب كالسراج في الليل، ثم لما خلق الله تعالى آدم من الأرض ركب فيه النور فوق جبينة ثم انتقل إلى شيث))[٨٠] الحديث،

(٨٠) "مصنف عبد الرزاق"، كتاب الإيمان، باب في تخليق نور محمد، الحديث: ١٨٠، صـ ٦٣-٦٥.

فمن هذا الحديث علم أن كل آي وصل إلى سائر الأنبياء فهو من نوره عليه الصلاة والسلام؛ لأن كل ما في الكونين من نوره.

(٥٣) فَإِنَّهُ شَمْسُ فَضْلٍ هُمْ كَوَاكِبُهَا ... يُظْهِرْنَ أَنْوَارَهَا لِلنَّاسِ فِيْ الظُّلَمِ

لما كانت صغرى القياس التي هي البيت الأول غير مبينة أراد أن يبينها ويثبتها فقال: «فإنه شمس فضل... إلخ»، فترتيب قياسه هكذا نبينا اتصلت من نوره الآيات التي أتى الرسل الكرام بها إليهم؛ لأن نبينا شمس فضل هم كواكبها، وكل من شانه كذا فإنما اتصلت من نوره الآيات التي أتى الرسل الكرام بها إليهم، فينتج المطلوب، وقوله: «يظهرن» علة لصغرى هذا القياس، فترتيب قياسه هكذا نبينا عليه السلام هو شمس فضل هم كواكبها لأن نبينا عليه السلام تظهر سائر الأنبياء أنواره للناس في عدم وجوده دون حين وجوده عليه الصلاة والسلام، وكل من شانه كذلك فهو شمس فضل، فينتج المطلوب، فالفاء في «فإنه» للتعليل، والضمير راجع إليه عليه السلام، و«شمس فضل» أي: كشمس فضل؛ إذ هو من التشبيه البليغ؛ لأن طرفيه مذكوران، وبعضهم جعله استعارة مصرحة بأن يقال: شبه النبي عليه السلام بالشمس في الظاهرية وإزالة الظلمة، فاستعير الشمس له عليه السلام فذكر الشمس، وأريد النبي عليه السلام، ولايضر هذه الاستعارة ذكر الطرفين؛ لأنه إنما يضر إذا كان على وجه ينبئ عن التشبيه، وهاهنا ليس كذلك، وإضافة الشمس إلى الفضل بمعنى «مِن» أي: شمس من فضل الله، ثم اعلم! أن "القسطلاني" عد الشمس في "المواهب اللدنية" من أسمائه عليه الصلاة والسلام حيث قال: وأما الشمس فسمي بها صلى الله تعالى عليه وسلم لكثرة نفعه وعلو رفعته وظهور شريعته وجلالة قدره وعظم منزلته لأنه لايحاط بكماله حتى لا يسع الرائي أن ينظر إليه ملأ عينه إجلالا له، كما أن الشمس في الرتبة أرفع من أنواع الكواكب لأنها في السماء الرابعة والانتفاع بها أكثر من غيرها كما لايخفى وأيضا لما كان سائر الكواكب يستمد من نورها ناسب تسميته صلى الله تعالى عليه وسلم بها، لأن نور الأنبياء استمد من نوره عليه السلام انتهى. و«هم» راجع إلى الأنبياء وجعله راجعا إلى أصحاب النبي عليه السلام غير ظاهر. و«الكواكب» جمع كوكب، والمراد بها إما الأقمار أو النجوم، والضمير راجع إلى الشمس، فالإضافة

لأدنى ملابسة لأن الشمس سبب لكونها نجوما ذوات نور، وحمل الكواكب على الأنبياء إما بطريق التشبيه البليغ أو الاستعارة كما سبق فتذكر. فلما كان وجه الشبه في تلك الاستعارتين خفيا أظهر بـ«يظهرن» أي: تلك الكواكب أنوارها أي: أنوار تلك الشمس للناس أي: لجميع العباد، و«الظلم» جمع ظلمة أي: في غيبوبة تلك الشمس، فالكواكب ليست مضيئة بالذات، وإنما هي مستمدة من الشمس على قول، فهي عند غيبة الشمس يظهر نور الشمس فيها، فكذلك الأنبياء قبل وجوده عليه الصلاة والسلام كانو يظهرون فضله، فجميع ما ظهر على أيدي الرسل عليهم الصلاة والسلام من الأنوار، فإنما هو من نوره الفائض ومدده الواسع من غير أن ينقص منه شيء، وأول ما ظهر ذلك في آدم عليه الصلاة والسلام حيث جعله الله تعالى خليفة و أمده بالأسماء كلها من مقام جوامع الكلم لمحمد عليه الصلاة والسلام فظهر بعلم الأسماء كلها على الملائكة القائلين ﴿أَتَجْعَلُ فِيهَا مَنْ يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَآءَ﴾ الآية [البقرة: ٣٠] ثم توالت الخلائق في الأرض إلى أن وصل إلى زمان وجود جسم نبينا عليه الصلاة والسلام لإظهار حكم منزلته فلما برز كالشمس اندرج في نوره كل نور، وانطوى تحت منشور آياته كل آية لغيره من الأنبياء، ودخلت الرسالات كلها في صلب نبوته، والنبوات كلها تحت لواء رسالته، فلم يعط أحد منهم كرامة أو فضيلة إلا وقد أعطي صلى الله تعالى عليه وسلم مثلها، فآدم عليه الصلاة والسلام أعطي أن الله تعالى خلقه بيد قدرته فأعطي سيدنا محمد عليه الصلاة والسلام شرح صدره تولى الله تعالى شرح صدره بنفسه وخلق فيه الإيمان والحكمة، وهو الخلق النبوي مع أن المقصود كما مر بخلق آدم خلق نبينا عليه الصلاة والسلام، وأما سجود الملائكة لآدم فلأجل أن نور نبينا عليه الصلاة والسلام كان في جبهته، وأما تعليم آدم عليه السلام أسماء كل شيء فكذلك نبينا عليه الصلاة والسلام علم أسماء العلوم وذواتها، ولا ريب أن المسميات أعلى رتبة من الأسماء لأن الأسماء يؤتى بها لتبيين المسميات فهي المقصودة بالذات وأما إدريس عليه السلام فرفعه الله تعالى مكانا عليا، وأعطى سيدنا محمدا عليه الصلاة والسلام المعراج والرفع إلى مكان لم يرفع إليه غيره، وأما نوح عليه السلام فنجاه الله ومن آمن معه من الغرق والخسف، وأعطى سيدنا محمدا عليه السلام أنه لم تهلك أمته بعذاب من السماء قال الله تعالى: ﴿وَمَا كَانَ اللّٰهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَأَنْتَ فِيهِمْ﴾ [الأنفال:

٣٣]، وأما إبراهيم عليه السلام فكانت عليه نار نمرود بردا وسلاما، وأعطي سيدنا محمدا عليه السلام نظير ذلك إطفاء نار الحرب عنه عليه السلام، قال تعالى: ﴿كُلَّمَآ أَوۡقَدُواْ نَارٗا لِّلۡحَرۡبِ أَطۡفَأَهَا ٱللَّهُۚ﴾ [المائدة: ٦٤] وكذلك أنه عليه السلام مر ليلة المعراج على بحر النار مع سلامته منه، وأما ما أعطي إبراهيم عليه الصلاة والسلام من مقام الخلة، فأعطي عليه السلام إياه وزاده بمقام المحبة وأما ما أعطي إبراهيم من كسر الأصنام والأزلام، فأعطي سيدنا محمدا عليه السلام كسرها باسرها بمحضر من أولى نصرها من غير تعريض في القول ولا تمريض في الصول بل قال جهرا: ﴿قُلۡ جَآءَ ٱلۡحَقُّ وَزَهَقَ ٱلۡبَٰطِلُۚ إِنَّ ٱلۡبَٰطِلَ كَانَ زَهُوقٗا﴾ [الإسراء: ٨١]، وأما ما أعطي موسى عليه السلام من قلب العصا حية، فأعطي عليه السلام أنه لما أراد أبو جهل أن يرميه عليه السلام بحجر رأى على كتفيه ثعبانين فانصرف مرعوبا، وأما ما أعطي موسى عليه السلام من اليد البيضاء، فأعطي سيدنا محمد عليه السلام أنه لم يزل نورا في أصلاب وبطون، وكان يرى من نوره في الليلة المظلمة ما سقط على الأرض من الخياط، وأما ما أعطي موسى أيضا من انفلاق البحر، فأعطي سيدنا محمد انشقاق القمر كما سيجئ إن شاء الله تعالى، فموسى تصرف في عالم الأرض، وسيدنا محمد في عالم السماء، والفرق واضح، وذكر ابن حبيب: أن بين السماء والأرض بحرا يسمى المكفوف يكفون بحر الأرض بالنسبة إليه كالقطر في البحر المحيط قال: فعلى هذا كان ذلك البحر منفلقا لنبينا عليه السلام في ليلة المعراج، وأما ما أعطي موسى من إجابة الدعاء، فقد أعطي سيدنا محمد ما لايحصى. وسيجيء بيان بعضه، وأما ما أعطي موسى عليه السلام من تفجر الماء له من الحجارة، فأعطي سيدنا محمد أن الماء تفجر من بين أصابعه وهذا أبلغ، وأما ما أعطي موسى عليه السلام من الكلام في "الطور"، فأعطي سيدنا محمد مثله ليلة الإسراء وزيادة الدنوّ ومقامه عليه السلام كان فوق السموات العلى و"سدرة المنتهى" ومقام موسى كان "طور سينا"، وأما ما أعطي هارون عليه السلام من الفصاحة فكان نبينا عليه السلام أفصح جميع بني آدم، وأما ما أعطي يوسف عليه السلام من شطر الحسن فأعطي سيدنا محمد عليه السلام كله، وقد سبق وسيأتي بعضه، وأما ما أعطي يوسف عليه السلام من تعبير الرؤيا، فقد أعطي محمد عليه السلام ما لايعده عاد، وأما ما أعطي داود عليه السلام من تلين

الحديد، فأعطي نبينا عليه السلام مثل ذلك، وزاد عليه ما أعطي من الخشب لبعض الأصحاب حيث كان سيفا قويا، وأما عد الجن من جنود سليمان عليه السلام فخير منه عد الملائكة مع جبريل من جملة أجناده عليه الصلاة والسلام وأما ما أعطيه من الملك فنبينا عليه الصلاة والسلام خير بين أن يكون نبيا ملكا وبين أن يكون نبيا عبدا فاختار أن يكون نبيا عبدا، وأما ما أعطي عيسى عليه الصلاة والسلام من إبراء الأكمه والأبرص وإحياء الموتى فأعطي سيدنا محمد عليه الصلاة والسلام جميع ذلك لأنه رد العين إلى مكانها بعد ما سقطت فعادت أحسن ما كانت، وكذا ما روي أن امرأة معاذ بن عفراء كانت برصاء فشكت إلى رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فمسح عليها بعضا فذهب البرص منها ذكره الرازي، وأما إحياءه عليه الصلاة والسلام الموتى فقد سبق فتذكره وما ذكرنا كواحد من العشر بالنسبة إلى ما جاء في هذا البحث من الخبر.

(٥٤) أَكْرِمْ بِخَلْقِ نَبِيٍّ زَانَهُ خُلُقٌ ... بِالْحُسْنِ مُشْتَمِلٍ بِالْبِشْرِ مُتَّسِمِ

لَمَّا بين إجمالاً حسن خلقه وصورته عليه الصلاة والسلام بتشبيه بالشمس أراد أن يذكر بعضا من تفصيله مع جعل بيان بعض خلقه وسيرته تابعًا له فقال: «أكرم بخلق نبي زانه خلق... إلخ»، «**أكرم**» فعل تعجب على صيغة أمر الحاضر، والفاعل مستتر راجع إلى الله أي: ما أكرم الله بخلق نبي أي: تعجب من إكرام الله بخلق نبي، والباء فيه زائدة على ما ذهب إليه الأخفش متعلق بـ«أكرم»، و«**الخلق**» بمعنى الذات والصورة، والتنوين في «**نبي**» للتعظيم أي: نبي فخيم، والمراد محمد عليه الصلاة والسلام بقرينة المقام، وجملة «**زانه**» صفة «النبي»، وهو من الزينة، و«زان» يتعدى بنفسه، كقول امرئ القيس في قصيدة المعلقة:

وفرع يَزينُ المَتْنَ أسْوَدَ فاحِم	أثيث كقِنْوِ النَّخْلَةِ المُتَعَثْكِلِ

و«الخلق» بالرفع فاعل «زان»، وهو بضمتين جمع خَلق بمعنى الصفة والسيرة، والمراد شمائله عليه السلام، وقد أشار في هذا المصراع إلى أن حسن الصورة إنما هو حسن إن كانت الأخلاق حسنة، و«**بالحسن**» متعلق بـ«المشتمل» المؤخر، وإنما قدم ليفيد الحصر، والألف واللام للاستغراق يعني اشتمال جميع أنواع الحسن مقصور على نبينا عليه السلام دون غيره، و«**مشتمل**» بالجر صفة بعد صفة لـ«نبي»، وهو على صيغة اسم الفاعل من

الاشتمال بمعنى الإحاطة والاجتماع لأنه من شمل بمعنى جمع وأحاط لا من شمل بمعنى تفرق، والفرق بين الاشتمال والشمول أن «الاشتمال» يستعمل في تناول الكل لأجزائه، و«الشمول» في تناول الكلي لجزئياته. و«**بالبشر**» متعلق بـ«المتسم» المؤخر، و«**البشر**» بكسر الباء تحرك بشرة الوجه عند السرور والبشاشة، يقال لقيني فأظهر البشر أي: الطلاقة والبشاشة، وفي بعض النسخ وقع بدل «البشر» البر بمعنى الصدق لكن الأول أولى لكون الثاني مستلزما للتكرار حيث سبق بيان أبريته عليه الصلاة والسلام في قوله: «نبينا الآمر الناهي... إلخ»، و«**متسم**» بالجر صفة بعد صفة لـ«نبي»، وهو اسم فاعل من الاتسام بمعنى الاتصاف من الوسم بمعنى العلامة، ومنه ما في قول الشاعر:

أوَ كُلّما وَرَدتْ عُكاظَ قَبِيلَةٌ		بَعَثُوا إلَيَّ عَرِيفَهُم يَتَوَسَّمُ

و**حاصل المعنى**: ما أكرم خلق محمد وصورته الظاهرة الذي زينه وحسنه خلقه وسيرته الباطنة فهو كما قال الله تعالى: ﴿نُّورٌ عَلَىٰ نُورٍ﴾ [النور: ٣٥]، وقال: ﴿مَثَلُ نُورِهِۦ كَمِشْكَوٰةٍ فِيهَا مِصْبَاحٌ﴾ [النور: ٣٥]، الموصوف باشتمال الحسن وإحاطته جميع حالاته ومقالاته وسكناته، وقد وردت في بسط حسن صفاته أحاديث مشهورة كثيرة، كقول أبي هريرة رضي الله تعالى عنه: «ما رأيت شيئا أحسن من رسول الله صلى الله عليه وسلم كأن الشمس تجري في وجهه»[٨١] وإذا ضحك يتلألأ في الجدر»[٨٢]، وقول أم معبد في بعض ما وصفته به: «كان عليه السلام أجمل الناس من بعيد وأحلاهم وأحسنهم من قريب»[٨٣]، وقول علي رضي الله تعالى عنه في آخر وصفه: «من رآه بديهة هابه ومن خالطه معرفة أحبه يقول: ناعته لم أر قبله ولا بعده مثله صلى الله تعالى عليه وسلم»[٨٤]، وغير ذلك مما يطول سرده في هذا المختصر، وكذلك كان عليه الصلاة والسلام هو الموصوف بالاتسام بالبشر التام والبشاشة على طريق الدوام، وفيه أحاديث معروفة يطول ذكرها، منها: قول عبد الله بن الحارث: «ما رأيت أحدا أكثر تبسما من رسول الله عليه

---

(٨١) "سنن الترمذي"، كتاب المناقب عن رسول الله عليه السلام، باب في صفة النبي عليه السلام، الحديث: ٣٦٦٨، ٥/٣٦٩

(٨٢) "مصنف عبد الرزاق"، كتاب العلم، باب في صفة النبي عليه السلام، الحديث: ٢٠٦٥٧، ١٠/٢٤٢

(٨٣) "الشفاء بتعريف حقوق المصطفى"، فصل وأما نظافة جسمه وطيب ريحه..إلخ، ١/٦١

(٨٤) "الشفاء بتعريف حقوق المصطفى"، فصل وأما نظافة جسمه وطيب ريحه..إلخ، ١/٦١

السلام»، وقول أبي هريرة: «إذا ضحك رسول الله يتلألأ في الجدر»[٨٥]، فإن قلت: المستفاد من هذا الحديث ثبوت ضحكه عليه السلام مع أنه ينفيه ما روي عن عائشة رضي الله تعالى عنها حيث قالت: «ما رأيت رسول الله عليه السلام مستجمعا قط ضاحكا»[٨٦] قلت: إن عائشة إنما نفت رؤيتها، وأبو هريرة أخبر بما شاهد، والمثبت مقدم على النافي، وقال ابن حجر: والذي يظهر من مجموع الأحاديث أنه عليه السلام كان في أكثر أحواله لايزيد على التبسم وربما زاد على ذلك فضحك فإن لم يكن ماذكرته لك كافيا بالوفاء فعليك بما في "المواهب" و"الشفا"، فلعله يكون لك به اكتفاء ثم اعلم! أن هذا البيت رابع الأبيات الستة التي تمايل فيها النبي عليه الصلاة والسلام ويلزم لقارئه أن يكرره وتراً.

(٥٥) كَالزَّهْرِ فِيْ تَرَفٍ وَالْبَدْرِ فِيْ شَرَفٍ ... وَالْبَحْرِ فِيْ كَرَمٍ وَالدَّهْرِ فِيْ هِمَمِ

ثُمَّ شَرَع في تفصيل أوصافه من خَلْقه وخُلُقه فقال: «كالزهر في ترف... إلخ» المصراع الأول لبيان حسن خلقه وصورته، والثاني لبيان حسن خلقه وسيرته، فقوله: «**كالزهر**» ظرف مستقر مجرور على أنه صفة بعد صفة لـ«نبي» أو مرفوع على أنه خبر مبتدأ محذوف أي: هو كالزهر، والكاف للتشبيه، و«**الزهر**» بفتح الزاي المعجمة نور النبات قيل: هو مختص بأصفره لكن الأصح أنه أعم، وجمعه أزهار وأزاهر، والزهر أيضا يقال: لشيء نوراني في غاية الضياء الذي وجهه يلمع كالسراج الوهاج، والمراد هاهنا المعنى الأول بقرينة سياقه و«**في ترف**» متعلق بالتشبيه المستفاد من الكاف فهو بيان لوجه الشبه، و«**الترف**» بفتحتين النعومة في الجلد، والأولى أن يكون المراد من «الزهر» الورد؛ لأنه سلطان الأزهار مع طيب رائحته ولطافة نعومته على سبيل المجاز بذكر العام وإرادة الخاص، وعلى التقديرين يكون التشبيه مقلوبا، وإلا فلم يكن بشيء أنعم وأترف وأطيب وألطف من رسول الله عليه الصلاة والسلام، ولو كان التشبيه على حقيقته لزم أن تكون نعومته عليه السلام أنقص من الزهر؛ إذ قاعدة التشبيه نقصان ما يشبه، وهو غير صحيح

---

(٨٥) "مصنف عبد الرزاق"، كتاب العلم، باب في صفة النبي عليه السلام، الحديث: ٢٠٦٥٧، ١٠/٢٤٢

(٨٦) "صحيح الخاري"، كتاب الأدب، باب التبسم والضحك، الحديث: ٦٠٩٢، ٤/١٢٥

كيف وقد قال في "المواهب اللدنية" وقد جاء في رواية ابن عساكر أنه عليه السلام قال: ((الورد الأبيض خلق من عرقي ليلة المعراج، والوَرْدُ الأحمر خلق من عرق جبرائيل، والورد الأصفر خلق من عرق البراق))[٨٧]. وقوله: «**البدر**» بالجر معطوف على مدخول الكاف، و«**البدر**» هو القمر في ليلة أربعة عشر و«في شرف» عطف على «في ترف» لايقال فحينئذ يكون من قبيل عطف شيئين بحرف واحد على معمولي عاملين مختلفين وهو فاسد؛ لأنا نقول: لا نسلم اختلاف العامل على أن المجرور مقدم كما لايخفى. و«**الشرف**» بمعنى العلو، لكن المراد العلو القدري لا العلو المكاني فتأمل. ثم اعلم! أن البدر من أسمائه عليه السلام ، وقد صادف تشبيهه عليه السلام بالبدر لأن التشبيه بالبدر أبلغ عند العرب من التشبيه بالقمر والشمس، أما الأول فلأن البدر وقت كماله دون القمر، وأما الثاني فَلِمَا سبق أن البدر يملأ الأرض بنوره، ويؤنس كل من شاهده، ويتمكن من النظر إليه بخلاف الشمس التي تغشى البصر فتمنع من تمكن الرؤية، ولقد أحسن من قال:

كالبدر والكاف إن اتصفت زائدة		فلا تظنن فيه الكاف للشبه

وبالجملة أنهم قالوا: إن التشبيهات الواردة في صفاته عليه السلام إنما هي على عادة شعراء العرب، وإلا فلا شيء من هذه المحدثات يعادل صفاته الخَلْقية والخُلُقية. وقوله: «**والبحر**» بالجر عطف على قريبه أو بعيده، يعني أن رسول الله كالبحر في إعطاء ما ينفع؛ لأنه كما أن البحر المالح يعطي الإنسان لؤلؤا ومرجانا وجواهرا كثيرة، فكذلك رسول الله عليه السلام، ولذا قال في وجه الشبه «في كرم» والفرق بين الكرم والجود والسخاء أن من أعطى البعض فهو سخي، ومن بذل الأكثر فهو جواد، ومن أعطى الكل فهو كريم، وقد ثبت كرمه عليه السلام بأخبار كثيرة وآثار وفيرة منها: حديث أنس مرفوعا ((أنا أجود بني آدم))[٨٨] وفي رواية المسلم: ((ما سئل رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم شيئا إلا أعطاه فجاء رجل، فأعطاه غنما بين جبلين، فرجع إلى قومه، فقال: يا قوم!

(٨٧) "تاريخ مدينة دمشق"، حرف العين، الحسن بن عبد الواحد القزويني، ١٣١/١٣.

(٨٨) "مشكاة المصابيح"، كتاب العلم، الفصل الثالث، الحديث: ٢٥٩، ٦٨/١.

أسلموا فإن محمدا يعطي عطاء من لا يخاف الفقر))[٨٩]، وفي رواية «أعطى صفوان يوم حنين واديا مملوأ إبلا ونَعَما»[٩٠] ولله در ابن جابر حيث قال:

هذ الذي لا يتقي فقرا إذا		يعطي ولو كفر الأنام وداموا
واد من الأنعام أعطى آملا		فتحيرت لعطائه الأوهام

وفي رواية البخاري عن أنس: أنه عليه الصلاة والسلام «أعطى العباس من الذهب والفضة ما لم يطق حمله»[٩١]، والتفصيل في المطولات. وقوله: «**والدهر**» بالجر عطف على القريب أو البعيد، و«**الدهر**» بفتح الدال بمعنى الزمان، وعلى قول: بمعنى الأبد، وقيل: هو مدة الدنيا، وقيل: زمان طويل، وقيل: هو ألف سنة، وسيجيء ما يتعلق بالدهر فتبصر. و«**الهم**» همة، وهو قصد إكمال التوجه يعني: كما أن الدهر الطويل والزمان المديد يقبل الرجل ويعطيه ما رغبه ويكمله كذلك النبي عليه السلام، وفي البيت تضمين من قول حسان في وصفه عليه السلام:

لَهُ هِمَمٌ لاَ مُنْتَهى لِكِبَارِهَا		وَهِمَّتُهُ الصُّغْرَى أَجَلُّ مِنَ الدَّهْرِ

(٥٦) كَأَنَّهُ وَهُوَ فَرْدٌ فِيْ جَلاَلَتِهِ ... فِيْ عَسْكَرٍ حِيْنَ تَلْقَاهُ وَفِيْ حَشَمِ

لَمَّا بين وصفه عليه الصلاة والسلام من بشاشته وزيادة كرمه توهم القاصرون أنه من خوفه من قومه دفع ذلك فقال: «كأنه وهو فرد... إلخ» «**كأن**» للتشبيه لا للظن، والضميران راجعان إليه عليه الصلاة والسلام والواو في «وهو» للحال، و«**الفرد**» بمعنى المنفرد أي: حال كونه منفردا غير مقارن لأحد، و«في جلالته» متعلق بالتشبيه المستفاد من «كأن» وهو بيان وجه الشبه، و«**الجلالة**» المهابة والعظمة قيل: الكبير يستعمل في الذات، والجليلُ في الصفات والعظيمُ فيهما، و«**في عسكر**» ظرف مستقر خبر «كأن» يعني أن النبي عليه الصلاة والسلام في كمال متانته وتمام شجاعته كمن كان في عسكر منفردا؛ لأن من كان له عسكر وكان هو وافقا في وسطهم يلزم له الشجاعة البتة والمتانة عادة، قوله: «**حين تلقاه**»

(٨٩) "صحيح مسلم"، كتاب الفضائل، باب ماسئل رسول الله صلى الله عليه وسلم...إلخ، الحديث: ٢٣١٢، ص: ١٢٦٥

(٩٠) "سبل الهدى والرشاد".كتاب في غزوة الطائف، باب إعطاه صلى الله عليه وسلم المؤلفة..إلخ، ٣٩٨/٥

(٩١) "الشفاء بتعريف حقوق المصطفى"، فصل وأما الجود الكرم والسخاء..إلخ، ١١٢/١

ظرف التشبيه، و«تلقاه» من الملاقاة بمعنى الوصول، وهو خطاب لكل أحد من شانه أن يخاطب لايقال: أنه ركيك لأنه يلزم أن يكون عليه الصلاة والسلام شجيعا ومهيبا على المؤمنين مع أنه عليه السلام رحيم بهم لأنا نقول: التشبيه مقيد بكونه في عسكر، وهو يدل على أنه عليه السلام كان شجيعا على عسكر غيره على أنه لا يلزم من كونه عليه الصلاة والسلام وقت الملاقاة شجيعا الشجاعة على المؤمنين، وجعل «تلقاه» على صيغة التأنيث، وإرجاع ضميره إلى جماعة الأعداء ركيك كما لايخفى. و«**في حشم**» عطف تفسير وبيان وتأكيد لـ«العسكر»، وفي بعض النسخ «وفي بهم» بضم الباء جمع بهمة، وهو الفارسي الذي لا يعلم من أين يجيء، وبالمقابلة إلى العسكر يراد من العسكر، الجيش المشاة، وهذه النسخة أَوْلى من النسخة الأُوْلى لأن التأسيس خير من التأكيد.

وحاصل معنى البيت: كأنه عليه السلام والحال أنه منفرد بذاته وثابت في عظمة صفاته، وكائن في كمال هيبته وجمال أبهته قائم في قلب عسكر كبير، وفي وسط جيش كثير تلقاء أيها المخاطب وتراه في ذلك الموكب ومن كمال شجاعته ما روي أن أبا جهل كان وصيا ليتيم، فجاء اليتيم إليه عريانا يسأله من مال نفسه فطرده ولم يعطه ماله، فأيس الصبي فقال أكابر قريش: قل لمحمد: لك يشفع، وكان غرضهم الاستهزاء، ولم يعرف اليتيم ذلك، فجاء إلى النبي عليه السلام والتمس منه ذلك، وهو عليه السلام كان لا يرد محتاجا، فذهب معه إلى أبي جهل، فقام أبو جهل، ورحب به، وبذل المال لليتيم، فعيره قريش، وقالوا: أصبوت؟ فقال: لا والله! ما صبوت، ولكن رأيت عن يمينه وعن يساره حربة، فخفت إن لم أجبه يطعنها في. ذكره شيخ زاده في سورة الماعون، وكذا ماذكر في كتب الأحاديث أنه كان بمكة رجل شديد القوة يحسن الصراع يقال له: "ركانة" وكان الناس يأتون إليه من البلاد للمصارعة، فيصرعهم، فبينما هو ذات يوم في شعب من شعاب مكة إذ لقيه رسول الله عليه السلام فقال: يا ركانة! أ لا تتقي الله، وتقبل ما أدعوك إليه؟ فقال له ركانة: يا محمد! هل من شاهد على صدقك؟ قال: أرأيت أن صرعتك أتؤمن بالله ورسوله؟ قال نعم يا محمد، فقال له: تهيأ للمصارعة، قال: تهيأت فدنا منه رسول الله عليه السلام فأخذه ثم صرعه، فتعجب ركانة من ذلك، ثم سأله

الإقالة والعود، ففعل به ذلك ثانيا وثالثا، ووقف ركانة متعجبا، وقال: إن شأنك عجيب رواه الحاكم في مستدركه.

(٥٧) كَأَنَّمَا اللُّؤْلُؤُ الْمَكْنُوْنُ فِيْ صَدَفٍ ... مِنْ مَعْدِنِيْ مَنْطِقٍ مِّنْهُ وَمُبْتَسَمِ

لَمَّا توهم القاصرون والجاهلون العاجزون من البيت السابق أنه عليه الصلاة والسلام كان غليظ القلب عبوس الوجه شديد الكلام دفعه فقال: « كأنما اللؤلؤ المكنون... إلخ»، «**كأن**» للتشبيه، و«**ما**» كافة عن العمل، و «**اللؤلؤ**» الدر البيض، وإنما أطلق عليه الجوهر الأبيض لتلألؤه، وهو مبتدأ خبره قوله الآتي: «من معدني منطق» أي: مستخرج وحاصل من معدني منطق، و«**المكنون**» بالرفع صفة اللؤلؤ بمعنى المستور والمصون المحفوظ، و«**في صدف**» متعلق بـ«مكنون»، وجعله خبر المبتدأ بعيد كل البعد كما لايخفى. وأما جعل «اللؤلؤ» خبر مبتدأ محذوف، وجعل «من معدني» صفة «صدف» بأن يقال: كأن كلامه عليه السلام اللؤلؤ المكنون في صدف مستخرج من معدني... إلخ فقريب وظاهر فتأمل. و«الصدف» ظرف «اللؤلؤ» قال الحياتي في "شرح التحفة": **الصدف**: حيوان من حيوانات البحر يكون أكثريا في بحر بلاد الهند والصين، فإذا جاء شهر نيسان يخرج على وجه البحر، ويكشف فمه إلى جانب السماء، فإذا سقط في فمه قطرة واحدة من المطر في ذلك الوقت تكون تلك القطرة في بطنه درة ذات قيمة كثيرة يقال لها: الدرة اليتيمة والفريدة، وإذا سقط في فيه منه قطرتان تكون تانك القطرتان في بطنه درتين يقال لهما: أخوان، لكن تكون قيمتهما أنقص وأقل من الأول، وإذا سقط في فيه منه قطرات ثلاث تكون دررا ثلاثا، وإن أربعا فأربع، وقس على هذا، لكن كلما زادت القطرات كانت قيمة درها أنقص، ثم إن «الصدف» حيوان أولا، وإذا سقط الدر في فمه ينزل إلى قعر البحر، ويتأصل فيه كتأصل الشجر، ولا يتحرك إلى طرف أصلا كالحجر انتهى. وفي هذا المصراع استعارة حيث شبه جوامع كلمه ومنظوم أسنانه عليه الصلاة والسلام باللؤلؤ المكنون في صدف في كونه بريئا من الفساد ومورثا للسرور والنشاط، ثم استعير اللؤلؤ لكلامه ومنظوم أسنانه، فذكر اللؤلؤ، وأريد كلامه وثغره عليه السلام و«**المعدن**» بكسر الدال، وهو فصيح محمل العدن بمعنى الإقامة، وهو على صيغة التثنية حذف نونه بالإضافة

و«**المنطق**» و«**المبتسم**» إما مصدران، فالإضافة بمعنى اللام، والمعدن للمنطق هو القلب؛ لأنه يظهر منه الكلام الدال على المرام لايقال: الكلام في اللسان لا في القلب لأنا نقول: حقيقة الكلام في القلب دون اللسان بل هو دليل عليه ترجمان له كما أفاده قول الأخطل:

إنَّ الْكَلامَ لَفِي الْفُؤَادِ وَإِنَّمَا	جُعِلَ اللِّسانُ على الفؤاد دليلاً

ومعدن الانبساط هو الفم لأنه يظهر منه الأسنان والثغر، وإما اسما مكان، فعلى هذا تكون الإضافة بيانية كما لايخفى.

و**حاصل المعنى**: أنه عليه السلام كان في غاية البشاشة ونهاية اللطافة، ولم يكن غليظ القلب كما يشهد عليه شاهد صدق، وكان كلامه وثغره المصون كالدر المكنون، وكان فمه عليه السلام في حفظ الكلام كالصدف المقبول بين الأنام، قال صاحب "الزبدة" فيها: قال المحلي: حكي أن بعضهم رأى في المنام الصديق يرثي النبي بهذا البيت والبيت الذي قبله.

(٥٨) لاَ طِيْبَ يَعْدِلُ تُرْباً ضَمَّ أَعْظُمَهُ ... طُوْبَى لِمُنْتَشِقٍ مِّنْهُ وَمُلْتَثِمِ

لَمَّا أشار إلى بعض كمالاته الصورية والمعنوية في خَلقه وخُلقه وأفضلية قدره في حال الحياة أراد أن يشير أيضا إلى أفضليته على جميع المخلوق في حال الممات فقال: «لا طيب يعدل تربا ضم أعظمه... إلخ» «**لا**» لنفي الحكم عن الجنس، و«**الطيب**» اسم لِمَا يتطيب به، و«**يعدل**» أي: يساوي يقال: فلان عديل فلان، أي: مساويه، وجملة «يعدل» خبر «لا»، واسمها «الطيب»، والمعنى: لا شيء طيبا يساوي «**تربا**» بضم التاء وسكون الراء لغة في تراب أو بمعنى التربة. و«**ضم**» بمعنى التصق ومس، والجملة صفة «تربا»، و«**الأعظم**» جمع عظام، والمراد جميع أعضائه عليه الصلاة والسلام، وإنما خصها بالذكر؛ لكون قيام الأعضاء عليها، والضمير فيها راجع إليه عليه السلام، ومراد الناظم الفاهم إثبات الطيبة لبدنه عليه السلام بطريق الكناية إذ هو أبلغ من الحقيقة، فوصف تراب روضته عليه السلام بأنه شريف لا طيب مثله وصف ذاته عليه السلام بطريق الكناية، فالتراب إنما أخذ الطيب من مقارنته له عليه السلام؛ إذ كان عليه السلام متصفا برائحة الطيب كما روي عن أنس أنه قال: ((ما شممت مسكا ولا عنبرا أطيب من ريح

رسول الله عليه السلام))[٩٢] و«**طوبى**» بمعنى الطيب والحسنى والخير قاله في "القاموس" وقال غيره: هي فرح وقرة عين، وقال الضحاك: عطية، وقال عكرمة: نعمة وشجرة في الجنة اسمها طوبى، وقد يكنى بها عن الجنة، وفي الحديث: ((طوبى للشام، فإن الملائكة باسطة أجنحتها عليها))[٩٣] و«طوبى» هاهنا إما صفة لـ«تربا» أي: تربا مقولا في حقه طوبى، أو مبتدأ خبره «لمنتشق» فليتأمل. و«**منتشق**» اسم فاعل من الانتشاق، وهو الاشتمام يعني: طوبى لمن شم ذلك التراب. و«**منه**» متعلق بـ«منتشق» و«**ملتثم**» عطف على «منتشق» هو من الالتثام بمعنى التقبيل، والبيت مقتبس من مرثية فاطمة الزهراء رضي الله عنها حيث قالت:

ماذا عَلَى مَنْ شَمَّ تُرْبَةَ أَحْمَد	أن لا يشمَّ مدى الزمان غواليا
صبّت عليَّ مصائبُ لو أنّها	صبّت على الأيام عُدن لياليا

ولله در الناظم الفاهم حيث أشار في هذا البيت إلى النوعين المستعملين في الطيب لأنّه إما أن يستعمل بالشم، وأشار إليه بقوله: «لمنتشق»، وإما بالتضمخ، وإليه أشار بـ«ملتثم»، وهذا مبني على أن المراد أن تربته أفضل أنواع الطيب باعتبار الحقيقة الحسية، وذلك إما لأنه كذلك في نفس الأمر أدركه من أدركه أم لا، وإما باعتبار اعتقاد المؤمن في ذلك، فإن المؤمن لا يعدل بشم رائحة تربته عليه الصلاة والسلام شيئا من الطيب، فإن قلت: لو كان المراد الحقيقة الحسية لأدرك ذلك كل أحد؟ والجواب: لا يلزم من قيام المعنى بمحل إدراكه لكل أحد بل حتى توجد الشرائط وتنتفي الموانع. وعدم الإدراك لا يدل على عدم المدرك وانتفاء الدليل لا يدل على انتفاء المدلول فالمزكوم لا يدرك رائحة المسك مع أن الرائحة قائمة بالمسك لم تنتف، ولما كانت أحوال القبر من الأمور الأخروية لا جرم لايدركها من الأحياء إلا من كشف له الغطاء من الأولياء المقربين لأن متاع الآخرة باق، ومتاع الدنيا فان، والفاني لايتمتع بالباقي للتضاد، ولا ريب عند من له أدنى تصديق بشريعة الإسلام أن قبره روض من رياض الجنة وأفضلها وأنه لاطيب يعدل تراب قبره عليه السلام لتمساس جسمه اللطيف الذي هو أطيب الطيب، ولذا قال العلماء: إن تربة قبره أفضل من

(٩٢) "صحيح مسلم"، كتاب الفضائل، باب طيب رائحة النبي صلي الله عليه وسلم، الحديث: ٢٣٣٠، ص: ١٢٧٢

(٩٣) "سنن الترمذي"، كتاب المناقب عن رسول الله، باب في فضل الشام واليمن، الحديث: ٣٩٨٠، ٥/٤٩٧.

البيت والمسجد الأقصى والعرش والكرسي، (ثم اعلم أنهم اختلفوا في زيارة قبره عليه السلام هل هو واجب أو سنة، فذهب بعض المالكية إلى الأول، واستدلوا عقلا ونقلا أما الأول: فلأن الزيارة تعظيم وتعظيمه صلى الله عليه وسلم واجب، فزيارته واجبة، وأما الثاني: فلقوله عليه السلام: ((من وجد سعة ولم يفد إليّ فقد جفاني))(٩٤) وفي حديث آخر: ((من حج ولم يزرني فقد جفاني))(٩٥) فإنه ظاهر في حرمة ترك الزيارة لأن الجفاء أذى، والأذى حرام بالإجماع، فتجب الزيارة إذ إزالة الجفاء واجبة، وهي بالزيارة، فالزيارة واجبة حينئذ، وذهب أكثر الشافعية والحنفية إلى الثاني كما قال القاضي عياض: إنها سنة من سنن المسلمين مجمع عليها، والأحاديث السابقة مؤولة، وبيانها في كتب القوم مفصلة.

(٥٩) أَبَانَ مَوْلِدُهُ عَنْ طِيْبِ عُنْصُرِهِ ... يَا طِيْبَ مُبْتَدَأٍ مِّنْهُ وَمُخْتَتَمِ

لَمَّا بين شرافة آخره ولطافة انتهائه صلى الله تعالى عليه وسلم في البيت السابق قيل: فكيف كان ابتداءه؟ فأجاب: ببيان شرافة ابتدائه ولطافة أوله عليه السلام فقال: «أبان مولده عن طيب عنصره... إلخ»، «**أبان**» بمعنى أظهر وكشف، و«**المولد**» بكسر اللام اسم زمان، وهو فاعل «أبان»، ومفعوله محذوف أي: عجائب كثيرة، وإسناد «أبان» مجازي. و«عن طيب» متعلق بـ«أبان»، وكلمة «**عن**» قد تكون للبدل كما في قوله: «جزى ربه عني عدي بن حاتم»، وقد تكون لإفادة كون ما بعدها سببا لما قبلها كما في قولك: «فعلت هذا عن أمرك»، وقد تكون بمعنى «بعد» كما في قوله تعالى: ﴿لَتَرْكَبُنَّ طَبَقًا عَن طَبَقٍ﴾ [الانشقاق: ١٩] وهاهنا للمعنى الثاني؛ لأن طيب عنصره سبب لإظهار زمان ولادته العجائب كما لايخفى. والمعنى: أظهر الله زمان ولادته بسبب طيب عنصره عليه السلام عجائب كثيرة، وسيبين بعض تلك العجائب إن شاء الله تعالى. و«**الطيب**» معلوم، و«**العنصر**» بمعنى الأصل في اللغة العربية كالاسطقس في اللغة اليونانية، والمراد من طيب عنصره عليه السلام طهارته وخلوصه عما لاينبغي، كما يقع في سائر المولودين، وكلمة «**يا**» للنداء، والمقصود بالنداء محذوف أي: يا أيها العقلاء انظروا بنظر التعجب إلى طيب ابتدائه وانتهائه، فـ«**المبتدأ**» و

(٩٤) "إحياء علوم الدين"، كتاب أسرار الحج، الباب الثاني في ترتيب الأعمال الظاهرة... إلخ، ١/٣٤٥.

(٩٥) "كنز العمال"، كتاب الحج، باب زيارة قبر النبي من الإكمال، الحديث: ١٢٣٦٤، ٥/٥٢.

«**المختتم**» بمعنى المصدر، ويجوز أن يكونا اسمي زمان، فإن قلت: قد بين طيب ابتدائه من هذا البيت وطيب انتهائه من البيت السابق فأين بيان طيب أوسطه عليه السلام؟ قلت: قد بين طيب أوسطه أيضا في الأبيات السابقة في بيان شرافة خلقه وخلقه عليه السلام على أن المشهور بين العرب أنهم يذكرون طرفي الشيء ويريدون مجموعه كما في قوله تعالى: ﴿وَسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلًا﴾ [الأحزاب: ٤٢]، ومثله كان كثيرا، ثم اعلم أن ما روي في أنباء فضائله في زمان ولادته وأخبار عجائبه في زمان ابتدائه كثير لا يعد ولا يحصى، منها ما ذكر في كتب الأحاديث أنه لما استقرت نطفته الزكية ودرته المحمدية في صدف آمنة القريشية نودي في الملكوت ومعالم الجبروت أن عطروا جوامع القدس الأسنى، وبخروا جهات الشرف الأعلى، وأفرشوا سجادات العبادات في صفف الصفا لصفوفية الملائكة المقربين أهل الصدق والصفا، فقد انتقل النور المكنون إلى رحم آمنة ذات العقل الباهر والفخر المصون، قال سهل بن عبد الله التستري: لما أراد الله خلق محمد عليه السلام في بطن آمنة ليلة رجب، وكانت ليلة جمعة أمر الله في تلك الليلة خازن الجنان أن يفتح الفردوس، ونادى مناد في السمٰوات والأرض أن النور المخزون الذي يكون منه نور النبي الهادي في هذه الليلة يستقر في بطن أمه الذي يتم فيه خلقه عليه السلام، وروي أنه كانت قريش في جدب شديد وضيق عظيم فأخضرت الأرض، وحملت الأشجار، فسميت تلك السنة التي حمل فيها رسول الله عليه السلام سنة الفتح والابتهاج، وفي رواية أن آمنة قالت: ثم أخذني ما يأخذ النساء، ولم يعلم في ذكر ولا أنثى، وأني لوحيدة في المنزل وعبد المطلب في طوافه سمعت وجبة عظيمة وأمرا عظيما هالني، ثم رأيت كأن جناح طير أبيض قد مسح على فؤادي، فذهب عني الرعب، وكل وجع أجده، ثم التفت، وإذا أنا بشربة بيضاء فتناولتها فأصابني نور عال، ثم قالت: ورأيت رجالا قد وقعوا في الهواء بأيديهم أباريق من فضة، فكشف الله عن بصري، فرأيت مشارق الأرض ومغاربها، ورأيت ثلاثة أعلام مضروبة علما بالمشرق وعلما بالمغرب وعلما على ظهر الكعبة، فأخذني المخاض، فوضعت محمدا عليه الصلاة والسلام فنظرت إليه، فإذا هو ساجد قد رفع أصبعه إلى السماء كالمتضرع المبتهل، ثم رأيت سحابة بيضاء قد اقبلت من السماء حتى غابت عني، فسمعت مناديا ينادي: طوفوا به مشارق الأرض ومغاربها، وأدخلوه في البحار ليعرفوه بنعته

وصورته، وهذه القصة طويلة يتحير منها الأفهام حتى أن بعض الفضلاء الكرام وضعوا لمولده عليه السلام كتابا مستقلا في حسن النظام، ومن أراده فعليه الرجوع والقيام.

(٦٠) يَوْمَ تَفَرَّسَ فِيْهِ الْفُرْسُ أَنَّهُمْ ... قَدْ أُنْذِرُوْا بِحُلُوْلِ الْبُؤْسِ وَالنِّقَمِ

لَمَّا قدر المفعول في البيت السابق أعني: قوم عجائب أو علامات وكان ذلك في غاية الإجمال أراد أن يفصله بذكر بعض منه فقال: «يوم تفرس فيه الفرس... إلخ»، «يوم» بدل من «المولد»، والمراد من «**اليوم**» النهار، وقد يستعمل في مطلق الزمان لكن المراد هنا النهار إذ المشهور والأصح أنه عليه السلام ولد يوم الإثنين، فعن قتادة أنه عليه السلام سئل عن صيام يوم الإثنين، فقال: ((ذلك يوم ولدت فيه))[٩٦] وعن ابن عباس أنه قال: «ولد عليه السلام يوم الإثنين، وأنزل عليه النبوة يوم الإثنين، وخرج مهاجرا يوم الإثنين، ودخل المدينة يوم الإثنين، ووضع القبر يوم الإثنين، وكذا فتح مكة يوم الإثنين، وأنزل عليه سورة المائدة يوم الإثنين»، ومن قال: المراد من «اليوم» هاهنا مطلق الزمان فليس له خبر بكتب الأحاديث. و«**تفرس**» أي: نظر وعلم بالفراسة، والفراسة قوة يدرك بها الإنسان المعاني الباطنة من المخايل الظاهرة، و«**فيه**» متعلق به وضميره راجع إلى اليوم، و«**الفرس**» بالرفع فاعله، و«الفرس» اسم جمع لأهل فارس، وفارس معرب پارس، وهو اسم لپارس بن ناسور بن سام بن نوح، وهو بلاد كثيرة بناها المزبور، وبلاده المشهورة "شيراز" و"أصفهان"، وقد ورد في مدح أهل فارس حديث رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم حيث قال: ((إن الله اختار من بين خلقه من العرب قريشا ومن العجم فارسا))[٩٧] وفي حديث آخر ((أبعد الناس عن الإسلام الروم))[٩٨] و((لوكان الإسلام معلقا بالثريا لتناوله رجال من فارس))[٩٩]. و«أنهم» «**أن**» مع اسمها وخبرها مفعول «تفرس»، والضمير للفرس، و«قد» للتحقيق، و«**أنذروا**» ماض مجهول من الإنذار بمعنى التخويف مع

(٩٦) "صحيح مسلم"، كتاب الصيام، باب استحباب صيام ثلاثة أيام، الحديث: ١١٦٢، صـ ٥٩٠.

(٩٧) "كنز العمال"، كتاب الفضائل، الحديث: ٣٤١٣١، ١٢/٤٢.

(٩٨) "المطالب العالية"، كتاب المناقب، باب ذم العباد، الحديث: ٤١٥٣، ٨/٤٨١.

(٩٩) "سنن الترمذي"، كتاب تفسير القرآن، باب من سورة محمد صلى الله عليه وسلم، الحديث: ٣٢٧٢، ٥/١٧٥

الإبلاغ، و«**بحلول**» متعلق بـ«الإنذار»، و«الحلول» بمعنى النزول، و«**البؤس**» الشدة والمضايقة، واللام للاستغراق أو للجنس أو للعهد. و«**النقم**» عطف تفسير للبؤس، وهو بفتحتين جمع النقمة بكسر النون، وهي الشدة والعقوبة، اعلم! أنه روي أن الليلة التي ولد في فجر نهارها رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم رأى ملك فارس، وهو نوشيروان رؤيا تحير منها فلم يدع كاهنا ولا ساحرا ولا منجما من أهل مملكته إلا جمعه مع طائفة من أحبار اليهود فقال لهؤلاء: إني رأيت رؤيا حيرتني، فأخبروني بها، قالوا: أقصصها علينا حتى نخبرك بتأويلها، قال: لا أطمئن بتأيلكم بعد القصص، وإني أريد أن تخبروني بالرؤيا وتأويلها قبل القصص عليكم، فتحيروا، ولم يقدروا على إخباره، فقال رجل منهم: إن كنت تريد هذا فلتبعث إلى سطيح حتى يخبرك، فبعث الملك إليه عبد المسيح، فبلغ عبد المسيح إلى "البحرين"، وكان سطيح يخرج في كل سنة مرة، وكانوا يضعونه على صحيفة من الذهب، فيخبر عن أحكام السنة الآتية، والناس يكتبونها، فانتظر عبد المسيح خروجه، فلما خرج بدأ الكلام برؤيا الملك، وقال: إنه رأى رؤيا تحير منها، وهي أنه رأى خيلا عرابا تملأ المدائن، وتسوق الإبل العراقية، وتخرجها منها، وإنما هذه العلامة علامة ولادة النبي الأمي العربي الهاشمي محمد الذي هو أفضل أبناء الخليل الموصوف في التوراة والإنجيل، وتأويل رؤياه أن خيل العرب هم أصحاب ذلك النبي يدخلون بلاد "فارس"، وستفتح لهم، ويأخذون المدائن من آل ساسان، ثم بكى، فقيل: ما يبكيك، فقال: أما أبكي وقد بقي من عمري قليل، ولا أدرك بعثة هذا النبي، فرجع عبد المسيح، فأخبر ساسان، فأمر ساسان بقتل سطيح، فقتلوه وشقوا رأسه.

(٦١) وَبَاتَ إِيْوَانُ كِسْرٰى وَهُوَ مُنْصَدِعٌ ... كَشَمْلِ أَصْحَابِ كِسْرٰى غَيْرَ مُلْتَئِمِ

ثم شرع في بيان العلامة الثانية والآية الواقعة في يوم ولادته فقال: «وبات إيوان كسرى... إلخ»، «**بات**» يجيء لمعنيين الأول: الفعل في الليل يقال: «بات في الليل» أي: كذا فعله في الليل، والثاني: بمعنى: صار سواء كان في الليل أو في اليوم، وهذا عام كما أن الأول خاص، ويجوز هاهنا كلا معنييه، والجملة معطوفة على جملة «تفرس»، والعائد محذوف أي: بات فيه فليتأمل. و«**إيوان**» بكسر الهمزة اسم معرب لسقف لايكون لجانب مقدمه جدار،

وهمزته أصلية؛ إذ لو كانت زائدة لانقلبت الواو ياء كما انقلبت في أيام، فعلم بهذا أن إيوانا مثل ديوان، ووزنهما فِوْعال، والأصل فيهما «إوْوان» و«دِووان» فقلبت الواو الأولى ياء لكسرة ما قبلها كراهة التضعيف، و«**كسرى**» معرب خسر، وهو اسم جنس لمن يملك "العجم"، ويجمع على أكاسرة كما أن «**قيصر**» اسم جنس لمن يملك "الروم"، و«**النجاشي**» لمن يملك "الحبشة"، و«**خاقان**» لمن يملك "الترك"، و«**فرعون**» لمن يملك "مصر"، و«**تبع**» لمن يملك "اليمن". والواو في «**وهو**» حالية، والضمير راجع إلى الإيوان، و«**منصدع**» اسم فاعل من الانصداع بمعنى: الانهدام والتفرقة إذ روي أن بني ساسان بنى ذلك الإيوان في تسعين سنة، وطلاه بماء الذهب، ونقشه بالزبرجد واللؤلؤ، وبكل جوهر عظيم القيمة، فلما كانت ليلة ولادته عليه السلام اهتز وانصدع ذلك فسقط أربع عشرة شرفات من شرفاته وما بقي إلا ثمان شرفات وفي سقوط الأربع عشرة شرفة إشارة إلى أنه يملك منهم بعده ملوك بعدد الشرفات الباقية، وقوله: «كشمل أصحاب كسرى» دفع لما يتوهم أن يقال: من أنه هل بني بعد انشقاقه كالأول أو بقي في انشقاقه؟ فقال: «كشمل أصحاب كسرى» يعني: كما أن أصحابه تفرقوا وما جمعوا كالأول كذلك ذلك الإيوان تفرق وانشق وما جمع وما بني بعده، ويكون «**كشمل**» في التركيب ظرفا مستقرا حالا ولك أن تجعله صفة مصدر محذوف أي: وهو منصدع انصداعا كشمل... إلخ، وعلى كلا التقديرين يكون قوله: «كشمل أصحاب كسرى» من قبيل التكملة والاحتراس كما لايخفى على من له من علم المعاني أدنى احتلاس. و«**الشمل**» من الأضداد، وهو هاهنا بمعنى التفرقة. وقوله: «أصحاب كسرى»، فإن قلت: اللازم أن يقول: أصحابه بالضمير فما فائدة الإظهار في مقام الإضمار؟ قلت: فائدته تقريره في الذهن، ودفع توهم رجوع الضمير إلى الإيوان، ويمكن الجواب بالتغاير بين كسرى الأول والثاني، فلا يكون من قبيل وضع الظاهر موضع الضمير، ويؤيده ما قاله بعضهم: من أن في هذا البيت إشارة إلى قصتين حيث أشير في المصراع الأول إلى سقوط إيوان كسرى أعني: ساساذ وخرابه، وفي الثاني إشارة إلى ما روي أن كسرى الذي هو "يزدجرد بن شهريار" وهو آخر الأكاسرة، وقد ملك الفرس كلهم جعل رستما المشهور في الشجاعة صاحب الجيش ورئيسهم، ووهب له جميع خزائنه، وقال له: خذ من السلاح والذهب والفضة ما شئت، وادفع شر العرب عني،

فذهب رستم من بلاد خراسان بمأتي ألف رجل إلى بلاد العراق، وتبعه جميع أهل الذمة، ونقضوا العهد، وكان ذلك في خلافة عمر رضي الله تعالى عنه، فوجه عمر رضي الله تعالى عنه عساكر كثيرة، وجعل سعد بن أبي وقاص صاحب الجيش، وأمر جيشه الذي كان في العراق أولا أن يبايعوا سعدا فوصل سعد مع العساكر إلى عسكر رستم، فلما تقابل الفريقان رأى هلال ابن علقمة الهيثمي رستما فتوجه إليه، فرماه فقتله، فأعطاه سعد سلبه، فبلغ سلبه سبعين ألف درهم سوى قلنسوته فإنها بلغت مئة ألف، وانهزمت الفرس، فنهض سعد خلفهم، يفرق شملهم ويقتل حزبهم، ولم يلتئم بعد ذلك شملهم، فوصل إلى المسلمين مغانم كثيرة، روي أنهم أخذوا علم الكفار، وذهبوا به مع المغانم إلى عمر رضي الله تعالى عنه، فقسمه بين المسلمين، فبلغ سهم علي كرم الله وجهه شبرا منه، فباعه بعشرة آلاف دينار.

(٦٢) وَالنَّارُ خَامِدَةُ الأَنْفَاسِ مِنْ أَسَفٍ ... عَلَيْهِ وَالنَّهْرُ سَاهِي الْعَيْنِ مِنْ سَدَمِ

ثم شرع في بيان العلامة الثالثة والرابعة فقال: «والنار خامدة الأنفاس من أسف... إلخ»، والواو عاطفة، والجملة معطوفة على الجملة السابقة، ولابد فيه من فيه أيضا، ولا يرد أن هذه الجملة اسمية، والأولى فعلية، فلا يحسن عطفها عليها لكون كل واحدة منهما في تأويل المفرد، وتقديره فحينئذ لايضر العطف كما لايخفى. و«**خامدة**» من الخمود، وهو انقطاع شعلة النار مع بقاء جمرها، و«**الأنفاس**» جمع نفس، وهو بالفتح ما يدوم ببقائه الحيوان، والمراد هاهنا به شعلة النار بطريق الاستعارة بأن شبه شعلة النار بنفس الحيوان في كونهما سببا للدوام، واستعير الأنفاس لشعلة النار، فذكر الأنفاس وأريد الشعلة، والقرينة على هذه الاستعارة إيقاع الخامدة على الأنفاس هذا مبني على أن تكون النار على حقيقتها، ويجوز أن يراد من النار الكفار مجازا واستعارة بأن شبه الكفار في هلاك من قرب منها، فاستعير النار للكفار، فذكر النار، وأريد الكفار، فعلى هذا يكون الخمود تجريدا، والأنفاس تخييلا، والأسف ترشيحا، ويجوز أن يكون النار استعارة مكنية بتشبيهها بالحيوان المضر، والأنفاس تخييلها، والأسف ترشيحها وقوله: «**من أسف**» متعلق بـ«خامدة»، والأسف بمعنى الحزن كما في قوله تعالى حكاية: ﴿يَاأَسَفَىٰ عَلَىٰ يُوسُفَ﴾

[يوسف: ٨٤]، و«**عليه**» متعلق بـ«أسف»، والضمير إما راجع إلى النار، فيكون المعنى: أن نار المجوس في يوم الميلاد قد خمدت من أسفها على نفسها وبقائها بين الكفار وكونها معبودا لهم، وإما راجع إلى يوم الميلاد فيكون المعنى: أن نار المجوس كانت مشتاقة إلى جماله صلى الله تعالى عليه وسلم فتأسفت من فرقه، وعدم وصولها إليه عليه السلام فخمدت شعلتها وانطفأ لهبها، وإما راجع إلى الفرس الذين عاونوها بإحراقها دائما وعدم إطفائها أصلا فيكون المعنى: أن نار المجوس قد خمدت لتأسفها وحزنها على عونتها لأنهم تفرقوا عن هذا ولم يجتمعوا بعده أبدا، وقوله: و«**النهر**» عطف على «النار»، والمراد من النهر ماء ساوة، فذكر المحل، وأريد الحال. و«ساهي العين» بالرفع خبر المبتدأ أعني: النهر، و«**الساهي**» بمعنى الغافل، و«**العين**» من الألفاظ المشتركة تجيء لمعان كثيرة، والمراد هاهنا منبع الماء، و«من سدم» متعلق بـ«الناهي»، و«**من**» أجلية، و«**السدم**» الحزن والندامة، وفي بعض النسخ «من ندم» بالنون، ولابد من تقدير «عليه» في هذه الجملة بقرينة سياقه، ففي ضمير «عليه» المقدر يجري أيضا احتمالات ثلاثة: بأن يرجع ضميره إلى النهر، ويكون المعنى: أن نهر ساوة قد غفل عن مجراه السابق، وأفرط في إخراج الماء، فجاوز عينه في يوم الميلاد للتأسف على نفسه أي: لبعده عنه عليه السلام وبقائه في أرض بعيدة، أو يرجع إلى يوم الميلاد، والمعنى: أن نهر ساوة كان مشتاقا إلى جماله ورؤيته عليه السلام فتأسف في ذلك اليوم من عدم وصوله، فبكى، فطفا ماءه، فغفل عن مجراه السابق، أو يرجع إلى الفرس لأنهم كانوا خدمة ذلك الماء إذ كان عين ذلك الماء في بلادهم، والمعنى: أن ماء ساوة قد تأسف على عونته وخدمته، فغفل عن مجراه السابق، فأفرط ماءه لأن عونته قد تفرقوا بعد ولادته عليه السلام، ثم اعلم! أن النهر يجوز فيه وجوه الاستعارة التي قد سبقت فتذكرها ورتبها.

(٦٣) وَسَاءَ سَاوَةَ أَنْ غَاضَتْ بُحَيْرَتُهَا ... وَرُدَّ وَارِدُهَا بِالْغَيْظِ حِيْنَ ظَمِي

ثم شرع في بيان العلامة الخامسة فقال: «وساء ساوة أن غاضت بحيرتها... إلخ»، الواو للعطف، والجملة معطوفة على قريبها أو بعيدها فلا تنس تقدير فيه هاهنا أيضا، و«**ساء**» إما لازم بمعنى حزن أو متعد بمعنى أحزن، والأنسب الثاني، و«**ساوة**» اسم مدينة عظيمة،

والمراد من «ساوة» أهلها، إما بطريق المجاز المرسل بأن يكون من قبيل ذكر المحل وإرادة الحال، أو بطريق المجاز الحذفي كقوله تعالى: ﴿وَاسْأَلِ الْقَرْيَةَ﴾ [يوسف: ٨٢]، وهي غير منصرفة لكونها مؤنثة وعلما، ثم إن «ساء» إن كان لازما تكون «ساوة» بالرفع فاعلا له، وإن متعديا تكون بالنصب مفعوله وفاعله قوله: «أن غاضت» و«**غاض**» بمعنى: غاب يقال: «غاض الماء» إذا غاب و«بحيرتها» بالرفع فاعل «غاضت»، والضمير إلى ساوة و«**البحيرة**» اسم لمياه عظيمة في مملكة "عراق العجم" بين "همدان" و"قم"، وتركب فيها السفن، ويسافر بها إلى ما حولها من البلاد مثل "إذرعات" و"الرَي" وما جاوز ذلك وكانت أكثر من ستة فراسخ، وكان ماءها لطيفا لا يشابه مياه سائر البحار، وكان في أطرافها كنائس كثيرة وأسواق غفيرة، وكان الكفار يروجون كفرهم عندها، وقيل: كانوا يعبدونها، فلما ولد رسول الله الماحي جميع طرق الكفر غاب ماء تلك البحيرة، ثم اعلم أن في «البحيرة» أيضا مجازا من ذكر المحل وإرادة الحال، وفي إضافتها إلى الضمير الراجع إلى «ساوة» احتراز عن بحيرة طبرية، فإنها كانت أيضا على حواليها كنائس معتبرة منقوشة بالذهب، فغاب ماءها وقت ميلاده عليه الصلاة والسلام، وكان غيبوبة ذلك الماء سببا لخرابها وأما ساوة فلم تكن خربة بل بنى أهلها في موضع البحيرة مدينة عظيمة، وهي باقية الآن كذا رأيت في رسالة مصنفة في مولده عليه الصلاة والسلام، وقوله: «**و رد**» على بناء المفعول و واوه إما للحال أو للعطف، فالجملة معطوفة على «غاضت»، والمعنى: وأحزن أهل ساوة أن رد ...الخ، ولايجوز أن تكون معطوفة على «ساء»، وإلا يلزم أن يكون قوله: «ورد» بيانا لعلامة مستقلة لوقت مولده عليه الصلاة والسلام، ولايكون من تتمة الأولى، وهو باطل، ومن قال: إنها معطوفة على جملة «ساء» فقد أساء فتدبر. و«**رد**» بمعنى رجع وانصرف، وقوله: «واردها» بالرفع نائب فاعل لـ«رد»، والضمير راجع إلى البحيرة، و«**الوارد**» بمعنى الذاهب لأخذ الماء وقوله: «بالغيظ» متعلق بـ«رد» أي: بالغضب، ورد أن الذاهب إلى ماء البحيرة ليأخذ الماء، ويذهب به إلى بيته جاء إلى البحيرة فرأى أنه قطع ماءها، فرد عنه وانصرف بالغضب حيث كان في يديه كوبان، فلما رأى انقطاع الماء ضرب أحدهما على الآخر وكسرهما، و«**حين ظمي**» ظرف لـ«الوارد» أو لـ«رد»، و«**ظمي**» أصله ظمئ أي: عطش، فحذف همزته لضرورة الشعر.

(٦٤) كَأَنَّ بِالنَّارِ مَا بِالْمَاءِ مِنْ بَلَلٍ ... حُزْنًا وَبِالْمَاءِ مَا بِالنَّارِ مِنْ ضَرَمِ

لَمَّا أراد الناظم الفاهم تكملة البيتين السابقين قال: «كأن بالنار... إلخ»، فالمصراع الأول تكملة للبيت الأخير، والثاني للأول، و«**كأن**» من الحروف المشبهة بالفعل، و«**بالنار**» ظرف مستقر خبر «كأن» متعلق بحصل المقدر أي: كأنه حصل بالنار والمراد من «النار» نار المجوس و«ما» موصولة و«بالماء» متعلق بمقدر أي: ما حصل بالماء، و«من بلل» بيان لـ«ما» والمراد من الماء بحيرة ساوة، والمعنى: أن أهل ساوة ظنوا أن الماء الذي عبدوه قد انقطع ويبس وصار بحال كائن كان موضع ذلك الماء موقد نار، وكان البلل الذي حصل بالماء يبس بالنار، ولما كان هذا الظن بعيدا عن الإذعان علله بقوله: «حزنا» أي: لأجل حزن وقع فيهم يظنون مثل هذا الظن. وقوله: «وبالماء» الواو عاطفة، و«الماء» معطوف على «بالنار»، و«بالنار» عطف على «بالماء» من قبيل عطف شيئين بحرف واحد على معمولي عامل واحد، وهو «كأن» و«من ضرم» بيان لـ«ما»، و«**الضرم**» التهاب النار واشتعالها، والألف واللام في «بالنار» للعهد أي: نار المجوس التي لم تخمد ألف عام، ومعنى هذا المصراع: أن عبدة النار كانوا محزونين حتى ظنوا أنه وقع في موقع نارهم بلل حاصل بالماء. (**فائدة**) قال في تفسير "روح البيان": أن أول من عبد النار قابيل حيث قتل أخاه هابيل، ونفاه آدم عليه السلام بأمر الله إلى أرض اليمن، فخرج مع أخته إليها، فجاء الشيطان، فقال: إنما أكلت النار قربان هابيل؛ لأنه كان يعبد النار فاصطنع أنت أيضا نارا، واعبدها، فاصطنع النار، وعبدها، فتبعه بعض الأنام من أولاده، وأولاد أولاده إلى يوم القيام.

(٦٥) وَالْجِنُّ تَهْتِفُ وَالْأَنْوَارُ سَاطِعَةٌ ... وَالْحَقُّ يَظْهَرُ مِنْ مَّعْنًى وَّمِنْ كَلِمِ

ثم شرع في بيان العلامة السادسة والسابعة فقال: «والجن تهتف... إلخ»، الواو عاطفة، والجملة معطوفة على سابقها، أو الواو حالية و«**الجن**» مقابل الإنس، وهو جوهر ناري يتشكل بأشكال مختلفة، وإنما سموا به لكونهم في الستر عن أعين الناس، و«الجن» في اللغة بمعنى الستر قالوا: إن كونهم مستورين عن أعين الناس من نعم الله علينا، وكذا استتار الملائكة، أما الجن: فلكونهم في صور قبيحة غاية القبح حتى لو رآهم أحد من

الناس لمات أو زال عقله، وأما الملائكة: فلكونهم في غاية الحسن والجمال حتى لو رآهم على صورتهم الملكية أحد لزال عقله أو مات فلا تسع حوصلة الإنسان رؤيتهما، ثم اعلم! أنه روي أن الجن كانوا ثلاثة أصناف: صنف لهم أجنحة يطيرون في الهواء، وصنف في صورة الحيات والكلاب، وصنف يرحلون ويظعنون، وقالوا: وفي الجن ملل كثير مثل الإنس، ففيهم اليهود والنصارى والمجوس وعبدة الأصنام، وفي مسلميهم مبتدعة وأهل الأهواء، وكلهم مكلفون. «**تهتف**» أي: تصيح وتصوت وتتكلم بولادته عليه السلام؛ إذ روي أن في الهواء وإرجاء مكة تسمع أصوات الجن يبشرون بولادته عليه السلام وفي "المواهب": مر في ذلك الوقت جن المشرق إلى المغرب والمغرب إلى المشرق يبشرون بولادته عليه السلام، ومن أراد بهتف الجن أخبارهم الكهنة باستراق السمع، فقد بعد عن المرام حيث أشير إليه في قوله: «وبعد ما عاينوا في الأفق»، ولو أريد منه هاهنا ما سيأتي لزم الاستدراك فتأمل، فإن قيل: إن قوله: «الجن تهتف» جملة اسمية والجملة الاسمية تدل على الدوام فتقتضي ثبوت صوت الجن دوامه، وهو غير ثابت؟ أجيب عنه: بأن هذه الجملة تدل على الدوام لأن خبرها فعلية، وما يدل عليه ما كان له صرافة في الاسمية كما لايخفى. وقوله: «والأنوار ساطعة» بيان لعلامة أخرى، فالواو عاطفة والجملة معطوفة على سابقها، و«**الأنوار**» جمع نور وهو جوهر مضيء كما مر و«**ساطعة**» من السطوع بمعنى الظهور، وهذه الجملة الاسمية تدل على الدوام والثبات، ففيه إشارة إلى أن نوره عليه السلام باق إلى يوم القيام، ويرى ذلك النور من في قلبه نور، وهذه الجملة إشارة إلى ما روي في "المواهب" و"الشفاء" من أنه روي عن آمنة أم رسول الله عليه السلام إنها قالت: لما ولدته عليه السلام خرج من رحمي نور أضاء له قصور الشام، قال في "اللطائف": وخروج هذا النور إشارة إلى ما يجيء به من النور الذي اهتدى به أهل الأرض، وزال به ظلمة الشرك قال تعالى: ﴿قَدْ جَآءَكُم مِّنَ اللَّهِ نُورٌ وَكِتَٰبٌ﴾ الآية [المائدة: ١٥]، وأما إضاءة ذلك النور قصور الشام، فهو إشارة إلى ما خص به الشام من النور بنبوته، فإنها دار ملكه انتهى. ويجوز أن يكون المراد من «الأنوار» شرائعه عليه السلام على طريق الاستعارة بأن يشبه شرائعه بالأنوار في رفع الظلمات، والواو في «**والحق**» إما عاطفة أو حالية، و«**الحق**» ضد الباطل، ويجوز أن يكون المراد منه شانه

عليه السلام بأن شبه شانه بالحق في العلو؛ لأن الحق يعلو ولا يعلى عليه. و«**يظهر**» من الظهور بمعنى يتجلى، و«**من**» معنى «من» لإبتداء الغاية متعلق بـ«يظهر»، وتنوينه للتعظيم كتنوين كلم، والمراد من «المعنى» معاني القرآن. ومن «الكلم» ألفاظه، والمعنى: ومن علاماته عليه السلام أنه كانت الشرائع ظاهرة بسبب وجوده من معاني القرآن وألفاظه فإن معناه دال على أحكام الشريعة، وألفاظه دالة على صدق نبوته معجز غاية الإعجاز هذا على أن يكون الواو للعطف وأن يكون «الحق» بمعناه الحقيقي، وأما لو كان الواو للحال و«الحق» بمعنى شانه يكون هذا المصراع بيانا وتفسيرا للمصراع الأول على طريق اللف والنشر المشوش بأن يكون المراد من «المعنى» نوره عليه السلام ومن «كلم» كلمة الجن، ويجوز أن يكون المراد من «المعنى» الأمور المعقولة، ومن «الكلم» الأمور المحسوسة والكلام طويل لا يليق إتيانه في هذا المختصر.

(٦٦) عَمُوْا وَصَمُّوْا فَإِعْلَانُ الْبَشَائِرِ لَمْ ... تُسْمَعْ وَبَارِقَةُ الإِنْذَارِ لَمْ تُشَمِ

لَمَّا نشأ من البيت السابق توهم أن يسئل بأنه إذا أخبر الجن بنبوته ودلت الأنوار على حقيقته وهل آمن به قومه أو لا؟ دفعه فقال: «عموا وصموا... إلخ» أي: لم يؤمن قومه لكونهم في العمي والصمم، فقوله: «**عموا**» فعل ماض من العمي بمعنى عدم الرؤية، يعني: الكفار لم يروا الأنوار الساطعة والشرائع الرافعة لعمي أبصارهم، وإطلاق العمي عليهم مع كونهم أولي أبصار لعدم جريهم بموجب رؤيتهم و«صموا» كـ«عموا» يعني: أن الكفار لم تسمع كلام الجن وتبشيرهم بصمم آذانهم، فقوله: «عموا» ناظر إلى قوله فيما سبق: «والأنوار ساطعة»، وقوله: «صموا» ناظر إلى قوله: «والجن تهتف» لكن على سبيل اللف والنشر المعكوس، ويمكن أن يكون البيت ناظرا إلى المصراع الثاني في البيت السابق، فيكون «عموا» ناظرا إلى الكلم، و«سموا» إلى المعنى كالأول فتأمل. والفاء في «فإعلان البشائر» للتفصيل لأنه تفصيل قوله: «وصموا» كما أن قوله: «وبارقة الإنذار» تفصيل قوله: «عموا» على طريق اللف والنشر المعكوس كقوله تعالى: ﴿يَوۡمَ تَبۡيَضُّ وُجُوهٞ وَتَسۡوَدُّ وُجُوهٞۚ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ٱسۡوَدَّتۡ﴾ الآية [آل عمران: ١٠٦]. و«**الإعلان**» بمعنى الإظهار و«**البشائر**» جمع بشير بمعنى المخبر بالإخبار السارة، ففي العبارة حذف مضاف أي: إعلان إخبار البشائر.

و«لم تسمع» على صيغة التأنيث، والضمير راجع إلى «الإعلان» لايقال: إنه مذكر فلا يصح إرجاع الضمير إليه لأنا نقول إنه قد اكتسب التأنيث من المضاف إليه على طرز قوله: «وما حب الديار شغفن قلبي» وقوله: «وبارقة الإنذار» عطف على «إعلان البشائر»، و«**بارقة**» من برق بمعنى لمع، وتاءها للتأنيث أو للمبالغة، و«**الإنذار**» الإبلاغ على وجه التخويف، وفيه استعارة مكنية حيث شبه الإنذار في الذهن بالسيف في كونه مخرقا، وادعى للسيف فردان: فرد متعارف، وفرد غير متعارف وهو الإنذار، ثم استعير السيف للفرد الغير المتعارف أعني الإنذار، ثم ذكر في الخارج المشبه أعني الإنذار، وأريد الإنذار الذي كان فردا غير متعارف للسيف فحينئذ يكون قوله: «بارقة» تخييلا لهذه الاستعارة، و«لم تشم» بمعنى: لم تنظر ولم تبصر، وضميره راجع إلى البارقة.

(٦٧) مِنْ بَعْدِ مَا أَخْبَرَ الأَقْوَامَ كَاهِنُهُمْ ... بِأَنَّ دِيْنَهُمُ الْمُعْوَجَّ لَمْ يَقُمِ

ثُمَّ فَصَّل «عموا وصموا» تفصيلا ثانيا فبين قوله: «صموا» بهذا البيت فقال: «من بعد ما أخبر الأقوام كاهنهم... إلخ» مع الإشارة إلى أن عدم اتباعهم الرسول عليه الصلاة والسلام من عنادهم وكفرهم لا من جهلهم لأن كاهنهم كان صادقا ومعتمدا عندهم فعدم تصديقهم إياه من عنادهم، فقوله: «من بعد» متعلق بـ«صموا» أو «لم تسمع» أو بهما معا على سبيل التنازع، ومن جوز تعلقه بـ«عموا» أو بـ«لم تشم» فهو غافل عن كون هذا البيت تفصيلا لصممهم، اللهم إلا أن يقال: إنه جوزه بعد ربط البيت الثاني كما لايخفى. و«**ما**» مصدرية، و«**الأقوام**» جمع قوم وقد سبق تفصيله، وهو بالنصب مفعول أخبر. و«كاهنهم» بالرفع فاعله، وهو من يبتدع القول ويخبر بالنصب مفعول أخبره وكاهنهم بالرفع فاعله، وهو من يبتدع القول ويخبر عما سيكون من غير وحي، وفي "المفردات" الكاهن الذي يخبر بالأخبار الماضية الخفية بضرب من الظن كالعراف الذي يخبر بالأخبار المستقبلة على نحو ذلك، ولكون هذين الصناعتين مبنيتين على الظن الذي يخطي ويصيب، قال عليه السلام: ((من أتى عرافا وكاهنا فصدقه بما قال فقد كفر بما

أنزل الله على محمد))[١٠٠] قالوا هذا في حق من اعتقد صدق العراف والكاهن، وأما من سألهم لاستهزائهم أو لتكذيبهم فلا يلحقه ما ذكر في الحديث بقرينة حديث آخر: ((من صدق كاهنا لم تقبل منه صلاة أربعين يوما وليلة))[١٠١] قال ابن ملك: اللائح لي في التوفيق أن يقال: مصدق الكاهن يكون كافرا إذا اعتقد أنه عالم بالغيب، وأما إذا اعتقد أنه ملهم من الله أو أن الجن يقولون مما يسمعون من الملائكة فصدقه فلا يكون كافرا انتهى. فظهر مما ذكرنا فساد ما قيل: وتصديق الكاهن فيما أخبره من المغيبات كفر على إطلاقه فتدبر. «بأن دينهم» متعلق بـ«أخبر»، و«**الدين**» في اللغة: الإطاعة والجزاء، وهنا بمعنى الطريق. و«**المعوج**» النصب صفة «دينهم»، وهو اسم مفعول من الإعوجاج، وهو يستعمل في المحسوسات والمعقولات، فإن استعمل في الأولى يكون بمعنى: عدم الاستقامة، وإن في الثانية يكون بمعنى: ما لا ينبغي، و«**لم يقم**» بمعنى لم يدم، وفي "المواهب" عن عائشة رضي الله تعالى عنها قالت: كان يهودي قد سكن بمكة، فلما كانت الليلة التي ولد فيها رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم قال: يامعشر قريش! هل ولد فيكم الليلة مولود قالوا: لا نعلم، قال: انظروا فإنه ولد في هذه الليلة نبي هذه الأمة بين كتفيه علامة فانصرفوا فسألوا، فقيل لهم: قد ولد لعبد الله ابن عبد المطلب غلام، فذهب اليهودي معهم إلى أمه، فأخرجته لهم، فلما رأى اليهودي العلامة خر مغشيا عليه، فقال: ذهبت النبوة من بني اسرائيل يا معشر قريش أما والله ليسطون بكم سطوة يخرج خبرها من المشرق والمغرب انتهى.[١٠٢] وأمثاله كثيرة شائعة بين الأنام، وتفصيلها لا يتحمله المقام.

(٦٨) وَبَعْدَ مَا عَايَنُوْا فِيْ الْأُفْقِ مِنْ شُهُبٍ... مُنْقَضَّةً وَّفْقَ مَا فِيْ الْأَرْضِ مِنْ صَنَمِ

ثم شرع في بيان تفصيل الثاني لقوله: «عموا» فقال: «وبعد ما عاينوا... إلخ» مع الإشارة في المصراع الثاني إلى علامة أخرى في يوم ولادته عليه الصلاة والسلام، الواو عاطفة، و«**بعد**» عطف على محل «من بعد»، و«**ما**» مصدرية، و«**عاينوا**» ماض من المعاينة بمعنى

(١٠٠) "كنز العمال"، كتاب السحر، حرف السين، الحديث: ١٧٦٨٠، ٣١٩/٦.

(١٠١) "مجمع الزوائد"، كتاب الطب، باب فيمن أتى كاهنا، الحديث: ٨٤٨٥، ٢٠٢/٥.

(١٠٢) "فتح الباري"،قوله باب علامات النبوة في الإسلام، ٥٨٣/٦

المكاشفة التامة. و«في الأفق» متعلق بـ«عاينوا»، و«**الأفق**» بسكون الفاء للتخفيف جوانب السماء و«من شهب» بيان لـ«ما»، و«**الشهب**» بضمتين جمع شهاب، وهو شعلة نار أو بمعنى الكواكب لأنه فسر قوله تعالى: ﴿فَأَتْبَعَهٗ شِهَابٌ ثَاقِبٌ﴾ [الصافات: ١٠] بشعلة نار ونجم كما لايخفى. وقوله «**منقضة**» يجوز فيه الأحوال الثلاثة: الجر: على أنه صفة شهب، وهو الأظهر، والنصب: على أنه حال منه، والرفع: على أنه خبر مبتدأ محذوف، وهو اسم مفعول من «أنقض» بمعنى سقط، روي أن الله تعالى إذا قضى أمرا كان يسمعه حملة العرش، فيسبحون، فيسبح من تحتهم إلى سماء الدنيا، فيقولون: مم تسبحهم، فيستخبرون حتى ينتهي الخبر إلى سماء الدنيا، فيتخطف وتسترقه الشياطين، ثم يأتون به الكهنة على الأرض، فما جاءوا به على وجهه فهو حق، ولكنهم يزيدون فيكذبون وكان ذلك في الجاهلية، فلما ولد عليه السلام كانت الشياطين مرجومين من السماء وممنوعين من الصعود إليها بنجوم ونيران ترميها الملائكة إليهم، فإن قيل: قوله تعالى: ﴿فَمَنْ يَّسْتَمِعِ الْاٰنَ يَجِدْ لَهٗ شِهَابًا رَّصَدًا﴾ [الجن: ٩] يدل على أن الرجم لم يكن قبل بعثة رسول الله عليه السلام، وكذا يدل هذا البيت عليه أيضا، وقوله تعالى: ﴿وَجَعَلْنٰهَا رُجُوْمًا لِّلشَّيٰطِيْنِ﴾ [الملك: ٥] يدل على أنه كان قبل ذلك لأنه لما ذكر لخلق الكواكب فائدتين: التزيين ورجم الشياطين، وكانت فائدة التزيين حاصلة قبل البعثة وجب أن تكون الفائدة الأخرى حاصلة قبلها أيضا؟ أجيب عنه: بأن ذكر الفائدتين لايقتضي اقترانهما بحسب الزمان لم لايجوز أن يكون المعنى «وَجَعَلْنٰهَا» بحيث تصلح لأن ترجم بها فإن الرجم مصدر سمي به ما يرجم به، ويؤيد هذا المعنى ما روي عن جماعة من المفسرين من أن السماء لم تكن تحرس في الفترة بين عيسى ومحمد خمس مئة عام، فلما بعث محمد منعوا من السماء وحرست بالملائكة والشهب. قوله: «**وفق ما**» بالنصب صفة مصدر «منقضة» أي: انقضاضا موافقا لانقضاض ما في الأرض و«**من صنم**» بيان لـ«ما»، والفرق بين الصنم والوثن أن الوثن ما كان له جثة من الخشب أو الحجر والفضة أو غير ذلك، والصنم الصورة بلا جثة، ومنهم من جعل الوثن صنما، وهذا القول إشارة إلى سقوط أصنام العرب في وقت ولادته عليه السلام منكوسة حيث كان لهم في داخل البيت أصنام، فلما ولد رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم، سقط كل مكبا على وجهه، والتفصيل في الكتب المفصلة.

(٦٩) حَتّى غَدَا عَنْ طَرِيْقِ الْوَحْيِ مُنْهَزِمٌ ... مِنَ الشَّيَاطِيْنِ يَقْفُوْا إِثْرَ مُنْهَزِمِ

لَمَّا بين في البيت السابق انقضاض الشهب أراد أن يفصله وبين فائدة انقضاضها فقال: «حتى غدا»، و«**حتى**» لانتهاء الغاية، و«**غدا**» بمعنى أعرض؛ لأنه استعمل بـ«عن»، و«غدا» إذا استعمل بـ«عن» يكون بمعنى الإعراض كصار وذهب ورغب، و«طريق الوحي» كناية عن السماء؛ لأن جبرائيل كان يجيء بالوحي منها و«**منهزم**» بالرفع فاعل «غدا» وهو اسم فاعل من الانهزام بمعنى الفرار من العدو بسرعة، و«**من الشياطين**» صفة «منهزم»، وهو جمع شيطان وجملة «**يقفوا**» حال منه، وضميره المستتر راجع إلى المنهزم، و«يقفوا» كـ«ينموا» من القفو بمعنى التبعية كقوله:

ومن يقف آثار الهزبر ينل به		طائح حمر الوحش إذ هو رائع

وقوله: «**إثر**» بالنصب مفعول «يقفوا»، و«الإثر» بمعنى العقب يقال: الإثر يدل على المسير كالبعرة تدل على البعير، يعني أن الشياطين يصعدون إلى السماء راكبا بعضهم على بعض فتنقض الشهب قبل إدراكهم السماء، فينصرفون منها بالانهزام والفرار تابعا بعضهم إثر بعض، وتدركهم الشهب، ولا تخطئ أبدا فمنهم من تحرقه وتجعله رمادا، ومنهم من يحرق بعض أجزائه، ومنهم من يفسد عقله، لايقال: إن الشيطان من النار فلا يحترق؛ لأنا نقول: إنه ليس من النار الصرفة كما أن الإنسان ليس من التراب الخالص على أن النار القوية إذا استولت على الضعيفة استهلكتها كما لايخفى.

(٧٠) كَأَنَّهُمْ هَرَبًا أَبْطَالُ أَبْرَهَةٍ ... أَوْ عَسْكَرٌ بِالْحَصٰى مِنْ رَاحَتَيْهِ رُمِيْ

لَمَّا كان فرار الشياطين وانهزامهم أمرا وهميا أراد أن يقرره في أذهان السامعين بتشبيهه بالمحسوس مع الإشارة إلى علامة عجيبة كانت بسبب رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فقال: «كأنهم هربا أبطال أبرهة... إلخ»، «**كأن**» للتشبيه، وضميره راجع إلى الشياطين. و«**هربا**» بالنصب حال من اسم «كأن»، وهو بفتحتين الفرار خوفا، و«**أبطال**» بالرفع خبر «كأن»، وهو جمع بطل بمعنى الشجعان. و«**أبرهة**» اسم ملك "اليمن" من

الحبش رئيس أصحاب الفيل شبه الناظم النحرير فرار الشياطين من السماء تابعا بعضهم إثر بعض بفرار شجعان الملك أبرهة في الانهزام، وكونه بسبب رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم وفي قصته اختلاف، فلنذكر ما ذكره بعض المفسرين، وهو أن أبرهة الحبشة كان ملك اليمن ذا أتباع كثيرة فركب يوما مع أصحابه للصيد فرأى عيرا فقال: من هؤلاء؟ قالوا: إن لهم بيتا في مكة يزورونه في كل سنة فغضب أبرهة فأرسل إليهم رجالا حتى منعهم عن سبيلهم فقال: لوزيره هل ينبغي أن لا يكون لنا بيت ويكون الناس زائرين له وكان العرب يزورون بيتهم في مكة ويأتون إليه من كل فج عميق فإني أريد أن أبني كنيسة لم يكن مثلها في الدنيا، فركب أبرهة مع المهندسين، فخرج إلى الصحراء، فرأى أرضا واسعة على بعد مسافة ثلاث ساعات من بلدة يقال لها: صنعاء اليمن، فأمر أن يبنى في ذلك الموضع كنيسة فبنوا فيه وأتموا وعلقوا فيها قناديل من الذهب والجواهر، ووضعوا فيها كراسي مكللة باللؤلؤ وأنواع الجوهر، وملؤها بالأموال النفيسة، ووضع أبرهة فيها رجالا حافظين خادمين، وجعل على حيطانها أستارا منقوشة بالذهب واللؤلؤ، وقال لحافظها: إن أتى أحد من أهل الحجاز إليها فأذنوا له في الدخول لعلهم إذا رأوها تركوا بيتهم، وتوجهوا إليها، ثم ذهب ستة نفر من أهل الحجاز إلى أرض اليمن للتجارة، فقالوا: بينهم إن كنيسة ملك اليمن قد شاع خبرها فلا نتركها حتى ننظرها، فجاءوا إلى بابها فقال الخادمون لهم: من أنتم؟ قالوا: نحن من أهل مكة، فأذنوا لهم في الدخول، فلما نظروا إليها تعجبوا، فقال أحد الخادمين لهم: أهذه أحسن أم بيتكم؟ قالوا: بيتنا أحسن و أعلى لأنكم تفرحون بالجواهر والذهب ونحن لا ننظر إليها ولكن الكعبة قد بناها نبي الله إبراهيم وولده إسماعيل عليهما السلام، ولها خواص كثيرة منها أنه ما من أحد يأخذ بأستارها أو بحلقة بابها، ويسأل ربها حاجته إلا وقد تجاب دعوته فوقع بينهم نزاع فغلق أحد تلك الستة باب الكنيسة، وسلوا سيوفهم، وقتلوا الخادمين كلهم، وتغوطوا داخلها، ولطخوا بعذرتهم حيطانها، ثم خرجوا وفروا إلى أرض الحجاز، فلما اطلع أبرهة على هذه الأحوال زال عقله من غضبه، وقال: لوزيره هي لنا آلات الحرب فجمعها، واحضر عساكر كثيرة بلغ عددها أربع مائة ألف، فأرسل وزيره، وكان معهم أربعون فيلا، ثم ركب أبرهة أيضا وعزم على أن يقتل أهل "مكة"، ويحرق البيت، فلما وصلوا إلى قرب "مكة" نزلوا ثمة واستاقوا إبل

قريش وغنمها، وكان لعبد المطلب فيها أربع مئة ناقة، فلما بلغ الخبر إلى عبد المطلب جد النبي عليه الصلاة والسلام لبس لباسا نفيسا وعمامة لطيفة وركب ناقة وتوجه إلى أبرهة فلما وصل إلى الفيل الذي كان أعظم الفيلة وكان اسمه محمودا قال: إني جد محمد عليه الصلاة والسلام نبي آخر الزمان، فرجع الفيل القهقري ووضع وجهه على الأرض وتملق إليه فمشى عبد المطلب حتى وصل إلى سرير أبرهة فدعا لله تعالى وقال: «اللهم يا سميع يابصير يا عليم يا خبير أنت جعلت نور حبيبك في ستين سنة فبحرمة صاحبه لا تجعلني حقيرا ولا خجلا بين يدي الظالمين» فوقعت الهيبة في قلوبهم فقام أبرهة ونزل عن سريره، وقال: مرحبا بك يا سلطان مكة يا شيخ الحرم لأيّ حاجة جئت؟ فقال: إنما جئت لأن جيوشك قد أخذوا أربع مئة من إبلي فأنا أطلبها فضحك أبرهة وقال: إني ظننت أنك تسألني الكعبة قال عبد المطلب: لست أنا بصاحب الكعبة فإن لها صاحبا يحفظها وأما الجمال فمالي فأمر أبرهة أن يعطوه جماله وركب ناقته فجاء إلى مكة وأخبر بالحال أهل مكة وذكر كثرة جيشه فقالوا: إنا لا نستطيع محاربته فخرجوا وفروا حتى خلت مكة منهم، فجاء عبد المطلب فأخذ حلقة البيت فدعا وتضرع فوثب النور من جبهته فوقع في الكعبة ونصب إلى السماء فلما رأى عبد المطلب هذه الحال قال يا قوم ارجعوا فقد كفيتم فلا خوف عليكم، ولا أنتم تحزنون، فالتفتوا إلى السماء، فإذا طيوركثيرة نشأت من جانب البحر، واجتمعت فوق عسكر أبرهة، ومع كل طائر ثلاثة أحجار حجر في منقاره وحجران في رجليه كل حجر كعدسة وعليه مكتوب اسم من يرمى به، فرمت الطيور تلك الأحجار فما أصاب أحدا منهم حجر إلا أهلكه فهلك القوم كلهم إلا أبرهة فهرب وفوقه طير حتى وصل أبرهة إلى ملكه فحكى له الحال ولما أتم حكايته رمى الطير حجره، فأصابه فهلك فلما رأى عبد المطلب هذه الحال نزل من جبل أبي قبيس فأخذ أموالهم وكان سبب دفع هذه البليلة نوره عليه السلام، ولذا قال تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ﴾... إلخ [الفيل: ١]، ومن أراد تفصيل القصة فعليه بالرجوع إلى "قصص الأنبياء". وقوله: «أو عسكر بالحصى... إلخ»، تشبيه آخر وإشارة إلى معجزة أخرى له عليه السلام، فـ«عسكر» معطوف على «أبطال» يعني أن الشياطين في الفرار كعسكر الكفار، و«بالحصى» متعلق بـ«رمي» المؤخر، و«الحصى» أحجار صغيرة: و«من راحتيه» متعلق أيضا بـ«رمي» المؤخر،

و«راحتيه» بمعنى كفيه، وضميره راجع إليه عليه السلام يعني أن الشياطين في الفرار كعسكر الكفار الذين انهزموا برميه عليه السلام إليهم حصيات ففروا بلا قرار حيث روي أنه لما التقى منهم الجمعان أخذ رسول الله بقبضة من الحصيات، وقال: شاهت الوجوه فرما إليهم فلم يبق أحد منهم إلا إمتلأت عينه بالغبار والحصيات فانهزموا وفروا، فإن قلت: المشهور والثابت بالأحاديث أنه كان تلك الحصى كفا ويشهد له البيت الآتي فكيف يصح قوله في هذا البيت: «من راحتيه» بصيغة التثنية، اللهم إلا أن يقال: تثنية الراحتين باعتبار الوقتين في الغزوتين أعني في بدر كما رواه البخاري، وفي أُحد كما رواه مسلم، وسيجيء تفصيل الغزوتين في فصل الجهاد.

(٧١) نَبْذاً بِهِ بَعْدَ تَسْبِيْحٍ بِبَطْنِهِمَا ... نَبْذَ الْمُسَبِّحِ مِنْ أَحْشَاءِ مُلْتَقِمِ

لَمَّا بيّن العلامات العجيبة التي وقعت قبل بعثته عليه السلام أراد أن يشرع في بيان بعض ما وقع من معجزاته عليه السلام بعد بعثته فقال: «نبذا به بعد تسبيح ببطنهما... إلخ» «نبذا» مصدر منصوب إما بـ«نبذ» المقدر أو بـ«رمي» والتقدير: نبذ نبذا ومعنى النبذ: الرمي من اليد، والباء في «به» زائدة لتقوية العمل والضمير راجع إلى «الحصى» فإن قيل: هذا زائد لا فائدة فيه لأنه قد سبق في البيت الأول بعينه ففي الإعادة استدراك. قلت: لا نسلم أنه لا فائدة فيه كيف وإعادته للتأكيد والتقرير على أن الأول مطلق وهذا مقيد فلايكون عين الأول كما لايخفى. وقوله: «بعد تسبيح» ظرف «نبذا» أو «رمي» وكان التسبيح صادرا من الحصيات واختلف في كيفية ذلك التسبيح، و«ببطنهما» متعلق بـ«تسبيح» والباء بمعنى «في» أو ظرف مستقر على أنه صفة «تسبيح» أي: كائن في بطنهما وضمير التثنية راجع إلى الراحتين فإن قلت: الراحة بمعنى باطن اليد فلو رجع هذا الضمير إليهما يلزم استدراك قوله «ببطن» كما لايخفى؟ قلت: لا نسلم أن الراحة بمعنى باطن اليد لا مطلق اليد ولو سلم فَلِمَ لايجوز أن يكون في ضمير «ببطنهما» استخدام بأن يراد بمرجعه أعني: الراحتين معنى باطن اليد وبالضمير الراجع إليه مطلق اليد مجازا من ذكر اللازم وإرادة الملزوم أو من ذكر الجزء وإرادة الكل ولو سلم فلم لا يجوز أن تكون إضافة البطن إلى الضمير بيانية فتأمل.

وحاصل معنى هذا المصراع: أن رسول الله عليه السلام رمى تلك الحصيات بعد تسبيحها في راحتيه عليه السلام حيث روي أنه عليه السلام لما أخذ بقبضة من الحصيات بالوحي سبحت في كفه عليه السلام وهو يسمع ثم أعطاها أبا بكر فسبحت أيضا في كفه وهو يسمع ثم أعطاها عمر فسبحت في كفه أيضا وهو يسمع ثم أعطاها عثمان، ثم أعطاها عليًّا، فسبحت في كفهما وهما يسمعان، وقد كان مثل ذلك كثيرا أيضا في أوقاته عليه السلام. كما بينوه في الكتب المفصلة، ثم أتى بتشبيه لذلك الحكم مع الإشارة إلى قصة لطيفة فقال: «نبذ المسبح... إلخ» وهو بالنصب مفعول «رمي» والأداة محذوفة أي كنبذ المسبح وهو مضاف إلى مفعوله، وفاعله محذوف أي: نبذ الله المسبح، والألف واللام في المسبح للعهد أي: المسبح المعهود، وهو يونس النبي عليه الصلاة والسلام. و«من» متعلق بـ«نبذ»، و«**الأحشاء**» جمع الحشي، وهو بمعنى البطن وجمعه إما على حقيقته لأن يونس كان في بطون ثلاثة: الأول: بطن الحوت الأول، والثاني: بطن الحوت الثاني، والثالث: بطن البحر أو من قبيل ﴿فَقَدۡ صَغَتۡ قُلُوبُكُمَا﴾ [التحريم: ٤] و«**الملتقم**» بمعنى المبتلع، والمراد به الحوت، ثم اعلم! أنّ التشبيه في «النبذ» المطلق لا في المنبوذ كما لايخفى.

وحاصل معنى هذا المصراع: كرمى الله تعالى نبيه يونس عليه الصلاة والسلام من بطن الحوت إلى ساحل البحر بسهولة بلا شدة. وقصته أن يونس عليه السلام بعثه الله تعالى إلى قوم كانوا مئة ألف وسبعين ألفا فلم يجبه أحد من قومه وعادوه، فخرج من المدينة فقال: اللهم أنزل عليهم رجزك وعذابك، فنزل جبرائيل وقال له: إن الله تعالى يقول: ارجع إليهم، فادعهم أربعين ليلة أخرى، فإن أجابوك فنعم، وإلا فأنا مرسل إليهم العذاب، فرجع يونس فدعاهم سبعة وثلاثين يوما، فلم يجيبوه، فأخبرهم بالعذاب إلى ثلاثة أيام، فلما جاءت ليلة الأربعين خرج يونس من عندهم بغير إذن ربه، فلما أصبحوا تغشاهم سحاب العذاب، فظنوا أنه مطر فنظروا إلى السحاب، فإذا يخرج من أطرافه شرر النار فخافوا وندموا وطلبوا يونس فلم يجدوه، فقالوا لمليكهم: إن كان يونس غائبا عنا فإن إلهه لم يغب، فاجتمع الناس كلهم في أرض سهلة فتابوا وتضرعوا، وكسروا أصنامهم، وقبلوا دين الله تعالى، وسجدوا له تعالى، فاستجاب دعاءهم وكشف عنهم العذاب، وكان يونس على جبل بعيد من المدينة فلم يقف على هذه الحال، فجاء إليه

الشيطان في صورة شيخ، فقال يونس له: من أين تجيء؟ قال: من المدينة، قال: أيّ حال تركت أهلها؟ قال إبليس: تركتهم يطلبون كذابا يقال له يونس فإنه قال لهم: يأتيكم العذاب فلم يأتهم فيطلبونه ويريدون قتله، فقال يونس: كيف أرجع إلى قوم كذبوني، فذهب مغاضبا إلى قومه من غير وحي من الله تعالى فأتى بحر الروم، فإذا سفينة مشحونة، فركبها يونس عليه الصلاة والسلام، فلما ركبها تحركت السفينة حتى كادت تغرق فقال الملاحون: هاهنا رجل عاص وعبد آبق، وهذا رسم السفينة إذا كان فيها العبد الآبق لاتجري، ومن رسمها أيضا أن يقترعوا في مثل هذا فمن وقعت القرعة عليه ألقوه في البحر، فَسَاهَمَ أي: قارع أهل السفينة ثلاث مرات، فوقعت في كلها على يونس عليه السلام، فكان يونس من المدحضين أي: من المقروعين، فقام يونس، فقال: أنا الرجل العاصي والعبد الآبق، فألقوه أو ألقى نفسه في البحر فالتقمه الحوت، ثم جاء حوت آخر أكبر منه، فابتلع هذا الحوت، فنزل به إلى قعر البحر، فمكث في بطنه أربعين يوما، فنادى في الظلمات الثلاث، وسبح الله تعالى فقال: ﴿لَّآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنتَ سُبۡحَٰنَكَ إِنِّي كُنتُ مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ [الأنبياء: ٨٧] فاستجاب الله تعالى دعاءه بحرمة تسبيحه، فأخرجه إلى ساحل البحر، فأنبت الله عليه شجرة اليقطين ليستظل بظلها، ثم مشى إلى قرية فأقبل عليه أهل تلك القرية، فأكرموه وعظموه، وتمام القصة في "قصص الأنبياء" للإمام الثعلبي.

(٧٢) جَاءَتْ لِدَعْوَتِهِ الأَشْجَارُ سَاجِدَةً ... تَمْشِيْ إِلَيْهِ عَلَى سَاقٍ بِلاَ قَدَمِ

لمّا ذكر في البيت السابق معجزته عليه السلام أعني تسبيح الحصى في كفه عليه السلام انتقل منها إلى بيان معجزة أخرى مع المناسبة بين المعجزتين إذ كلتاهما كانتا جمادا، وشهدتا بنبوته وغير ذلك مما لو تأملت لوجدته فقال: «جاءت لدعوته الأشجار... إلخ»، «**جاءت**» أي: أتت لدعوته أي: وقت طلبه تشهد على نبوته عليه السلام كما سيجيء حكايته. و«**الأشجار**» بالرفع فاعل «جاءت» وهي جمع شجر قال في "إخوان الصفا" في الفرق بين الشجر والنبات والنجم، أن الشجر: ما هو قائم على ساقه مرتفع في الهواء يورق في الصيف ويتناثر ورقه في الشتاء يخرج الثمر ولو غير مأكول، والنبات: ما يبرز من الحب والبزر، والنجم: ما ينبت من غير بذر وتنبسط على وجه الأرض من الحشائش

والكلاء، وكلها ذو طعم ولون ورائحة انتهى. والمراد من الشجر هنا شجر النخل وقيل: غير ذلك. و«ساجدة» بالنصب حال من الأشجار، والسجدة هنا إما على حقيقتها أو المراد منها الخضوع والانقياد كما جاء الركوع بمعنى الخضوع في قوله تعالى: ﴿يَٰمَرۡيَمُ ٱقۡنُتِي لِرَبِّكِ وَٱسۡجُدِي وَٱرۡكَعِي مَعَ ٱلرَّٰكِعِينَ﴾ [آل عمران: ٤٣]، ولما توهم أن يسأل عن كيفية مجيئها بأنه هل خلق لها قدم أو جاءت بلا قدم دفعه فقال: «تمشي إليه» فهذه الجملة استيناف أو حال، و«إليه» متعلق به، والضمير راجع إليه عليه السلام، و«على ساق» متعلق بـ«تمشي»، وقوله: «بلا قدم» إما متعلق بـ«تمشي» أو ظرف مستقر صفة «ساق» أو حال منه، وفي المعنى تأكيد كما لايخفى. وفي البيت أنواع من خوارق العادة كفهم الخطاب من النبات مع أنها ليست من ذوات الإدراك ومجيئها وتحركها وقصدها إليه وتواضعها لديه ومشيها على ساق وبلا قدم، قال العصام: المجيء إنما حصل من شجرة واحدة على ما ورد في الأخبار فجمع الأشجار محمول على التكرار يعني تكرار حركتها مع وجود وحدتها وغفل عما في "المواهب" و"الشفاء" إذ ذكر في "المواهب" أخرج الإمام أحمد عن أبي سفيان قال: جاء جبريل إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ذات يوم، وهو حزين قد خضب عليه السلام بالدماء حيث ضربه بعض أهل مكة، فقال له جبرئيل: أتحب أن أريك آية؟ فقال: نعم! فقال: ادع تلك الشجرة التي وراء الوادي، فدعاها فجاءت تمشي حتى قامت بين يديه، فقال: مرها فلترجع إلى مكانها، فأمرها، فرجعت إلى مكانها، فقال عليه السلام: حسبي حسبي(١٠٣). وعن بريدة جاء أعرابي، وسأل منه عليه السلام آية، فقال له: قل لتلك الشجرة إن رسول الله يدعوك، فمالت الشجرة عن يمينها وشمالها وبين يديها وخلفها، فتقطعت عروقها، ثم جاءت حتى وقفت بين يدي رسول الله عليه السلام، وقالت: السلام عليك يا رسول الله، قال أعرابي: مرها، فلترجع إلى منبتها، فأمرها فرجعت، فدلت عروقها في موضعها فاستقرت(١٠٤) الحديث. وفي حديث جابر ذهب رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم يقضي حاجته فلم ير شيئا يستر به فإذا شجرتان في شاطئ الوادي، فانطلق، فأخذ بغصن من أغصان إحديهما، وقال: انقادي معي بإذن الله،

(١٠٣) "ابن ماجه"، كتاب الفتن، باب الصبر على البلاء، الحديث: ٤٠٢٨، ٣٧٢/٤

(١٠٤) "مسند البزار"، مسند بريدة بن الحصيب رضي الله عنه، الحديث: ٤٤٥٠، ١٤٣/٢

فانقادت معه حتى أتى إلى الشجرة الأخرى، فأخذ بغصن من أغصانها أيضا، وقال: انقادي معي حتى إذا كان بالمنتصف مما بينهما قال: التئما عليّ بإذن الله فالتأمتا، ثم بعد انقضاء حاجته افترقتا(١٠٥). وأمثاله أيضا ذكر في "الشفاء".

(٧٣) كَأَنَّمَا سَطَّرَتْ سَطْراً لِمَا كَتَبَتْ...فُرُوْعُهَا مِنْ بَدِيْعِ الْخَطِّ فِي اللَّقَمِ

لَمَّا توهم أن يسئل عن كيفية مشي الأشجار على ساقها بلا قدم أجاب عنه فقال بتشبيه بليغ: «كأنما سطرت... إلخ»، فـ«كأن» للتشبيه، و«ما» كافة أي: كأن الأشجار في مجيئها سطرت بمعنى كتبت وأثرت، والضمير للأشجار أو لفروعها. و«سطرا» مفعول مطلق له. واللام في «لما» للتوقيت أو للتعليل، و«ما» موصولة، و«كتبت» صلته، وضمير الموصول محذوف أي: كتبته أو كلمة «ما» مصدرية أي: لكتابة الفروع، وعلى كل تقدير قوله: «فروعها» بالرفع فاعل «كتبت»، و«الفروع» بمعنى الأغصان والأفنان، وضميره للأشجار. وقوله: «من بديع الخط» بيان لـ«ما»، وإضافة البديع إلى الخط من قبيل إضافة الصفة إلى موصوفها أي: الخط البديع بمعنى الخط الحسن. وقوله: «في اللقم» متعلق بـ«كتبت»، و«اللقم» بفتحتين بمعنى وسط الطريق، والمعنى: كائن الأشجار انتظمت سطور الكتابة الفروع والأغصان في وسط الطريق خطا حسنا دالا على المعاني الكثيرة، وفي البيت استعارة تمثيلية بأن شبه الهيئة المنتزعة من الأشجار وأغصانها وانتظامها سطرا وكتابة فروعها خطًّا حسنًا في وسط الطريق بالهيئة المنتزعة من كاتب حقيقة وانتظامه سطورا بالمسطار، وكتابته بالقلم خطاً حسنًا على الكاغد، وفي هذين البيتين إشارة إلى أن المسلمين أولى بالمبادرة لأوامره عليه السلام، وبأن يقمن على قدم العبودية والإطاعة، وإذا كانت الأشجار مطيعة منقادة له عليه السلام فأمّته أولى به.

(٧٤) مِثْلُ الْغَمَامَةِ أَنَّى سَارَ سَائِرَةً ... تَقِيْهِ حَرَّ وَطِيْسٍ لِلْهَجِيْرِ حَمِيْ

(١٠٥) "صحيح مسلم"، كتاب الزهد والرقائق، حديث جابر الطويل، الحديث: ٣٠١٢، ص: ١٦٠٥

ثُمَّ انتقل من المعجزة السابقة إلى بيان معجزة أخرى مع المناسبة بين هذه المعجزة وتلك من وجوه، لأن الغمامة كانت تسير مع النبي أين سار وأطاعت له عليه السلام، وكذلك الأشجار كانت مطيعة ومنقادة له عليه السلام تذهب إلى أين أمر، ولأن الغمامة كانت تظلل النبي عليه السلام من حر الشمس كذلك الأشجار كانت تظلل النبي عليه السلام كما روي في الأحاديث الصحيحة أنه عليه السلام إذا نام في الصحراء كانت تجيء إليه الأشجار وتظلله، ولأن الغمامة سبب لإنبات النباتات والأشجار وغير ذلك، فقال: «مثل الغمامة... إلخ»، «**مثل**» بالنصب على أنه صفة مصدر محذوف أي: مجيئا مثل الغمامة أو بالرفع على أنه خبر مبتدأ محذوف أي: هي الأشجار مثل الغمامة، و«**الغمامة**» بفتح الغين المعجمة بمعنى السحاب وحبط "العصام" حيث قال: الغمامة كالعمامة؛ لأنها بكسر المهملة كذا في "القاموس" و«**أنى**» بفتح الهمزة بمعنى أين، أي: إلى أيّ محل سار، أو بمعنى كيف، أي: كيف سار النبي عليه السلام سواء سار راكباً أو ماشياً سريعاً أو بطيئاً، وعلى كلا التقديرين فهو ظرف لقوله المؤخر «سائرة»، و«**سار**» بمعنى ذهب، وضميره راجع إليه عليه السلام، و«**سائرة**» إما بالرفع على أنه خبر مبتدأ محذوف أي: هي سائرة، فتكون الجملة بيانا لحال الغمامة أو منصوبة على أنها حال من الغمامة، و«**تقيه**» بمعنى تحفظه، وضمير فاعله راجع إلى الغمامة، وضمير مفعوله راجع إلى النبي عليه السلام، والجملة إما حال أو استيناف لبيان علة السير فيمكن أن يرتب لهذا قياس بأن يقال: الغمامة تسير أين سار النبي؛ لأن الغمامة كانت تظلل النبي وتقيه حر وطيس للهجير حمي، وكل شيء شانه كذا فهو تسير إلى أين سار النبي؛ فينتج المطلوب، و«حر وطيس» بالنصب مفعول ثان لـ«تقي» لكن من قبيل الحذف والإيصال أي: من حر وطيس، و«**الوطيس**» التنور لكنه مستعار لمعنى الشمس حيث شبه الشمس وقت الزوال بالتنور في شدة الحر، فاستعير التنور للشمس، فذكر التنور وأريد الشمس. وقوله: «**للهجير**» اللام للتوقيت، وهو ظرف مستقر صفة لـ«وطيس» أو ظرف له أو ظرف للحر، و«**الهجير**» بمعنى نصف النهار عند اشتداد الحر يقال: الهجير يبس النبت والحوض. و«**حمي**» فعل ماض، وسكون آخر عارض في الوقف، وهو صفة لـ«وطيس»، و«الحمي» بمعنى اشتد الحر يقال: حمي النهار بكسر العين إذا اشتد حره.

و**حاصل المعنى**: إن الأشجار ساجدة لديه جاثية إليه مثل الغمامة كانت تسير إلى أين سار النبي لكونها حافظة له من حر شمس كائنة وقت الزوال الشديد الحر بقدرة الملك المتعال، والبيت إشارة إلى قصة بحيراء الراهب وهي أنه عليه السلام لما خرج إلى "الشام" لمصلحة خديجة أرسل الله تعالى على رأسه عليه السلام غمامة بيضاء ليظلله من حرّ الشمس حتى وصلت العير إلى صُومعة بحيراء الراهب، فنزلت العير عندها تحت شجرة، فاخضرت تلك الشجرة مع أنها يابسة، فخرج الراهب من صومعته، ورأى العير والغمامة التي تظلّله، فعرفه بذلك، وقال: ليس تحتها إلا نبي، واتخذ ضيافة، ودعا أهل العير ليعرف صاحب تلك الكرامة، فذهبوا بأجمعهم، وتركوا رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم عند أثقالهم لاعتمادهم عليه، فنظر الراهب أن الغمامة لم تزل من مكانها فسألهم، وقال: هل بقي منكم أحد في مكانكم؟ فقالوا: لا! إلا الحافظ يحفظ أثقالنا، فطلب الراهب منهم أن يأتوا به، فأتي به عليه السلام، فلما جاء رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم إلى تلك الصومعة رأى الراهب إلى الغمامة، فرآها واقفة على الباب، فدخل وقال: يا شاب من أيّ بلدة أنت؟ قال: من مكة، قال: من أيّ قبيلة؟ قال: من قريش، قال: ما اسمك؟ قال: اسمي محمد، فوقع الراهب عليه وقبّله بين عينيه، وقال: «**لا إله إلا الله محمد رسول الله**» وأسلم وحسن إسلامه. وتمام القصة مذكور في كتب التاريخ.

(٧٥) أَقْسَمْتُ بِالْقَمَرِ الْمُنْشَقِّ إِنَّ لَهُ ... مِنْ قَلْبِهِ نِسْبَةً مَبْرُوْرَةَ الْقَسَمِ

ثمّ انتقل إلى بيان معجزة أخرى لها مناسبة للسابقة من وجوه شتى حيث كانت السابقة سماوية وكذا هذه ولأنها كانت خاصة نبينا عليه السلام وكذا هذه، ولأنها انقادت إليه عليه السلام فكذا هذه، فقال: «أقسمت بالقمر... إلخ»، «**أقسمت**» على صيغة التكلم من القسم بمعنى الحلف لا من الإقسام لعدم مجيئه. و«**بالقمر**» متعلق بـ«أقسمت»، فيكون القمر مقسما به، فإن قلت: القسم بغير اسم الله لايجوز من العباد بل الظاهر من كلام مشايخنا أنه كفر إن كان باعتقاد أنه حلف يجب البرية وحرام إن كان بدونه، وقد قال

عليه السلام: ((من حلف بغير الله فقد أشرك))(١٠٦)، رواه الترمذي والحاكم بسند صحيح عن ابن عمر رضي الله تعالى عنه وعن ابن عباس ((لأن أحلف بالله فآثم خير من أن أحلف بغير الله تعالى فأبر))(١٠٧) فكيف يجوز قسم الناظم النحرير بالقمر؟ قلت: الجواب عنه من وجوه: أمّا أولا فبأن يقال: في العبارة حذف مضاف أي: أقسمت برب القمر أو خالقه كما قدره أكثر المفسرين في مثل قوله تعالى: ﴿وَالشَّمْسِ﴾ [الشمس: ١] ﴿وَالضُّحَىٰ وَاللَّيْلِ﴾ [الضحى: ١،٢] وغير ذلك، وأما ثانياً فبأن يقال: إن هذا القول وإن كان في صورة القسم لكن لم يكن المراد به القسم بغير الله تعالى، فإن العرب إذا أرادوا تأكيد مضمون الكلام وترويجه وإخبار صدقه يذكرونه في صورة القسم لأنه أقوى من سائر المؤكدات وأسلم، وليس الغرض به اليمين الشرعي، وأما ثالثا فبأن يقال: إن الحلف بغير اسم الله تعالى إنما لايجوز في مذهب الحنفية، والناظم شافعي المذهب كما سبق، فيجوز الحلف بغير الله تعالى في مذهبهم، ثم إن القمر يطلق على الكوكب المنير بالليل بعد مضي ثلاث ليال، وأما قبله فيقال له: الهلال. و«المنشق» بالكسر صفة القمر، وهو اسم مفعول من الانشقاق بمعنى الانصداع، وانشقاق القمر بإشارته عليه الصلاة والسلام ثابت بالقرآن والأحاديث قال في "المشكاة" روي أن أبا جهل عليه اللعنة ومن تابعه لما عجزوا عن معارضة نبينا عليه الصلاة والسلام، وارتفعت يوما فيوما شمس شريعته، وجعل الناس يؤمنون به بعثوا إلى حبيب ابن مالك أمير الشام مكتوبا وكتبوا فيه أما بعد! ليعلم الملك أنه قد ظهر بيننا رجل ساحر كذاب يدعي ربا واحدا ودينا جديدا، وأنه يسب آلهتنا وكلما قابلناه بالحجة غلب علينا، فاليوم ضعف دينك ودين آبائك، فألحق به قبل أن ينشر دينه، فركب حبيب بن مالك ومعه اثنا عشر "فارس"، ونزل بـ"الأبطح"، وخرج لاستقباله أبو جهل وعظماء "مكة" بالهدايا، فأقعده حبيب، وسأله عن أحوال محمد، قال: أيها السيد سل بني هاشم، فسأل منهم فقالوا: نعرفه بالصدق في صغره، ولما بلغ عمره أربعين سنة جعل يسب آلهتنا ويظهر دينا غير دين آبائنا قال حبيب: احضروا محمدا طوعا ولو أبى فَكَرْهًا فبعثوا إليه الحاجب فأتى إليه عليه الصلاة والسلام أبو بكر

(١٠٦) "سنن الترمذي"، كتاب النذور والأيمان، باب ما جاء في كراهية الحلف بغير الله، الحديث: ١٥٤٠، ١٨٥/٣.

(١٠٧) "مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح"، كتاب النذور والأيمان، الفصل الأول، الحديث: ٣٤٠٧، ٥٧٩/٦.

بحلة حمراء وعمامة سوداء، فلبسهما رسول الله، فجاء إلى حضور حبيب، وأبو بكر عن يمينه وخديجة من خلفه، فلما رأى النبي عليه السلام قام إكراما له عليه الصلاة والسلام، فلما جلس رسول الله والنور يتلألأ في وجهه سكتت الألسن، ووقعت الهيبة على الناس، فقال حبيب: يا محمد! أنت تعلم أن للأنبياء كلهم معجزات ألك معجزة؟ فقال عليه الصلاة والسلام: ماذا تريد؟ فقال حبيب: أريد أن تغيب الشمس وتخرج القمر، وتنزله إلى الأرض، وتجعله منشقا نصفين، ثم يعود إلى السماء قمرا منيرا فقال عليه الصلاة والسلام: إن فعلته أتؤمن بي؟ قال: نعم بشرط أن تخبر بما في قلبي، فصعد رسول الله إلى "جبل أبي قبيس"، وصلى ركعتين فدعا ربه، فنزل جبرائيل عليه السلام فقال: إن الله تعالى سخر لك الشمس والقمر والليل والنهار، وإن لحبيب بن مالك بنتا سطيحة يعني ساقطة على قفاها، وليس لها يدان ولا رجلان ولا عينان، فأخبره بأن الله تعالى قد رد عليها جوارحها، فنزل رسول الله عليه الصلاة والسلام من الجبل، وجبريل في الهواء وصفت الملائكة صفوفا، فأشار بأصبعه عليه الصلاة والسلام إلى الشمس، فركضت حتى غابت، واشتد الظلام، وطلع القمر بدرا منيرا، فأشار إليه بأصبعه، فجعل القمر يركض ركضا حتى نزل إلى الأرض، فانفلق فلقتين، ثم عاد قمرا منيرا، ثم عادت الشمس كما كانت أول مرة، ثم قال حبيب: بقي عليك الشرط، فقال النبي عليه الصلاة والسلام: إن لك ابنة سطيحة، والله قد رد جوارحها، فقال حبيب قائماً: يا أهل "مكة" لا أكفر بعد الإيمان اعلموا (**أني أشهد أن لا إله إلا الله وأن محمدا عبده ورسوله**)، فقال أبو جهل: أتؤمن بهذا الساحر؟، ثم خرج حبيب بن مالك إلى الشام مسلما، ودخل قصره، فاستقبلته بنته قائلة (**أشهد أن لا إله إلا الله... آه**)، فقال لها: يا ابنتي من أين علمت هذه الكلمات؟ قالت: أتاني آت في المنام فقال لي: إن أباك قد أسلم، وإن كنت أسلمت نرد عليك أعضاءك سالمة، فأسلمت في منامي، فأصبحت كما تراني، وتمام القصة مذكورة في محلها. وقوله: «إن له» بكسر الهمزة لأنه وقع في جواب القسم، و«له» ظرف مستقر خبر «إن» والضمير راجع إليه عليه الصلاة والسلام، وقوله: «من قلبه» متعلق بـ«نسبة» قدم عليه للحصر، و«من» بمعنى الباء، والنسبة بمعنى المشابهة يعني أن للقمر المنشق مشابهة لقلب النبي عليه الصلاة والسلام في الانشقاق، و«مبرورة القسم» بالنصب على أنه حال

من فاعل «أقسمت» فيكون الألف واللام عوضا عن المضاف إليه أي: وأنا مصدوق في قسمي، وإما صفة للنسبة أو حال منها، فعلى هذا يكون المعنى: أن للقمر المنشق نسبة لقلبه حتى لو حلف أحد على وجود تلك النسبة يكون بارا في قسمه، وانشقاق قلبه إشارة إلى شرح صدره حيث روى مسلم ((عن أنس أن جبريل أتاه وهو يلعب مع الغلمان، فأخذه فصرعه، وشق صدره عن قلبه فاستخرج القلب، واستخرج منه علقة، فقال: هذا حظ الشيطان منك، ثم غسله في طست من ذهب، ثم لَأَمَه ، ثم أعاده في مكانه[١٠٨])). وقد كان شرح الصدر له عليه السلام مرّتين.

(٧٦) وَمَا حَوَى الْغَارُ مِنْ خيْرٍ وَّمِنْ كَرَمٍ...وَكُلُّ طَرْفٍ مِّنَ الْكُفَّارِ عَنْهُ عَمِ

لَمَّا ذكر بعض معجزاته السابقة الواقعة قبيل هجرته عليه السلام أراد أن يبين بعض المعجزات التي وقعت في هجرته عليه السلام فقال: «وما حوى... إلخ»، الواو عاطفة، و«**ماحوى**» مبتدأ محذوف الخبر أي: ومن جملة معجزاته عليه السلام ما حوى أي جمع وأحاط، فـ«**ما**» اسم موصول عبارة عن ذات الرسول عليه السلام أو عنه وعن أبي بكر رضي الله تعالى عنه، فإن قلت: المناسب لهذا المقام أن يقول: «ومَن» بدل «وما» لأنهم قالوا: أن «مَن» مختص بذوي العقول و«ما» لغيره، وقد نص عليه الصلاة والسلام في مجادلة عبد الله بن الزبير، قلت: اختار «ما» دون «من» لكونه عبارة هاهنا عن الوصف حيث بين بالخير والكرم وهما غير ذي العقل، فيناسبه مَا دون مَن، أو نقول: إن «ما» هاهنا بمعنى «من» مجازاً كما قال جمهور المفسرين: إن «ما» قد يستعمل في ذوي العلم مجازاً كما في قوله تعالى: ﴿وَالسَّمَآءِ وَمَا بَنٰهَا﴾ [الشمس: ٥]. و«**ما حوى**» بمعنى جمع وأحاط، و«الغار» الألف واللام فيه للعهد و«**الغار**» بمعنى الكهف أي: الكهف المعهود الذي كان في جبل ثور في قرب مكة المكرمة، والمراد بـ«الخير» الفضائل، ومن «الكرم» الفواضل أو الفعال الجليلة والخصال الجميلة، وفي العبارة إما حذف مضاف أي: ذي خير وذي كرم أو من باب المبالغة كرجل عدل، والمراد بهما الجامعان لهما من النبي

(١٠٨) "صحيح مسلم"، كتاب الإيمان، باب الإسراء برسول الله صلى الله عليه وسلم، الحديث: ١٦٢، ص: ٩٩

والولي على طريق اللف والنشر المرتب، فالخير المطلق خير البرية، والكرم يراد به أفضل الأمة قال عليه السلام: ((ما نفعني مال أحد مثل ما نفعني مال أبي بكر))[١٠٩]، وقال عليه السلام: ((لو وزن إيمان أبي بكر بإيمان العالمين لرجح إيمانه))[١١٠]. «وكل طرف» والواو للحال أو استينافية، و«**الطرف**» بمعنى العين، والتنوين للتحقير، و«من الكفار» حال من طرف أو صفة له، والمراد من الكفار الذين تفحصوا عن رسول الله عليه السلام. و«**عنه**» متعلق بـ«عمي» المؤخر قدم للوزن، وضميره راجع إليه عليه السلام، أفرده لكونه الأصل المتبوع. و«**عمي**» إما فعل ماض، وهو الأظهر أو هو صفة.

و**حاصل المعنى**: لما اجتمع أكابر قريش في دار الندوة للمشاورة في الإهانة له عليه السلام تمثل لهم إبليس بصورة شيخ فجلس معهم فقالوا: ما أدخلك علينا بغير إذن؟ قال اللَّعِينُ: أنا رجل من نَجْد رأيت فيكم حسن النية والاجتماع لأمر حسن فأحببت أن أجلس معكم، فقالوا: هذا ليس من أهل تهامة تكلموا لا بأس، فقال بعضهم: أحبسوه في بيت ولاتعطوه شرابا ولا طعاما حتى يهلك، قال اللعين: بئس الرأي لأنه له أقارب يجتمعون ويأخذونه من أيديكم، وقال آخر: أخرجوه، وغربوه من بينكم، قال اللعين أيضا: بئس الرأي لأن له لسانا لطيفا ووجها مليحا والله ليجتمعن عليه خلق كثير، ثم ليأتينكم، ويخرجكم من بلادكم، قالوا: صدق الشيخ، قال أبو جهل: خذوا من كل بطن شابا بسيف صارم ومروهم أن يخرجوا إليه، ويقتلوه، فيتفرق دمه في القبائل، قال اللعين: هذا الرأي صواب، فاجتمعوا عليه ليأتوه ليلا، فأخبر جبريل بتلك الحال النبي عليه السلام، وأمره بالخروج، فأقام رسول الله عَلِيًّا في فراشه، فخرج وجاء إلى بيت أبي بكر وذكر الحال، فقال: أتخرج معي؟ فقال أبو بكر: سمعا وطاعة، فخرجا حتى وصلا إلى باب الغار، فدخل إليه أبوبكر أولا، فرأى فيه جحرا، فأخرج بردته فمزقها وحشا تلك الجحرة، فبقي ثقبان فسدهما بعقبيه، وقال: ادخل يارسول الله، فدخل والكفار جاءوا طالبين رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم إلى بيته، فلم يجدوه، فسألوا عليا، فقال: لا

(١٠٩) "سنن الترمذي"، كتاب المناقب، باب في مناقب أبي بكر وعمر كليهما، الحديث: ٣٦٨١، ٥/٣٧٤.

(١١٠) "شعب الإيمان"، باب القول في زيادة الإيمان ونقصانه وتفاضل أهل الإيمان في إيمانهم، الحديث: ٣٦، ١/٦٩.

أدري، فطلبوا أقطار مكة حتى جاءوا إلى باب الغار، فلم يروهما، وسيأتي تفصيل هذه القصة في الأبيات الآتية.

(٧٧) فَالصِّدْقُ فِي الْغَارِ وَالصِّدِّيْقُ لَمْ يَرِمَا...وَهُمْ يَقُوْلُوْنَ مَا بِالْغَارِ مِنْ أَرِمِ

ثمّ شرع في بيان تفصيل قوله: «وما حوى الغار» فقال: «فالصدق في الغار... إلخ»، «**الفاء**» للتفصيل، و«**الصدق**» مصدر بمعنى الصادق أو المصدوق الذي انحصر فيه الصدق أو ذو الصدق أو على طريق المبالغة. و«**في الغار**» خبر مبتدأ، فإن قيل: الظاهر أن يقول: «فيه» لسبق ذكره فلم عدل إلى غير الظاهر؟ قلت: أعاد ذكره للاستلذاذ، ولئلا يتوهم رجوعه إلى الكرم وإلى الخير لايقال إعادة ذكره لضرورة الوزن؛ لأنا نقول: ذكره بالضمير لايخل بالوزن أيضا بأن يقول: فالصدق فيه مع الصديق لم يرما مع أنه على هذا يكون البيت أسلم لفظا وأحسن معنى فتأمل. و«**الصديق**» صيغة مبالغة بمعنى كثير الصدق، وفي هذا المصراع إشارة إلى قوله تعالى: ﴿وَالَّذِيْ جَآءَ بِالصِّدْقِ وَصَدَّقَ بِهٖٓ﴾ الآية، [الزمر: ٣٣] وخبر قوله: «والصديق» محذوف أي كذلك. و«**لم يرما**» بفتح الياء وكسر الراء من «ورم أنفه إذا غضب» ؛لأنّ الغضبان ينتفخ أنفه، والجملة حال، فيكون المعنى: لم يغضبا على القضاء والقدر بل لم يجيء إلى قلبهما أثر، وفي بعض الرواية قرئ لم يُرما بضم الياء على أنه مجهول يروم من الروم بمعنى الطلب، ومن اللطائف أنهما مطلوبان، وليسا بمطلوبين بل إنهما محبوبان ولكن كانا عن أعين الأعداء محجوبين، وقيل: أصله «لم يرمن»، فهو مؤكد بالنون الخفيفة من ورم بمعنى انتفخ فأبدلت النون ألفًا في الوقف كما في قول إمرئ القيس: (ع)

قفا نبك من ذكرى حبيب ومنزل

فيكون ضميره راجعا إلى الصدق، وتكون الجملة خبرا عنه، والمعنى: والحال أن الصديق لم تنفخ من لدغ الحية رجله المباركة حيث روي أن أبا بكر لما سد الثقبين في الغار برجليه المباركتين، وكان فيهما حية فلدغت رجله، فشكى إلى النبي عليه السلام من لدغها، فأخذ النبي عليه السلام من بزقه الشريف، فوضع عليه، فبرئ بإذن الله، وارتفع عنه الورم، وقرأ بعض الناس لم يريا على أنه تثنية مضارع من الرؤية لكن رده شيخ زاده، وأنا

من الداخلين معه، وقوله: «**وهم يقولون**» الواو حالية، والضمير للكفار، وجملة «يقولون» خبر مبتدأ، والقول هاهنا بمعنى الحكم أي: والكفار يحكمون. و«ما بالغار من أرم» مقول الكفار و«**ما**» مشبهة بليس، والباء في «**بالغار**» بمعنى «في»، وهو خبر «ما»، و«**من**» زائدة، و«**أرم**» بالرفع اسم «ما»، وهو بمعنى أحد يقال: ما في الدار أرم أي: أحد.

وحاصل المعنى: أن رسول الله عليه السلام وأبا بكر دخلا الغار، وسكنا فيه راضيين بقدر الله تعالى وحكمه غير غاضبين، والكفار جاءوا باب الغار لعلامة الآثار، فلم يروهما بحفظ الملك الجبار حتى روي أن بعضهم قفوا أثرهما إلى باب الغار، ثم انقطع الأثر فيه، فصعدوا على الجبل فوق الغار، فقال أبوبكر رضي الله تعالى عنه: يارسول الله لو أن أحدهم نظر إلى قدميه لأبصرنا قال عليه السلام: يا أبا بكر! ما ظنك باثنين الله ثالثهما.

(٧٨) ظَنُّوا الْحَمَامَ وَظَنُّوا الْعَنْكَبُوْتَ عَلَى...خَيْرِ الْبَرِيَّةِ لَمْ تَنْسُجْ وَلَمْ تَحُمِ

لمّا توهم أن يسئل عن سبب عدم رؤيتهم بأن يقال ما منعهم من الرؤية؟ قال مجيبا: «ظنوا الحمام... إلخ»، «**الظن**» قد يراد به العلم المطابق، وقد يراد به غالب الرأي، وقد يراد به الجانب المرجوح أي: الوهم، وهو المراد هاهنا، و«**الحمام**» طير يألف البيوت قال في "إخوان الصفاء" الحمام خاصته أن يحمل كتابا إلى بلد بعيد، وهو القائل في طيرانه وذهابه: يا وحشتنا من فرقة الإخوان يا طول الأشواق إلى الخلان يا رب أرشدنا إلى الأوطان، وقال: في "حلبة الكميت": اختلف الناس في صوت الحمام هل هو بكاء أو غير ذلك، فمنهم من جعله بكاء، وقال: إنها تبكي على فرخ لها صاده جارح في عهد نوح عليه السلام فما من حمامة إلا وهي تبكي عليه إلى يوم القيامة قلت: والذي يظهر لهذا الفقير والله أعلم أن ذلك يختلف باختلاف المسامع، فتارة يسمعه الخلي فيطرب ويسميه غناء، وتارة يسمعه العاشق فيحزن ويسميه بكاء انتهى. و«**العنكبوت**» دويبة تنسج في الهواء، والجمع عناكب، والمذكر عنكب وهي أقلع الأشياء، وعلى رزقها أحرص الأشياء وتبيض وتحيض، وأول ما تلد تلد دودا صغارا ثم يتغير ويصير عنكبوتا، وتكمل صورته في ثلاثة أيام، ويقوي على النسج ساعة يولد من غير تعليم والذي تنسج لا تخرجه من جوفها بل من خارج جلدها قال في "حياة الحيوان": إذا وضع نسج

العنكبوت على الجراحة الطرية في ظاهر البدن حفظها من الورم ويقطع سيلان الدم، وإذا دلكت الفضة بنسجها جاء جلاءها، والعنكبوت الذي ينسج على الخلاء إذا علق المحموم يبرأ بإذن الله تعالى وإذا لف في خرقة وعلق على صاحب حمى الربع نفع انتهى. وفي "الجامع الصغير" قال عليه السلام: ((العنكبوت شيطان مسخه الله فاقتلوه))(١١١) وروى الثعلبي عن علي بن أبي طالب رضي الله تعالى عنه أنه قال: ((طهروا بيوتكم من نسج العنكبوت، فإن تركه في البيوت يورث الفقر))(١١٢)، وفي "الحلية" نسجت العنكبوت مرتين على الأنبياء مرة على داؤد عليه السلام حين كان جالوت يطلبه ومرة على النبي عليه السلام في الغار، وروى الديلمي في "مسند الفردوس" عن علي رضي الله تعالى عنه أن النبي عليه السلام سئل عن المسوخ ((فقال: هم ثلاثة عشر؛ الفيل والدب والخنزير والقرد والجريث والضب والوطواط والعقرب والدعموص والعنكبوت والأرنب وسهيل والزهرة))(١١٣) الحديث، قال في "الزبدة": ((نهى عليه السلام عن **قتل العنكبوت** والحمام الكائنتين في الحرم))(١١٤). و«**على خير البرية**» متعلق بالفعلين الآتيين على سبيل التنازع، و«**البرية**» بمعنى المخلوق، والألف واللام فيه للاستغراق **أي:** جميع المخلوقات. وقوله: «لم تنسج ولم تحم» فيه لف ونشر مشوش لأن الأول **للثاني**، والثاني للأول، و«لم تحم» بمعنى لم تبض.

وحاصل المعنى: أن الكفار لعدم يقينهم بالنبي المختار حسبوا أن **العنكبوت** لم تنسج على باب الغار وأن الحمامة لم تحم حول الغار فظنوا أن ليس **في** الدار ديار، ورجعوا من تتبع الآثار، وقالوا: لوكان أحد في الغار لما كانت **هذه الآثار حتى قال واحد** منهم لأمية بن خلف: ندخل الغار فقال أمية: ما تصنع في الغار، وأن **عليه عنكبوتا كانت** قبل ميلاد محمّد سيّد الأبرار.

---

(١١١) "الجامع الصغير" باب حرف العين، فصل في المحلى، الحديث:٥٧٣٩، ٢/٣٥٣

(١١٢) "فيض القدير"، حرف العين، الحديث: ٥٧٣٩، ٤/٥١٩.

(١١٣) ولم نعثر على هذا الحديث مع البحث عنه قدر الطاقة ، وإنّما وجدناه في "كنز العمال"، كتاب خلق العلم، الحديث: ١٥٢٥٠، ٥/٧٠.

(١١٤) لم نعثر عليه. [علمية]

(٧٩) وِقَايَةُ اللهِ أَغْنَتْ عَنْ مُضَاعَفَةٍ ... مِنَ الدُّرُوْعِ وَعَنْ عَالٍ مِنَ الْأُطُمِ

لَمَّا كان هذا المقام مظنّة أن يتوهم بأن الهجرة والاختفاء في الغار غير لائق بشان النبي المختار بل اللائق بشانه أن يلبس الدرع ويتحصن في قلعة ويتحارب مع الكفار دفعه بقوله: «وقاية الله أغنت... إلخ» مع الإشارة إلى أن هذا أبلغ في الإعجاز مع المقاومة معهم؛ لأن فيه تنبيها على كونهم في غاية الضعف ونهاية الهلاك حيث كان أوهن البيوت مقابلا لهم ومانعا من مطلوبهم وأنهم في غاية الحماقة ونهاية البلادة حيث لم يفهموا من الآثار كونهما في الغار. ثم إن «**الوقاية**» بمعنى الحفظ مضاف إلى فاعله ومفعوله محذوف أي: وقاية الله إياه أعني الرسول عليه السلام. و«**أغنت**» ضميره راجع إلى الوقاية أي: جعلت الرسول غنيا عن المضاعفة من الدروع. و«**المضاعفة**» اسم مفعول من ضاعف يضاعف، والتضعيف ضم شيء إلى شيء فإن قلت: إن الله تعالى حفظه وجعله مستغنيا عن أصل درع فما فائدة إتيان المضاعفة؟ قلت: في إتيانها إشارة إلى شدة الكفار وكثرتهم يعني إشارة إلى أنه لو قوبل معهم وحورب بهم يحتاج إلى دروع كثيرة وقلعة مرتفعة، أو نقول: إن في البيت سلوك إلى مسلك برهاني، وهو أن يذكر الدعوى المشتملة على دليلها، وهاهنا كذلك حيث كان هذا البيت في تقدير وقاية الله تعالى أغنته عن مضاعفة من الدروع، لأن وقاية الله تعالى أغنته عن درع واحد، وكل ما أغني عن درع واحد أغني عن مضاعفة به ينتج المطلوب. و«**من الدروع**» حال من المضاعفة وهي جمع درع وهو ما يلبس في الحرب، و«عن عال» عطف على مضاعفة أي: عن مكان مرتفع، و«**عال**» أصله عالي حذفت الياء للضرورة، ويجري القياس السابق هنا أيضا. و«**الأطم**» بضمتين جمع أطمة، وهو بمعنى القلعة الحصينة، والمعنى حفظ الملك الجبار نبيه المختار جعله مستغنيا عن الدروع والأسلحة المتعددة وعن الحصون العالية المرتفعة، وجعل الغار له بقدرته بمنزلة الحصن الحصين، وصير نسج العنكبوت في قوة الدرع المتين، فإن قلت: ما الحكمة في هجرته عليه الصلاة والسلام إلى المدينة وإقامته بها إلى أن انتقل إلى ربه عزوجل؟ قلت: إن حكمة الله تعالى قد اقتضت أنه عليه السلام تتشرف به الأشياء فلو بقي في مكة إلى انتقاله إلى ربه لكان يتوهم أنه قد تشرف بمكة إذ كان

تشريف مكة بالخليل وإسماعيل عليهما الصلاة والسلام فأراد الله تعالى أن يظهر شرفه عليه السلام فأمره بالهجرة إلى المدينة فلما هاجر إليها تشرفت به حتى أجمعوا أن الموضع الذي ضم أعضاءه الكريمة أفضل من جميع البقاع.

ثم اعلم! أن **خاصية** هذا البيت: أنه من كان في أرض مخوفة من الوحوش فليقرأه سبعا أو تسعا وليجعل في أطرافه دائرة، فإن تلك الوحوش لاتضره، ولا تدخل داخل تلك الدائرة قال الأستاذ طول الله تعالى بقاه وجعل آخرته خيرا من أولاه جربناه مرارا فوجدناه صادقا.

(٨٠) مَا سَامَنِي الدَّهْرُ ضَيْمًا وَاسْتَجَرْتُ بِهِ... إِلَّا وَنِلْتُ جِوَارًا مِنْهُ لَمْ يُضَمِ

لَمَّا ذكر فيما تقدم محفوظيته عليه السلام ترقى إلى بيان حافظيته في الدنيا فقال: «ما سامني الدهر... إلخ» «**سامني**» من السوم بمعنى إذاقة الشدة والمحنة، ومنه قوله تعالى: ﴿يَسُومُونَكُمْ سُوٓءَ ٱلْعَذَابِ﴾ [البقرة: ٤٩]، وفي بعض النسخ «ماضامني» من الضيم بمعنى الظلم، وعلى كلا التقديرين فالمعنى: ما ظلمني الدهر، فإن قلت: كيف يسند الظلم إلى الدهر وقد نهى عنه رسول الله عليه الصلاة والسلام حيث قال: ((لا تسبوا الدهر فإن الدهر هو الله))[١١٥]، وفي حديث أبي هريرة بلفظ ((ولا تقولوا خيبة الدهر))[١١٦]، وفي حديث آخر ((لا يسب أحدكم الدهر))[١١٧] قلت: قوله: ((فإن الدهر هو الله)) فيه ثلاثة تأويلات: الأول: أن المراد بهذا القول أي: المدبر للأمور، والثاني: أنه على حذف مضاف أي: صاحب الدهر، والثالث: أن التقدير مقلب الدهر، وقال بعضهم: بأنه من الأسماء الحسنى، وقد وقع في القرآن حكاية ﴿وَمَا يُهْلِكُنَآ إِلَّا ٱلدَّهْرُ﴾ [الجاثية: ٢٤]، وبالجملة أن النهي عن السب لكونه راجعا إلى سب فاعله وخالقه، ومن أراد هذا البحث على وجه الكمال فعليه بالرجوع إلى الباب الثالث والسبعين من "الفتوحات" للشيخ الأكبر. ففي إسناد سام إلى الدهر مجاز أي: ما ابتلاني خالق الدهر وقوله: «**ضيما**» مفعول مطلق من لفظ فعله على تقدير كون النسخة «ماضامني»، ومن غير لفظه على

(١١٥) "صحيح مسلم"، كتاب الألفاظ من الأدب وغيرها، باب النهي عن سب الدهر، الحديث: ٢٢٤٦، صـ ١٢٣٤.
(١١٦) "صحيح البخاري"، كتاب الأدب، باب لا تسبوا الدهر، الحديث: ٦١٨٢، ٤/١٥٠.
(١١٧) "صحيح مسلم"، كتاب الألفاظ من الأدب وغيرها، باب كراهية تسمية... إلخ، الحديث: ٢٢٤٧، صـ ١٢٣٤.

تقدير كونه «ما سامني»، ووقع في بعض النسخ «يوما» بالنصب على الظرفية، والواو في «واستجرت» حالية، و«**استجرت**» من الاستجارة من قولهم: «استجار فلان من فلان» أي: طلب الخلاص والنجاة كما في قوله تعالى: ﴿وَإِنْ أَحَدٌ مِّنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ٱسْتَجَارَكَ﴾ [التوبة: ٦]، وقيل: بمعنى الالتجاء والاستغاثة، ويجوز أن تكون الواو للعطف لكن الأول أولى، ولا يرد عليه أنه يلزم في الماضي «قد» إذا كان حالا وهو موجود لأنه أعم من الملفوظ والمقدر، وهاهنا مقدر. والباء في «**به**» إما للسببية أو للاستعانة والضمير راجع إليه عليه السلام وفيه حذف مضاف أي: بسبب مدحه عليه السلام، والاستثناء مفرغ حذف فيه المستثنى منه أي: ما ظلمني الدهر مع أني ملابس بطلب خاص بسبب مدحه في حال من الأحوال إلا في حال الوصول. والواو في «**ونلت**» لتأكيد اللصوق كما في قوله تعالى: ﴿وَمَآ أَهْلَكْنَا مِن قَرْيَةٍ إِلَّا وَلَهَا كِتَابٌ مَّعْلُومٌ﴾ [الحجر: ٤]، و«**نلت**» بمعنى وصلت، والمراد من «الجوار» إما على حقيقته بأن يراد الجوار في الدنيا بالمؤالفة به عليه السلام والمصاحبة معه، أو يراد بالجوار الاستراحة والخلاص من جميع فتن الدنيا وهو المناسب لتعلق منه به، وضميره راجع إلى الضيم وقوله: «**لم يضم**» صفة جوار، وإيراده لدفع توهم ناشئ من الاستثناء إذا استفيد منه كون الجوار من جنس الظلم، فدفعه بقوله: «لم يضم» ثم اعلم! أن قوله: «إلا ونلت» يجوز أن يكون من قبيل تأكيد المدح بما يشبه الذم، وإن لم يتعرض له الشارحون بل كونه من هذه القبيل أحسن لأنه كدعوى الشيء ببينة كما لايخفى على الفطن، يقال: إنه لا حكم في هذا المقام قبل الاستثناء حتى يكون قبله شيء مشابه للمدح فيؤكد لأنا نقول: هذا الكلام مبني على ما ذهب إليه الشافعية من وجود الحكم قبل الاستثناء لأن الناظم شافعي كما مر غير مرة.

و**حاصل معنى البيت**: ما أذاقني الله تعالى في زمان من الأزمان ضرراً من أمور الأكوان والحال أني قد التجأت إليه إلا وقد نلت خلاصا ووجدت فيه مناصا لم يغلب ولم يظلم، **ثم اعلم!** أن **خاصية** هذا البيت: أنه إذا كتبه من يريد السفر فترك المصراع الأول في داره مع أهله، وأخذ المصراع الثاني معه، فسافر، فهو يصل إلى أهله بإذن الله تعالى سالما من الآفات.

(٨١) وَلاَ الْتَمَسْتُ غِنَى الدَّارَيْنِ مِنْ يَدِهِ ... إِلاَّ اسْتَلَمْتُ النَّدَى مِنْ خَيْرِ مُسْتَلِمِ

لَمَّا بيّن في البيت السابق حافظيته عليه السلام في دار الدنيا أراد الترقي منها لبيان حافظيته في الدارين فقال: «ولا التمست... إلخ»، الواو عاطفة، والجملة معطوفة على جملة «سامني»، وتكرير النفي للتأكيد، و«**لا التمست**» على صيغة المتكلم من الالتماس، وهو طلب المساوي من المساوي، وهنا مستعمل بمعنى الطلب مطلقا إما تجريدا أو حقيقة. وغنى الدنيا إنما يكون بالسعة والكفاية، وفي الحديث ((ليس الغنى من كثرة العرض إنما الغنى غنى القلب))[١١٨]، ويكون غنى الدنيا أيضا بصحة البدن والسلامة من بليات الدنيا، وغنى الآخرة إنما يكون بالفوز والنجاة من الجحيم والدخول في جنة النعيم، ولذا ورد في الخبر ((أكثر أهل الجنة بله))[١١٩] أي: حمق، لأنهم يرضون بغنى الآخرة أعني: الجنة، ولا يطالبون جمال الله قال الله تعالى في التنزيل: ﴿وَاللّٰهُ خَيْرٌ وَّاَبْقٰى﴾ [طه: ٧٣]. و«**من يده**» متعلق بـ«التمست»، والمراد من «**اليد**» ذاته عليه السلام من قبيل ذكر الجزء وإرادة الكل، أو اليد هنا بمعنى الطرف والجانب يقال: حصلت المصلحة من يد فلان أي: من طرفه وجانبه، وفي الحديث ((وهم يد واحدة على من سواهم))[١٢٠] أو بمعنى الإحسان ونعمه عليه السلام فيكون أيضا مجازا من قبيل إطلاق اسم ما هو بمنزلة العلة الفاعلية الصورية على المعلول والاستلام بمعنى الأخذ، و«الندى» العطاء كما في قوله: (ع)

ولا فضل فيها للشجاعة والندى

وهو بالنصب مفعول «استلمت» و«خير مستلم» كناية عن رسول الله عليه السلام. و«**مستلم**» يجوز أن يكون على صيغة اسم الفاعل أو المفعول.

و**حاصل معنى البيت**: ما طلبت غنى الدنيا بالكفاية وغنى العقبى بالسلامة من إحسانه وإنعامه أو من ذاته عليه السلام إلا أخذت العطاء ونلت المنى من خير مستلم فكنت بسببه محفوظا من الآفات في الدنيا ومن البليات في العقبى، عليه الصلاة في كل صبح ومساء.

---

(١١٨) "المسند" للإمام أحمد بن حنبل، مسند أبي هريرة، الحديث: ٧٣٢٠، ٣/٣٧.

(١١٩) "مسند البزار" للإمام أحمد بن حنبل، مسند أبي حمزة أنس بن مالك رضي الله عنه، الحديث: ٦٣٣٩. (المكتبة الشاملة)

(١٢٠) "سنن أبي داؤد"، كتاب الجهاد، باب في السرية، الحديث: ٢٧٥١، ٣/١٠٦.

(٨٢) لاَ تُنْكِرِ الْوَحْيَ مِنْ رُؤْيَاهُ إِنَّ لَهُ ... قَلْبًا إِذَا نَامَتِ الْعَيْنَانِ لَمْ يَنَمِ

لَمَّا بيّن أوصافه الكاملة أراد أن يشير إلى أن من اتصف بهذه الصفات والنعوت لا يستبعد ولا ينكر أن يكون قلبه مربوطاً به تعالى لا يفارقه في جميع الليالي والأيام ولو كان عيناه في المنام فقال: «لا تنكر الوحي... إلخ»، فتكون الأوصاف المذكورة كالعلة والدليل لهذا البيت، فترتيب قياسه هكذا إذا كان نبينا عليه الصلاة والسلام متصفا بهذه الصفات، فلا ينبغي إنكارك الوحي من رؤياه لكن المقدم حق والتالي مثله، فقوله: «إن له... إلخ»، كالعلة للتالي بأن يقال: لا ينبغي إنكارك الوحي من رؤياه لأنه كان له قلب إذا نامت العينان لم ينم فلا ينبغي إنكارك الوحي من رؤياه، لكن المقدم حق والتالي مثله، ثم إن «لا تنكر» نهي حاضر من الإنكار، والخطاب عام لمن شانه أن يخاطب. و«الوحي» منصوب على أنه مفعول «لا تنكر»، و«**الوحي**» يجيء في اللغة على معان كالإشارة والرسالة والإلهام والكلام الخفي، وفي العرف إعلام الله تعالى لأنبيائه، وهو إما ظاهر أو باطن أما الظاهر فثلاثة: الأول: ما ثبت بلسان الملك، فوقع في سمعه بعد علمه بالمبلغ أنه قطعي والقرآن من هذا القبيل، والثاني: ما وضع له بإشارة الملك من غير بيان بالكلام كما قال عليه السلام ((روح القدس نفث في روعي أن نفسا لن تموت حتى تستكمل رزقها، فاتقوا الله، وأجملوا في الطلب))[١٢١] والثالث: ما يبدي الله لقلبه في رؤياه و في عيانه بلا شبهة بإلهام الله تعالى بأن أراه بنور من عنده، وكل ذلك حجة مطلقا بخلاف إلهام الأولياء فإنه لا يكون حجة على غير نفسه وقوله: «**من رؤياه**» صفة للوحي أتى به للاحتراز عن وحيه الذي كان في عيانه بواسطة جبريل فإنه بديهي متواتر بين الأنام فلا حاجة إلى ذكره في هذا المقام، والرؤيا ما يراه الشخص في منامه قال القاضي أبوبكر: الرؤيا إدراكات يخلقها الله تعالى في قلب العبد النائم على يد ملك أو شيطان، وفي الحديث: ((أن رؤيا المؤمن كلام يكلمه ربه في المنام))[١٢٢]، ثم **اعلم!** أن الرؤيا إما صادقة وهي ثلاث: تبشير يبشره الملك المؤكل على الرؤيا بما يسره من الأخروي أو

---

(١٢١) "مشكاة المصابيح"، كتاب الرقاق، باب التوكل والصبر، الفصل الثاني، الحديث: ٥٣٠٠، ٢/٢٦٤.

(١٢٢) "كنز العمال"، كتاب المعيشة والعادات، الحديث: ٤١٤٤٤، ١٥/١٦٠.

الدنيوي، وتحذير يخوفه مما يبعده عن الطاعة، ويقربه إلى المعصية، وإلهام يلهمه، وهو نفع محض كالحج والتهجد، وإما كاذبة هي أيضا ثلاث رؤيا همة وهي ما تخيلها في اليقظة، فليس لها اعتبار، ورؤيا علة ناشئة من أمراض فليس لها اعتبار أيضا، ورؤيا شيطان، وهي أضغاث أحلام هذا في رؤيا غير الأنبياء، وأما رؤياهم فكلها صادقة بل وحي يجب العمل بها. وقوله: «إن له» علة للنهي، وضمير «له» راجع إليه عليه الصلاة والسلام و«قلبا» بالنصب على أنه اسم «إن»، والتنوين للتعظيم، وجملة «إذا نامت» صفة «قلبا»، وضمير الفاعل في «لم ينم» راجع إلى القلب.

وحاصل المعنى: لا تنكر أيها المنكر، ولا تستغرب أيها المقر الوحي الرباني والإلهام الصمداني الحاصل من رؤياه في المنام لأن له عليه السلام قلبا عظيما وصدرا كريما إذا نامت عيناه لم ينم قلبه في رؤياه، وفي البيت تلميح إلى قوله عليه السلام: ((إن عيني تنامان ولا ينام قلبي))[١٢٣] وإلى قوله عليه الصلاة والسلام: ((الرؤيا الحسنة من الرجل الصالح جزء من ستة وأربعين جزأ من النبوة))[١٢٤]، وفي رواية أبي هريرة ((جزأ من خمسة وأربعين جزأ))[١٢٥]، ومن حديث عمر ((جزأ من سبعين جزأ))[١٢٦] وعن أنس ((جزأ من ستة وعشرين جزء))[١٢٧]، وفي رواية ((من أربعة وعشرين جزأ))[١٢٨]، وفي تأويل الرواية الأولى قال بعض أهل العلم: إن الله تعالى أوحى إلى نبيه في المنام ستة أشهر، ثم أوحى إليه بعد ذلك في اليقظه بقية مدة حياته ونسبتها إلى الوحي في المنام جزء من ستة وأربعين جزأ؛ لأنه عاش بعد النبوة ثلاثا وعشرين كما سيجيء فتأمل.

ثم اعلم! أن الحديث الأول أعني قوله: ((إن عيني... إلخ))، اعترض عليه بأنه مخالف لما وقع في الوادي من نومه عليه السلام إلى أن طلعت الشمس و فاته وقت صلاة الفجر؛ لأنه لو كان قلبه غير نائم لم يفت وقت الصلاة منه عليه السلام؟ أجيب عنه أوّلاً:

(١٢٣) "صحيح البخاري"، كتاب التهجد، باب قيام النبي بالليل في رمضان وغيره، الحديث: ١١٤٧، ٣٨٩/١.
(١٢٤) "صحيح البخاري"، كتاب التعبير، باب رؤيا الصالحين، الحديث: ٦٩٨٣، ٤٠٢/٤.
(١٢٥) "كنز العمال"، كتاب المعيشة والعادات، الحديث: ٤١٤٢٠، ١٥٨/١٥.
(١٢٦) "صحيح مسلم"، كتاب الرؤيا، الحديث: ٢٢٦٥، صـ ١٢٤٤.
(١٢٧) "تحفة الأحوذي"، كتاب الرؤيا، باب أن رؤيا المؤمن جزء ... إلخ، الحديث: ٢٢٧٠، ٥٤٧/٦.
(١٢٨) "مرقاة المفاتيح" كتاب الرؤياء، الفصل الأول، ٣٦٤/١٣ (المكتبة الشاملة)

بأن الحديث مقيد بغالب الأوقات فلا ينافي ما وقع منه نادراً لحكمة ومصلحة من تأسيس سنة وإظهار شرع كما قال عليه السلام: ((لو شاء الله تعالى لأيقظنا، ولكن أراد أن تكون سنة لمن بعدكم))[١٢٩]، وثانيا: بأنه لا ينام قلبه من أجل أنه يوحى إليه في النوم ليس في قصة الوادي إلا نوم عينه عن رؤية الشمس وليس هذا من فعل القلب، وله أجوبة أخرى تركناها، واعترض على الحديث الثاني أعني: قوله: ((الرؤيا الحسنة...إلخ)) بأن النبوة قد انقطعت بوفاته عليه السلام فلا معنى لكون الرؤيا جزأ من أجزاء النبوة؟ أجيب أولا: بأنه إن وقعت منه عليه السلام فهو جزء من أجزاء النبوة حقيقة وإن وقعت من غيره عليه السلام فهو على سبيل المجاز، وثانيا: بأن معنى الحديث جزء من علم النبوة، فإنّها وإن انقطعت فعلمها باق، وثالثها: بأنه عليه السلام لم يرد بأنها نبوة باقية بل أراد أن الرؤيا تشبه النبوة من جهة الإطلاع على بعض الغيب والتشبيه بشيء لا يستلزم ثبوت وصفه فاحفظ ما تلونا عليك من الكلام، فإنه ينجيك من أكثر ما كان مزالق الأقدام والحمد لله المفضل المنعام.

(٨٣) فَذَاكَ حِيْنَ بُلُوْغٍ مِنْ نُبُوَّتِهِ ... فَلَيْسَ يُنْكَرُ فِيْهِ حَالُ مُحْتَلِمِ

لَمَّا توهم أن يقال: إن رؤياه عليه السلام لو كانت وحيا لكان رؤياه التي رآها قبل النبوة وحيا أيضا مع أنه ليس كذلك؛ لأن الوحي إنما يطلق على ما وقع بعد النبوة والبعثة، دفعه فقال: «فذاك حين بلوغ... إلخ» فالفاء للتفصيل، و«ذا» إشارة إلى كون رؤياه وحيا، «فذاك» مبتدأ خبره محذوف أي: واقع حين، فـ«حين» ظرف لذلك المحذوف، و«البلوغ» بمعنى الوصول، وتنوينه عوض عن المضاف إليه أي: حين بلوغه عليه السلام، و«النبوة» من النبأ بمعنى الخبر، والمراد بها هاهنا سفارة بين الله وبين أولي الألباب لإزاحة عللهم، ولم يقل: من رسالته للإشارة إلى أن كون الرؤيا وحيا غير مختص بالرسول بل يوجد في كل من الأنبياء ولغيرهم فافهم. والفاء في «فليس» جزائية، و«ليس» بمعنى «لا»، و«ينكر» على صيغة المجهول من الإنكار، و«فيه» متعلق بـ«ينكر»، والضمير إلى البلوغ من النبوة، و«حال محتلم» بالرفع على أنه نائب فاعل لـ«ينكر»، و«المحتلم» بفتح اللام بمعنى من

(١٢٩) "السنن الكبرى" للنسائي، كتاب السير، الحديث: ٨٨٥٤، ٢٦٨/٥، بألفاظ مختلفة.

يدرك خياله في النوم، والمراد به رسول الله عليه السلام أو بكسر اللام على أنه اسم فاعل بمعنى البالغ العاقل.

و**حاصل معنى البيت**: أن ذلك الوحي الذي كان في رؤياه في ابتداء نبوته في بدء بدور رسالته، فليس ينكر في ذلك الزمان، وبلوغ ذلك الأوان حال من بلغ مبلغ الرجال موصوف بأوصاف الكمال من دعوى الوحي في المنام فإنه من مقدمات الوحي الحقيقي له عليه السلام، فإن قلت: لم ابتدأ عليه السلام بالوحي المنامي، ولم يجيء له وحي ظاهري أولا؟ قلت: لأنه لو جاء إليه الملك بالوحي الظاهري بغتة لاحتمل أن لا يحتمله القوي البشرية فبدئ بها بأوائل حصال النبوة وتباشير الكرامة بخلاف سائر الأنبياء فإنهم كانوا يعرفون نزول الوحي من تعليم كتب الأسلاف، ونبينا عليه السلام لم يقرأ حرفا من كتب سائر الأنبياء المتّصِفين بكمال الأوصاف عليهم الصلاة عدد الكاف والقاف.

(٨٤) تَبَارَكَ اللهُ مَا وَحْيٌ بِمُكْتَسَبٍ ... وَلاَ نَبِيٌّ عَلَى غَيْبٍ بِمُتَّهَمِ

لَمَّا توهم من البيت السابق أن يسئل بأنه لِمَ لَمْ تكن رؤياه في جميع أوقاته وحيا وأخر إلى سن الأربعينية ولِمَ لَم يكتسب رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم النبوة في حاله الأولى؟ دفعه مشيرا إلى أن الوحي والنبوة بمحض عناية الله تعالى لا بالكسب وإخبارهم عن المغيبات إنما هو بإعلام الله تعالى فقال: «تبارك الله ما وحي... إلخ» «تبارك الله» للتعجيب، و«تبارك» من البركة، وهو كثرة الخير، ومعناه تزايد على كل شيء، وتعالى وتعاظم في صفاته وأفعاله، قال المولى الفناري في تفسير الفاتحة: يروى أن الصاحب بن عباد كان يتردد في معنى الرقيم وتبارك والمتاع ويدور على قبائل العرب، فسمع امرأة تسأل ابنها أين المتاع؟ ويجيب ابنها الصغير بقوله: جاء الرقيم وأخذ المتاع وتبارك الجبل، فاستفسر عنهم، وعرف أن الرقيم الكلب، وأن المتاع هو ما يبل بالماء فيمسح به القصاع، وأن تبارك بمعنى صعد. قيل: معنى «تبارك» دام دواما ثابتا لا انتقال له، ولهذا لايقال: يتبارك مضارعا لأنه للانتقال، قال في البرهان، إن هذه لفظة لاتستعمل إلا لله تعالى ولاتستعمل إلا بلفظ الماضي انتهى. وإنما خص ذكره بهذا الموضع لأن ما بعده أمر عظيم وقوله: «ما وحي بمكتسب... إلخ» أي: لم يكن وحي أصلا في زمان من الأزمنة بكسب كاسب

لأن الفضل بيد الله تعالى يؤتيه من يشاء في أيّ وقت شاء، فإن قلت: لو كان الوحي والنبوة من فضل الله تعالى من غير كسب لكان من الصفات الجبلية لا الاختيارية، ولو لم يكن من الصفات الاختيارية لايكون مدحا فلايجوز للناظم الفاهم ذكره في ذلك الأوصاف والأمداح؟ قلت: المدح قد يتعلق بغير الاختياري بناء على أن الحمد والمدح مترادفان كما هو مذهب صاحب الكشاف والسيد تأمل. وقوله: «ولا نبي» عطف على «وحي»، وتكرير النفي للتأكيد، وهذا القول لدفع توهم بعض القاصرين من أن غير الله تعالى لا يعلم الغيب فلا يجوز إخبار الأنبياء عن الغيب. وقوله: «على غيب» متعلق بـ«متهم» ولايرد أنه لايجوز تعلقه به لعدم جواز تقديم ما في حيز الجار عليه؛ لأنا نقول: إن هذا في غير الظرف وفيه يغتفر ما لا يغتفر في غيره على أنه يجوز أن يكون تقديمه لضرورة الشعر و«المتهم» على صيغة اسم المفعول بمعنى المحمول على التهمة والكذب.

حاصل معنى البيت: تبارك الله وتعالى وتعاظم في ذاته وصفاته، فسبحان الله تعالى لم يكن وحيه أصلا حاصلا بالاكتساب ولا بتحسين القول والخطاب بل موهبة من الله تعالى وعطية من الإله، ولايجوز حمل نبي ثبتت نبوته وتحققت معجزته على التهمة فيما يأتي من المغيبات وإخبار أمور الكائنات، فإن من كان نبيا لاينطق عن الهوى بل ما قوله إلا وحي يوحى وفي البيت تلميح إلى قوله تعالى: ﴿فَلَا يُظْهِرُ عَلَىٰ غَيْبِهِۦٓ أَحَدًا إِلَّا مَنِ ٱرْتَضَىٰ مِن رَّسُولٍ﴾ الآية [الجن: ٢٦،٢٧] وقوله تعالى: ﴿وَمَا هُوَ عَلَى ٱلْغَيْبِ بِظَنِينٍ﴾ [التكوير: ٢٤] على القراءة بالظاء، وهو المشهور عند أهل التفسير كما لايخفى على من ألقى السمع وهو بصير.

(٨٥) كَمْ أَبْرَأَتْ وَصَبًا بِاللَّمْسِ رَاحَتُهُ ... وَأَطْلَقَتْ أَرِبًا مِّنْ رِبْقَةِ اللَّمَمِ

لَمَّا استفيد من البيت السابق أن الوحي والبعثة إنما هو فضل الله يؤتيه من يشاء ويعلم حيث يجعل رسالته توهم أن يسأل سائل عن حكمة البعث وفائدة الوحي فقال مشيرا إلى فائدته: «كم أبرأت وصبا باللمس راحته... إلخ» يعني: أن الحكمة والمصلحة في بعثه عليه السلام إبراء المرضى من مرضهم الباطني الذي طبه ومعالجته مخصوص به عليه السلام ولا سبيل إلى حصوله إلا من جهته عليه السلام، فإن صلاح القلوب موقوف على أن يكون الطبيب عارفا بربه وبأسمائه وصفاته وأحكامه وأفعاله، وأن يكون مؤثرا برضاه

ومحبا بمحبته وساخطا بمناهيه وتابعا لأوامره، ولا سبيل إلى تلقي ذلك إلا من جهة سيدنا محمد عليه السلام، وكذا إبراء المرضى من مرضهم الظاهري الذي يكون في ظاهر الجسد وباطنه كما سيذكر إن شاء الله تعالى. ثم إن «**كم**» هاهنا خبرية لأن قائلها مخبر، ومدخولها خبر بخلاف الاستفهامية لأنها بالعكس، فظهر ضعف قول من قال: إنها استفهامية، فالمعنى: كثيرا ما أبرأت، وهو من الإبراء بمعنى الإزاحة والإزالة، و«**وصبا**» يروى بفتح الصاد وكسرها، فعلى الأول: يكون بمعنى المرض مطلقا، فالمعنى كثيرا ما أبرأت راحته أمراض المرضى، وعلى الثاني: يكون بمعنى صاحب المرض فحينئذ يكون المعنى كثيرا ما أبرأت صواحب المرض من أمراضهم، والباء في «باللمس» سببية متعلقة بـ«أبرأت»، و«راحته» بالرفع فاعل «أبرأت»، والضمير له عليه السلام، و«**الراحة**» بمعنى داخل الكف. فحاصل المعنى: كثيرا ما كان المرضى بريئين من مرضهم بسبب راحته المباركة الشافية. **ثم اعلم!** أنه يجوز أن يكون المراد من اللمس اللمس الحقيقي كما ثبت فيما روي أن أبا جهل قطع يوم بدر يد معوذ بن عفراء، فجاء يحمل يده، فأخذها رسول الله عليه السلام وألصقها، فلصقت كالأول، وعن ابن عباس رضي الله عنهما: جاءت امرأة بابن لها به جنون، فمسح عليه السلام صدره، فقال: أخرج، فخرج من جوفه مثل الجر والأسود فشفى، وأيضا تفل في عين عَلِيٍّ وكان قد رمد رمدا شديدا، فأصبح بارئا، ومثل ذلك كثير وفير ولا يلزم علينا ذكر جميع ما ورد في الخبر الشهير. ويجوز أن يكون المراد من «اليد» المستفادة من الراحة ذاته عليه السلام وباللمس لمسه المعنوي، وهو كونه وسيلة إلى دواء المرضى وكونه لهم شفاء كما كان دواء لداء أهل الشفاء، وهذا غير مخصوص بزمانه عليه الصلاة والسلام، بل هو باق إلى يوم القيامة لأنه لو ربط أحد قلبه به عليه الصلاة والسلام وصلى عليه ودعا لله أن يجعله وسيلة له لكان البتة بإذن الله تعالى لدائه دواء، وقد وقع مثله من أكابر العلماء والأولياء قال في "المواهب": نقل عن القشيري أن ولده مرض مرضا شديدا حتى أشرف على الموت، واشتد عليه الأمر قال: فرأيت رسول الله عليه السلام في المنام، فشكوت إليه ما بولدي فقال: أين أنت من آيات الشفاء؟ فانتهبت فتفكرت فيها فإذا هي في ستة مواضع من كتاب الله تعالى: ﴿وَيَشْفِ صُدُورَ قَوْمٍ مُّؤْمِنِينَ﴾ [التوبة: ١٤]، ﴿وَشِفَآءٌ لِّمَا فِي الصُّدُورِ﴾ [يونس:

٥٧]، ﴿يَخْرُجُ مِنْ بُطُونِهَا شَرَابٌ مُّخْتَلِفٌ أَلْوَانُهُ فِيهِ شِفَآءٌ لِّلنَّاسِ﴾ [النحل: ٦٩]، ﴿وَنُنَزِّلُ مِنَ الْقُرْءَانِ مَا هُوَ شِفَآءٌ وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ﴾ [الإسراء: ٨٢]، ﴿وَإِذَا مَرِضْتُ فَهُوَ يَشْفِينِ﴾ [الشعراء: ٨٠]، ﴿قُلْ هُوَ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا هُدًى وَشِفَآءٌ﴾ [فصلت: ٤٤]، قال: فكتبتها ثم محوتها بالماء، وسقيته إياها فكأنما نشط من عقال، وقال أبوبكر الرازي: كنت بـ"أصبهان" عند أبي نعيم، فقال له شيخ: إن أبا بكر بن علي قد سعى به عند السلطان، فسجن، فرأيت النبي عليه السلام في المنام وجبرائيل عن يمينه يحرك شفتيه بالتسبيح فقال لي النبي عليه السلام: قل لأبي بكر: يدعوا بدعاء الكرب الذي في صحيح البخاري حتى يفرج الله عنه، قال: فأصبحت، فأخبرته، فدعا، فلم يمكث إلا قليلا حتى فرج عنه، ودعاء الكرب ما رواه الشيخان وهو قوله عليه الصلاة والسلام: ((لا إله إلا الله العظيم الحليم لا إله إلا الله رب العرش العظيم لا إله إلا الله رب السموات والأرض ورب العرش الكريم))[١٣٠]، ويقول هذا الفقير المعترف بالعجز والتقصير: وقع أيضا في زماننا مثل ما ذكرنا، وهو أنه كان لأستاذنا العلامة زوجة ابتليت بمرض في قلبها، وكانت لا تسكن أصلا في كل صباح ومساء إلا وتصيح بصوت رفيع حتى سئم منها جيرانه، فأخذ دواء من أطباء كثيرين ما نفعها، فقال لي الأستاذ يوما: اكتب منا كتابا إلى روضة المصطفى صلى الله عليه وسلم حتى يكون شفيعا لهذا الداء فكتبت كتابا زينته أولا بالصلاة والسلام ووصفته بكونه شفيعاً لأمراض لا تحصى، ورجوت في آخره منه الدواء والاستشفاء لهذا الداء فأرسله الأستاذ مع الحجاج إلى روضته فحسبنا الأيام إلى اليوم الذي وصلت الحجاج فيه إلى المدينة فانقطع صوتها ومرضها في بيته فحمدنا الله حمداً كثيراً. وقوله: «وأطلقت» عطف على «أبرأت» أي: كثيرا ما أطلقت الإطلاق التخلية والعفو والإخلاص من القيد، و«**الأرب**» بكسر الراء بمعنى صاحب الاحتياج، و«من ربقة» متعلق بـ«أطلقت»، و«**الربقة**» بالكسر حبل له عقدة يشد به البهائم، و«**اللمم**» بفتحتين صغار الذنوب لكن أريد به هاهنا مطلق الذنب بقرينة أن المقام مقام المبالغة، ثم إنه يجوز أن تكون إضافة الربقة إلى اللمم بمعنى اللام فيكون المعنى: كثيرا ما أطلقت راحته عليه الصلاة والسلام صاحب احتياج من قيد لأجل ذنبه سواء كان ذنبه ظاهريا فيكون على هذا إشارة إلى إطلاقه عليه السلام أسارى الكفار من

(١٣٠) "صحيح البخاري"، كتاب الدعوات، باب الدعاء عند الكرب، الحديث: ٦٣٤٦، ٤/٢٠٢.

ربقتهم حين شدهم المؤمنون في الغزاة أو ادعائيا فيكون إشارة إلى ما روي عن أم سلمة أنها قالت: كان رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم في صحراء فنادته ظبية يارسول الله! قال: ما حاجتك: قال: صادني هذا الأعرابي و لي خشفان في ذلك الجبل، فأطلقني حتى أذهب فارضعهما وأرجع قال عليه الصلاة والسلام: أو تفعلين؟ قالت: نعم فأطلقها فذهبت ورجعت فأوثقها عليه السلام فانتبه الأعرابي وقال: يارسول الله ألك حاجة؟ قال: تطلق هذه الظبية فأطلقها فخرجت تعدو في الصحراء وتقول: (أشهد أن لا إله إلا الله وأنك رسول الله) وغير ذلك. ويجوز أن يكون من إضافة المشبه به إلى المشبه أي: من لمم كالربقة يعني أنه عليه الصلاة والسلام قد أطلق أصحاب الحاجات من لممها الذي كالربقة؛ إذ كما أن الربقة تمنع الحيوان من وصوله إلى مطلوبه كذلك اللمم يمنع الإنسان من وصوله إلى مطلوبه فيلزم الإطلاق؛ إذ الوصول إلى المقصود لا يكون بالقصد والتحويل بل لابد من رفع العصيان والمحو، وهو إنما يكون به عليه الصلاة والسلام.

(٨٦) وَأَحْيَتِ السَّنَةَ الشَّهْبَاءَ دَعْوَتُهُ...حَتّٰى حَكَتْ غُرَّةً فِيْ الْأَعْصُرِ الدُّهُمِ

لَمَّا ذكر تأثير دعائه عليه الصلاة والسلام في الأرض شرع في بيان تأثير دعائه في السماء فقال: «وأحيت السنة الشهباء... إلخ»، الواو عاطفة والجملة معطوفة على «أطلقت» و«**أحيت**» من الإحياء ضد الإماتة، و«**السنة**» بالنصب مفعول «أحيت» بمعنى العام والحجة. و«**الشهباء**» بالنصب صفة «السنة»، وهي مؤنث أشهب، وهو الفرس الذي غلب عليه البياض و«**السنة الشهباء**» كناية عند العرب عن السنة التي لا ماء فيها ولا كلاء، والمراد بإحيائها إنبات النبات وإحداث نضارتها، ففي هذا المقام مجاز واستعارة، وهو إما أن يكون في «أحيت» استعارة تبعية بأن شبه تزيين الأرض بإنبات النبات وإحداث نضارتها بالإحياء في الانتفاع مطلقا، ثم استعير الإحياء لتزيين الأرض وإحداث نضارتها، ثم اشتق من الإحياء «أحيت»، ومن التزيين «زينت»، ومن الإنبات «أنبتت»، فذكر أحيت، وأريد زينت أو أنبتت، وإما أن يكون في «السنة الشهباء» استعارة بالكناية بأن شبه السنة الشهباء في الذهن بالموتى في عدم الانتفاء، ثم استعير الموتى في الذهن لمفهوم السنة الشهباء، وفي الخارج ذكر السنة الشهباء وأريد نفسها، ثم أثبت الإحياء

الذي هو من ملائم المشبه للسنة الشهباء، فكان استعارة مكنية وتخييلية، وعلى كلا التقديرين يكون إسناد «أحيت» إلى «دعوته» مجازا من إسناد الشيء إلى سببه، إذ المحيي والمزيل في الحقيقة هو الله تعالى وضمير «دعوته» راجع إليه عليه الصلاة والسلام، و«**حكت**» بمعنى شابهت كما في قوله:

ظلمناك في تشبيه صدغيك بالمسك		**وقاعدة الشبيه نقصان ما يحكي**

والضمير المستتر فيه راجع إلى السنة، وجعله راجعا إلى الدعوة دعوى بلا دليل كما لايخفى على من له عقل قليل. و«الغرة» بالنصب مفعول «حكت» و«**الغرة**» بياض قدر الدرهم في جبهة الفرس، و«في الأعصر» متعلق بـ«حكت»، و«**الأعصر**» جمع عصر وهو الدهر والزمان، و«**الدهم**» بضمتين جمع أدهم، وهو بمعنى الأسود مثل ما في قول القبعثري: "مثل الأمير يحمل على الأدهم والأشهب" حين قال له الحجاج: لأحملنك على الأدهم، ثم إن وجه الشبه في تشبيه السنة بالغرة قلة البياض يعني كما كانت الغرة بياضا قليلا في الفرس الأحمر والأسود كذلك كانت تلك السنة قليلة البياض أعني لخلوها من النبات أو الحسن والضياء كما لايخفى على أولي النهى. وفي «الأعصر الدهم» استعارة مكنية وتخييلية وترشيحية بأن شبه السنون الجدباء في الذهن بالفرس في كونهما غير مقبولين، فاستعير ذلك الفرس لمفهوم تلك السنين، فذكر في الخارج ما يدل على تلك السنين، وأريد تلك، ثم إثبات الغرة تخييل، وذكر الدهم ترشيح، والبيت إشارة إلى ما روي عن أنس أنه قال: أصابت الناس سنة جدب على عهده عليه الصلاة والسلام، فبينما النبي عليه الصلاة والسلام يخطب في يوم الجمعة قام أعرابي فقال: يارسول الله! هلك المال وجاع العيال، فادع الله تعالى لنا، فرفع يديه وما نرى في السماء سحابا ولا قزعة، فو الذي بيده ما وضعهما حتى صار السحاب أمثال الجبال، ثم لم ينزل عن منبره حتى رأيت المطر يتحادر على لحيته، فمطرنا يومنا ذلك، ومن الغد ومن بعد الغد حتى إلى الجمعة الأخرى، فقام رجل وقال: يارسول الله! هدم البناء وغرق المال فادع الله تعالى لنا، فرفع يديه فقال: ((اللهم حوالينا ولا علينا))[١٣١] فما يشير إلى ناحية من

(١٣١) "صحيح البخاري"، كتاب الاستسقاء، باب الدعاء إذا كثر المطر حوالينا ولا علينا، الحديث: ١٠٢١، ١/ ٣٥٠.

السحاب إلا انفرجت، وصارت "المدينة" مثل الجوبة، وسال الوادي "قَنَاةَ" شهرا، ولم يجيء أحد من ناحية إلا حدث بالجود، وهذه الواقعة مشهورة شائعة معروفة.

(٨٧) بِعَارِضٍ جَادَ أَوْ خِلْتَ الْبِطَاحَ بِهَا...سَيْبًا مِنَ الْيَمِّ أَوْ سَيْلاً مِنَ الْعَرِمِ

فلَمَّا كان إحياء دعائه عليه السلام السنة الشهباء مظنة أن يسئل أنه هل كان إحياءه عليه السلام بسبب المطر أو بلا سبب بل معجزة أخرى؟ وأجاب عنه فقال: «بعارض جاد... إلخ»، الباء متعلق بـ«أحيت» أو «حكت» ميزها واختر أعزهما، و«**العارض**» بمعنى السحاب، و«**جاد**» من الجود بفتح الجيم بمعنى المطر الشديد الذي لا يكون فوقه مطر، وضميره المستتر راجع إلى العارض، فيكون المعنى: بسبب سحاب أمطر مطرا شديدا، ومن لم يكن له خبرة بكتب اللغة جعله من الجود بضم الجيم، وجعل في «العارض» استعارة بالكناية أو جعل في «جاد» استعارة تبعية، والقوم صرحوا بأنه مهما أمكن الحقيقة في مقام لا يصار فيه إلى المجاز فتأمل فيه فإنه للإفهام مجاز، و«أو» في «أو خلت» بمعنى إلى، و«**خلت**» من الخيال بمعنى الظن والحسبان، وهو على صيغة الخطاب، والخطاب عام. و«**البطاح**» جمع أبطح أو بطحاء، وهو مسيل واسع للماء، والمراد أودية المدينة ومكة وما حواليهما، والباء في «بها» للسببية متعلق بـ«خلت»، والضمير راجع إلى العارض، وتأنيثه باعتبار كون السحاب مؤنثا سماعيا، و«**سيبا**» بالنصب مفعول ثان لـ«خلت»، و«السيب» على وزن الغيب بمعنى الجري، و«من اليم» ظرف مستقر صفة السيب، و«**اليم**» بفتح الياء البحر بالسريانية، وقد عربته العرب، ويجوز أن يكون السيب بمعنى العطاء قال في "القاموس": يقال: فاض سيبه على الناس أي: إعطاءه، فعلى هذا يكون في «اليم» استعارة مصرحة فتأمل. ووقع في بعض النسخ سيب بالرفع على أنه مبتدأ، وخبره قوله: «من اليم»، وكذلك قوله: «**سيلا**»، وهو بمعنى: الماء المجتمع الجاري بغتة من كثرة المطر، وفي الحديث: ((اللهم إني أعوذبك من السيل والبعير الصؤول))[132]، و«**العرم**» بفتح العين وكسر الراء بمعنى المطر الشديد أو اسم واد

(١٣٢) "تخريج. "المعجم الكبير" مسند النساء، باب العين،عائشة بنت قدامة، الحديث: ٨٥٨، ٢٤/٣٤٤

ببلدة "سبا" فإنه كان يجيء عليهم منه سيل عظيم، وعلى كل من التقادير، فالبيت كناية عن كثرة الأمطار في تلك السنة، وفي هذا البيت صنعة تلميح إلى قصة أولاد "سباء" وسيل العرم، و"سباء" اسم لحيّ سموا باسم الأب الأكبر؛ لأنهم من أولاد "سباء بن يشجب بن يعرب بن قحطان"، وكانوا في بلدة يقال لها: "مأرب" في أرض "اليمن"، وكان هناك واد عظيم، يقال له العرم جاء منه عليهم سيل عظيم وهدم أبنيتهم، فلما كانت بلقيس ملكة على تلك البلدة جمعت حديدا وحجرا كثيرا فبنت أمام ذلك الوادي سدا عظيما، ووضعت أثقابا وميازيب في أعلاه وأوسطه وأسفله، فاتخذ أهل تلك البلدة في أسفل الوادي عن يمين البلدة وشمالها جنانا كثيرة، فكانت في كثرة النعمة والفواكه آية من آيات الله تعالى حتى أن المرأة كانت تجعل الزنبيل على رأسها وتمر بين الأشجار ولا تحرك شجرا، ولا تقطف ثمرا فيمتلئ الزنبيل من كثرة الفواكه وكانت بلدتهم طيبة ليست بسبخة، ولم يكن يرى فيها بعوض ولا ذباب ولا برغوث ولا حية ولا عقرب ولا وباء، وإذا دخل المسافر فيها كان يموت عليه من البرغوث والقمل، فقد كانت سعادة النشأة الأولى حاصلة لهم فلم يشكروا الله تعالى بل قالوا: لا نعرف لله علينا نعمة، فأرسل الله إليهم ثلاثة عشر رسولا، وقيل: نبيا، فذكروا لهم نعم الله، وقالوا لهم: اشكروا الله تعالى فلم يسمعوا مواعظهم ولم يؤمنوا، فسلط الله على سدهم فأرة عمياء، فنقبت أحجار ذلك السد، وكان الوادي ممتلئا كالبحر، فانهدم السد، فهجم الماء على بيوتهم وجنانهم فخربت وغرقوا جميعا بأولادهم وأموالهم، وفي المثل تفرقوا أيدي سبا وأيادي سبا، فخذ ما آتيتك وكن من الشاكرين.

(٨٨) دَعْنِيْ وَوَصْفِيْ آيَاتٍ لَهُ ظَهَرَتْ ... ظُهُوْرَ نَارِ الْقِرٰى لَيْلاً عَلَى عَلَمِ

لَمَّا ورد على الناظم الفاهم سؤال ناشئ مما ذكره من أوصافه ومعجزاته بأنه لاحاجة إلى بيانك لتلك الأوصاف؛ لأنها كانت كالشمس في الظهور ولاحاجة إلى تعريف الشمس، أجاب عنه فقال: «دعني... إلخ»، «**دعني**» أمر من ودع يدع بمعنى أتركني، و«وصفي» مفعول معه من دع أي: مع وصفي، والوصف بمعنى أصل المصدر لا الحاصل بالمصدر مضاف إلى فاعله، ومفعوله «آيات»، وهي جمع آية بمعنى العلامات والمعجزات، وقوله:

«له» إما متعلق بـ«ظهرت»، أو ظرف مستقر صفة الآيات، أو متعلق بـ«وصفي»، والضمير راجع إليه عليه السلام أي: لإثبات حقيقة شرف محمد عليه السلام، والضمير المستتر في «ظهرت» راجع إلى الآيات. وقوله: «ظهور» بالنصب مصدر نوعي لـ«ظهرت»، و«القرى» بكسر القاف والقصر بمعنى الضيافة، و«العلم» بفتحتين بمعنى الجبل كما في قوله:

وَإِنَّ صَخْراً لتأتمُّ الْهُدَاةُ به		كَأَنَّهُ عَلَمٌ في رأْسِهِ نارُ

«وليلا» ظرف لظهور، و«على» متعلق أيضا به، وكان من عادة أسخياء العرب إيقاد النار في رأس الجبل ليراها في البرية أبناء السبيل، ويأتون إليها ويقضون عندها حاجتهم من الأكل والشرب وغير ذلك، وتشبيه الآيات بها في الظهور والإعلان كما لايخفى على أهل الإذعان.

وحاصل معنى البيت: اتركني أيها الناصح بالاختصار في الكلام لأنه يجر إلى الملال والسأم، فإن ذكر الحبيب لا يشبع منه اللبيب، فخلني مع وصفي له عليه السلام بآيات بينات وعلامات واضحات ظهرت وكشفت ظهورا بينا في الآفاق في وقت ظلمة الجهل بمحاسن الأخلاق مثل شعاع نار الضيافة على رؤس الجبال للعلامة في الليل التي كانت ظلمته في غاية الكمال لحضور المحتاجين من أبناء السبيل والمسافرين ودفع احتياجهم من الكرام والحمد لله الملك العلام.

(٨٩) فَالدُّرُّ يَزْدَادُ حُسْناً وَهُوَ مُنْتَظِمٌ ... وَلَيْسَ يَنْقُصُ قَدْراً غَيْرَ مُنْتَظِمِ

لَمَّا كانت الدعوى المستفاد من قوله: «دعني... إلخ» أي: يلزم لك تركي مع بياني أوصافه وآياته وعدم السؤال عني مجردة أراد أن يعللها ويثبتها فقال: «فالدر... إلخ»، فالفاء للتعليل، فيمكن أن يرتب هاهنا قياس بأن يقال: يلزم لك تركي مع بياني آياته لأنه يلزم ترك من يبينها بالحسن والشرف وأنا أبينها بالحسن والشرف ينتج يلزم لك تركي مع بياني آياته والكبرى نظرية فأثبتها بقوله: «فالدر» أي أقول: أنا أبين تلك الآيات بالحسن والشرف لأنه لما كانت آياته كالدر الذي يزداد حسنه وهو منتظم وليس ينقص قدرا غير منتظم كنت ناظما لتلك الآيات فأنا أبينها بالحسن والشرف لكن المقدم حق، والتالي مثله، ثم اعلم! أن الدر مبتدأ وهو اللؤلؤ المخرج من صدفه، وجملة «يزداد» خبر المبتدأ

و«حسنا» تمييز من نسبة يزداد، والواو في «وهو» للحال، فالمبتدأ مع خبره جملة، والجملة حال من فاعل يزداد و«منتظم» على صيغة اسم الفاعل من النظم بمعنى جمع الؤلؤ في السلك، ففيه تجريد كما لايخفى.

وحاصل المعنى: أن آياته كالدر يزداد حسنها بالانتظام كذلك معجزاته عليه السلام يزيد حسنها بالانتظام، وجعلها أبياتا إذ النظم لباس الكلام، فكما أن المحبوب يزيد حسنه بلباس فاخر كذلك الكلام يزيد حسنه بلبسه نظما، ولأنّ في الشعر حكمة كما ورد في الحديث، ولأن النظم قريب إلى الحفظ، ولأنّ في قراءة الأبيات يحصل للقلوب سرور ونشاط، وقوله: «وليس ينقص قدرا... إلخ» دفع لتوهم نشأ من الكلام السابق من أنه لا حسن لبيان وصفه عليه السلام بغير النظم، فالواو للحال، وضمير «ينقص» راجع إلى الدر المراد منه الآيات، و«حسنا» مميز من فاعل ينقص.

والمعنى: والحال أن آياته صلى الله تعالى عليه وسلم لا ينقص حسنها بإتيانها بلا نظم إذ الشرافة والحسن في أصلها فبالنظم يزيد حسنها على وجه الكمال وبلا نظم تبقى في أصل حسنها بلا زوال.

(٩٠) فَمَا تَطَاوَلُ آمَالُ الْمَدِيْحِ إِلى ... مَا فِيْهِ مِنْ كَرَمِ الأَخْلاَقِ وَالشِّيَمِ

لَمَّا نشأ من البيت السابق من مدح نظمه تزكية نفسه وإيهام إيراده جميع مدائحه عليه السلام مع أنها لا تعد ولا تحصى بالمداد والأقلام أراد دفعه فقال: «فما تطاول آمال... إلخ»، كلمة «ما» للاستفهام الإنكاري أو التعجبي. و«تطاول» أي: مد عنقه مريدا للإطلاع عليه و«الآمال» جمع أمل وهو الرجاء، و«المديح» إمّا بمعنى المادح فالمعنى: فيا عجبا أوكان بعيداً تطاول رجاء المادح إلى أوصافه عليه السلام أو بمعنى الممدوح، فتكون إضافة الآمال إليه بحذف المضاف أي: آمال أصحاب الممدوح وهم المداحون، فالمعنى فيا عجبا أو كان بعيدا تطاول آمال مداح الممدوح إلى أوصافه عليه السلام، و«إلى» متعلق بـ«تطاول»، و«ما» موصول، و«فيه» ظرف مستقر صلته، و«من» بيانية، وإضافة الكرم إلى الأخلاق من إضافة الصفة إلى الموصوف أي الأخلاق الكريمة، والمراد من الأخلاق الخصال الكسبية، و«الشيم» بكسر الشين وفتح الياء جمع شيمة، وهي

الخلق والعادة، والمراد بها الأخلاق الضرورية الوهبية. مآل البيت بيان عجزه عن أوصافه عليه الصلاة والسلام وبيان كثرة آياته.

(٩١) آيَاتُ حَقٍّ مِنَ الرَّحْمٰنِ مُحْدَثَةٌ ... قَدِيمَةٌ صِفَةُ الْمَوْصُوفِ بِالْقِدَمِ

لَمَّا بَيَّن في الأبيات السابقة كونه واصفاً لآياته عليه السلام ومبيناً بها على أحسن النظام وتمنى من المخاطب ترك الكلام في حقه باللوم والملام فكأنّه قال قائل له: فينبغي أن تبين منها ما هو المشهور والأوضح عند الأنام وهو القرآن الباقي إلى يوم القيام توجه إلى قوله: وشرع في البيان فقال: «آيات حق... إلخ». «**آيات**» بالرفع خبر مبتدأ محذوف أي: أبهر المعجزات آيات حق، أو القرآن آيات حق، أو غير ذلك، أو مبتدأ خبره محذوف أي: آيات حق منزلة، أو بالنصب على أنها عطف بيان لآيات في قوله: «دعني ووصفي آيات»، أو على المدح، و«**الآيات**» جمع آية، وهي طائفة من القرآن منقطعة عمّا قبلها وما بعدها سميت بها لأنّها علامة على صدق من أتى بها، وقيل: لأنّها علامة على انقطاع ما قبلها من الكلام عمّا بعدها، وإضافتها إلى الحق بيانية إن كان الحق صفة مشبهة من حق بمعنى ثبت، ولامية إن كان مصدرا، ويجوز أن يكون المراد من الحق واجب الوجود تعالى شانه فيكون اسما له تعالى، والإضافة حينئذ لامية أيضا أي: الآيات المخصوصة للحق تعالى، فعلى هذا يكون ذكر الرحمن تبركا باسمه الرحمن، فإن قلت: لم اختار «**الرحمن**» من بين أسمائه تعالى، وهي الغفار والرزاق والعلام والستار؟ قلت: إشارة إلى أن في إنزال القرآن رحمة عامة إلى جميع الخلائق حتى الكفار لتأخير العذاب كما لايخفى. و«محدثة» بالرفع خبر بعد خبر يعني آيات الله الحقة منزلة محدثة، وهي اسم مفعول من أحدث، وضميره راجع إلى الآيات لكن باعتبار ألفاظها، وهي المكتوبة في المصاحف المقروّة بالألسن المحفوظة في الصدور، وقوله: «قديمة» خبر بعد خبر أي: الآيات محدثة قديمة لا يقال: هل هذا إلاّ جمع بين النقيضين؛ لأنّا نقول: الحادث هو ألفاظ القرآن والقديم معناه؛ لأنّ الكلام اثنان كلام لفظيّ وكلام نفسيّ كما قاله الأخطل:

إنَّ الْكَلامَ لَفِي الْفُؤَادِ وَإِنَّمَا ... جُعِلَ اللِّسَانُ عَلَى الْفُؤَادِ دَلِيلاَ

فالحادث كلام لفظيّ، والقديم كلام نفسيّ قائم بذاته تعالى. اعلم! أنّ في كلام الله تعالى سبعة مذاهب، **الأول**: ما ذهب إليه الأشاعرة من أن كلامه تعالى اثنان: لفظي مكتوب في المصاحف حادث ونفسي قائم بذاته قديم ليس بحرف ولا صوت بل هو المعنى فقط، وإن في مذهبهم يجوز سمع ذلك المعنى الذي هو الكلام النفسي. **والثاني**: مذهب أبي منصور الماتريدي، وهو أيضا أن كلامه اثنان: لفظي مكتوب في المصاحف حادث، ونفسي قائم بذاته قديم ليس بحرف ولا صوت بل هو المعنى فقط، والفرق بين الأول وبين هذا المذهب أنه لايجوز في هذا المذهب سمع كلامه النفسي أصلا بل المسموع هو الكلام اللفظي كذا في البداية. **والثالث**: مذهب بعض المتأخرين، وهو صاحب المواقف ومن تلا تلوه، وهو أن كلامه اثنان: لفظي مكتوب في المصاحف محفوظ في الصدور وهو حادث، وكلام نفسي قديم عبارة عن لفظ ومعنى لكن بلا ترتيب. **والرابع**: مذهب الجلال الدواني من أنه اثنان: لفظي قائم بالمصاحف والصدور، وهو حادث، ونفسي قائم به تعالى قديم عبارة عن لفظ ومعنى مع ترتيب علمي. **والخامس**: مذهب الحنابلة من أن كلامه تعالى في الحقيقة واحد مركب من حروف وأصوات قديم إلى أن قال بعضهم: بقدم الجلد والغلاف، فهم ينكرون الكلام النفسي. **والسادس**: مذهب المعتزلة، وهو أن كلامه واحد مركب من حروف وأصوات حادثة لكن ليس بقائم بذاته تعالى بل بالغير كاللوح، وفؤاد جبريل والنبي وشجرة موسى. **والسابع**: ما ذهب إليه الكرامية من أنه كلام واحد مركب من الحروف والأصوات حادث لكن قائم به تعالى، فالفرق الثلاث ينكرون الكلام النفسي، وتفصيل الكلام في كتب الأنام كالبداية والتمهيد في التوحيد وبحر الكلام والإبانة والكفاية والأحكام كما لايخفى على أولى التبصرة والتذكرة. ففي قول الناظم النحرير «محدثة» رد على الحنابلة، وفي قوله: «قديمة» رد على الكرامية، وفي قوله: «قديمة» مع قوله: «صفة الموصوف بالقدم» رد على المعتزلة كما لايخفى، فقوله: «صفة الموصوف» خبر بعد خبر، وهو في المعنى علة لكون الآيات أي: معانيها قديمة، فيمكن أن يرتب هنا قياس بأن يقال: الآيات أي معانيها قديمة لأنها صفة الموصوف بالقدم، وكل شيء شانه كذا فهو قديم، فينتج المطلوب، ولا تتوهمن

أن ما هو صفة الله تعالى ما كان حادثا لأنه مخالف للمشهور فيما بين الأشعري وأبي منصور.

(٩٢) لَمْ تَقْتَرِنْ بِزَمَانٍ وَهْيَ تُخْبِرُنَا ... عَنِ الْمَعَادِ وَعَنْ عَادٍ وَعَنْ إِرَمِ

لَمَّا بيّن ذات الآيات أراد أن يبين بعضا من معجزاتها وأوصافها فقال: «لم تقترن... إلخ» مع مناسبة تامة حيث جعل قوله: «لم تقترن» علة أخرى لكون الآيات أي: معانيها قديمة أو علة لكونها صفة الموصوف بالقدم وهو الظاهر، فيمكن أن يرتب هاهنا قياس بأن يقال: الآيات قديمة أو الآيات صفة الموصوف بالقدم لأنّها «لم تقترن بزمان... إلخ»، وكل شيء شانه كذا فهو قديم أو صفة الموصوف بالقدم، فينتج المطلوب،ثُمَّ إن جملة «لم تقترن» صفة بعد صفة للآيات، أو حال من فاعل قديمة وهو من المقارنة و«بزمان» متعلق بـ«لم تقترن»، و«**الزمان**» عند المتكلمين: عبارة عن متجدد معلوم يقدر به متجدد آخر موهوم، وعند الحكماء: عبارة عن مقدار حركة الفلك الأعظم. ثم اعلم! أن الآيات التي لم تقترن بزمان معاني الآيات لا ألفاظها لأن ألفاظها حادثة مقترنة بزمان بخلاف معانيها التي هي الكلام النفسي لأنه صفة له تعالى، والله تعالى وصفاته لايجري عليه زمان كما حقق في محله. وقوله: «وهي» الواو للحال، و«هي» مبتدأ راجع إلى الآيات، وجملة «تخبرنا» خبره، وجملة المبتدأ مع خبره إشارة إلى دليل كون الآيات من أبهر المعجزات. و«**عن المعاد**» متعلق بـ«تخبر»، والمعاد مصدر ميمي، أو اسم مكان، والمراد به هاهنا الرجوع بعد الفناء وأخبار القرآن منه في مواضع كثيرة كقوله تعالى: ﴿أَوَلَمْ يَرَ الْإِنسَانُ أَنَّا خَلَقْنَاهُ مِن نُّطْفَةٍ فَإِذَا هُوَ خَصِيمٌ مُّبِينٌ ۝ وَضَرَبَ لَنَا مَثَلًا وَنَسِيَ خَلْقَهُ قَالَ مَنْ يُحْيِي الْعِظَامَ وَهِيَ رَمِيمٌ ۝ قُلْ يُحْيِيهَا الَّذِي أَنشَأَهَا أَوَّلَ مَرَّةٍ﴾ [يس: ٧٧،٧٩]، قال المفسرون: نزلت هذه الآية في أبي بن خلف خاصم النبي عليه الصلاة والسلام، وأتاه بعظم قد رُمَّ وبلي وفَتَّه بيده، وقال: يا محمد أترى الله تعالى يحي هذا بعد ما رُمَّ؟ فقال صلى الله تعالى عليه وسلم: نعم يبعثك ويدخلك النار، وكقوله تعالى: ﴿ثُمَّ إِنَّكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ تُبْعَثُونَ﴾ [المؤمنون: ١٦]، وقوله تعالى: ﴿أَيَحْسَبُ الْإِنسَانُ أَلَّن نَّجْمَعَ عِظَامَهُ ۝ بَلَىٰ قَادِرِينَ عَلَىٰ أَن نُّسَوِّيَ بَنَانَهُ﴾ [القيامة: ٣،٤]، وقوله تعالى: ﴿أَفَلَا يَعْلَمُ إِذَا بُعْثِرَ مَا فِي الْقُبُورِ﴾ [العاديات: ٩]، وغير ذلك، و«عن عاد» عطف على المعاد أعاد الخافض للنظم أي: تخبر

الآيات أيضا عن قصة عاد، و«**عاد**» قبيلة من العرب في ناحية اليمن كما في قوله تعالى في سورة الأعراف: ﴿وَإِلَىٰ عَادٍ أَخَاهُمْ هُودًا﴾ الآية [الأعراف: ٦٥]، وغير ذلك من سور القرآن، وقصتهم أنّ عادا تبسطوا في البلاد ما بين "عمان" و"حضرموت"، وكانت لهم أصناما يعبدونها صداء وصمود والهباء، فبعث الله تعالى إليهم هودا نبيا، وكان من أوسطهم وأخيرهم وأفضلهم حسبا، فكذبوه، وازدادوا عتواً فأمسك الله تعالى عنهم المطر ثلاث سنين حتى جاعوا وجهدوا، وكانت عادة الناس في ذلك الوقت إذا نزل عليهم البلاء توجهوا إلى البيت مسلمهم وكافرهم، وطلبوا من الله تعالى الفرج، فجهزت عاد إلى مكة من أماثلهم سبعين رجلا، فدخلوا مكة ورئيسهم "قَيْلُ بن عِتْر" فقال قَيْلُ: (اللهم اسق عادا ما كنت تسقيهم)، فأنشأ الله تعالى ثلاث سحابات بيضاء وحمراء وسوداء، ثم ناداه من السماء يا قيل «اختر نفسك ولقومك»، فقال: اخترت السوداء فإنها أكثرهن ماءً، فخرجت تلك السحابة إلى بلدهم، فغشيتهم فاستبشروا بها، وقالوا هذا عارض ممطرنا، فجاءتهم منها ريح عقيم، فأهلكتهم، ونجا هود والمؤمنون معه. وقوله: و«**عن إرم**» عطف على القريب أو البعيد، والمراد بـ«إرم» إرم ذات العماد، وهي لعاد الثانية فإن القرآن أخبر عن قصتها أيضا في سورة الفجر بقوله: ﴿أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِعَادٍ ۝ إِرَمَ ذَاتِ الْعِمَادِ ۝ الَّتِي لَمْ يُخْلَقْ مِثْلُهَا فِي الْبِلَادِ﴾ [الفجر: ٦ـ٨]، وذكر قصتهم "النيسابوري" في تفسير هذه الآية وإجماله أنه كان لعاد بن إرم ابنان "شداد" و"شديد" ملكا الدنيا كلها، ثم مات "شديد" فبقي الملك لشداد وكان عمره تسع مئة سنة وكان حريصا على قراءة الكتب، فقرأ يوما صفة الجنة، فاشتهت نفسه، ووقع في قلبه أن يبني جنة مثل الجنة التي وصفها الله تعالى، فأرسل طائفة من جيشه ليطلبوا صحراء طيبة الهواء خالية من الأحجار كثيرة المياه والأشجار، فساروا في الأرض، فوجدوا صحراء مثل ما وصف لهم في أرض "عدن"، فأخبروه بذلك، فطلب شداد من وزرائه أصناف الجواهر والذهب والفضة، فجمعوا منها ما لايعد ولايحصى، فبعثها شداد إلى تلك الأرض مع مئة ألف رجل من البنائين والصناع، فذهبوا إليها، وبنوا أساسها لبنة من ذهب ولبنة من فضة، ولما فرغوا من بناء حيطانها نصبوا فيها أعمدة من زبرجد أخضر وياقوت أحمر، وبنوا فوقها قصورا كثيرة، وغرفا فوق غرف من ذهب وفضة، ومجالس كثيرة ينظر أبواب بعضها إلى بعض، وجعلوا موضع الملك في حصنها قصرا مبنيا من

ذهب، وكان للملك ألف وزير، فجعلوا حول الحصن ألف قصر لكل وزير قصر منها، وجعلوا فيها مجارى الأنهار من الفضة، وهي تجري باللبن والخمر والعسل حتى فرغوا من بنائها في ثلاثمئة سنة، ثم أخبروا الملك بفراغها فجمع وزراءه وأتباعه وأنصاره، وساروا إليها فلما دنوا منها على مسيرة يوم وليلة بعث الله عليهم صيحة، فأهلكهم جميعا فلم يبق أحد منهم، وروي أنه لم يدخل تلك الجنة إلا واحد من المسلمين.

(٩٣) دَامَتْ لَدَيْنَا فَفَاقَتْ كُلَّ مُعْجِزَةٍ ... مِنَ النَّبِيِّيْنَ إِذْ جَاءَتْ وَلَمْ تَدُمِ

ثُم شرع في بيان كون الآيات فائقة على آيات سائر النبيين والمرسلين فقال: «دامت لدينا... إلخ»، ضمير «دامت» راجع إلى الآيات والتقييد بـ«لدينا» للاحتراز عما دام عند الله وقام به فإنه باق في كل زمان لا يتناهي بل لايجري عليه زمان، والفاء في «ففاقت» فاء النتيجة فما قبلها سبب وعلة لها، فيمكن أن نترتب هاهنا قياسا بأن نقول: القرآن فائق على كل معجزة لأن القرآن جاء ودام وكل معجزة من النبيين جاءت ولم تدم، وكل ما جاء ودام فهو فائق على كل معجزة جاءت ولم تدم، ينتج القرآن فائق على كل معجزة. و«**فاقت**» بمعنى تفوقت وبرعت، و«كل معجزة» بالنصب مفعول فاقت، و«**المعجزة**» أمر خارق للعادة يظهر على يد من يدعي النبوة عند تحدي المنكرين على وجه يعجز عن إتيان مثله اعلم! أن ما كان خارقا للعادة ثمانية أقسام: لأنه إما أن يصدر عن مؤمن أو عن كافر، والأول إما عن النبي وهو إما أن يصدر قبل البعثة، وهي **الإرهاصات** مثل ما ظهر حين ولادته عليه السلام، أو بعد البعثة وهي **المعجزات**، وإما من ولي وهي **الكرامات**، وإما من صالح وهي **المعونة**، وإما من فاسق وهو **الاستدراج**، والثاني: إما بتعليم وتعلم وهو **السحر**، وإما بلا تعليم وتعلم، فإن وافق مطلوبه فهو **ابتلاء** كما وقع من فرعون والدجال وغيرهما وإن لم يوافق فهي **الإهانة** كما وقع من مسيلمة الكذاب حيث دعا لأعور ليصلح عينه العوراء فأعورت عينه الصحيحة أيضاً. والمراد من النبيين المعنى العام للمرسلين على ما فهم من أساليب كلام الناظم. فإن قلت: إن في النبيين دخل نبيُّنا عليه السلام أيضا فيلزم فضل معجزته على نفسه وهو باطل؟ قلت: المراد من النبيين من سوى نبينا عليه السلام لأنه مستثنى منها بالاستثناء العقلي كما في قوله تعالى: ﴿إِنَّ اللهَ عَلَىٰ كُلِّ

شَيْءٍ قَدِيْرٌ﴾ [البقرة: ٢٠]. و«إذ» للتعليل و«لم تدم» عطف على «جاءت» يعني أن معجزات سائر الأنبياء قد انقضت واندرست بموتهم بخلاف معجزة نبينا عليه السلام لأنها باقية إلى يوم القيامة لايقال: إنا لا نسلم أن معجزات سائر الأنبياء قد جاءت ولم تدم كيف وإن الإنجيل باق عند النصارى كما أن التوراة باقية عند اليهود لأنا نقول: المراد من الدوام دوامه بلا تغيير لفظ وتحريف حرف وكلا الفريقين قد غيراهما وبسبب تحريفهم كانوا كافرين، ولو سلم فالمراد دوام حكمه أعني شريعته وكتب سائر الأنبياء قد نسخت بكتابنا، وكان الشرع الباقي عند الملل القرآن لا غيره من الكتب المنزلة على سائر الأنبياء.

(٩٤) مُحَكَّمَاتٌ فَمَا يُبْقِيْنَ مِنْ شُبَهٍ ... لِذِيْ شِقَاقٍ وَلاَ يَبْغِيْنَ مِنْ حَكَمِ

لَمَّا بيّن كون الآيات دائمة إلى يوم القيامة بل إلى ما لا ينتهي شرع في بيان كونها باقية على حكمها الأصلي بلا تبديل ولا تغيير فقال: «محكمات... إلخ»، وهي بالرفع خبر بعد خبر لآيات أو صفة بعد صفة لها، و«**المحكمات**» جمع محكم، وهو في اللغة: بمعنى المتقن القوي الذي لا يقبل الانهدام، وفي اصطلاح الأصوليين: ما ظهر المراد منه ولم يحتمل النسخ والتغيير، فعلى هذا يكون التشديد لضرورة الشعر. فإن قلت: كيف يجوز حمل محكمات على الآيات لأنه يستفاد منه أن جميع الآيات محكم مع أن الأصوليين صرحوا بأن بعض القرآن محكم وبعضه مفسر وبعضه نص وبعضه ظاهر وبعضه خفي وبعضه مشكل وبعضه مجمل وبعضه متشابه؟ قلت: الحمل باعتبار معناه اللغوي لا الاصطلاحي على أنه يجوز أن يكون في ضمير محكمات استخدام بأن يرجع إلى الآيات، ويراد منها بعضها فتأمل. ثمّ إنّه روي عن علي رضي الله تعالى عنه أنّه عليه السلام قال: ((أنزل القرآن على عشرة أقسام بشيرا ونذيرا وناسخا ومنسوخا ومحكما ومتشابها وموعظة ومثلا وحلالا وحراما فمن استبشر بتبشيره وأنذر بنذيره وعمل بناسخه وآمن بمنسوخه واقتصر على محكمه ورد متشابهه إلى عالمه واتّعظ بعظته واعتبر بمثله وأحل حلاله وحرم حرامه، فأولئك من المؤمنين حقا لهم الدرجات العلى مع النّبيّين والشهداء والصالحين، وحسن أولئك رفيقا، وهو وارثي ووارث الأنبياء قبلي، ولا يزال في كَنَفِه تعالى وحيثما تلا القرآن

غشيته الرحمة، ونزلت عليه السكينة، ويحشر في زمرتي وتحت لوائي))[١٣٣] والفاء في «فما يبقين» تفريعية أي: لمّا كانت الآيات محكمات فما يبقين... إلخ، ويبقين جمع مؤنث من الإبقاء بمعنى الدوام، و«من» زائدة، و«**شبه**» جمع شبهة، و«لذى» ظرف مستقر صفة «شبه»، و«الشقاق» بمعنى الخلاف، والمراد من أهل الخلاف من كان مخالفا لشرعنا، «ولايبغين» عطف على «ما يقين»، و«يبغين» بفتح الياء كما كان «يبقين» بضم الياء، وهو من البغي بمعنى الطلب، و«من» زائدة، و«الحكم» بفتحتين بمعنى الحاكم أي: القرآن لايحتاج إلى حاكم آخر فوقه بخلاف الحديث فإنّه مسند إلى الكتاب، وكذا الإجماع والقياس فإنّهما محتاجان إلى أحدهما، وقرئ حِكم بكسر وفتح على أنه جمع حكمة، فالمعنى: أن القرآن لايحتاج إلى حكم زائدة لوضوح قوانينها بل جميع الحكم والقواعد مأخوذة منه فلم يكن شيء يشتمل على ما يشتمل عليه القرآن، ثم إن هذا البيت فيه صنعة تلميح إلى قوله تعالى: ﴿هُوَ الَّذِىٓ أَنزَلَ عَلَيْكَ الْكِتٰبَ مِنْهُ اٰيٰتٌ مُّحْكَمٰتٌ هُنَّ أُمُّ الْكِتٰبِ﴾ الآية [آل عمران: ٧] وجناس كامل بين يبقين ويبغين كما لايخفى على أهل البديع.

(٩٥) مَاحُوْرِبَتْ قَطُّ إِلاَّ عَادَ مِنْ حَرَبٍ...أَعْدَى الأَعَادِي إِلَيْهَا مُلْقِيَ السَّلَمِ

لَمَّا بيّن في البيت السابق أن الآيات قد قطعت شبهة المشتبهين مع أن الفصحاء والبلغاء كإمرئ القيس وغيره قد عارضوا القرآن دفعه بقوله: «ما حوربت... إلخ»، «ما» نافية و«حوربت» ماض مجهول من المحاربة بمعنى المعارضة على سبيل الاستعارة بأن شبه المعارضة بالمحاربة في مدافعة الخصم ومضرته والاستعداد له، ثم استعير المحاربة لمفهوم المعارضة، ثم اشتق من المعارضة «عورضت» ومن المحاربة «حوربت»، فذكر حوربت وأريد عورضت، والمراد من المعارضة للقرآن إتيان مثله في البلاغة والفصاحة. و«قط» ظرف زمان للماضي على سبيل الاستغراق، ولايستعمل إلا في النفي و«إلا» للاستثناء والمستثنى منه محذوف أي: في حال من الأحوال إلا في حال عود الأعادي، فـ«عاد» إما من العود بمعنى الرجوع، أو بمعنى صار وانتقل، و«من حرب» متعلق بـ«عاد»

(١٣٣) "نوادر الأصول في أحاديث الرسول"، الأصل الرابع والأربعون والمأتان في بيان أقسام القرآن، ٢٠٣/٣. (المكتبة الشاملة)

و«من» لإبتداء الغاية، و«حرب» بفتحتين بمعنى الغضب والغيظ، وقيل: هو لغة في الحرب فيكون بمعنى المحاربة، وهي بمعنى المعارضة، و«أعدى» بالرفع تقديرا فاعل عاد، وهو اسم تفضيل من العداوة، و«الأعادي» جمع أعداء، وهي جمع عدو، فإضافة أعدى إليها للمبالغة فيكون إشارة إلى أنه لايعارض القرآن إلا من كان في شدة العداوة والبغضاء. و«إليها» متعلق بـ«عاد»، والضمير راجع إلى الآيات، وفيه حذف مضاف أي: إلى حقيتها. و«ملقي السلم» بالنصب حال من فاعل «عاد» على تقدير كون عاد بمعنى رجع، أو بالنصب على الخبرية على تقدير كونه بمعنى صار، و«ملقي» اسم فاعل من ألقى بمعنى ملتقيا ومقبلا إليها بالسلم أي السلامة، فالمعنى: أنه ما عورضت تلك الآيات بشيء من كلام الفصحاء ولا طولب أحد بمعارضتها من العرب العرباء إلا ورجع من المحاربة والمعارضة لما فيها من الفصاحة والبلاغة أكبر المعاندين وأقوى المعارضين حال كونه ملقيا متلقيا بالسلامة، وكان بريئا من الملامة، روي أن الوليد بن المغيرة كان بين قريش في غاية الفصاحة، فجاء إلى النبي عليه السلام ذات يوم لقصد المعارضة في البلاغة، فقال للنبي عليه السلام: اقرأ عليّ، فقرأ عليه قوله تعالى: ﴿إِنَّ اللّٰهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسٰنِ وَإِيْتَآئِ ذِى الْقُرْبٰى﴾ الآية [النحل: ٩٠]، فاستعاده، فأعاده صلى الله تعالى عليه وسلم، فقال: والله! إنّ له لحلاوة وأنّ عليه لطلاوة، وأن أعلاه لمثمر، وأن أسفله لمغدق ما يقول هذا بشر، وسكت وقام من المجلس، ولم يقل شيئا غير هذا. وحكي عن يحيى بن حكيم أنه رام شيئا من المعارضة للقرآن، فنظر في سورة الإخلاص ليأتي بمثالها، أو ينسج بزعمه على منوالها، فاعترته روعة وهيبة من الله، فتاب وعاد عن نيته، وروي أنهم أتوا السورة القارعة بنظيرة في زعمهم، وهي قولهم: الفيل ما الفيل، وما أدراك ما الفيل، له ذنب قصير، وخرطوم طويل، أن ذلك من خلق الله لَقَلِيْل، ولقوله تعالى: ﴿وَلَكُمْ فِى الْقِصَاصِ حَيٰوةٌ﴾ [البقرة: ١٧٩]، بقولهم القتل أَنْفَى للقتل، ثم تفكروا، ووجدوا في قولهم: نقائص كثيرة، فبعد التفكر بهتوا، وسخروا تسخيرا، تعالى الله عما يقول الظالمون علوا كبيرا.

(٩٦) رَدَّتْ بَلاَغَتُهَا دَعْوَى مُعَارِضِهَا ... رَدَّ الغَيُوْرِ يَدَ الْجَانِيْ عَنِ الْحَرَم

لَمَّا بيّن كون الآيات تدفع المعارضة بل تعيد إليها أعداءها أراد أن يبين ما تدفع به الخصوم من أرباب البلاغة والعلوم فقال: «ردت بلاغتها... إلخ»، «**ردت**» بمعنى منعت ودفعت، و«**البلاغة**» في اللغة: ما ينبئ عن الوصول والانتهاء، وفي الاصطلاح: البلاغة في الكلام مطابقته لمقتضى الحال مع فصاحته، وفي المتكلم: ملكة يقتدر بها على تأليف كلام بليغ. وضمير «بلاغتها» راجع إلى الآيات، فالمصدر مضاف إلى فاعله. و«**دعوى**» بالنصب مفعول ردت، والمراد من الدعوى المقاومة بإتيان مثله، فالمعارض بمعنى المتصدي لإتيان مثله، والضمير للآيات، و«**رد**» بالنصب صفة مصدر محذوف أي: ردًّا مثل رد الغيور، والمراد تشبيه الرد بالرد، وهو مضاف إلى فاعله، و«**الغيور**» صيغة مبالغة من الغيرة بمعنى شديد الغيرة وهو صفة موصوفه محذوف أي: رد الرجل الغيور، وعن أبي هريرة قال: قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم: ((إنّ الله يَغَارُ وإنّ المؤمنَ يَغَارُ))[١٣٤] وقد جاء أيضا في الخبر: ((إنّ الله غيور يحب الغيور))[١٣٥]، والغيرة: في الأصل كراهية مشاركة الغير في حق من الحقوق، وغيرة الله: منعه عبده من الإقدام على الفواحش، وغيرة المؤمن: هيجان وانزعاج في قلبه يحمله على منع التحريم من الفواحش ومقدماتها ممن هو ساكن في بيته، و«يد الجاني» بالنصب مفعول «رد»، والمراد من «اليد» التصرف بذكر السبب وإرادة المسبب لأن اليد سبب للتصرف، وتصرف الجاني عام للفواحش كالزنا واللواطة ومقدماتهما كالتقبيل واللمس والنظر، والمراد من الجاني من يأتي الجناية لمحرم الغير، و«عن الحرم» متعلق بـ«رد»، و«**الحرم**» بفتحتين بمعنى محرم الرجل، وقرئ بضم الحاء وفتح الراء على أنه جمع حرمة، وهي ما يكون في حريم الرجل.

و**حاصل المعنى:** أن الآيات ردت بلاغتها وفصاحتها دعوى معارضها ومقابلها مثل رد من وصف بكمال الغيرة ونهاية الحمية مديد الجاني وتصرف الخائن الباغي عن حول حريم حرمه وعن الوصول إلى حصول حرمه، ثم اعلم! أنه حكي أن ابن المقنع وكان

(١٣٤) "صحيح مسلم"، كتاب التوبة، باب غيرة الله تعالى وتحريم الفواحش، الحديث: ٢٧٦١، صـ ١٤٧٦.

(١٣٥) "كنز العمال"، كتاب الفضائل، باب فضل عمر بن الخطاب، الحديث: ٣٢٧٤٣، ١١/٢٦٥.

أفصح أهل وقته طلب المعارضة للقرآن، ونظم كلاما، وجعله مفصلا، وسماه سورا، فمرّ يوما على مكتب يقرأ فيه صبي قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَرۡضُ ٱبۡلَعِي مَآءَكِ وَيَٰسَمَآءُ أَقۡلِعِي﴾ الآية [هود: ٤٤]، فقال: إن هذا لايعارض أبدا، وما هو من كلام البشر، ومن تفحص كتب الأنام في أحاديثه عليه الصلاة والسلام وجد فيها كلاما كثيرا يناسب لهذا المقام.

(٩٧) لَهَا مَعَانٍ كَمَوْجِ الْبَحْرِ فِيْ مَدَدٍ ... وَفَوْقَ جَوْهَرِهِ فِي الْحُسْنِ وَالْقِيَم

لَمَّا بيّن كون ألفاظ القرآن في أعلى طبقات البلاغة والفصاحة توهم أن قائلا قال: هل كانت معانيه مناسبة لهذه الألفاظ الموصوفة بالبلاغة والمنعوتة بالفصاحة فقال: «لها معان... إلخ»، «لها» خبر مقدم، و«**معان**» مبتدأ مؤخر، والتنوين للتكثير والتعظيم، والمراد من المعاني المقاصد وما تتضمن من الحقائق والفوائد. و«كموج البحر» ظرف مستقر صفة معان، و«**الموج**» مصدر ماج البحر بمعنى اضطرب، ويقال لكل فرقة مآء ارتفعت منه، وهو هاهنا كناية عن الكثرة وعدم النهاية و«في مدد» متعلق بالكاف في «كموج» و«**المدد**» بفتحتين بمعنى النصرة والعون، فإن كل موج في البحر يمد موجا آخر، وكذلك القرآن يفسر بعضه بعضا، ويمد بعضه بعضا، و«**فوق**» ظرف مرفوع المحلي بالعطف على الكاف فيكون صفة بعد صفة لآيات. والتقدير وللآيات معان كانت وثبتت فوق جوهره، و«الجوهر» قد مر غير مرة، والضمير للبحر، وجوهر البحر ما يستخرج منه من اللؤلؤ والمرجان، و«في الحسن» متعلق بالزيادة التي تضمنها لفظ فوق، و«**القيم**» بكسر القاف وفتح الياء جمع قيمة.

و**حاصل المعنى:** أنّ الآيات البيّنات لها معان كثيرة كموج البحر في الإزدياد وعدم النفاد وأحكام حسنة فوق جواهر البحر من اللؤلؤ والمرجان في الحسن والقيمة كما لايخفى على أهل العرفان لأنّ الجواهر وإن كانت في صفة عالية يوجد لها قيمة ولو كانت غالية بخلاف الآيات ومعانيها وعجائبها ومحاسنها، ولذا قال بعض أهل الحال: لو ظهرت حقيقة معانيها لم تطق سطوات نورها السموات والأرض ولذا قال الله تعالى: ﴿لَوۡ أَنزَلۡنَا هَٰذَا ٱلۡقُرۡءَانَ عَلَىٰ جَبَلٖ لَّرَأَيۡتَهُۥ خَٰشِعٗا﴾ الآية [الحشر: ٢١]، لكن الله تعالى ستر أنوار تلك الحقيقة بكسوة صورة الحروف لتطيقها القلوب والألسن، فكما أن شرف الأبدان إنما

يكون بشرف الأرواح، فكذلك شرف الحروف إنما هو بشرف معانيها وروي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم: ((إنّ القرآن لا يَشْبَعُ منه العلماء))[١٣٦] قيل: لكمال لذته ونهاية حلاوته ولما فيه من الأسرار العجيبة والبدائع الغريبة والأساليب المستحسنة والعجائب المستكملة.

(٩٨) فَلاَ تُعَدُّ وَلاَ تُحْصَى عَجَائِبُهَا ... وَلاَ تُسَامُ عَلَى الإِكْثَارِ بِالسَّأَمِ

لَمَّا توهّم من تشبيه معاني الآيات كموج البحر كون معانيها متناهية إذ موج البحر متناه مع أن معاني الآيات غير متناهية بالاتفاق أراد دفعه بتفصيل ما قبله فقال: «فلا تعد ولاتحصى... إلخ»، «**تعد**» و«**تحصى**» كلاهما على صيغة المجهول، فالأول من العد، والثاني من الإحصاء، والفرق بينهما أن الأول العد واحدا واحدا، والثاني جملة جملة، و«**عجائبها**» بالرفع جمع عجيبة وهو ما يتعجب منه، وكذلك العجاب بالتخفيف والتشديد والأعجوبة، وضميرها راجع إلى الآيات يعني أن الآيات لا تعد عجائبها، ولاتحصى غرائبها من العلوم الغريبة والأسرار العجيبة والدقائق اللطيفة في كل حد وزمان وجميع وقت وآن وقوله: «ولا تسام» دفع لتوهم مقدر، وهو أنّ القرآن إذا كان مشتملا على معان كثيرة لاتعد ولاتحصى تترك لإعطائها الملالة لناظرها، وتقرير الجواب ظاهر. و«**لا تسام**» مضارع مجهول على صيغة التأنيث أي: لا تترك لأنّه من «سامت السائمة» إذا تركت على حالها أو بمعنى لا يقاس منها ولا يتعب، فالضمير على كلا المعنيين راجع إلى الآيات، و«**على الإكثار**» متعلق بـ«تسام»، و«على» بمعنى مع كما في قوله تعالى: ﴿وَيُطْعِمُوْنَ الطَّعَامَ عَلٰى حُبِّهٖ﴾ الآية [الدهر: ٨]، والإكثار: الإتيان بالكثير، والألف واللام عوض عن المضاف إليه أي: إكثارها، و«بالسأم» الباء سببية متعلقة بـ«لاتسام» و«**السأم**» بفتحتين السآمة والملالة يعني: أنّ الآيات لكونها في أعلى طبقات المعجزات لا تترك بالملالة من إكثارها بل كلما ازدادت ازداد فرح قارئها، وفي البيت تلميح إلى قوله عليه السلام: ((إن هذا القرآن لا تنقضي عجائبه ولا يخلق من كثرة الترداد))[١٣٧] يعني: أنّ

(١٣٦) "شعب الإيمان" للبيهقي، باب في تعظيم القرآن، فصل في تعليم القرآن، الحديث: ١٩٣٥، ٣٢٥/٢.

(١٣٧) "سنن الدارمي"، ومن كتاب فضائل القرآن باب فضل من قرأ القرآن، الحديث: ٣٣١٥، ٥٢٣/٢.

القرآن لا تنتهي غرائبه لجميع العلماء في جميع الأزمان قال تعالى: ﴿لَنَفِدَ الْبَحْرُ قَبْلَ اَنْ تَنْفَدَ كَلِمٰتُ رَبِّيْ وَلَوْ جِئْنَا بِمِثْلِهٖ مَدَدًا﴾ [الكهف: ١٠٩]، وقال تعالى: ﴿وَلَوْ أَنَّ مَا فِي الْأَرْضِ مِنْ شَجَرَةٍ أَقْلٰمٌ وَّ الْبَحْرُ يَمُدُّهٗ مِنْۢ بَعْدِهٖ سَبْعَةُ أَبْحُرٍ مَّا نَفِدَتْ كَلِمٰتُ اللهِ﴾ [لقمن: ٢٧]، قال بعض الحكماء: لكل آية سبعون معنى، وعن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما: ((أنّ هذا القرآن ذو شجون وفنون وظهور وبطون لا تنقضي عجائبه، ولا تبلغ غايته))[١٣٨]، وكذلك أنّ هذا القرآن لا يمل قارئه ولا يسأم من تكرار تلاوته واستماعه، ولا يذهب رونقه وبهجته كما في كلام الخلائق بل كلما ازداد التكرار ازداد الحسن ولا تتغير حروفه بتكرار التلاوة والتدريس من العلماء والجهلاء والأعراب والأعجام بل يرد الخطأ إلى الصواب كما في حديث الجامع الصغير ((إذا قرأ القاري فأخطأ ولحن أو كان أعجميا كتبه الملك كما نزل))[١٣٩]، وفي معنى هذا البيت قول الشيخ أبي القاسم الشاطبي في وصف القرآن ولله در:

وَخَيْرُ جَلِيسٍ لا يُمَلُّ حَدِيثُهُ		**وَتَرْدَادُهُ يَزْدَادُ فِيهِ تَجَمُّلا**

(٩٩) قَرَّتْ بِهَا عَيْنُ قَارِيهَا فَقُلْتُ لَه ... لَقَدْ ظَفِرْتَ بِحَبْلِ اللهِ فَاعْتَصِمِ

لَمَّا بيّن في الأبيات السابقة فضائل الآيات أراد أن يبين بعضا من فواضلها السارية إلى الغير فقال: «قرت بها... إلخ»، «**قرت**» فعل ماض من القرة بمعنى البرودة يقال: قرت عينه، تقر بالفتح والكسر قيل: هو كناية عند العرب عن الراحة لأن بلادهم كانت حارة جدا فالراحة عندهم في البرودة، ولايخفى أنه يكون على هذا في إسناد قرت إلى العين برودة جدا، والأظهر أنه كناية عن السرور، فإن دمعة السرور باردة، ودمعة الحزن حارة، ولذلك يقال: قرة العين للمحبوب، وسخنة العين للمكروه، ذكره القاضي وغيره من أهل التفسير في قوله تعالى: ﴿وَقَرِّيْ عَيْنًا﴾ [مريم: ٢٦]، ويجوز أن يكون قرت بمعنى ثبتت وصارت عينه ذات قرار أي: مستقرة لا تميل إلى الجوانب لطيب ما تنظر إليه، والباء في «بها» للسببية، والضمير للآيات، وفيه حذف مضاف أي: بقراءتها أو بنظرها، و«**العين**»

(١٣٨) "الاتقان في علوم القران" فصل في معرفة شروط المفسر، ٥٦١/٢

(١٣٩) "الجامع الصغير"، حرف الهمزة، الحديث: ٧٩٢، صـ ٥٥.

بالرفع فاعل قرت، والمراد بها الباصرة على كلا المعنيين في قرت، ومن جعله بمعنى النفس على التقدير الثاني فقد وقع في تكلف فوق التكلف. ثم إن «قرت» في معناه الأصلي أعني المضي، والمعنى: كان قارئها مسرورا بسبب قراءتها ويحتمل أن يكون إخبارا لفظا وإنشاء معنى أي: لتقر فتدبر. و«قارئها» أسكن همزته لضرورة الشعر ثم أبدلت بالياء، والضمير للآيات. والفاء في «**فقلت**» للفصيحة، و«قلت» على صيغة التكلم أي: إذا كان قارئها مسرورا بسبب قراءتها فوجب أن أقول له أي: لقارئها على وجه الرغبة أو على طريق الغبطة، والله لقد ظفرت، فاللام توطئة للقسم، و«**ظفرت**» على صيغة الخطاب خطابا لقارئها بمعنى وجدت الفوز والنجاة من كل المكاره والمفاسد ونلت جميع المطالب والمقاصد. والباء في «بحبل الله» متعلق بـ«اعتصم»، والحبل: بمعنى الآيات والشرائع على سبيل المجاز والاستعارة بأن شبه الآيات بالحبل القوي الممدود منه تعالى إلى العباد في الإيصال إلى المطلوب، ثم استعير الحبل لمفهوم الآيات، وذكر الحبل وأريد الآيات، وإضافة الحبل إلى لفظة الله قرينة هذه الاستعارة. وقوله: «**فاعتصم**» الفاء جواب شرط محذوف، و«اعتصم» أمر حاضر من اعتَصَمَ والمراد من الاعتصام هنا هو العمل بموجبها بطريق الاستعارة فليتأمل. وفي البيت تلميح إلى قوله عليه الصلاة والسلام: ((إني قد تركت فيكم ما إن اعتصمتم به فلن تضلوا أبدا كتاب الله وسنة رسوله))[140] عليه الصلاة والسلام وإلى قولي عليه السلام: ((وهو)) أي: القرآن ((حبل الله المتين وهو الذكر الحكيم وهوالصراط المستقيم))[141] الحديث، وإلى قوله عليه الصلاة والسلام: ((إنّ هذا القرآن مأدبة الله فاقبلوا مأدبته ما استطعتم إن هذا القرآن حبل الله المتين والنور المبين والشفاء النافع عصمة لمن تمسك به ونجاة لمن تبعه))[142] الحديث، وفي معنى هذا البيت قول الشيخ الشاطبي:

وَقَارِئُهُ الْمَرْضِيُ قَرَّ مِثَالُهُ		كَالاتْرُجِ حَالَيْهِ مُرِيْحاً وَمُوكِلا
وَبَعْدُ فَحَبْلُ اللهِ فِينَا كِتَابُهُ		فَجَاهِدْ بِهِ حَبْلَ الْعِدى مُتَحَبِّلا

(١٤٠) "السنن الكبرى" للبيهقي، كتاب آداب القاضي، باب ما يقضي به ... إلخ، الحديث: ٢٠٣٣٦، ١٠/١٩٤.
(١٤١) "سنن الترمذي"، كتاب فضائل القرآن، باب ما جاء في فضل القرآن، الحديث: ٢٩١٥، ٤/٤١٤.
(١٤٢) "المستدرك على الصحيحين"، كتاب فضائل القرآن، باب أخبار في فضائل القرآن، الحديث: ٢٠٨٤، ٢/٢٥٦.

(١٠٠) إنْ تَتْلُهَا خِيْفَةً مِنْ حَرِّ نَارِ لَظَى ... أَطْفَأْتَ نَارَ لَظَى مِنْ وِرْدِهَا الشَّبِمِ

لَمَّا فرغ من بيان بعض فضائل الآيات وفواضلها أراد أن يبين أيضا بعضا من خواصها وجعلها داخلة في سلك فواضلها فقال: «إن تتلها خيفة... إلخ»، «**إن**» شرطية، و«**تتلها**» مضارع من تلا بمعنى قرأ على صيغة الخطاب، خطاب لقارئها المقدم وأصله تتلوها فسقط الواو للجزم، والضمير إلى الآيات و«**خيفة**» بالنصب على أنه مفعول له حصولي لتتلها والخيفة كالخوف بمعنى الخشية، و«من» متعلق بـ«خيفة»، وإضافة الحر إلى النار لامية، و«**لظى**» عَلَم من أعلام جهنم أو طبقة من طبقاتها، وهي غير منصرفة للتأنيث والعلمية، ومن قال: يمكن أن يكون لظى فعلا، وهو مع فاعله صفة «نار» فلم يشم رائحة من علم العروض مع ما فيه من المخالفة للقواعد المشهورة بين العوام وأهل الفيوض. فإن قلت: لم خص «لظى» بالذكر دون سائرها؟ قلت: لكون حرارة لظى شديدة بالنسبة إلى سائر الدركات كما ذكره بعض الشارحين تأمل. و«**أطفأت**» جزاء الشرط، وهو أيضا على صيغة الخطاب، و«نار لظى» بالنصب مفعول أطفأت، فإن قيل: لم أتى بالظاهر مقام الضمير لأنّ الظاهر أن يقول: أطفأت نارها؟ قلت: لئلا يلتبس في المرجع أو لئلا يلزم تفكيك الضمائر، ووقع في بعض النسخ «حر لظى» والأول أنسب بالإطفاء، و«من وردها» كلمة «من» أجلية متعلقة بأطفأت، و«**الورد**» بكسر الواو بمعنى الإشراف على الماء، والمصدر هنا بمعنى المفعول أي: المورود، فالمراد منه الماء، والضمير راجع إلى الآيات، وفيه استعارة بالكناية بأن شبه الآيات في الذهن بالماء في كونهما سببا للحياة، فاستعير الماء للآيات في الذهن، وذكر في الخارج المشبه وترك المشبه به، ثم أثبت الورد الذي هو من ملائم المشبه به للمشبه فيكون تخييلية، ويكون الشبم ترشيحا لهذه الاستعارة، ويجوز أن يكون الورد بمعنى ورد القرآن، وهو قراءة من القرآن في كل يوم على سبيل الإدمان، ويؤيد هذا المعنى إضافته إلى الضمير الراجع إلى القرآن، ووصف الورد بالشَبِم بفتح المعجمة وكسر الموحدة أي: البارد يقوي المعنى الأول، ولكل وجهة هو مُولّيها لكن يكون شبم على المعنى الثاني بمعنى الدافع للحرارة لايخفى.

وحاصل معنى البيت: إن تقرأ الآيات القرآنية والبينات الفرقانية خشية من حرارة النار وعذاب الملك الجبار أطفأت نارها ودفعت ضرها من أجل ملازمتك ورد القرآن الدافع حرارة النيران، ثم اعلم! أنّ الفقهاء قالوا: الأفضل في قراءة القرآن أن يقرأ من المصحف لا عن ظهر القلب لأن في إمساك المصحف عمل اليد وكذا في حمله وفي نظره عمل البصر ويعين على تأمل معانيه، ولهذا كان أكثر الصحابة يقرءون من المصحف وعن علي رضي الله تعالى عنه: ((ثلاث يزدن في الحفظ ويذهبن البلغم السواك والصوم وقراءة القرآن))[١٤٣] ويقال: النظر إلى العلماء والقرآن عبادة كالنظر إلى الكعبة، وقال عليه السلام: ((اتلوه فإن الله تعالى يؤجر على تلاوة كل حرف عشر حسنات))[١٤٤] الحديث، وبعض الصالحين قال: كنت ليلة في وقت السحر أقرأ سورة طه فلما ختمها أخذتني سنة فرأيت شيخا نزل من السماء بيده صحيفة، فنشرها بين يدي، فإذا فيها سورة طه، وإذا تحت كل كلمة عشر حسنات مثبتة إلا كلمة واحدة فإني رأيت مكانها محوا ولم أر تحتها شيئا فقلت: والله! لقد قرأت هذه الكلمة ولا أرى لها ثوابا، ولا أدري حكمتها، فقال الشيخ: صدقت ليلة قرأتها وكتبناها إلا أنا سمعنا مناديا ينادي من قِبَل العرش امحوها وأسقطوا ثوابها فمحوناها قال: فبكيت في منامي وقلت: لم فعلتم ذلك؟ قالوا: مر رجل، فرفعت بها صوتك لأجله، فذهب به ثوابها انتهى. وذكر في "المقامات" ((أنه أتى رجل إلى النبي عليه الصلاة والسلام فقال: يارسول الله! ما جزاء من علم ولده القرآن؟ فقال عليه السلام القرآن كلام الله لا منتهى له لا أعلم حتى يأتيني جبريل فلما أتاه سأله عنه قال لا أعلم حتى أسأل رب العزة فنزل جبريل فقال: يا محمد إن الله يقرؤك السلام، فيقول جزاء من علم ولده القرآن أنه يعطي بكل حرف مدينة في الجنة من الذهب فيها ألف قصر في كل قصر ألف بيت))[١٤٥] وجاء في حديث صحيح ((من قرأ القرآن وعمل بما فيه ألبس والداه تاجا يوم القيامة ضوءه أحسن من ضوء الشمس))[١٤٦]، ولذا قال الشاطبي:

---

(١٤٣) "إحياء علوم الدين"، كتاب آداب تلاوة القرآن، الباب الأول في فضل القرآن وأهله... إلخ، ٣٦٤/١.

(١٤٤) "المستدرك على الصحيحين"، كتاب فضائل القرآن، باب أخبار في فضائل القرآن، الحديث: ٢٠٨٤، ٢٥٦/٢.

(١٤٥) لم نجده. [علمية]

(١٤٦) "سنن أبي داؤد"، كتاب الوتر، باب في ثواب قراءة القرآن، الحديث: ١٤٥٣، ١٠٠/٢.

هَنِيئاً مَرِيئاً وَالِدَاكَ عَلَيْهِمَا	مَلَابِسُ أَنْوَارٍ مِنَ التَّاجِ وَالْحُلى
فَمَا ظَنُّكُمْ بِالنَّجْلِ عِنْدَ جَزَائِهِ	أُولَئِكَ أَهْلُ اللهِ وَالصَّفْوَةُ الْمَلا

(١٠١) كَأَنَّهَا الْحَوْضُ تَبْيَضُّ الْوُجُوْهُ بِهِ ... مِنَ الْعُصَاةِ وَقَدْ جَاؤُهُ كَالْحُمَمِ

لَمَّا فرغ من بيان بعض فضائلها وفواضلها وخواصها أراد أن يبين بعضا من شفاعتها يوم القيامة للعصاة فقال: «كأنها الحوض... إلخ»، «كأنّ» للتشبيه، والضمير للآيات، و«الحوض» مجاز أي: ماءه وألف واللام في الحوض للعهد، فالمراد الكوثر الذي وعد له عليه السلام، وهو ثابت بإجماع أهل السنة والأحاديث الصحيحة كقوله عليه السلام: ((حوضي مسيرة شهر وزواياه سواء، وماؤه أشد بياضا من اللبن، وريحه أطيب من المسك، وكيزانه أكثر من نجوم السماء من شرب منه لا يظمأ أبدا))[١٤٧]، وفي تقديم الحوض على الصراط ترجيح لقول من قال: إن الحوض مقدم في الحشر على الصراط إذ فيه اختلاف قال القرطبي: ذهب صاحب "القوت" وغيره إلى أنّ الحوض بعد الصراط، والصحيح أنّه قبله، وكذا قال الغزالي: ذهب بعض السلف إلى أن الحوض يورد إليه بعد الصراط، وهو غلط من قائله قال القرطبي: المناسب لكون الناس يخرجون من قبورهم عطاشا تقديم الحوض، وقيل: هو إثنان في القيامة، وفي الجنة، وقيل: هو في الجنة لكن ينقل من الجنة إلى العرصات ومن العرصات إلى الجنة وقيل: هو في ظهر ملك يسير إلى أين سار النبي عليه الصلاة والسلام. قوله: «**تبيض**» بيان لوجه الشبه يعني أن الآية مشبهة بالحوض في تبييض الوجه، وجملة «تبيض» بالرفع صفة الحوض، فإن قلت: كيف يجوز جعل جملة تبيض صفة للحوض مع أنه لا مطابقة بينهما في التعريف والتنكير إذ الجملة نكرة؟ قلت: قد حقق في محله أن الصفة ثنتان صفة خاصة للموصوف وصفة عامة له، فالمطابقة إنما تلزم في الثاني لا في الأول، والصفة هاهنا من قبيل الأول كما لايخفى. و«الوجوه» إما على حقيقتها، وإما المراد بها ذواتها على طريق المجاز اللغوي أو الحذفي، ويؤيد الثاني بيانها بالعصاة و«**به**» متعلق بـ«تبيض»، والضمير للحوض. و«**من العصاة**» بيان

---

(١٤٧) "صحيح البخاري"، كتاب الرقاق، باب في الحوض، الحديث: ٦٥٧٩، ٢٦٧/٤. "مشكاة المصابيح"، كتاب أحوال القيامة وبدء الخلق، باب الحوض والشفاعة، الفصل الأول، الحديث: ٥٥٦٧، ٣١٨/٢.

للوجوه، والعصاة جمع عاص كالغزاة جمع غاز، والواو في «وقد جاؤه» للحال، وضمير الجمع راجع إلى العصاة، والمفعول راجع إلى الحوض، والكاف للتشبيه، و«**الحمم**» بضم الحاء وفتح الميم جمع حممة كتهمة، وهي بمعنى الفحم، والفرق بينها وبين الفحم أن الفحم يقال: لما بقي بعد احتراق الحطب، والحممة لما بقي بعد احتراق الفحم، وأما الحمة التي بكسر الحاء، فهي بمعنى الماء الحار الذي يخرج من الأرض يستشفي به المعلولون والمرضى قال عليه السلام: ((العالم كالحمة يتجنب عنها القرباء ويتقرب إليها البعداء))[١٤٨]. وفي البيت إشارة إلى ما في الخبر من أنّ بعض عصاة المؤمنين يدخلون النار، ويحترقون فيها قدر ذنوبهم، فيخرجون منها، فيلقون في نهر الحياة، وفي رواية: فيصب عليهم ماء الحياة، فيذهب السواد عنهم، ويظهر البياض، وهذا من فضل ربنا الفياض.

و**حاصل معنى البيت**: أن الآيات البينات تشفع للعصاة يوم العرصات كما يشفي حوض نبينا للعصاة الخارجين من النار بتبييض وجوههم قبيل الدخول إلى دار القرار وفيه إشارة إلى قوله عليه السلام: ((القرآن شافع مشفع، ومَاحِلٌ مصدق فإن من جعله إمامه أوصله إلى الجنة، ومن جعله خلف ظهره ساقه إلى النار))[١٤٩] يعني أن القرآن شافع يوم القيامة لصاحب الكبيرة والصغيرة ورافع لدرجات من يتلوه ويعمل به وشاك بليغ مصدق في شكايته لمن يضيعه بعدم العمل وعدم القراءة والنسيان وعدم الترتيل، وعن الزهري: من شهد عليه القرآن بالتقصير فهو في النار، فإن قيل: كيف يمكن شفاعة القرآن في القيامة لأنه إن أريد بالقرآن الكلام النفسي فهو قائم به تعالى وكونه شافعا بإذنه تعالى يقتضي المغايرة له، وهو باطل، وإن أريد الكلام اللفظي فهو كالعرض في عدم البقاء، ولو سلم فلم يمكن انقلابه جوهر الامتناع انقلاب الحقائق؟ قلنا: أجيب عنه بأنه تعالى يجعل القرآن اللفظي في ذلك اليوم جسما في صورة يراها الناس كالأعمال عند الميزان وانقلاب الحقائق ليس بباطل مطلقا بل الباطل منه انقلاب الواجب إلى الممكن، والممكن إلى الواجب فليتأمل.

---

(١٤٨) "روح البيان" سورة الواقعة آيت، ٦٥

(١٤٩) "المعجم الكبير"، الحديث: ٨٦٥٥، ٩/١٣٢.

(١٠٢) وَكَالصِّرَاطِ وَكَالْمِيْزَانِ مَعْدِلَةً...فَالْقِسْطُ مِنْ غَيْرِهَا فِي النَّاسِ لَمْ يَقُمِ

ولَمَّا بيّن فوائد الآيات وخواصها النافعة يوم العَرَصات توهم أن يسئل ويقال: ألم يك للقرآن فوائد نافعة في الدنيا كما كانت في الآخرة؟ فقال مجيباً ودافعاً له: و«كالصراط... إلخ»، الواو عاطفة، و«كالصراط» معطوف على «كأنّها» يعني أنّ القرآن العظيم مشبّه بالصراط المستقيم في كونه موصلا إلى المطلوبات، والصراط جسر ممدود على متن جهنم يعبره الأولون والآخرون من المؤمنين والكفار، والنبي عليه السلام قائم عليه قائلا: يارب سلم سلم، وهو أدق من الشعرة، وأحد من السيف، والناس في جوازه متفاوتون، وروي أنه يكون على بعض الناس أدق من الشعرة، وعلى بعض مثل الوادي الواسع بل بعض يمر عليه ولا يعلمه، وفي جعل الصراط مشبها به رد للمعتزلة حيث أنكروا الصراط، وقالوا: بأنّه لا يمكن العبور على مثل ذلك، فإيجاده عبث، ولو أمكن ففيه تعذيب للمؤمنين والأنبياء، و رد بأن العبور عليه ممكن، والأنبياء والمؤمنون يمرون عليه من غير تعب، و«**الميزان**» عبارة عما يعرف به مقادير الأعمال، والعقل قاصر عن إدراك كيفيته قيل: توزن كتب الأعمال، وقيل: تجعل الحسنات أجساما نورانية والسيئات ظلمانية، وقيل: يوزن العبد مع عمله مرة بالخير ومرة بالشر. وقوله: «**معدلة**» تمييز من الإضافة في «كالميزان» لا في «كالصراط» وهو مصدر ميمي أو اسم آلة. والمعنى: أن الآيات تشبه الميزان من جهة كونه معدلة، ففيه رد للمعتزلة أيضا لأنهم أنكروا الميزان، وقالوا: لا فائدة له ولا غرض، ويجوز أن يكون المراد من الصراط والميزان، جنس الصراط والميزان، فوجه الشبه بالصراط هو العصمة عن الوقوع في المكروه، والتوصل به إلى المطلوب، وبالميزان إقامة العدالة والتحاشي عن الظلم. وقوله: «**فالقسط**» تفريع عن التشبيه الثاني أي: إذا كان القرآن كالميزان في العدالة فالقسط... إلخ، و«القسط» من قسط يقسط كنصر ينصر بمعنى العدل، وأما القسط بمعنى الجور فمن قسط يقسط كجلس يجلس، ولذا روي أن الحجاج دعا سعيد بن جبير، فجاء إليه، فقال الحجاج له: كيف تعلمني يا سعيد! قال: إنك قاسط عادل فاستحسن أهل المجلس جواب سعيد فقال الحجاج: لا، لأنّه أراد بقوله: «إنك قاسط» معنى إنّك جائر وظالم كما في قوله تعالى: ﴿وَأَمَّا الْقَاسِطُوْنَ

﴿فَكَانُوا۟ لِجَهَنَّمَ حَطَبًا﴾ [الجن: ١٥]، وأراد بقوله: «عادل» عادل عن الحق ومنصرف عنه انتهى. وقوله: «**من غيرها**» ظرف مستقر صفة «قسط»، والضمير للآيات. و«في الناس» متعلق بـ«لم يقم» قدم للضرورة، أو للقسط أي: العدل فيما بين الناس. و«**الناس**» اسم للبشر، وهو إما من النسيان أو من الأنس، ويؤيده قوله:

وَمَا سُمَّي الإنسانُ إلا لأُنْسِهِ		وَمَا القَلْبُ إلا أنَّه يَتَقَلَّبُ

وإنما خص الإنسان بالذكر لكون احتياجهم إلى القرآن أكثر من الجان أو لشرافتهم منه، ثم إن المراد من الناس، المعهود أعني أمة نبينا محمد عليه السلام دون سائر الأمم بقرينة السباق واللحاق و«**لم يقم**» بمعنى لم يدم ولم يتحقق.

وحاصل معنى البيت: أن الآيات البينات كالصراط في تمييز الحق من الظلمة وكالميزان من جهة العدالة ورفع الخصومات، فإذا كان كذلك فطلب العدالة في الدنيا بين الناس من غير هذا القرآن الذي كالمقياس لم يثبت ولم يدم بل الإجماع بين الخلق على غير ذلك لم يقم، فقيام الدنيا وأهلها إنّما هو بالعدالة، والعدالة قائمة بالشريعة، والشريعة إنّما قامت بالقرآن، فلو لم تكن الآيات ثابتة لما كانت الدنيا قائمة، ولما كانت الخصومات بين الخلائق دافعة.

(١٠٣) لاَ تَعْجَبَنْ لِّحَسُوْدٍ رَّاحَ يُنْكِرُهَا ... تَجَاهُلاً وَهُوَ عَيْنُ الْحَاذِقِ الْفَهِمِ

لَمَّا توهّم أن يورد في هذا المقام سؤال من طرف بعض بأن يقال: لو كانت الآيات متصفة بهذه الصفات لما أنكرها بلغاء قحطان ولا جحدها فصحاء عدنان؟ أجاب عن هذا السؤال بجواب مطابق للواقع وقاطع لشبهة السائل ودافع فقال: «لا تعجبن... إلخ» «**لا تعجبن**» نهي حاضر مؤكد بنون مخففة أي: لا يكن لك عجب، و«**لحسود**» متعلق به، والحسود على وزن الصبور يقال: لرجل «له حسد شديد»، والفرق بين الحسد والغبطة أن الأول يستعمل في تمني زوال نعمة الغير أو تمني تحويل نعمة الغير إلى نفسه، والثاني يستعمل في تمني مثل نعمة الغير بلا تمني زوالها عنه. و«**راح**» بمعنى صار، واسمه تحته راجع إلى الحسود، وجملة «ينكرها» خبره، وضمير الفاعل في «ينكر» راجع إلى الحسود أيضا، والمفعول راجع إلى الآيات و«**تجاهلاً**» بالنصب مفعول لـ«ينكر»،

والتجاهل إظهار الجهل، وليس له جهل في الواقع لأنّ الكفار كانوا يعرفون حقية الآيات من بلاغتها وفصاحتها وإخبارها عن المغيبات كما يعرفون أبناءهم لكن يظهرون الجهل، وينكرونها عنادا واستكبارا، والواو في «وهو» للحال، والضمير راجع إلى الحسود، و«العين» هاهنا بمعنى النفس والذات من بين معانيها وإضافته إلى «الحاذق» من قبيل شجر الأراك، والحاذق بمعنى الماهر. و«**الفهم**» بالكسر صفة الحاذق، وهو بمعنى كثير الفهم وشديد العقل والانتقال، وفائدة الإتيان بهذا القيد أعني قوله: «وهو عين... إلخ» قطع كون إنكاره من جهله لا من عناده مع أن في هذا القيد تعظيما للقرآن العظيم من جهة كون عدو الشيء عظيما يدل على عظم ذلك الشيء كما لايخفى على أهله.

(١٠٤) قَدْ تُنْكِرُ الْعَيْنُ ضَوْءَ الشَّمْسِ مِنْ رَمَدٍ...وَيُنْكِرُ الْفَمُ طَعْمَ الْمَاءِ مِنْ سَقَمِ

فلَمَّا كانت علة نهي التعجب من إنكار الحسود خفية أراد أن يبينها بتمثيل المعقول بالمحسوس وإتيان نظير له من المانوس فقال: «قد تنكر العين ضوء الشمس... إلخ» و«قد» للتقليل، و«تنكر» من الإنكار، و«**العين**» هاهنا بمعنى الباصرة، و«**الضوء**» بمعنى النور، وإنما قال: «ضوء الشمس»، ولم يقل: نورها؛ لأن الضياء أقوى وأتم من النور، فبَيْن النور والضياء فرق إذ النور كيفية ظاهرة بنفسها مظهرة لغيرها والضياء أقوى منه، ولذلك أضيف إلى الشمس في قوله تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي جَعَلَ الشَّمْسَ ضِيَاءً وَالْقَمَرَ نُورًا﴾ [يونس: ٥]، وقد يقال ينبغي أن يكون النور أقوى على الإطلاق لقوله تعالى: ﴿اللَّهُ نُورُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾، الآية [النور: ٣٥]، وأنت خبير بأن هذا إنما يتم إذا لم يكن معنى النور في الآية المنور، وقد حمله أهل التفسير على ذلك يفرق بينهما بأن الضياء ضوء ذاتي، والنور ضوء عارضي تأمل. و«**الشمس**» كوكب نهاري مضيء للعالم، وقد سبق تفصيلها، و«من رمد» «من» منشئية متعلق بـ«تنكر»، و«**الرمد**» بفتحتين وجع العين، يقال: رمدت العين من الباب الرابع إذا هاجت، ثم إن في هذا المصراع تشبيه الحسود المنكر للآيات لتجاهله بعين فيها رمد في كونهما مشتملين على ما يضر ولا ينفع ويورث لصاحبه إنكار شيء ظاهر، وتشبيه الآيات بضوء الشمس في الظهور وعدم الخفاء والاشتهار عند الصغار والكبار، وتشبيه التجاهل بالرمد في إيراث الأذى لصاحبه، وإيراث إنكار أمر باهر وظاهر، ثم اعلم! أنه

يمكن أن يرتب هاهنا قياس تعبيره هكذا الحسود مثل من في عينه رمد والآيات مثل ضوء الشمس والتجاهل مثل الرمد، وكل من كان مثل من في عينه رمد ينكر من كان مثل ضوء الشمس مما هو مثل الرمد ينتج الحسود كان ينكر الآيات من التجاهل، وقوله: «وينكر» الواو عاطفة، والجملة معطوفة على جملة «تنكر» الأولى، و«**الفم**» يقرأ بتشديد الميم للضرورة، وأصل «فم» فوه على وزن «سوط»، فحذف الهاء تخفيفا لشبهها بحرف اللين فبقي الاسم على حرفين، فلم يروا إيقاع الإعراب عليه لئلا تثقل اللفظة فأبدلوا من الواو ميما، فقالوا: فَمٌ لأن مخرجهما من الشفة، والدليل على أن الأصل في فم الواو قولهم: «تفوهت بكذا» و«رجل أفوه»، وقولهم في تصغيره: فويه؛ لأنّ التصغير يرد الأشياء إلى أصولها، وقوله: «**طعم**» بالنصب مفعول «ينكر»، والطعم بمعنى اللذة، والماء اسم جنس يقع على القليل والكثير، و«من» منشئية متعلقة بـ«ينكر»، و«**السقم**» المرض، ثم إن في هذا المصراع أيضا تشبيه الحسود بفم في صاحبه مرض في كونه مشتملاً على ما يمنع على الوصول إلى ما هو الحق في الواقع، وتشبيه الآيات بالماء اللذيذ في كونه سببا لحياة كل شيء، وتشبيه التجاهل بالسقم في كونه مورثا للأذى إلى صاحبه وكونه مانعا من الوصول إلى الحق، وفيه أيضا يمكن ترتيب قياس كالأول فتأمل. ولا تكن من الحاسدين فإن الفضل بيد الله يؤتيه من يشاء.

(١٠٥) يا خَيْرَ مَن يَمَّمَ الْعَافُوْنَ سَاحَتَه ... سَعْياً وَفَوْقَ مُتُوْنِ الأَيْنُقِ الرُّسُمِ

لَمَّا اشتغل بذكر معجزاته وبيان ما هو من أعظم آياته أعني به الكتاب الذي هو البحر البسيط والقرآن الذي هو اليَمُّ المحيط وبعد ذكر ذات المحبوب اشتاق إلى تكرار بيان من هو المطلوب فأتى به مخاطبا بـ«يا» الدالة على الحضور لتحصيل العلم له من بيان أوصافه التي هي كالشمس في الظهور فقال: «يا خير من يمم... إلخ» كلمة «**يا**» وضعت لنداء البعيد، وقد ينادى بها القريب تنزيلا له منزلة البعيد إما إجلالاً له كما في قول الداعي: ياالله ويارب، وهو أقرب إليه من حبل الوريد استصغارا واستبعادا لها من محافل الزلفى، وإما تنبيها على غفلته وسوء فهمه، وقد يقصد به التنبيه على أنما يقصد أمر خطير يعتني بشأنه وما وقع هاهنا إما من قبيل الأول أو الثالث فتأمل. و«**خير**» اسم تفضيل

و«من» من ألفاظ العموم. و«**يمم**» بمعنى: قصد أي: يا خير من قصد، و«**العافون**» جمع العافي بمعنى السائل أي السائلون، و«**الساحة**» بالنصب مفعول يمم، وهو بمعنى حريم الدار، والضمير راجع إلى «مَن» «والساحة» من قبيل ذكر المحل وإرادة الحال إذ شرف المكان بالمكين، ولذا قال الشاعر:

وماحبُّ الديارِ شغفنَ قلبي		ولكن حبُّ من سَكَنَ الدِّيَارا

والمعنى: يا خير من قصد السائلون ذاته ونفسه، و«**سعيا**» بالنصب على أنه حال من فاعل العافون، فإن قيل: كيف يجوز كونه حالا منه مع أنه لا مطابقة بين الحال وذيه؛ لأن الحال مفرد وذا الحال جمع؟ قلت: كونه حالا باعتبار الأفراد كذا قيل فتأمل. والمصدر أعني السعي هنا بمعنى الفاعل أعني ساعين، والواو في «وفوق» عاطفة، و«فوق» ظرف متعلق بمحذوف معطوف على سعيا أي: كائنين فوق المتون، والمتون جمع متن، وهو بمعنى ظهر كما في قوله:

وَفَرْعٍ يزينُ المتنَ أَسْوَدَ فاحِمٍ		أثيث كَقِنْوِ النَّخْلَةِ الْمُتَعَثْكِلِ

و«**الأينق**» بتقديم الياء على النون مقلوب الأنيق بتقديم النون أصله أنوق جمع ناقة فقدمت الواو فصار أونق، ثم قلبت ياء لمزيد الخفة. و«**الرسم**» بالجر صفة الأينق، وهو بضمتين جمع الرسوم، وهي الناقة التي تؤثر في الأرض من شدة الوطي أو ناقة تسير سريعا وعلى كلا التقديرين ففيه تجريد. ثم اعلم! أن هذا القول من الناظم الفاهم أعني: «وفوق متون... إلخ» تكملة للكلام الأول يعني أن الكلام الأول يدل على كونه مقصودا للسائلين الجائين من قريب، وهذا الكلام يدل على كونه مقصودا للسائلين الجائين من مكان سحيق ومطلوبا للرآيين على كل ضامر يأتين من كل فج عميق ليشهدوا منافع لهم دنيوية وأخروية بمشاهدة النبي الشفيق.

و**حاصل معنى البيت:** يا خير كل من يقصد إليه أرباب الحاجات والمطالب، وأفضل من ترجي إلى ساحته الركائب. وكونه خير من يقصد إليه أرباب الحاجات يدل على كونه قاضيا لحاجاتهم ومعطيا لمقاصدهم.

(١٠٦) وَمَنْ هُوَ الآيَةُ الْكُبْرٰى لِمُعْتَبِرٍ ... وَمَنْ هُوَ النِّعْمَةُ الْعُظْمٰى لِمُغْتَنِمِ

ثم كَرَّرَ النداء لزيادة اشتياقه إلى ذاته الأعلى مع بيان أوصافه الأسنى، والإشارة إلى حكمة عروجه إلى سدرة المنتهى فقال: «ومن هو... إلخ»، فالواو عاطفة، و«من» معطوفة على المنادى أعني خير، فالتقدير: يا من هو الآية، و«هو» ضمير فصل يفيد القصر، و«الآية» بمعنى العلامة التي يميز بها بين الحق والباطل، و«الكبرى» تأنيث الأكبر، وتنوين «معتبر» للتكثير أي: لكل معتبر، والمراد من المعتبر المستدل على الحق تعالى وعلى دينه الحق المميز بين الحق والباطل، والواو عاطفة، و«النعمة» عبارة عن المنفعة المعقولة على جهة الإحسان إلى الغير، وقيل: النعمة على قسمين: نعمة المنافع كصحة البدن والأمن والعافية والتلذذ بالمطاعم والمشارب والمناكح ونعمة دفع المضار من الأمراض والبلايا والشدائد والفقر، وفي كتب التصوف النعم ست: الأولى نعمة النفس: وهي الطاعات والإحسان، والنفس فيهما تتقلب، والثانية نعمة القلب: وهي اليقين والإيمان، وهي فيهما تتقلب، والثالثة نعمة الروح: وهو الخوف والرجاء، وهي فيهما تتقلب، والرابعة نعمة العقل: وهو الحكمة والبيان، وهي فيهما تتقلب، والخامسة نعمة المعرفة: وهو الذكر والقرآن، وهي فيهما تتقلب، والسادسة نعمة المحبة: وهو الألفة والمواصلة والأمن من الهجران، وهي فيها تتقلب. والنعمة هاهنا بمعنى المنعم به لأنه عليه السلام نعمة عظمى لكونه رحمة لسائر الخلق مع أنه قد صدر عنه نعم كثيرة لايحصى عدد أنواعها إجمالا فضلا عن إفرادها تفصيلا. و«العظمى» تأنيث الأعظم، و«المغتنم» إما متعلق بـ«النعمة» وإما ظرف مستقر صفة للنعمة كما كان قوله: «لمعتبر» صفة للآية، و«المغتنم» على صيغة اسم الفاعل من أخذ الخير واغتنم به، يعني أنه عليه السلام هو الآية الكبرى لكل من أخذ العبرة لأنه أكمل الموجودات، ونعمة عظمى لكل من علمه غنيمة، وخير لأنه رحمة وهداية تامة ورافع للظلمات ودافع للشبهات ومقصود للسائلين في الأرض والسموات، ثم اعلم! أن هذا البيت والبيت الذي قبله إشارة إلى حكمة معراج رسول الله عليه السلام وهو أنه اختصم الملأ الأعلى وناظروا في أربع مسائل مقدار ألف سنة ولم يوفقوا لحلها، فلما بعث نبينا عليه السلام، علموا أن هذه المشكلات إنما تنحل منه عليه السلام

فتضرعوا إلى الله تعالى لأجله، فدعا الله حبيبه إلى مقام قاب قوسين أو أدنى فأوحى إلى عبده ما أوحى ومن جملته قوله عليه السلام: ((رأيت ربي بأحسن صورة، فقال: يا محمد فيم يختصم الملأ الأعلى؟ فقلت: أنت تعلم فوضع يده بين كتفي، فوجدت بردها بين ثدييّ ثم قال: يا محمد هل تدري فيم يختصم الملأ الأعلى؟ فقلت: نعم في الكفارات والمنجيات والدرجات والمهلكات قال: صدقت يا محمد. ثم قال: يا ملائكتي وجدتم حلال المشكلات، فاسألوا أشكالكم فقال إسرافيل: ماالكفارات؟ فقال: عليه السلام إسباغ الوضوء في المكاره والمشي بالأقدام إلى الجماعة وانتظار الصلاة بعد الصلاة ثم قال ميكائيل: وما الدرجات؟ فقال: إطعام الطعام وإفشاء السلام والصلاة بالليل والناس نيام، ثم قال جبرائيل: وما المنجيات؟ فقال: خشية الله في السر والعلانية والقصد في الفقر والغنى والعدل في الغضب والرضى، ثم قال عزرائيل: وما المهلكات؟ فقال: شح مطاع، وهوى متبع وإعجاب المرء بنفسه، فقال الله تعالى: في كل ذلك صدق))[١٥٠] كذا ذكره في "البريقة شرح الطريقة".

(١٠٧) سَرَيْتَ مِنْ حَرَمٍ لَيْلاً إِلَى حَرَمٍ...كَمَا سَرَى الْبَدْرُ فِي دَاجٍ مِنَ الظُّلَمِ

فلَمَّا ذكر النداء في البيتين السابقين مع الإشارة إلى تمام أوصافه وإظهار كمال أخلاقه إجمالا أراد أن يأتي بجواب النداء مشيرا أيضا إلى أعجب أمر آخر من الأمور التي بين الله وبين أفضل خلقه وأخص عباده ولم يعط ذلك الأمر لأحد من الإنسان بل هو مخصوص بنبي آخر الزمان فقال: «سريت من حرم... إلخ»، «سريت» على صيغة الخطاب له عليه السلام، وسرى لغة في أسرى بمعنى سار في الليل، وكان الإسراء الذي حصل له قبل الهجرة بجسده وروحه معا ويدل عليه قوله تعالى: ﴿سُبۡحَٰنَ ٱلَّذِيٓ أَسۡرَىٰ بِعَبۡدِهِۦ﴾ الآية [الإسراء: ١] لأنّ العبد اسم للروح والجسد جميعا قال الشيخ الأكبر: إنّ معراجه عليه السلام أربع وثلاثون، مرة واحدة بالجسد والباقي بروحه رؤيا رآها قبل النبوة، و«من حرم» متعلق بـ«سريت»، و«الحرم» بفتحتين حرم الكعبة شرفها الله تعالى قال في "الدرر":

(١٥٠) "سنن الترمذي"، كتاب التفسير، باب ومن سورة ص، الحديث: ٣٢٤٥، ٥/١٥٩.

اعلم! أن البيت لما كان معظما مشرفا جعل له حصن وهو مكة وحمى، وهو الحرم، وللحرم حرم، وهو المواقيت حتّى لايجوز لمن وصل إليها أن يجاوزها إلا بالإحرام انتهى. وفي تفسير "روح البيان" أن حدود الحرم من جهة المدينة على ثلاثة أميال، ومن طريق العراق على سبعة أميال، ومن طريق الجعرانة على تسعة أميال، ومن طريق الطائف على سبعة أميال، ومن طريق جدة على عشرة أميال ثم إن الحرم عام لكل ما كان في داخل الحرم فلا ينافي ما قال الرواة: من أنه عليه السلام كان إسراءه من بيت أم هاني بنت أبي طالب لأن بيتها كان في الحرم. و«ليلا» نصب على الظرفية لـ«سريت» وهو تأكيد للإسراء، والسرى في لسان العرب لا يكون إلا ليلا حتى لا يتخيل أنه كان نهارا ولإفادة تقليل مدة الإسراء أي: في جزء من الليل لما في التنكير من الدلالة على البعضية، وهي على ما قيل ليلة سبع وعشرين من رجب ليلة الاثنين، فإن قلت: فلم جعل المعراج ليلا ولم يجعل نهارا حتى لا يكون فيه إشكال وطعن وما الحكمة في اختيار الليل؟ قلت: أجيب عنه بأنه إنّما جعل ليلا تمكينا للتخصيص بمقام المحبة لأنه تعالى اتخذه عليه السلام حبيبا وخليلا، والليل أخص زمان بجمع المحبين فيه، والراحة في الخلوة متحققة بالليل، وقال بعض الفضلاء: لعل تخصيصه بالليل ليزداد الذين آمنوا إيمانا بالغيب وليفتتن الذين كفروا زيادة على فتنتهم إذ الليل أخفى حالا من النهار، وقيل: حكمته أنه افتخر النهار على الليل بالشمس، فقيل له: لا تفتخر إن كان شمس الدنيا تشرق فيك، فسيعرج شمس الوجود في إلى السماء، وقال بعض أهل المعارف: حكمته أنه لما محا الله آية الليل، وجعل آية النهار مبصرة كان الليل محزونا ومنكسرا، فكان الإسراء بمحمد عليه الصلاة والسلام في الليل للعدالة وسيظهر جواب آخر من تشبيه الناظم الفاهم، فتبصر. و«**إلى حرم**» متعلق بـ«سريت»، والمراد من هذا الحرم المسجد الأقصى، والتعبير عنه بالحرم إنما هو للمشاكلة، وقيل: إطلاق الحرم عليه لكونه محترما. وقوله: «كما سرى البدر... إلخ» تشبيه لسيره عليه الصلاة والسلام وقطع المنازل والإنارة، والمشبه به قاصر. و«في داج من الظلم» متعلق بـ«سرى»، و«**داج**» صفة موصوف محذوف أي: في ليل داج، والداجي من الدجى بمعنى الظلمة فداج بمعنى راكد ظلامه. و«من الظلم» متعلق بـ«داج» بتضمينه معنى راكد، والظلم بالضم والفتح جمع ظلمة، والمراد إظهار مبالغة الظلمة، وما قيل: من أن قوله: «من الظلم» ظرف مستقر صفة داج، والمراد من

الظلم، الليل مجازا فبعيد كل البعد، ثم **اعلم!** أنهم قالوا: إن إنكار معراجه عليه السلام من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى وكونه بروحه وجسده كفر بلا نزاع، وأما من المسجد الأقصى إلى السموات العلى، ففيه اختلافات، فمنكره لا يكون كافرا.

(١٠٨) وَبِتَّ تَرْقىٰ إِلَى أَنْ نِلْتَ مَنْزِلَةً ... مِنْ قَابَ قَوْسَيْنِ لَمْ تُدْرَكْ وَلَمْ تُرَمِ

فلمّا كانت مظنة أن يتوهم من البيت السابق أن سيره إنّما كان من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى دون غيره من المنازل العلى كما ذهب إليه المعتزلة أراد دفعه فقال: «وبت ترقى... إلخ»، فـ«**بت**» ماض مخاطب من البيتوتة، وفي نسخة «ظلت» بفتح الظاء وكسرها، فعلى كلتا النسختين بمعنى صرت. و«**ترقى**» بمعنى تصعد، و«إلى» متعلق بـ«ترقى»، و«**نلت**» بكسر النون ماض مخاطب من «النيل» بمعنى الوصول، ومنزلة بالنصب مفعول نلت و«**من**» بيان للمنزلة، و«قاب قوسين» بالنصب محكى على أنه محكى عما وقع في القرآن، و«**القاب**» بمعنى المقدار، و«**القوسين**» من قسي العرب، وهو عبارة عن كمال القرب مع رعاية الأدب، وذكر القوس لكونه مذكورا في القرآن، والقرآن نزل بلُغَة العرب، وإنما كان قاب قوسين عبارة عن كمال القرب لأن عادة العرب أن الأميرين أو الخليفتين إذا أرادا الصلح وعقدا العهد والصفاء خرجا بقوسهما فألصق كل واحد منهما طرف قوسه بطرف قوس صاحبه، والمعنى: فقد وصلت إلى منزلة هي كمال القرب ومعنى قرب الرسول عليه السلام إلى الله ودنوه منه إنّما هو قرب المكانة لا قرب المكان ولا قرب الزمان بل هو قرب اللطف والمحبة بلا مشابهة إلى قرب الإنسان. و«لم تدرك» مضارع مجهول مؤنث، والجملة صفة «منزلة» أي: لم يدرك تلك المنزلة أحد من الإنسان ولا ملائكة الرحمن بل «**لم ترم**»، وهو على صيغة المجهول من «الروم» بمعنى الطلب أي: فقد وصلت إلى منزلة لم يطلب تلك المنزلة أحد غيرك؛ لأنّه ممتنع في حق غيرك فلا وجه لطلب ما هو ممتنع، وفي البيت إشارة إلى ما ورد في الحديث من أنه عليه السلام قال: ((عرج بي جبرائيل إلى سدرة المنتهى ودنا الجبار رب

العزة فتدلى حتى كان منه قاب قوسين أو أدنى فأوحى إليه ربه ما أوحى))[١٥١] قال العلامة المرزوقي: (إنه عليه السلام لما قرب إلى ربه وكان قاب قوسين قال: اللهم أنت ما تفعل بأمتي؟ قال الله تعالى: أنزل عليهم الرحمة وأبدل سيئاتهم حسنات ومن دعاني منهم لبيته، ومن سألني أعطيته، ومن توكل عليّ كفيتُه، وفي الدنيا أستر على العصاة، وفي الآخرة أشفعك فيهم، ولولا أن الحبيب يحب معاتبة حبيبه لَمَا حاسبتُ أمَّتك). ثم اعلم! أن **خاصية** هذا البيت: أنه إذا كان أحد معقودا فأراد الفتح فليأخذ ثلاث بيضات وليطبخها في ماء، ثم لينزح قشرها، ثم ليكتب المصراع الأول من هذا البيت بالحروف المهملة على اثنتين من تلك البيضات يجعل حروف هذا المصراع منقسمة بينهما، والمصراع الثاني على ثالثتهما فلتأكل الثالثة المرأة وليأكل البيضتين الأوليين زوجها، فإن عقده ينفتح بإذن الله تعالى قال الأستاذ طول الله بقاءه وقد جربناه ووجدناه صادقا.

(١٠٩) وَقَدَّمَتْكَ جَمِيْعُ الأَنْبِيَاءِ بِهَا ... وَالرُّسُلِ تَقْدِيْمَ مَخْدُوْمٍ عَلَى خَدَمِ

فلَمَّا دفع شبهة المشتبهين أراد أن يبين بعض ما وقع في ذلك السير من الفضيلة له عليه السلام والخير فقال: «وقدمتك جميع الأنبياء... إلخ» «**قدمتك**» فعل ماض من قدم، وهو قد يكون متعديا، وقد يكون لازما، وهاهنا من الأول أي: جعلك جميع الأنبياء إمامهم واقتدوا بك وصيروك إمامهم. و«جميع» بالرفع فاعل قدمتك، وتأنيث فعله باعتبار الإضافة يعني: أنّ الجمع مضاف إلى الأنبياء، والأنبياء جمع، وكل جمع مؤنث فالجمع قد اكتسب التانيث بالإضافة إلى الأنبياء كما في قولهم: قطعت بعض أصابعه وكقراءة تلتقطه بعض السيارة وكقول الشاعر: (ع)

وما حُبُّ الدِّيارِ شَغَفْنَ قَلْبي

والنبي أعم من الرسول، والباء في «بها» بمعنى في متعلق بـ«قدمت»، والضمير راجع إلى "بيت المقدس" بقرينة المقام، ويكون الحرم الثاني عبارة عنه. وقوله: «**والرسل**» بالجر عطف على الأنبياء والرسل بضم الراء والسين جمع رسول لكن يقرأ في البيت بالسكون

(١٥١) "صحيح البخاري"، كتاب التوحيد، باب قوله تعالى ﴿وكلّم الله موسى تكليما﴾، الحديث: ٧٥١٧، ٤/٥٨٠.

لضرورة الوزن، وقوله: «تقديم مخدوم» صفة موصوف محذوف بتقدير الجار أي: تقديما مثل تقديم المخدوم، والمصدر مضاف إلى مفعوله. و«**على خدم**» متعلق بالتقديم، والخدم بفتحتين بمعنى الخادم، والمراد من المخدوم في هذا المقام رسول الله عليه الصلاة والسلام ومن الخادم سائر الأنبياء عليهم السلام والبيت إشارة إلى ما وقع في ليلة المعراج من كونه عليه السلام إماماً للأنبياء في المسجد الأقصى وصلاته معهم إذ روي أنه لما أتى صلى الله تعالى عليه وسلم بيت المقدس نزل عن البراق فربطه في الحلقة التي كانت الأنبياء تربطه فيها، فدخل المسجد فإذا المسجد مملوء بالأنبياء فأقيمت الصلاة قال عليه الصلاة والسلام: ((فقمنا صفوفا ننتظر من يؤمنا، فأخذ بيدي جبرائيل فقدمني، فصليت بهم، ثم خرجت من المسجد، فجاء جبرائيل عليه السلام بإناء من خمر وإناء من لبن، فاخترت اللبن، فقال جبريل: اخترتَ الفطرة))[١٥٢] الحديث، ثم اختلف هل كانت تلك الصلاة قبل عروجه عليه السلام إلى السماء أو بعده، والمستفاد من هذا البيت كونها قبل العروج كما لايخفى. وقال القاضي عياض: يحتمل أن يكون صلى بهم بيت المقدس قبل العروج وبعده فإن في الحديث ما يدل على ذلك ولا مانع منه انتهى. ثم إنّهم اختلفوا في هذه الصلاة هل هي فرض أو نفل، فعلى رواية أنّه صلى الله تعالى عليه وسلم صلى بهم قبل العروج تكون نفلا وعلى رواية أنه صلى بهم بعده تكون فرضا أعني: الصبح كذا في "المواهب".

(١١٠) وَأَنْتَ تَخْتَرِقُ السَّبْعَ الطِّبَاقَ بِهِمْ ... فِيْ مَوْكِبٍ كُنْتَ فِيْهِ صَاحِبَ الْعَلَمِ

لَمَّا بيّن ما وقع في "المسجد الأقصى" ممّا يدل على كمال مرتبته العليا أراد أن يبيّن أيضا بعض ما وقع له بعده من الأمور العجيبة والأسرار الغريبة في السموات العلى و ما فوقها من "العرش" و"سدرة المنتهى" فقال: «وأنت تخترق السبع... إلخ»، «الواو» للعطف أو للحال. و«**تخترق**» من «اخترق الطريق» إذا قطعه ومر به أي: وأنت تمر وتقطع، وفي إتيان صيغة المضارع مع أنّ الظاهر صيغة الماضي استحضاراً للحال الماضية، وفي إتيان لفظ «تخترق» دون غيره رد للفلاسفة القائلين بأن الأفلاك أجرام صُلْبَة غير قابلة للخرق

(١٥٢) "صحيح مسلم" كتاب الإيمان، باب الإسراء برسول الله صلى الله عليه وسلم، صـ ٩٧

والالتيام لأنّها لو كانت قابلة لهما لكانت أجزاؤها قابلة للتفرق فيلزم أن تكون الجهات محدودة قبلها إذ التفرق لا يكون إلا بالحركة المستقيمة، والجواب أن الأجسام متماثلة الحقائق تقبل الخرق والالتيام، فعلى تقدير تسليمه إنّما يتم في المحدود دون ماعداه.

و«**السبع**» بالنصب مفعول «تخترق» لكنه صفة موصوف محذوف أي: السموات السبع كما في قوله: ﴿فَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تَعْدِلُوا فَوَاحِدَةً﴾ [النساء: ٣] أي: فزوجة واحدة. و«**الطباق**» صفة بعد صفة لـ«السموات المحذوفة»، وهو إمّا مصدر من طابق فحينئذ له ثلاثة أوجه أولها: بمعنى مطابقا بعضها بعضا من «طابق النعل»، وهذا وصف بالمصدر. وثانيها: أن يكون التقدير ذات الطباق، وثالثها: أن يكون من قبيل قوله: «فإنّما هي إقبال وإدبار» وإمّا جمع فيكون جمع طبق كجبل وجبال، وقيل: جمع طبقة. و«**بهم**» حال من فاعل «تخترق» والباء للملابسة أي: مارًّا بهم، والضمير للأنبياء والرسل، فيكون إشارة إلى ما روي أنّه عليه السلام حيث قال: ((جاء جبريل، فعرج بي إلى السماء فَلَمَّا جئت إلى سماء الدنيا قال جبريل لخازن السماء: افتح الباب قال: من هذا؟ قال هذا جبريل، قال: هل معك أحد؟ قال: معي محمد قال: أرسل إليه؟ قال: نعم! فلما فتح صعدناها، فإذا رجل قاعد وعلى يمينه أسودة وعلى يساره أسودة إذا نظر قِبَل يمينه ضحك، وإذا نظر قِبَل يساره بكى، فسلمت عليه، فقال: مرحباً بالنبي الصالح والابن الصالح قلت لجبريل: من هذا؟ قال: هذا آدم، وهذه الأسودة التي عن يمينه وعن شماله نَسَمُ بَنِيْه فأهل اليمين منهم أهل الجنة والأسودة التي عن شماله أهل النار، ثم عرج بي إلى السماء الثانية، فقال لخازنها: افتح فقال له خازنها مثل ما قال الأوّل، ففتح، فصعدناها، فإذا فيها يحيى وعيسى ثمّ إلى السماء الثالثة، فإذا فيها يوسف عليه السلام ثمّ إلى السماء الرابعة، فإذا فيها إدريس، ثمّ إلى السماء الخامسة، فإذا فيها هارون، ثم إلى السماء السادسة، فإذا فيها موسى، ثم إلى السماء السابعة، فإذا فيها إبراهيم عليه السلام، ثمّ عرج بي حتى ظهرت لمستوًى أسمع فيه صريف الأقلام، ففرض الله على أمتي خمسين صلاة، فرجعت بذلك حتى مررت على موسى، فقال: ما فرض الله على أمتك؟ قلت: خمسين صلاة قال: فارجع إلى ربك، فإن أمتك لا تطيق ذلك، فرجعت، فوضع شَطْرَها، ثم رجعت إلى موسى فقلت: وضع شطرها ، فقال: رَاجِعْ رَبَّكَ فإن أمتك لا تطيق، فراجعت، فوضع

شطرها ، ثم رجعت إلى موسى، فقال: ارجع إلى ربك، فإن أمتك لا تطيق، فرجعت، فقال تعالى: «هن خمس لا يُبَدَّلُ الْقَوْلُ لَدَيَّ»، فرجعت إلى موسى، فقال: ارجع إلى ربك، فقلت: استحييتُ من ربي)) الحديث.[١٥٣] ويجوز أن يكون الباء في «بهم» بمعنى مع أي: مصاحبا معهم، فيكون إشارة إلى ما وقع في بعض الروايات من أنّه عليه السلام لمّا صلّى في "المسجد الأقصى" مع الأنبياء صعدوا معه إلى السموات العلى، وهذا يناسب لسباق البيت ولحاقه كما لا يخفى. وقوله: «**في موكب**» حال بعد حال أي: كائنا فيهم، و«الموكب» جماعة الفُرْسَان، والمراد به هاهنا جماعة الملائكة على الاحتمال الأول في «بهم»، بناء على ما روي أنّه عليه السلام صعد بملائكة عن يمينه وملائكة عن شماله وجماعة أرواح الأنبياء على الاحتمال الثاني فيه. و«كنت» بصيغة الخطاب، وهو مع خبره صفة «موكب»، والضمير في «فيه» لـ«موكب» و«**العلم**» هاهنا إما بمعنى الراية، فيكون كونه عليه السلام صاحب العلم فيهم كناية عن كونه رئيسهم لأن صاحب العلم في القوم يكون رئيسهم أو بمعنى الجبل فتكون العلَم استعارة بمعنى المرتبة كما لا يخفى تعبير استعارته فيكون المعنى: في موكب كنت فيه صاحب المرتبة العالية التي لا مرتبة فوقها.

(١١١) حَتَّى إِذَا لَمْ تَدَعْ شَأْواً لِمُسْتَبِقٍ ... مِنَ الدُّنُوِّ وَلاَ مَرْقًى لِمُسْتَنِمِ

فَلَمَّا دلّ البيت الأول على أنّه عليه الصلاة والسلام صعد السموات مع الملائكة وتوهم منه أنّهم عليهم السلام لم يفارقوه حتى وصلوا إلى قاب قوسين، أراد أن يدفعه بتخصيص ذلك المقام بنبينا عليه السلام فقال: «حتى إذا لم تدع... إلخ»، «حتى» غاية لقوله: «تخترق»، و«**إذا**» للظرفية المحضة فلا تقتضي الجواب أو للشرط فجوابه محذوف أو قوله «خفضت» أو «لم تدع» بمعنى لم تترك، و«الشأو» بمعنى الغاية أي: لم تترك منتهى. و«**لمستبق**» إمّا متعلق بـ«لم تدع» أو ظرف مستقر على أنه صفة «شأواً». و«لمستبق»

(١٥٣)"صحيح البخاري" كتاب الصلاة،باب كيف فرضت الصلاة في الإسراء، ١/١٤١، الحديث: ٣٤٩
"صحيح مسلم"باب الإسراء برسول الله صلى الله عليه وسلم إلى السموات وفرض الصلوات، ص:٩٧ الحديث: ٢٥٩

على صيغة اسم الفاعل بمعنى طالب السبق. وتنوينه للتكثير أي: لكل مستبق سواء كان نبيا أو ملكا. و«من الدنو» إما متعلق بـ«لم تدع» أو صفة «شأوا». والمراد من الدنو، الدنو إلى الله ومن الله، والمراد من دنوه تعالى نهاية القرب ولطف المحل وإيضاح المعرفة والإشراف على الحقيقة إذ لا دُنُوَّ للحق تعالى ولا بُعْد له. و«لا مرقى» عطف على شأواً، وتكرير النفي للتأكيد و«**المرقى**» بفتح الميم وسكون الراء بمعنى المصعد و«**المستنم**» كالمستبق في التركيب، وهو على صيغة اسم الفاعل من «استنم» بمعنى المرتفع، والمراد من المستنم هو جبريل الأمين لأنه مرتفع ومطمئن أي: متمكن لأنه ذو قوة عند ذي العرش مكين. ففيه إشارة إلى ما روي أنّ جبريل عليه الصلاة والسلام لما صعد به عليه السلام حتى انتهى إلى سدرة المنتهى، وهي شجرة أوراقها مثل آذان الفيلة في أصلها نهران ظاهران ونهران باطنان سأل رسول الله جبريل عن هذا فقال له جبريل: أما الباطنان ففي الجنة، وأما الظاهران فالنيل والفرات، (١٥٤) فبقي جبريل في ذلك المقام فقال: لو دنوت أنملة لاحترقت. ولذا قال تعالى فيهم: ﴿وَمَا مِنَّآ إِلَّا لَهُۥ مَقَامٌ مَّعۡلُومٌ﴾ [الصافات: ١٦٤]، وكونه باقيا في "سدرة المنتهى" لكون علم الملائكة منتهيا إليها غير متجاوز عنها فالتجاوز عنها خاص بالنبي الجليل غير لائق بمن عداه من الملائكة وجبريل.

(١١٢) خَفَضْتَ كُلَّ مَقَامٍ بِالإِضَافَةِ إِذْ ... نُوْدِيْتَ بِالرَّفْعِ مِثْلَ الْمُفْرَدِ الْعَلَمِ

لمّا كان مضمون البيت السابق محل شبهة أراد أن يدفعها بتأكيد ذلك المضمون وتقرير ترقيه عليه الصلاة والسلام إلى مرتبة لا مرتبة فوقها فقال: «خفضت... إلخ»، «خفضت» إما بدل من قوله: «لم تدع» أو جواب لـ«إذا»، و«**الخفض**» حط رتبة وجعل شيء تحت شيء، ومنه الخفض في الإعراب، والمعنى جعلت في الأسفل وتركت فيه. و«كل مقام» بالنصب مفعول خفضت، و«**المقام**» بفتح الميم اسم مكان بمعنى محل القيام أي: كل مقام من مقامات الأنبياء، فإن قلت: ما الفرق بين المقام بفتح الميم والمقام بضم الميم

(١٥٤) "صحيح مسلم"باب الإسراء برسول الله صلى الله عليه وسلم إلى السموات وفرض الصلوات، ص:٩٧ الحديث: ٢٥٩

قلت: الفرق بينهما مختلف فيه، قال بعضهم: إذا قرئ من الثلاثي يقرأ بالفتح نحو «قام زيد مَقام عمرو»، وإذا قرئ من المزيد يقرأ بالضم نحو «أقيم فلان مُقام عمرو» ورده المولى أبو السعود حين سأل سائل بقوله:

يا وحيد الدهر يا شيخ الأنام	افتنا فرق المَقام والمُقام

فقال: الفرق بينهما أنّه إذا قيل: أقيم فلان أو قام فلان مقام فلان نُظِر إلى فلان الثاني إن كان المقام له يقال: مقام بفتح الميم سواء قرئ الفعل أقام أو قام، وإن كان لغير فلان الثاني في نفس الأمر يقال: مقام بضم الميم سواء قرئ الفعل أقيم أو قام كالباء من حروف القسم لأنها أصل في القسم، والواو بدل منها والتاء بدل من الواو، فإذا قيل: التاء أقيم مقام الواو يقال المقام بالضم لأنّ المقام ليس بالواو بل للباء، فإذا قيل الواو أقيم مقام الباء يقال: المقام بفتح الميم؛ لأنّ المقام للباء في نفس الأمر لأنّها أصل في القسم وما وقع في هذا المقام بفتح الميم كما لايخفى على ذوي فهم قويم. و«**بالإضافة**» متعلق بـ«خفضت»، والمراد من الإضافة هاهنا معناها اللغوي أعني النسبة، والمعنى بنسبتك إلى مقامك لأنّ مقامك أرفع من مقامات جميع الأنبياء والملائكة، ويقول هذا الفقير: يحتمل أن يكون مراده من الإضافة الإضافة التي وقعت في سورة الإسراء أي: في قوله تعالى: ﴿سُبۡحَٰنَ ٱلَّذِيٓ أَسۡرَىٰ بِعَبۡدِهِۦ﴾ [الإسراء: ١] حيث أضيف العبد إلى نفسه المراد به رسولنا الذي له كمال في العبودية لا كمال فوقه إلى المعبود الذي لا معبود فوقه فيكون إشارة إلى كون المعراج بجسده وروحه عليه السلام؛ لأنّ العبد إنّما يطلق عليهما معا كما سبق. و«إذ» ظرف لقوله: خفضت. اعلم! أنّهم قالوا: إنّ كلمة «**إذ**» تستعمل على أربعة أوجه **الأول**: أن يكون اسماً للزمان الماضي، فحينئذ قد يكون ظرفاً نحو: ﴿فَقَدۡ نَصَرَهُ ٱللَّهُ إِذۡ أَخۡرَجَهُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ﴾ الآية [التوبة: ٤٠]، وقد يكون بدلاً من المفعول نحو: ﴿وَٱذۡكُرۡ فِي ٱلۡكِتَٰبِ مَرۡيَمَ إِذِ ٱنتَبَذَتۡ﴾ [مريم: ١٦]، وقد يكون مفعولاً به نحو: ﴿وَٱذۡكُرُوٓاْ إِذۡ أَنتُمۡ قَلِيلٞ﴾ [الأنفال: ٢٦]، وقد يكون مضافاً إليه لاسم زمان نحو: ﴿يَوۡمَئِذٖ﴾، **والثاني**: اسما للزمان المستقبل نحو: ﴿يَوۡمَئِذٖ تُحَدِّثُ أَخۡبَارَهَا﴾ [الزلزلة: ٤]، **والثالث**: أن يكون للمفاجأة نحو: خرجت إذ زيد قائم، لكن هذا قليل، **الرابع**: أن يكون للتعليل نحو: ﴿لَن يَنفَعَكُمُ ٱلۡيَوۡمَ إِذ ظَّلَمۡتُمۡ﴾ [الزخرف: ٣٩]، وما وقع في هذا المقام من أول الأول، ومن جعله للتعليل فلم يأت بشيء

يشفي العليل. و«**نوديت**» فعل ماض مجهول على صيغة الخطاب من النداء بمعنى طلب الإقبال، والمنادي هو الله تعالى حيث روي أنه تعالى قال له عليه الصلاة والسلام في تلك الليلة أدن يا محمد أدن يا محمد. وقوله: «**بالرفع**» أي: ملتبسا برفع الله تعالى إياك، فالمراد بالرفع معناه اللغوي أعني: الارتفاع لا النحوي. و«**مثل**» بالنصب صفة مصدر محذوف منصوب على المفعول المطلق، و«**المفرد**» بمعنى المنفرد الواحد في قومه. و«**العلم**» بفتحتين بمعنى العالي، والتشبيه في الارتفاع والامتياز عن سائر جنسه.

و**حاصل معنى البيت**: جعلتَ وتركتَ في الأسفل كلَّ مقامات الأنبياء ومراتب الأصفياء ببركة إضافتك إلى الرب الكريم وشرافة نسبتك إلى الخالق العظيم حين طلب الله تعالى إقبالَك بفضله وعنايته مميزا إياك عن سائر الناس مثل ما يطلب المميز فيما بين الأنام بنحو يا هذا الرجل بالتعظيم والإكرام، ثم اعلم أنّ في هذا البيت من صنائع البديع صنعة مراعاة النظير، وهي جمع أمر وما يناسبه لا بالتضاد حيث جمع بين الخفض والإضافة وبين النداء والرفع، والمفرد العلم وصنعة الطباق وهو الجمع بين المعنيين المتقابلين في الجملة يعني: بين الخفض والرفع كما لايخفى على أهل الصنع والصنائع، والله الحافظ من الموانع.

(١١٣) كَيْمَا تَفُوْزَ بِوَصْلٍ أَيِّ مُسْتَتِرٍ ... عَنِ الْعُيُوْنِ وَسِرٍّ أَيِّ مُكْتَتِمِ

فَلمَّا ذكر سيره ومعراجه عليه الصلاة والسلام من الأرض إلى السموات العلى بالإكرام وكانت علته الغائية خفية بين أولى الأوهام أراد أن يبينها باختصار في الكلام فقال: «كيما تفوز... إلخ»، فـ«**كي**» حرف جر بمعنى اللام للتعليل، و«**ما**» زائدة، و«**تفوز**» منصوب بأن مقدرة بعد كي، أو منصوب بـ«كي»، فيكون كي بمعنى أن، واللام مقدرة قبلها، و«تفوز» من الفوز بمعنى الظفر. و«بوصل» متعلق بـ«تفوز»، والمراد من الوصل الوصلة إلى الله تعالى. و«**أيّ مستتر**» صفة لمحذوف أي: بوصل مستتر أيّ مستتر بمعنى كامل الاستتار. و«**عن العيون**» متعلق بمستتر، و«العيون» جمع عين بمعنى الباصرة، و المراد جميع عيون الناس حتى عن أعين الملائكة والأنبياء وقوله: و«**سر**» بالجر معطوف على «بوصل». و«**أيّ مكتتم**» كأيّ مستتر بمعنى كامل في الاكتتام، ثم اعلم أنّ في قوله:

«بوصل» إشارة إلى رؤيته عليه السلام ربَّه والمناجاة له، وقد اختلف القوم في أنّه عليه السلام رأى الله تعالى في ليلة الإسراء بقلبه أو بعين رأسه، فقال بعضهم: جعل بصره في فؤاده فرأى بفؤاده، فيكون معنى قوله تعالى: ﴿مَا كَذَبَ الْفُؤَادُ مَا رَأَى﴾ [النجم: ١١]، على هذا ما كذب الفؤاد ما رآى به الفؤاد، وقال بعضهم: رآى بعينه لقوله عليه السلام: ((إنّ الله أعطى موسى الكلام وأعطاني الرؤية))(١٥٥)، وقوله عليه السلام: ((رأيت ربي في أحسن صورة))(١٥٦) أي: صفة. قال في "الكواشي": هذا لا حجة فيه لأنّه يجوز أنّه أراد الرؤية بالقلب بأن زاد معرفة على غيره، وقال **الحقي** في "روح البيان" يقول الفقير: إيراد الرؤية في مقابلة الكلام يدل على رؤية العين لأنّ موسى سألها فمنع منها، فاقتضى أن يفضل نبينا عليه السلام بما منع منه، وهو الرؤية البصرية، ولا شك أنّ الرؤية القلبية يشترك فيها جميع الأنبياء حتى الأولياء، وقد صح أنّ موسى عليه السلام رآى ربه بعين قلبه حين خر في الطور مغشيّا عليه وحمله على زيادة المعرفة لا يُجْدِي نفعا انتهى. وقال بعض الفضلاء: ذكر الله تعالى في الآية رؤية فؤاده عليه الصلاة والسلام، ولم يذكر رؤية العين لأنّ رؤية العين سرّ بينه وبين حبيبه، وإلى هذا أشار الناظم بقوله: «وسرّ أيّ مكتتم». **والحاصل**: إنا نذهب إلى صحة رؤيته بعينه وبقلبه لحديث رواه مسلم في صحيحه: ((رأيت ربي بعيني وبقلبي))(١٥٧)، ولكنا عاجزون عن درك كيفيتها، وفي قوله: «سرّ أي مكتتم» إشارة إلى أسرار لا تنكشف لأحد غير محمد عليه الصلاة والسلام على ما يدل عليه قوله تعالى: ﴿فَأَوْحَى إِلَى عَبْدِهِ مَا أَوْحَى﴾ [النجم: ١٠]، قال بعض الفضلاء: ستر الله تعالى بعض ما أوحى إلى عبده عليه السلام عن الخلق لئلا يطلع عليه غيره؛ لأن ذلك من خواص محبته ومعرفته وعلو درجاته إذ بين الأحباب يجري من الأسرار ما لا يطلع عليه غيرهم من الأجانب والأغيار انتهى قال الشاعر:

لا يكتمُ السرَّ إلا كُلُّ ذي خطر	والسِّرُّ عندَ كرامِ الناس مكتومُ
والسرُّ عندي في بيتٍ له غَلَقٌ	قَدْ ضَاعَ مِفْتَاحُه وَالبَابُ مَخْتُومُ

(١٥٥) "كنز العمال"، كتاب القيامة، ١٤/١٩١، الحديث: ٣٩٢٠٠

(١٥٦) "سنن الترمذي"، كتاب التفسير، باب ومن سورة ص، الحديث: ٣٢٤٥، ٥/١٥٩.

(١٥٧) "روح البيان"، سورة النجم، الآية: ١٢، ٩/٢٢٣، ولم نجده في صحيح مسلم.

وقال آخر:

بين المُحِبِّين سِرٌّ ليس يُفْشِيه	قول ولا قلم للخلق يُحْكِيه
سر يُمازِجه أُنْس مقابله	نور يحير في بحر من التِّيْه

وقال بعض أهل الحال: لو بين كلمة من تلك الأسرار لجميع الأولين والآخرين لماتوا جميعا من ثقل ذلك الوارد الذي ورد من الحق على قلب عبده، وتحمل ذلك المصطفى عليه الصلاة والسلام بقوة ربانية ملكوتية لاهوتية ألبسه الله إياها، ولولا ذلك لم يتحمل ذرة منها لأنّها أنباء عجيبة وأسرار أزلية لو ظهرت كلمة منها لتعطلت الأحكام، ولفنيت الأرواح والأجسام، واندرست الرسوم، واضمحلّت العقول والعلوم، وقال بعض المفسرين: إن ما أوحي إليه عليه السلام تلك الليلة على أقسام: قسم أداه إلى العوام، وهو الأحكام والشرائع، وقسم أداه إلى الخواص، وهو المعارف الإلهية، وقسم أداه إلى أخص الخواص، وهو الحقائق والنتائج للعلوم الذوقية، وقسم آخر بقي معه لكونه مما خصه الله تعالى به، وهو السر الذي بينه وبين الله تعالى عزوجل.

(١١٤) فَحُزْتَ كُلَّ فِخَارٍ غَيْرَ مُشْتَرَكٍ ... وَجُزْتَ كُلَّ مَقَامٍ غَيْرَ مُزْدَحَمِ

لمَّا بين العلة الغائية للمعراج من الوصلة إلى جمال الرب الفراج ومن نيله السر الذي لم يطلع عليه أحد من الأولياء والأنبياء والملائكة الذين هم في السموات كالسراج الوهاج أراد أن يبين بعض ما يتفرع على تلك الوصلة من الفضائل والفواضل التي تورث للأمّة السرور والابتهاج وما يدفع به بلاياهم في الدنيا وما ينجيهم في الآخرة من عذاب ذي أمواج فقال: «فحزت كل فخار... إلخ». الفاء للتفصيل والتفريع، و«**حزت**» على صيغة الخطاب كـ«قلت» من حاز بمعنى جمع والخطاب له عليه السلام أي جمعت. و«كل» بالنصب مفعول «حزت». و«**الفخار**» بكسر الفاء ما يفتخر به من الفضائل والفواضل والشمائل. و«غير» بالنصب على أنّه حال من فاعل «حزت»، أو على أنه صفة «كل»، أومجرور على أنه صفة لـ«فخار»، و«**جزت**» عطف على «حزت»، وهو بالجيم والزاي من الجواز كما كان الأول بالحاء المهملة والزاي من الحوز، و«جزت» بمعنى عبرت وذهبت وتعديت، و«كل مقام» كـ«كل فخار». و«**غير مزدحم**» كـ«غير مشترك»، و«المزدحم»

كالمشترك إذ كلاهما اسم مفعول بمعنى المصدر، فالمشترك بمعنى الاشتراك، والمزدحم بمعنى الازدحام بمعنى الاجتماع والمنازعة. قال بعض الفضلاء: المراد بكل فخار غير مشترك مثل الوسيلة والدرجة الرفيعة والكوثر والشفاعة العظمى والمقام المحمود واللواء الممدود، ومن المقام الغير المزدحم مقام المحبة وختم النبوة والرسالة العامة وأمثالها مع ما فيه من الإشارة إلى ما روي عنه عليه الصلاة والسلام في حديث الإسراء حيث قال: فتقدمت وجبريل على أثري حتى انتهى بي إلى حجاب الذهب فحرك الحجاب، فقيل: من هذا؟، قال: أنا جبريل ومعي محمد قال الملك: الله أكبر؛ فأخرج يده من تحت الحجاب فاحتملني، فوضعني بين يديه في أسرع من طرفة عين وغلظ الحجاب مسيرة خمس مئة عام فقال لي: تقدم يا محمد، فمضيت، فانطلق بي الملك في أسرع من طرفة عين إلى حجاب اللؤلؤ، فحرك الحجاب فقال ملك من وراء الحجاب من هذا؟ قال: أنا صاحب حجاب الذهب وهذا محمد معي، فقال: الله أكبر، فأخرج يده من تحت الحجاب، فاحتملني حتى وضعني بين يديه، فلم أزَل كذلك من حجاب إلى حجاب حتى جاوز بي سبعين حجابا غِلَظُ كل حجاب مَسِيرَةُ خَمْسِ مئةِ عامٍ، ثم دُلِّيَ لي رفرف أخضر يغلب ضوءه ضوء الشمس، ووضعتُ على ذلك الرفرف، ثم احتملني حتى وصلت إلى العرش، فأبصرت أمرا عظيما ثم تدلى لي قطرة من العرش، فوقعت على لساني، فما ذاق الذائقون شيئا قط أحلى منها وأنبأني الله بها نبأ الأولين والآخرين الحديث.

(١١٥) وَجَلَّ مِقْدَارُ مَا وُلِّيتَ مِن رُتَبٍ ... وَعَزَّ إِدْرَاكُ مَا أُولِيتَ مِن نِّعَمِ

لمَّا كان في ليلة المعراج أسرار بين رسولنا وربنا الفراج وكانت تلك الأسرار مكنونة عند الأخيار والأبرار حتى عجز كل من بين أخبار تلك الليلة العظيمة عن بيان تلك الأمور الجليلة، أراد الناظم الفاهم أيضا بيان عجزه عنها ببيان جلالة ما وقع فيها وبيان عدم إدراك أحد من الخلائق ما كان بينهما من الأسرار والدقائق فقال: «وجل مقدار... إلخ»، «**الواو**» للاستيناف و«**جل**» بمعنى عظم، و«المقدار» بالرفع فاعل «جل». و«**وليت**» ماض مجهول على صيغة الخطاب من ولاه أي: جعله والياً و«**من رتب**» بيان لـ«ما»، و«الرتب» جمع رتبة. و«عز» معطوف على «جل». و«**عز**» أي: عسر وندر. و«**الإدراك**»

الإحاطة بالشيء ذاتا وصفة. و«**أوليت**» ماض مجهول على صيغة الخطاب أيضا لكنه من «أولاه» بمعنى أعطاه والمعنى ما أعطيت. و«**من نعم**» بيان لـ«ما»، و«النعم» بكسر النون وفتح العين جمع نعمة، وفي قوله: «ما وليت من رتب» إشارة إلى كونه عليه الصلاة والسلام والياً يوم القيامة على أهلها بالشفاعة حيث أعطي له الشفاعة ليلة المعراج، وكذا مما أعطي له فيها ما أوحي إليه من أن الجنة محرمة على الأنبياء حتى تدخلها وعلى الأمم حتى تدخلها أمتك، وقوله تعالى له عليه الصلاة والسلام: ((لولاك لما خلقت الأفلاك))(١٥٨)، وكذا أعطي له فيها قوة جبروتية يهلك بها أعداءه، وغير ذلك مما لا يحيط به قلم، وفي قوله: «ما أوليت من نعم» إشارة إلى إعطائه تعالى له عليه الصلاة والسلام فيها علم الأولين والآخرين، وجعل أمته خير الأمم وإرسال النصيحة لأمته حيث روي عنه عليه الصلاة والسلام أنه قال: شكا أي الله تعالى من أمتي ليلة المعراج شكايات **الأولى**: أنّه قال: إني لم أكلفهم عمل الغد وهم يطلبون مني رزق الغد، **والثانية**: أنّه قال: لا أدفع أرزاقهم إلى غيرهم وهم يدفعون عملهم إلى غيري، **والثالثة**: أنه قال: إنهم يأكلون رزقي ويشكرون غيري، ويخونون معي ويصالحون خلقي، **والرابعة**: أنّ العزة لي وأنا المعز وهم يطلبون العز من سواي، **والخامسة**: أني خلقت النار لكل كافر وهم يجتهدون أن يوقعوا أنفسهم فيها، وقال: قل لأمتك إن أحببتم أحدا لإحسانه إليهم فأنا أولى به لكثرة نعمتي عليهم، وإن خفتم أحدا من أهل السماء والأرض، فأنا أولى بذلك لكمال قدرتي، وإن أنتم رجوتم أحدا فأنا أولى به، وإن أنتم استحييتم من أحد لجفائكم إياه، فأنا أولى به؛ لأن منكم الجفاء ومني الوفاء، وإن أنتم آثرتم أحدا بأموالكم وأنفسكم فأنا أولى بذلك؛ لأني معبودكم، وإن صدقتم أحدا في وعده فأنا أولى بذلك؛ لأني أنا الصادق، وكذلك قال تعالى له عليه الصلاة والسلام: يا محمد لم أكثر مال أمتك لئلا يطول حسابهم يوم القيامة ولم أطل أعمارهم لئلا تقسوا قلوبهم، ولم أفجأهم بالموت لئلا يكون خروجهم من الدنيا بدون التوبة وأخرتهم في الدنيا عن الآخرين لئلا يطول في القبور حبسهم كذا في "روح البيان تفسير القرآن" لإسماعيل حقي صاحب الكشف والعرفان.

(١٥٨)"كشف الخفاء"، ٢/١٤٨.

(١١٦) بُشْرٰى لَنَا مَعْشَرَ الإِسْلَامِ إِنَّ لَنَا ... مِنَ الْعِنَايَةِ رُكْناً غَيْرَ مُنْهَدِمِ

لمّا بين من أول هذه القصة اللطيفة إلى هنا ما يدل على أفضليته عليه السلام وأشرفيته من جميع الأنام وعلو رتبته وسمو درجته وكونه نائلا النعم الكثيرة والأسرار والكلم الغفيرة وكأن قائلا قال: هل أصاب شيء أمته من تلك النعم؟ وهل طاب لهم ذلك العروج وكان في حقهم من الكرم؟: أجاب عنهم بالبشارة والسرور وبيان نعمة ما أصابهم من ذلك العبور فقال: «بشرى لنا... إلخ»، «**بشرى**» إما خبر مبتدأ محذوف أي: هذه القصة بشرى، و«لنا» صفة أو مبتدأ أي: بشرى قد ثبتت، وإما «بشرى» مبتدأ خبره «لنا»، فحينئذ يرد عليه أن «بشرى» نكرة، والمبتدأ لا تكون نكرة، ويجاب بأنه مخصص؛ لأنه موصوف بصفة محذوف أي: بشرى عظمى أو بأنه فاعل في المعنى أي: ما ثبت بشرى، ثم إن البشرى بمعنى المسرة والفرح، و«**معشر**» بالنصب على أنه منادى أو على الاختصاص كما في الحديث ((نحن معاشر الأنبياء لا نورث))(١٥٩) و«المعشر» بمعنى الجماعة قال في "كليات" أبي البقاء: كل جماعة أمرهم واحد، فهو معشر، والتسمية بجماعة الإسلام خاص بهذه الأمة؛ لأن التسمية باسم المسلم من خصائصهم كما سيأتي. وقوله: «**إنّ**» بكسر الهمزة تعليل للدعوى المستفادة مما سبق أي: البشارة مخصوصة لنا فترتيب قياسه هكذا البشارة خاصة لنا يا معشر الإسلام؛ لأن لنا من العناية ركنا غير منهدم، وكل من شانه كذا فالبشارة خاصة له، فينتج المطلوب، و«لنا» ظرف مستقر مرفوع على أنه خبر «إن» واسمه قوله الآتي: «ركنا» و«من العناية» ظرف مستقر منصوب على أنه حال من «ركنا» قدم على ذي الحال لكونه نكرة وجعله صفة لـ«ركنا» بعيد كل البعد كما لايخفى. والمراد من العناية مزيد الاعتناء بمصالحهم والكرامة عليهم، وهي العنايات الأزلية التي تورث السعادة الأبدية، وهي الخصائص التي لم توجد في سائر الأمم منها: إحلال الغنائم ولم تحل لأمة قبلها، ومنها: أنه جعل الأرض لهم مسجدا، ومنها: أنه جعل تراب الأرض لهم طهورا، منها: الوضوء فإنه لم يكن إلا للأنبياء دون أممهم، ومنها:

(١٥٩)"كنز العمال"، كتاب الفضائل، الحديث: ٣٥٥٩٥، ١٢/٢٢٠، بألفاظ مختلفة.

مجموع الصلوات الخمس ولم تجمع لأحد غيرهم، ومنها: الأذان والإقامة، ومنها: البسملة حيث لم تنزل على أحد من الأمم، ومنها: التأمين خلف الإمام، ومنها: الاختصاص بالركوع، ومنها: الصفوف في الصلاة كصفوف الملائكة، ومنها: الجمعة، ومنها: ساعة الإجابة التي في الجمعة، ومنها: أنه إذا كان أول ليلة من شهر رمضان نظر الله إليهم، ومن نظر إليه لا يعذبه أبدا، ومنها تزيين الجنة لهم فيه واستغفار الملائكة لهم في كل ليلة منه وكون ذنوبهم مغفورة جميعا في آخر ليلة منه، ومنها: السحور وتعجيل الفطر، ومنها: ليلة القدر، ومنها: أن لهم الاسترجاع عند المصيبة، ومنها: أن الله تعالى رفع عنهم الإصر والأغلال، ومنها: أن الله تعالى لم يجعل عليهم في الدين من حرج، ومنها: أن الله تعالى رفع عنهم المؤاخذة بالخطأ والنسيان، ومنها: أن الإسلام وصف خاص بهم لا يشاركهم فيه غيرهم إلا الأنبياء، ومنها: أن شريعتهم أكمل الشرائع، ومنها: أنهم لا يجتمعون على الضلالة، ومنها: أن إجماعهم حجة واختلافهم رحمة، ومنها: أنهم أقل الأمم عملا وأكثرهم أجرا، ومنها: أن الطاعون شهادة ورحمة لهم، وكان على سائر الأمم عذابا، ومنها: أنهم إذا شهد منهم اثنان لعبد بخير وجبت له الجنة، ومنها: أنهم أوتوا الإسناد وهو خصيصة فضيلة من خصائص هذه الأمة، ومنها: أنهم أوتو تصنيف الكتب، ومنها: أن فيهم أقطابا وأوتادا ونجباء وأبدالا، ومنها: أنهم يدخلون قبورهم بذنوبهم ويخرجون منها بلا ذنوب لأنها تغفر لهم باستغفار المؤمنين لهم، ومنها: أنهم اختصوا في الآخرة بأنهم أول من تنشق عنهم الأرض من بين الأمم، ومنها: أنهم يدعون يوم القيامة غرا محجلين من آثار الوضوء، ومنها: أنهم يكونون في الموقف على مكان عال، ومنها: أنهم يؤتون كتابهم بأيمانهم، ومنها: أنهم يدخل الجنة منهم سبعون ألفا بغير حساب، ومنها: أنهم يدخلون الجنة قبل سائر الأمم. **وركن** الشيء جانبه الأقوى الذي يستند ذلك الشيء إليه لغة قال الله تعالى: ﴿أَوْ آوِي إِلَىٰ رُكْنٍ شَدِيدٍ﴾ [هود: ٨٠]، وفي الاصطلاح: ركن الشيء ما يقوم به ذلك الشيء، والمراد هاهنا معناه اللغوي، أعني معنى المسند يعني أن لنا مستندا و طرفا قويا، وهو النبي عليه الصلاة والسلام وشريعته، و«**غير منهدم**» بالنصب صفة «ركنا»، و«منهدم» اسم فاعل من الانهدام بمعنى الزوال، والمعنى غير مخوف انتساخه فإن هذه الشريعة باقية إلى يوم التناد بعناية رب هاد.

(١١٧) لَمَّا دَعَا اللهُ دَاعِيْنَا لِطَاعَتِهِ ... بِأَكْرَمِ الرُّسُلِ كُنَّا أَكْرَمَ الأُمَمِ.

لما كانت الصغرى المذكورة في البيت السابق أعني: قوله: «إن لنا من العناية... إلخ»، نظرية أراد أن يثبتها فقال: «لما دعا الله... إلخ»، فترتيب قياسه هكذا إن لنا من العناية ركنا متينا؛ لأنه لما دعا الله داعينا لطاعته بأكرم الرسل كنا أكرم الأمم وحيثما كنا أكرم الأمم فإن لنا من العناية ركنا غير منهدم لكن المقدم حق فالتالي مثله، ثم إنّ «**لما**» ظرف بمعنى «إذ» يليه فعل ماض لفظا أو معنى، وهاهنا وليه ماض لفظا، ويكون جوابه فعلا ماضيا لفظا كما وقع هاهنا أو معنى اتفاقا، وقد يكون جوابه ماضيا مقرونا بالفاء، وقد يكون جملة اسمية مقرونة بإذا المفاجأة وبالفاء عند ابن مالك وفعلاً مضارعاً عند ابن عصفور، وقد يكون «لما» حرف استثناء بمعنى «إلا» فتدخل على الجملة الاسمية نحو قوله تعالى: ﴿إِن كُلُّ نَفْسٍ لَّمَّا عَلَيْهَا حَافِظٌ﴾ [الطارق: ٤] أي: إلا عليها، وقد يكون فعلا نحو لَم لَمَا لَمَوا، وتكون جازمة إذا دخلت على المضارع قال في "الإرشاد" في قوله تعالى: ﴿وَتِلْكَ الْقُرَىٰ أَهْلَكْنَاهُمْ لَمَّا ظَلَمُوا﴾ [الكهف: ٥٩] إنّ «لمّا» ظرف استعمل للتعليل، وليس المراد منه الوقت المعين انتهى. وكذلك ما وقع هاهنا. و«**دعا**» بمعنى سمى، و«**الله**» فاعله، و«**داعينا**» مفعول «دعا»، وسكون يائه للضرورة، و«الداعي» هاهنا بمعنى الهادي والسفير للدعوة، والمراد به رسول الله عليه الصلاة والسلام. و«**لطاعته**» «اللام» بمعنى إلى متعلق بـ«داعينا»، و«الطاعة» بمعنى العبادة، و«الضمير» إمّا راجع إلى الله أو إلى الداعي، المراد به الرسول والطاعة إليه طاعة إلى الله، ولذا قال تعالى: ﴿مَن يُطِعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ اللَّهَ﴾ [النساء: ٨٠]. و«**بأكرم الرسل**» متعلق بـ«دعا الله»، ووجه تسميته تعالى إياه عليه الصلاة والسلام بأكرم الرسل قد ثبت بالأخبار الصحيحة كقوله عليه الصلاة والسلام: ((أنا أكرم الخلق على الله وآدم ومن دونه تحت لوائي))[١٦٠]، وقد سبق تفصيله. و«**كنا**» جواب «لمّا» و«**أكرم الأمم**» بالنصب خبر «كنّا». و«الأمم» جمع أمّة، و«الأمة» بمعنى الجماعة فإن كل أمة جماعة لنبيهم، والنبي إمامهم. والحاصل: أن كونه عليه الصلاة والسلام أكرم

(١٦٠) "مسند أبي يعلى الموصلي"، أول مسند ابن عباس رضي الله عنه، الحديث: ٢٣٢٤، ٢/٣٦٧.

الرسل سبب لكوننا أكرم الأمم؛ لأنّ الأمّة تابعة، والنبي متبوع، فأكرمية التابع إنما هي من أكرمية المتبوع، وبعض أهل الكلام من العلماء الأعلام جعل القضية بالعكس كما لايخفى على أولي الأفهام. ثم اعلم! أنه مما يدل على أكرمية هذه الأمة حديث ذكره "أبو نعيم" في "الحلية" عن أنس أنه قال: قال رسول الله عليه الصلاة والسلام: ((أوحى الله تعالى إلى موسى نبي بني إسرائيل أنه من لقيني وهو جاحد بأحمد أدخلته النار قال: يا رب ومن أحمد؟ قال تعالى: ما خلقت خلقا أكرم عليّ منه كتبت اسمه مع اسمي في العرش قبل أن أخلق السموات والأرض وإن الجنة محرمة على جميع خلقي حتى يدخلها هو وأمته قال: ومن أمته؟ قال: الحمادون يحمدون صعودا وهبوطا وعلى كل حال يشدون إزارهم أوساطهم ويطهرون أطرافهم صائمون بالنهار ورهبان بالليل أقبل منهم اليسير وأدخلهم الجنة بشهادة «أن لا إله إلا الله» قال موسى: يا رب فاجعلني نبي تلك الأمة قال: نبيها منها قال: اجعلني من أمة ذلك النبي قال: استقدمت واستأخرت ولكن سأجمع بينك وبينه في دار الجلال))[١٦١].

(١١٨) رَاعَتْ قُلُوْبَ الْعِدٰى أَنْبَاءُ بِعْثَتِهِ ... كَنَبْأَةٍ أَجْفَلَتْ غُفْلاً مِنَ الْغَنَمِ

لمّا فرغ من قصة المعراج وما يتعلق به من حصول الوصول وقطع كل مراتب من الفروع والأصول وصعوده إلى ما فوق سدرة المنتهى وبلوغه إلى المقصود والمُنى شرع في بيان بعض غزواته وشجاعة صحابته في مجاهدة الجهاد لدفع أهل الكفر والعناد وتطهير الأرض من أهل الزيغ والفساد فبين أولا وقوع الخوف في قلوبهم بهيبة أخبار بعثته وأنباء نبوته فقال: «راعت قلوب العدى... إلخ»، «**راعت**» من «الروع» بمعنى التخويف. و«**قلوب العدى**» بالنصب مفعول راعت، وهو جمع قلب، وهو محل الإدراك وكيفية إدراكه مجهولة، وكونه عبارة عن الروح المسمى بالقوة العاقلة والنفس الناطقة على ما في التلويح لم تقم عليه شبهة فضلا عن الحجة، وقد يطلق على المضغة التي في الجانب الأيسر، والمراد به هاهنا المعنى الأول كما لايخفى. و«**العدى**» بكسر العين

(١٦١)"حلية الأولياء"، الحديث: ٤٥٢٤، ٣/٤٢٩.

مقصورا جمع عدو كالأعداء، والمراد بهم أعداء الدين، أعني: الكفار والمشركين و«**الأنباء**» بالرفع فاعل «راعت»، وهي جمع نبأ بمعنى الخبر، وخبر البعثة وإن كان في ذاته واحدا جمع بالنظر إلى المخبر به؛ لأنّه كثير أو باعتبار المخبرين، أو جمعه مجاز للتعظيم لشانه فتدبر. و«**البعثة**» مصدر بمعنى الرسالة والنبوة، والضمير راجع إليه عليه السلام أي: كونه مرسلاً وكونه مدعياً للنبوة وإظهار بطلان أديانهم وكسر أصنامهم في عيانهم، ثم أتى بنظير لكون أعدائه متفرقة بخبر نبوته فقال: «كنبأة... إلخ»، «**النبأة**» بمعنى صوت الأسد، وجملة «**أجفلت**» صفة نبأة، وهو من الإفعال بمعنى الإهراب أي: أهربت وفرقت وأفزعت. و«غفلاً» بالنصب مفعول «أجفلت»، و«**الغفّل**» بضم الغين جمع غافل، و«**الغنم**» اسم جنس يقع على الكثير والقليل.

وحاصل المعنى: أن أخبار نبوته وآثار بعثته خوفت قلوب الأعداء من الكافرين من أهل الكتاب والمشركين مثل صيحة الأسد أهربت الأغنام الغافلة وفرقت جمعهم بهيبة عالية، وفي هذا البيت إشارة إلى نصرته عليه السلام بالرعب إذ ورد في الحديث الصحيح أنه عليه الصلاة والسلام قال: ((نصرت بالرعب مسيرة شهر))[١٦٢] وفي حديث ((شهرين)) حيث وقعت الهيبة في قلوبهم بلا جهاد ولا مقاتلة بل من عند الله تعالى فكانوا يجيئون من الأقطار ويؤمنون بالنبي المختار.

(١١٩) مَا زَالَ يَلْقَاهُمْ فِيْ كُلِّ مُعْتَرَكٍ ... حَتّٰى حَكَوْا بِالْقَنَا لَحماً عَلٰى وَضَمِ

ثم شرع في بيان جهاده وقتاله في المعارك والكتائب وكونه غالبا عليهم بالرماح والقواضب فقال: «ما زال يلقاهم... إلخ»، «**ما زال**» بمعنى دام مجازا، و«**يلقاهم**» من «اللقاء» بمعنى الملاقاة، وفاعله راجع إلى النبي عليه السلام، وضمير مفعوله راجع إلى الكفار، ويقرأ يلقاهم بإشباع ضمة الميم لضرورة الوزن. و«**المعترك**» على صيغة المفعول بمعنى المعركة ومحل الحرب يعني كان رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم يلقي الكفار في محل الحرب كلما خرج لأجل المقاتلة ويغلب عليهم وكان عدد مغازيه عليه السلام

(١٦٢)"صحيح البخاري"، كتاب التيمم، الحديث: ٣٣٥، ١/١٣٣.

التي خرج فيها بنفسه سبعا وعشرين مرة قاتل في تسع منها بنفسه، وهي "بدر" و"أحد" و"المريسيع" و"الخندق" و"بني قريظة" و"خيبر" و"حنين" و"الطائف" و"فتح مكة" وسيأتي بيان بعضها إن شاء الله تعالى. و«**حتى**» متعلق بمقدر أي: كان يلقاهم في كل معترك ويقتلهم حتى حكوا و«**حكوا**» من «حكى» بمعنى شابه كما في قوله:

ظلمناك في تشبيه صُدْغَيْكَ بالمسك		وقاعدة التشبيه نقصان ما يحكى

وضمير الجمع راجع إلى الكفار يعني شابه الكفار «بالقنا» وهو بفتح القاف بمعنى الرمح، و«الباء» فيه للسببية، وفيه حذف مضاف أي: بسبب ضرب القنا، و«لحما» منصوب مفعول لـ«حكوا». و«على وضم» ظرف مستقر على أنه صفة لحما. و«**الوضم**» بفتحتين خشب أو حديد يقطع القصاب اللحم ويعلقه عليه ويترك معدا لكل من يميل إليه ويرغب فيه.

و**حاصل معنى البيت:** دام النبي عليه الصلاة والسلام مجاهدا أعداء الإسلام في كل معركة وكتيبة حتى تركهم جرحى وقتلى على رؤس القنا مشابهين اللحم الموضوع على الخشب والمتروك في العيان بلا حجب ولايخفى ما فيه من تشبيه الأصحاب بالقصاب والكفار بالغنم ورماح الأصحاب بسلاح القصاب في كمال شجاعته وأصحابه وأتباعه وأحزابه وكون قلوب الأعداء في غاية الجبانة في السر والعلانية وكون موتاهم معلقة على الرماح مع فضاحة وافتضاح.

(١٢٠) وَدُّوْا الْفِرَارَ فَكَادُوْا يَغْبِطُوْنَ بِهِ ... أَشْلَاءَ شَالَتْ مَعَ الْعِقْبَانِ وَالرَّخَمِ

لَمَّا بين خروجه عليه السلام والملاقاة للكفار وقتلهم بعناية الملك الجبار أراد أن يبين بعض ما وقع في تلك الغزوات من انهزام أهل النار وهربهم منه عليه السلام بلا قرار مع سرعتهم بتواطىء بعضهم بعضا في الفرار فقال: «ودوا الفرار... إلخ»، «**ودوا**» من «الود» بمعنى المحبة يقال: ودّه أي: أحبه، أو بمعنى التمني، وضمير الجمع للكفار. و«**الفرار**» بالنصب مفعول «ودوا» يعني أنّ الكفار أحبوا الفرار من المقابلة له عليه السلام والجهاد لعدم اقتدارهم على المقابلة بل على المقاولة. و«**الفاء**» في «فكادوا» للعطف والتفسير لـ«ودوا»، و«**كاد**» من أفعال المقاربة أي: قربوا، وجملة «**يغبطون**» بالنصب خبر «كاد»، وهو من «غبط يغبط» كـ«ضرب يضرب»، وقال في "القاموس": كـ«ضرب وسمع»،

والاسم الغبطة بكسر الغين، وهي تمنى حصول مثل النعمة الحاصلة للغير من غير طلب زوالها، وقد يراد بالغبطة لازمها، وهي المحبة والسرور، والمراد هاهنا هو المعنى الأول، والفرق بين الغبطة والحسد قد سبق قبيل مبحث الآيات فتذكر. و«**به**» متعلق بـ«يغبطون»، و«الباء» سببية، والضمير راجع إلى الفرار، و«**أشلاء**» بالنصب مفعول «يغبطون» وهي كأشياء جمع شلو بمعنى العضو و«**شالت**» بمعنى ارتفعت وجملة «شالت» منصوب محلاً على أنّه صفة «أشلاء»، فضميره راجع إليها، و«**مع**» حال من فاعل «شالت»، ولا يجوز أن يكون ظرفا لـ«شالت» كما ذهب إليه بعض الشارحين؛ لأنّهم قالوا: إن كلمة «مع» تستعمل على ثلاثة أوجه بمعنى الحال نحو جاءني زيد مع عمرو، وبمعنى الظرف، والظرف إمّا أن يكون بمعنى بعد أو بمعنى عند، ولا يجوز أن يكون ما وقع هاهنا من هذين المعنيين فيكون حالا لا ظرفا كما لايخفى. و«**العقبان**» بكسر العين جمع عقاب، وهو نوع من سباع الطير يصاد ويصاد به. و«**الرخم**» بفتحتين جمع رخمة، وهو أيضا نوع من الطير الذي يقع على الميتة، وفي بعض الأوقات يرفع الدجاجة، ومن قال: إنّ «الرخم» جنس واحده رخمة فقد غفل عن كتب اللغات كما لايخفى على الثقات.

و**حاصل معنى البيت:** أن أهل الشرك والعناد انهزموا في الجهاد وتمنوا الفرار من مجاهدة سيد الأبرار فقاربوا من كمال خوفهم ونفرة جوفهم أن يكونوا مثل قطع اللحم التي ترفعها الطيور كي يخلصوا من جهاد نبي الله الغفور.

(١٢١) تَمْضِي اللَّيَالِيْ وَلَايَدْرُوْنَ عِدَّتَهَا...مَالَمْ تَكُنْ مِنْ لَيَالِي الْأَشْهُرِ الْحُرُمِ

لَمَّا بين انهزامهم وفرارهم لخوفهم من القتال أراد أن يبين كون خوفهم باقياً فيهم في كل حال بلا مفارقة عنهم ولا زوال وكون رهبهم حاملا إياهم على حال لم يعرفوا عدد الأيام من الشهور والأعوام حتى تجيء الأيام المعدودة في الشهور الأربعة المعهودة فقال: «تمضي الليالي... إلخ»، «**تمضي**» بمعنى تمرّ. و«**الليالي**» فاعل «تمضي»، وفي الليالي تغليب المؤنث على المذكر أعني: الأيام فإنّه وإن كان الأصل تغليب المذكر على المؤنث كما في القمرين للشمس والقمر وكما في الآيات الكثيرة كقوله تعالى: ﴿يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا﴾

[البقرة: ١٠٤] لكن غلب هاهنا على خلاف الأصل بناء على الأصل ولأنّ في ذكر الليالي إيماء إلى سوء حال أوقاتهم، فإنّ ظلمة الزمان وسواده كناية عن ذلك ولأن فيه إشارة إلى أن حالهم في الليالي التي هي أوقات الاستراحة كانت كذلك فكيف زمان أيامهم المخلوطة بالكدورات. ومن لم يجعله من باب التغليب بل جعله من قبيل قوله تعالى: ﴿سَرَابِيلَ تَقِيكُمُ الْحَرَّ﴾ [النحل: ٨١] فليس له من الفهم نصيب. «**ولايدرون**» الواو للحال، و«يدرون» من الدراية أي: لايعلمون. و«**عدتها**» بالنصب مفعول يدرون، و«العدة» بكسر العين بمعنى العدد، وضميره راجع إلى «الليالي» أي: لايعرفون عدد الأيام والليالي لشدة قتاله عليه السلام وغاية خوفهم منه عليه السلام حيث كان تصورهم وفكرهم في كل زمان وآن التخلص من عذاب الحرب والنيران. و«**ما**» في «ما لم تكن» ظرفية مصدرية أي: دوام لم تكن، وضمير المؤنث في «تكن» راجع إلى «الليالي». و«من» متعلق بـ«لم تكن»، و«**الأشهر**» جمع شهر و«**الحرم**» بالجر صفة الأشهر، وهو بضمتين جمع حرام، والمراد بالأشهر الحرم أربعة أشهر، وهي ذو القعدة و ذو الحجة والمحرم ورجب، والمحرم أول الشهور، ولذا يدخل عليه الألف واللام في أكثر استعماله. وعدّوا الشهور اثني عشر شهرا أولها: **المحرم**، وكان اسم المحرم في صدر الجاهلية «المؤتمن» لأنهم كانوا يأتمنون فيه من الغارات فسمي بـ«المحرم» لتحريم القتال فيه، وقيل: لتحريم الجنة فيه على إبليس، وثانيها: **صفر**، وكان اسمه في الجاهلية «ناجر» لأنه تنجر فيه الإبل أي: تهزل، فسمي صفرا لاصفرار الأشجار فيه أو لإصفار مكة من أهلها إذا سافروا يقال: دار صفر أي: خالية أو لاصفرار وجوههم حين وقع في الناس حمى أو وباء، وثالثها: **ربيع الأول**، وكان اسمه فيها «خوان» ورابعها: **ربيع الآخر**، وكان اسمه فيها «بصان» فسميا ربيعين لارتباع الناس فيهما أي: إقامتهم في الخصب، وخامسها: **جُمادى الأولى**، وكان اسمها فيها «حنين» وسادسها: **جُمادى الآخرة**، وكان اسمها فيها «رُنّى» فسميا جماديين لجمود الماء فيهما، وجميع الشهور مذكرة إلا جُماديين، وسابعها: **رجب**، وكان اسمه فيها «الأصم» لأنّه لا يسمع فيه صوت السلاح، فسمي رجب لتعظيم الله وتعظيمهم له، وفي "الروضة" لم يعذب الله أمة محمد في رجب، وثامنها: **شعبان**، وكان اسمه فيها «عجلان» ثم سمي شعبان لانشعاب القبائل فيه وتفرقهم بالغارات أو لانشعاب الخير فيه، وتاسعها: **رمضان**، وكان اسمه فيها «ناتقا»

فسمي رمضان لأنه ترمض فيه الذنوب أي: تحرق أو لرمض الفصال وعاشرها: **شوال**، وكان اسمه فيها «العاذل» ثم سمي بـ«شوال» لشول الناقة فيه بذنبها ليعلم الذكر أنها حامل أو لانّ العرب كانت تشول فيه أي: تنسرح عن أمكنتها وحادي عشرها: **ذوالقعدة**، وكان اسمه فيها «رنة» ثم سمي ذو القعدة لقعودهم في رحالهم عن العدو والحرب، وثاني عشرها: **ذوالحجة**، وكان اسمه فيها «برك» ثم سمي ذوالحجة لأداء الحج فيه، فاعلم أن تسمية هذه الشهور بهذه الأسامي إنما هي بالنظر إلى ما وقع يوم تسميتها ولا يلزم كلية وجه التسمية كما لايخفى، ثم اعلم أن عدد أيام الأسبوع سبعة، أولها السبت كما يدل عليه قول الشاعر:

ألم ترَ أنّ الدهر يومٌ وليلةٌ	**يكرّان من سَبْتٍ عليك إلى سبت**

وكان أسماء أيام الأسبوع في الجاهلية أيضا غير الأسماء المعهودة حيث كانوا يقولون للأحد «أول» وليوم الاثنين «أهون» وللثلثاء «جبار» وللأربعاء «دبار» وللخميس «مؤنس» وللجمعة «العروبة» وللسبت «شيار»، ثمّ إنّ أسماء أيام الأسبوع من الأعلام الغالبة فيلزمها اللام، وقد يجرد لفظ الاثنين من اللام.

وحاصل معنى البيت: أن الكفار قد بلغوا إلى حال قد كانت تمر الليالي ولا يعلمون عددها من شدة الآلام والهموم لما رأوا فيها من المقاساة والغموم، وغابوا عن حساب الأيام والليالي ما لم تجيء أيام الأشهر الحرم والليالي فإذا جاءت تلك الأشهر الأربعة المكرمة كانوا في بيوتهم بالاستراحة منعمة لكون النبي فارغاً عن القتال في تلك الأشهر بلا زوال لكونه مشغولا بعبادة ربه الكبير المتعال ذي الجمال والجلال.

(١٢٢) كَأَنَّمَا الدِّيْنُ ضَيْفٌ حَلَّ سَاحَتَهُمْ ...بِكُلِّ قَرْمٍ إِلَى لَحْمِ الْعِدٰى قَرِم

لَمَّا بين انهزام المشركين في المقاتلة وفرارهم وعدم قدرتهم على المقابلة وكان مظنة أن يسئل عن سبب الانهزام وباعث عدم قرارهم فيها والقيام أراد كشف القناع واللثام عن وجه سببه وبيان كون باعثه مقابلتهم بالإسلام وقد ورد ((أن الإسلام يعلو ولا يعلى

عليه))[١٦٣] في كل عام فقال بتشبيه لطيف: «كأنما الدين... إلخ»، فـ«كأنّ» للتشبيه، و«ما» كافة. و«الدين» في اللغة: بمعنى العادة بدليل قول الفراء: دين الرجل عادته، وبمعنى الحساب كقوله تعالى: ﴿ذٰلِكَ الدِّيْنُ الْقَيِّمُ﴾ [التوبة:٣٦] أي: الحساب المستقيم، وبمعنى الجزاء خيرا وشرا كما في قولهم: «كما تدين تدان» وقول الحماسة:

وَلَمْ يَبْقَ سِوَى الْعُدْوَا	نِ دِنّاهُمْ كما دَانُوا

وفي العرف: وضع الهي سائق لذوي العقول باختيارهم المحمود إلى ما هو خير لهم بالذات، ثم إن الدين يقع على الحق والباطل جميعا لكونه عبارة عما يعتقد سواء كان حقا أو باطلا، ولهذا يقال دين اليهود والنصارى باطل ودين الإسلام حق، والمراد بـ«الدين» هاهنا الإسلام لأنّ الدين عند الله الإسلام، ويمكن أن يراد بالدين هاهنا صاحب الدين وداعيه ومظهره أعني: النبي عليه السلام مجازا من قبيل ذكر المسبب وإرادة السبب. و«الضيف» بمعنى المسافر، فالدين مشبه، والضيف مشبه به، وجملة «حل ساحتهم» صفة ضيف بيان لوجه الشبه مع قيود، و«حل» بمعنى نزل، و«الساحة» بمعنى ما حول الدار، وضمير الجمع راجع إلى الكفار. و«بكل قرم» حال من فاعل «حل» أي: ملتبساً ومصحوباً. و«القرم» بفتح القاف وسكون الراء بمعنى السيد، والمراد «بكل قرم» صحابة رسول الله عليه السلام. و«إلى لحم العدى» متعلق بـ«قرم» المؤخر، والمراد من «العدا» الكفار. و«قرم» بالجر صفة بعد صفة لـ«ضيف» أي: صفة لكل قرم، وهو الأقرب لفظاً ومعنًى. و«القرم» بفتح القاف وكسر الراء بمعنى شديد الاشتهاء إلى اللحم.

وحاصل معنى البيت: أن دين الإسلام أو صاحبه أعني نبينا أفضل الأنبياء الفخام مثل سلطان نزل للضيافة في ساحة دارهم مستوليا على حيطان بلادهم مصاحبا لجنود كلهم أزمة الإسلام والسادات الكرام مطيعين لسيدهم مع القيام في خدمته بالاهتمام مشتهين إلى لحوم العدى وإزالة الأشقياء وتمزيق أجسادهم وتخريب بلادهم وأسر أولادهم مع الغلبة في كل الأيام والإسلام لا يقبل الانهزام لأنه يعلو ويغلب في كل حال، ولا يعلى عليه، ولا يكون مغلوبا، ولو كانت أعداؤه كالجبال، ومن كان خصمه هذا الدين المتين فله في الدنيا والآخرة عذاب مهين، ومن كان في الدنيا له حبيبا أعطاه الإله من الجنة نصيباً.

(١٦٣) فردوس الأخبار،الجزالأول،باب الألف، ص٧٣،رقم ٣٩٥

(١٢٣) يَجُرُّ بَحْرَ خَمِيْسٍ فَوْقَ سَابِحَةٍ ...يَرْمِي بِمَوْجٍ مِنَ الأَبْطَالِ مُلْتَطِمِ

لَمَّا أتم بيان انهزام الكفار وسببه وباعثه بكلام لم يبق فيه شبهة للصغار والكبار أراد بيان شجاعة جيشه عليه السلام ومتانة صحابته الفخام وكون عسكره تام الأركان وكونه كثيرا كامل الأطراف بلا نقصان فقال: «يجر بحر خميس... إلخ»، جملة «يجرّ» خبر مبتدأ محذوف أي: هو يجرّ، والضمير المستتر فيه راجع إلى الدين المراد به رسول الله عليه السلام، والعدول عن الماضي إلى المضارع لاستحضار الصورة البديعة أو لتأخّر الجر بالنظر إلى ذات النبي عليه السلام، «بحر» بالنصب مفعول «يجرّ»، وإضافة البحر إلى الخميس من إضافة المشبه به إلى المشبه أي: خميس مثل البحر. و«الخميس» العسكر الذي تمت أركانه سمي به لكونه مشتملا على خمسة أركان لأنّهم قسموا العسكر إلى خمسة أقسام المقدمة والميمنة والميسرة والساقة والقلب. وتشبيه الخميس بالبحر إنما هو في الهيبة والإهلاك وتموج البعض على بعض بلا انفكاك، والمراد بـ«جرّ العسكر» إيرادهم في المحاربات والذهاب بهم إلى المقاتلات، و«فوق» صفة خميس. و«سابحة» صفة موصوف محذوف أي: خميس كائن فوق خيل سابحة، و«السابحة» من السبح، والسبوح الفرس الحسن الذي يجري تحت راكبه بلا إتعاب له ولا مشقة عليه كأنّه سفينة تجري في البحر. وجملة «يرمي» صفة «خميس»، فضميره راجع إليه أو راجع إلى البحر، و«الموج» من «ماج البحر» أي: اضطرب وارتفع بعضه فوق بعض، والمراد بـ«الموج» هاهنا السهام والرماح، ففيه استعارة مصرحة بأن شبه الرماح والسهام بأمواج البحر في الإهلاك والجريان وامتداد بعضه فوق بعض والهيجان، فاستعير الموج للسهام والرماح فذكر الموج وأريد السهام والرماح، فيرمي قرينة لهذه الاستعارة. وقوله: «من الأبطال» تجريد أو في الموج استعارة بالكناية كما لايخفى. وقوله: «من الأبطال» ظرف مستقر على أنه صفة لـ«موج» أي: موج حاصل من الأبطال أو بيان لقوله المؤخر: «ملتطم»، و«الأبطال» جمع بطل بمعنى الشجيع القوي، و«ملتطم» بالجر صفة «موج» وهو على صيغة اسم الفاعل بمعنى ضارب بعضه على بعض من شدة الهيجان، ففي

الضمير في «الملتطم» الراجع إلى الموج استعارة بالكناية إذا المراد بـ«الالتطام» هنا مصادمة الأبطال واصطكاك أسلحتهم كما لايخفى.

و**حاصل معنى البيت**: ما زال النبي عليه السلام يجر ويقود جنداً تام الأركان له خمسة أطراف كأنهم بحر وكلهم من الأشراف يجري كلهم على خيول جارية بالجريان اليسير ونوق سارية كسريان السرير على وجه الماء الكبير إلى مضمار المعارك وميدان المهالك يرمي ذلك الجند سهاماً ورماحاً إلى الكفار كأمواج البحار وهم أبطال تتصادم وتتصاكك أسلحتهم بالاضطراب بلا فرار من الأعداء ولا اجتناب.

(١٢٤) مِنْ كُلِّ مُنْتَدِبٍ لِلّٰهِ مُحْتَسِبٍ ... يَسْطُوْ بِمُسْتَأْصِلٍ لِلْكُفْرِ مُصْطَلِمِ

ثم شرع في عد أوصاف أبطال ذلك الجند العظيم من كون قصدهم من المقاتلة هو الإجابة إلى أمر الله تعالى الكريم وكونهم ماهرين في استعمال الأسياف والرماح وحاذقين في علوم السهام والسلاح فقال: «من كل منتدب... إلخ» ثمّ إن «من كل منتدب»بدل من «الأبطال»، و«**المنتدب**»اسم فاعل من «الانتداب» و«الانتداب» بمعنى الإجابة للدعوة إلى شيء بالحث والإغراء أي: من كل مجيب لدعوة الله. ففي قوله: «**لله**» حذف مضاف. و«**محتسب**» بالجر صفة «منتدب»، وهو أيضا على صيغة اسم الفاعل من الاحتساب بمعنى: العمل لله تعالى والإخلاص فيه طلبا لمرضاة الله تعالى كما في قوله عليه السلام ((من صام رمضان إيمانا واحتسابا))[١٦٤] الحديث. وقوله: «**يسطو**» صفة بعد صفة أو حال، وضميره راجع لـ«كل منتدب»، و«يسطو» بمعنى: يصول ويغلب على الأعداء، و«**بمستأصل**» «الباء» فيه للمصاحبة أو للاستعانة متعلق بـ«يسطو»، و«المستأصل» على صيغة اسم الفاعل من «استأصله» أي: قلعه من أصله وهدمه بلا بقية أثره، والمعنى بآلة مستأصلة وقالعة. و«**للكفر**» متعلق بـ«مستأصل»، وفيه مجاز حذفي أي: لأهل الكفر من قبيل قوله تعالى: ﴿وَسْـَٔلِ الْقَرْيَةَ﴾ [يوسف: ٨٢] أو قلع الكفر كناية عن قطع أهله فتدبر. و«**مصطلم**» بالجر صفة «مستأصل» وتأكيد له، وهو أيضا على صيغة اسم الفاعل من «اصطلمه» بمعنى أهلكه أي: مهلك، ثم إن

(١٦٤) "صحيح البخاري"، كتاب الإيمان، باب صوم رمضان احتسابا من الإيمان، الحديث: ٣٨، ١/ ٢٦.

في هذا البيت إيماء إلى قوله عليه السلام: ((انتدب الله لمن خرج في سبيله)).[١٦٥] ومعنى الحديث، من خرج وقصد إلى الجهاد في سبيل الله طلبا لمرضاة الله تعالى كان الله ضامنا وكفيلا لمغفرة ذلك العبد أو سارع الله إلى إيفاء مقابلة جهاده بالمثوبات أو أوجب الله أن ينجز له ما وعده من الجنة والحور والغلمان.

و**حاصل معنى البيت**: إن أولئك الأبطال المهرة يسطون في أبطال أهل الضلال كل مجيب لدعوة ربهم الكبير المتعال مع الرغبة والميل إليه في الغنى والعيلة ومجتهد في إخلاص النية بلا إعراض ولا خوف من المنية مع الاحتساب إلى مرضاة الله بلا غرض غير رجاء مثوبات الله يسطو ويحمل كلهم بآلات قوية مستأصلة للكفرة الدنية وبأسلحة مهلكة لأهل الفساد ومطهرة وجه الأرض من أهل العناد.

(١٢٥) حَتّٰى غَدَتْ مِلَّةُ الْإِسْلَامِ وَهْيَ بِهِمْ... مِنْ بَعْدِ غُرْبَتِهَا مَوْصُوْلَةَ الرَّحِمِ

لَمَّا بين كون النبي عليه الصلاة والسلام موردا للجنود الكاملة والكتائب المقاتلة وبعض أوصاف أبطال جنوده وأحوال شجعان جيوشه كان مظنة أن يسأل عن ثمرة جهادهم وفائدة قتالهم وصمادهم فقال دفعاً لذلك الظن ومبينا لثمرة ذلك الفن: «حتى غدت... إلخ»، كلمة «**حتى**» إما غاية لـ«يجر» أو لـ«يسطو»، والتخصيص بالأول تخصيص بلا مخصص كما لايخفى. و«**غدت**» بمعنى صارت، و«**ملة الإسلام**» بالرفع اسم «غدت»، وإضافة الملة إلى الإسلام بيانية أي: ملة هي الإسلام من قبيل شجر الأراك. واعلم أن الدين والشريعة والملة والناموس متحدة بالذات ومتغايرة بالاعتبار إذ الطريقة المخصوصة الثابتة عن النبي عليه الصلاة والسلام تسمى من حيث الانقياد لها «دينا»، ومن حيث يردها الواردون المتعطشون لزلال نيل الكمال «شرعا وشريعة»، ومن حيث تملى وتكتب أو تجتمع عليها الناس للقبول «ملة» من الإملال بمعنى الإملاء أو من أمل بمعنى اجتمع، ومن حيث لها ملك اسمه ناموس. وقوله: «**وهي بهم**» «الواو» للحالية، و«هي» مبتدأ. و«بهم» ظرف مستقر خبر المبتدأ، وضمير هي راجع إلى الملة أي: والحال أنها منصورة

(١٦٥) "صحيح البخاري"، كتاب الإيمان، باب الجهاد من الإيمان، الحديث: ٣٦، ١/ ٢٥.

بهم، و«**من بعد غربتها**» متعلق بما بعده، وضمير المؤنث راجع إلى ملة الإسلام، والمراد من غربة الإسلام استغراب أحكامه، كل أحد لعدم معرفته وعدم الائتلاف به، أوالمراد منها كونه لا أنيس له ولا صاحب ولا حافظ ولا حامي له يواسي أمره ويسعى في مصالحه كالرجل الغريب. و«**موصولة الرحم**» بالنصب خبر «غدت»، و«الموصولة» من الصلة، و«الرحم» القرابة، وصلة الرحم عبارة عن رعاية الأقارب بزيارتهم، وتفقد خواطرهم وإعطاء نفقة من تجب عليه نفقته، وفي الحديث ((صلوا أرحامكم ولو بالسلام))(١٦٦)، والمراد من صلة الإسلام الإكرام إليه بإحيائه وبإكثار أصحابه.

و**حاصل معنى البيت:** أنه قد كانت نهاية جره عليه السلام العسكر الكثير وفائدة صولتهم وحملتهم على أهل النار والزمهرير كون ملة الإسلام، والحال أنّها منصورة بهم، ومصونة عندهم موصولة من أحبابه وأصحابه الذين هم عززوها بإتلاف أبدانهم في بابه ومن أتباعه وأتباع أتباعه ممن اقتدى بكتابه ما دار الزمان إلى يوم القيامة بِدُولاَبِه بعد كونها غريبة ذات كربة وبعد إن لم يكن لها صحبة أحد، ثم إن في هذا البيت إيماء إلى قوله عليه السلام: ((إن الدين بدأ غريبا وسيعود غريبا فطوبى للغرباء))(١٦٧) رواه مسلم في صحيحه.

(١٢٦) مَكْفُوْلَةً أَبَداً مِّنْهُمْ بِخَيْرِ أَبٍ ... وَخَيْرَ بَعْلٍ فَلَمْ تَيْتَمْ وَلَمْ تَئِم

ثمّ أراد بيان كون ملة الإسلام دائمة بإحيائهم إلى يوم القيام ومحفوظة من النسخ والتبديل ومصونة عن التغيير والتحويل فقال: «مكفولة أبدا... إلخ»، «**مكفولة**» إمّا بالنصب أو بالرفع، فعلى الأول إمّا بدل من موصولة أو عطف عليه بحذف حرف العطف للضرورة أو حال منها أو خبر ثان لـ«غدت» وعلى الثاني إما خبر مبتدأ محذوف أي: هي، أو هي خبر ثان لـ«غدت» تدبر. والمكفول اسم مفعول من كفل يكفل بمعنى ضمن، والكفيل بمعنى الضامن والحافظ، فمعنى مكفولة محفوظة ومصونة. و«**أبداً**» منصوب على الظرفية لـ«مكفولة» و«الأبد» بمعنى الدهر والزمان الطويل، وبمعنى الدائم. وفي "عناقيد الفوائد"

(١٦٦)"مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح"، كتاب الرقاق، باب فضل الفقراء وما كان إلخ، الفصل الثالث، ١١٣/٩.

(١٦٧)"صحيح مسلم"، كتاب الإيمان، باب بيان أن الإسلام بدأ غريبا إلخ، الحديث: ١٤٥، صـ ٨٧.

الأبد: بمعنى الوقت المستقبل الغير المتناهي كما أنّ الأزل بمعنى الوقت الماضي الغير المتناهي، وقد يضافان إلى جمعهما، فيقال: أبد الآباد وأزل الآزال وأما السرمد فأعم منهما انتهى. و«منهم» متعلق بـ«مكفولة»، والضمير للكفار أي: من شرورهم وأضرارهم وأفسادهم. و«**بخير أب**» متعلق بـ«مكفولة»، والمراد بالأب رسول الله عليه الصلاة والسلام وأصحابه الكرام والعلماء الأعلام مجازا. واستعارة مصرحة ووجه التشبيه كونه مظهرا حافظا والسعي في حمايتها من أعدائها، وهذا بعد تشبيه الملة بالابن في الظهور وكونه نافعا وباقيا بعد وفاة أبيه وكونه محتاجا إلى حافظ له. وقوله: «وخير بعل» عطف على خير «أب»، فقيد «أبدا» معتبر هاهنا، و«**البعل**» بمعنى الزوج كما في قوله تعالى: ﴿وَبُعُوْلَتُهُنَّ أَحَقُّ بِرَدِّهِنَّ﴾ الآية [البقرة: ٢٢٨] وأصل البعل، السيد والمالك، سمي الزوج بعلا لقيامه بأمر زوجته كأنه مالك لها ورب، والمراد بـ«خير بعل» النبي عليه السلام وأصحابه وورثته من علماء أمته. شبه النبي عليه السلام وأصحابه وورثته بزوج الملة في القيام بمصالحها ومنع يد الجاني عنها وهذا بعد تشبيه الملة بالزوجة في احتياجها إلى من يقيم مصالحها، ويحفظها ممن يجانيها. و«**الفاء**» في «فلم تيتم» تفريعية أي: إذا كانت الملة محفوظة بخير أب دائماً فلم تصر يتيمة، فـ«**تيتم**» من «يتم ييتم» كـ«علم يعلم» يقال: «يتم الولد» إذا مات أبوه، وهو صغير قيل: «اليتم» أصل معناه الانفراد ومنه الدرة اليتيمة، وقيل: هو في الآدميين من قِبَل الآباء، وفي البهائم من قِبَل الأمهات، وفي الطيور من جهتهما، وقيل: إنه يقال في الآدميين لمن فقدت أمه، والأصح هو الأول. «**ولم تئم**» عطف على «لم تيتم» هو ناظر إلى قوله: «وخير بعل» من قبيل اللف والنشر المرتب أي: إذا كان لها زوج فلم تئم و«تئم» من آمت المرأة إذا مات زوجها وخلت منه، ومنه قوله تعالى: ﴿وَأَنْكِحُوا الْأَيَامٰى مِنْكُمْ﴾ [النور: ٣٢].

و**حاصل معنى البيت:** ملة الإسلام كانت كابن الكرام أو كبنت السلاطين العظام محفوظة ومصونة دائما بالأب الذي هو أكرم الأنبياء العظام وأصحابه الذي هم أشرف الأنام وعلماء أمته الذين هم ورثته إلى يوم القيامة، وكانت كزوجة لها بعل أشرف البعول، وهو النبي الرسول وأصحابه وعلماء أمته الذين كلهم مرغوب ومقبول حيث

كانوا في إقامة أمورها ورؤية مصالحها وحفظها من الأغيار من أهل الشرك والكفار فنعم الأباء والأزواج الكبار.

(١٢٧) هُمُ الْجِبالُ فَسَلْ عَنْهُمْ مُصَادِمَهُمْ ...مَاذَا رَأَوْا مِنْهُمْ فِيْ كُلِّ مُصْطَدَمِ

لَمَّا بين بعض أوصاف شجاعته عليه الصلاة والسلام وثمرة جهاده مع أبطاله للكفار شرع في بيان كون أولئك الأبطال ثابتين في المعارك كالجبال وغير فارين من الجدال والقتال فقال: «هم الجبال... إلخ»، «هم» مبتدأ راجع إلى الأبطال السابقة، و«الجبال» بالرفع خبر المبتدأ والألف واللام يفيد الحصر لكنه إدعائي، و«الجبال» جمع جبل والحمل من قبيل زيد أسد، ووجه الشبه التمكن والثبات وعدم الفرار ولو جاء عساكر الأعداء من الجهات بالشدة والمهابة والمتانة. و«الفاء» في «فسل» إمّا سببية أو تفريعية أي: إن لم تصدقني فسل و«سل» أمر من «سأل يسئل» أي: فيلزم لك السؤال و«عنهم» ظرف لـ«سل»، والضمير للكفار. و«مصادمهم» بالنصب مفعول به لـ«سل»، والضمير للأبطال، و«المصادم» بضم الميم مصدر من صادم مصادمة بمعنى التقاء العسكرين للقتال واصطكاك خيولهم، وقيل: هو بفتح الميم اسم مكان بمعنى محل الحرب، و«ماذا رأوا» بدل من مصادمهم أي: فسل عنهم أي: شيء رأوا، وضمير الجمع في رأوا راجع إلى الكفار، ومفعول الرؤية محذوف أي: رأوه و العامل في «ماذا رأوا» المؤخر قدم عليه لاقتضاء الاستفهام الصدارة في الكلام. و«منهم» متعلق بـ«رأوا»، والضمير للأبطال المراد بهم الأصحاب. و«في كل مصطدم» متعلق بـ«رأوا» و«المصطدم» اسم مكان بمعنى محل الحرب.

وحاصل معنى البيت: أنّ الأصحاب الذين هم الأبطال مشبهون بالجبال، فإن لم تصدقني فسل عن الكفار مضاربة أولئك الكبار ومقاتلتهم مع أهل النار وسل عنهم ماذا رأوا من أولئك الشجعان في كل معارك وكتائب وميدان من السيوف والسهام.

(١٢٨) وَسَلْ حُنَيْناً وَسَلْ بَدْراً وَسَلْ أُحُداً...فُصُوْلَ حَتْفٍ لَهُمْ أَدْهٰى مِنَ الْوَخَمِ

لَمَّا ذكر مواضع حروبه عليه السلام في قوله السابق: «في كل مصطدم» بالإبهام أراد بعض تفصيل من تلك الغزوات وذكر أسماء بعضها للتبرك به فقال: «وسل حنينا... إلخ»، «الواو» عاطفة، و«سل» أمر كما سبق آنفا. و«حنينا» بالنصب مفعول به لـ«سل» أي: أهل حنين من قبيل «وَاسْئَلِ الْقَرْيَةَ»، و«حنين» بضم الحاء وفتح النون، وادٍ بين "مكة" و"الطائف"، وقد وقع فيه محاربة عظيمة بين الفريقين، وقصته أنه لما فتح رسول الله عليه السلام مكة أقام بها خمس عشرة ليلة، فلما سمعت به هوازن، جمعها أميرهم مالك بن عوف النضرى فاجتمع عليه مع هوازن ثقيف وبنوا النضر وسعد بن أبي بكر وغيرهم وقصدوا حرب رسول الله عليه السلام فلما سمع به رسول الله عليه السلام أمر الناس بالخروج إلى حنين يوم السبت لست ليال خلت من شوال فخرج عشرة آلاف من المسلمين الذين شهدوا فتح مكة وثلاثة آلاف من غيرهم، فنظر رجل من المسلمين إلى عسكر الإسلام، فقال إعجابا من كثرتهم: لن نغلب اليوم من القلة، فساءت تلك المقالة رسول الله عليه السلام، وذلك قوله تعالى: ﴿وَيَوْمَ حُنَيْنٍ إِذْ أَعْجَبَتْكُمْ كَثْرَتُكُمْ﴾ [التوبة: ٢٥] ثم ساروا، ولايعلمون كون العدو مخبأً عنهم، وكان الأعداء قد كمنوا في شعاب ظلمة الوادي، فحملوا على المسلمين بلا إخبار، فوقع ما وقع لكون عسكر الإسلام مغرورين بالكثرة وعدم قولهم: إن الله هو الناصر، فتفرق المسلمون، وبقي رسول الله وحده، وهو ثابت في مركزه ليس معه إلا عمه العباس آخذا بلجام بغلته البيضاء، وأبوبكر وعمر وعلي وخمسة من سائر الصحابة، ثم طفق رسول الله عليه الصلاة والسلام يركض بغلته نحو الكفّار، ويقول:

أَنَا النَّبِيُّ لاَ كَذِبْ ... أَنَا ابْنُ عَبْدِ الْمُطَّلِبْ

ثم قال: ((يا رب آتني ما وعدتني من النصرة)) (١٦٨) وقال للعباس: ادع الناس بالنداء، وكان العباس بليغ الصوت، فنادى الأنصار وغيرهم، فاجتمعوا والتقى الفريقان، فأنزل الله النصرة، ونزلت الملائكة عليهم، فنظر رسول الله إلى الكفار فأخذ كفا من تراب فرماهم

(١٦٨) تفسير أبي السعود، الجزالثاني، سورت توبه، آيت ٢٥

به وقال: ((انهزموا ورب الكعبة شاهت الوجوه)) (١٦٩) فمر التراب كأنه غمامة فدخل في أعينهم كلهم فانهزموا. «وسل بدرا» كرر العامل للوزن، و«بدر» اسم موضع بين مكة والمدينة، وقد وقع فيه محاربة فأعز الله الإسلام وأهله مع قلة عدة المسلمين وكثرة العدو فبيض الله وجه النبي وأصحابه وأخزى الشيطان وأحزابه قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ نَصَرَكُمُ اللَّهُ بِبَدْرٍ﴾ الآية [آل عمران: ١٢٣]، وقد كانت هذه الغزوة أعظم غزوات الإسلام، وكان خروجهم في رمضان، وجملة عسكر الإسلام ثلاث مئة وخمسة عشر رجلا، وكان المشركون ألفا فكان في تلك البقعة قتال عظيم، فأنزل الله سكينته على رسوله وأيده بجنود الملائكة، فقتل من المشركين في ذلك اليوم سبعون، وأسر منهم سبعون، وقتل أكثر صناديد قريش في ذلك اليوم، وقد وقع في هذه الغزوة عجائب ومعجزات لا يتحمل هذا المقام ذكرها ولو بالإجمال في الكلام. «وسل أحدا» عطف على القريب أو البعيد، و«أحد» بضمتين موضع بقرب المدينة وهو محل المحاربة، وقصته أنه لما أصابت قريشا يوم بدر بليات وقتل صناديدهم اجتمعوا لحرب رسول الله وأطاعهم قبائل كثيرة، وكان عددهم ثلاثة آلاف رجل وأرسلوا إليه عليه السلام إخبار مجيئهم، وكان يوم الجمعة فخرج رسول الله إلى الخطبة فأمر الناس بالتهيء، وقال: أيها الناس إني رأيت في منامي بقراً ينحر، ورأيت كأنّي في درع حصينة، ورأيت كأن سيفي انفصم، ورأيت كأني مردف كبشا فأوّلت البقر بنفر من أصحابي يقتلون، وأما الدرع الحصينة فالمدينة وأولت انفصام سيفي بشيء يصيبني في نفسي، وأما الكبش فكبش كتيبة القوم أقتله إن شاء الله تعالى فشاور رسول الله مع أصحابه، فرأى رسول الله الإقامة في المدينة، وقال: رجال من المسلمين اخرج بنا يارسول الله إلى أعدائنا، فخرج رسول الله يوم الجمعة، فلما التقى الجمعان انهزم المشركون، فالتفت الناس إلى الغنائم، فاجتمع الكفار فحملوا على المسلمين فوقع حينئذ للمسلمين ما وقع من الشهادة وإصابة المحن لرسول الله عليه السلام، وفيه حكم ومصالح له تعالى كإظهار كمال استغنائه تعالى عن العالمين واختبار المحبين حتى يتبين الراضي بقضائه والصابر على بلائه والشاكر على نعمائه. وقوله: «فصول حتف» بالنصب مفعول لـ«سل» أي: عن فصول، والفصول جمع فصل، وهو

(١٦٩) الصحيح المسلم،كتاب الجهاد، باب في غزوة حنين، ص ٩٧٩ ،رقم ١٧٧٥

طائفة من الزمان. و«الحتف» الهلاك أي: أزمنة الهلاك. و«لهم» ظرف مستقر صفة حتف أي: حاصل لهم و«أدهى» صفة فصول أو حتف أو حال، وهو اسم تفضيل من الداهية بمعنى الآفة العظيمة والبلية النازلة الجسيمة، «من الوخم» متعلق بأدهى، و«الوخم» بفتحتين وبالخاء المعجمة مرض يقال له الوباء، وهو مرض عام لا يسلم مريضه غالبا من الموت ومعنى البيت معلوم.

(١٢٩) الْمُصْدِرِي الْبِيْضِ حُمْرًا بَعْدَ مَا وَرَدَتْ ... مِنَ الْعِدٰى كُلَّ مُسْوَدٍّ مِنَ اللِّمَمِ

ثم شرع في بيان كمال مهارتهم في استعمال السلاح وغاية حذاقتهم في تقلب الرماح فقال: «المصدري... إلخ»، «المصدري» إمّا منصوب على المدح أي: أمدح المصدري أو مجرور على أنه بدل من الضمير في «منهم» في البيت السابق، و«المصدري» جمع مُصدر اسم فاعل من أصدره بمعنى جعله صادرا فأصله مصدرين سقط نونه بالإضافة، والإضافة فيه كإضافة «الضارب الرجل»، و«البيض» جمع أبيض المراد به السيوف المصقولة كما في قوله:

وَقَدْ كَانَتِ الْبِيضُ الْقَوَاضِبُ فِي الْوَغَى	بَوَاتِرَ وَهْيَ الْآنَ مِنْ بَعْدِهِ بُتْرُ

و«حمرا» بالنصب على أنّه حال من البيض أو متلطخة تلك السيوف المصقولة بالدماء. «الحمر» بضم الحاء وسكون الميم جمع أحمر. و«بعد» ظرف للإصدار، و«ما» مصدرية. و«وردت» بمعنى دخلت واتصلت، والضمير للسيوف. و«من العدى» ظرف مستقر حال من كل مسود المؤخر. و«كل مسود» بالنصب مفعول به لـ«وردت» و«من اللمم» بيان لـ«المسود» و«اللمم» بكسر اللام جمع لمة، وهي الشعر المسترسل إلى المنكب، والمراد منبتها وهو الرأس، والتعبير بالمسود إشارة إلى أن الكفار المقتولين بأنهم أولو قوة.

وحاصل معنى البيت: أمدح الأصحاب الكرام والأبطال العظام بأنهم المصدرون السيوف المصقولة متلطخة بدماء الكفار بعد ما اتصلت تلك السيوف ووصلت إلى رؤسهم وبعد ما قطعتهم بأبدانهم وأفراسهم فنعم السيوف سيوفهم ونعم النفوس نفوسهم.

(١٣٠) وَالْكَاتِبِيْنَ بِسُمْرِ الْخَطِّ مَا تَرَكَتْ... أَقْلَامُهُمْ حَرْفَ جِسْمٍ غَيْرَمُنْعَجِمِ

لَمَّا بين كون الأصحاب ماهرين في استعمال السيوف أراد أن يبين كونهم حاذقين في استعمال السهام والسيوف فقال: «والكاتبين بسمر الخط... إلخ»، «الواو» عاطفة، و«الكاتبين» عطف على «المصدري» والكاتب بمعنى الساطر والناقش على شيء و«الباء» في «بسمر الخط» متعلق بـ«الكاتبين»، و«السمر» كالحمر جمع أسمر، والمراد به نِصَالُ الرِّمَاح. و«**الخط**» اسم بلدة في البحرين نسب إليها الرماح أعني خشبها يقال: رماح خطية أي: رماح حسناء ذات قيمة غالية، فإضافة السمر إلى الخط لأدنى ملابسة. و«**ما**» نافية، وجملة «تركت» حال من «الكاتبين». و«**أقلامهم**» بالرفع فاعل «تركت» أي: غير تاركة أقلامهم، والجملة استينافية، و«أقلام» جمع قلم، والمراد بها السهام أوالرماح مجازاً واستعارة بالكناية كما لايخفى تعبيرها و«**حرف جسم**» منصوب مفعول تركت، و«الحرف» بمعنى الطرف أو بمعنى الناقة المهزولة كما في قوله:

وحرف كنون تحت راء ولم يكن		بدال يؤم الرسم غيره النقط

وإضافة الحرف إلى الجسم بمعنى اللام على الأول و للبيان أو من قبيل إضافة المشبه به إلى المشبه أي: جسم كحرف على الثاني، والمراد من الجسم جسم من قابلهم من العدى. و«**غير منعجم**» بالنصب حال من حرف جسم، ومن جعله صفة له فقد بَعُد عن المعنى كما لايخفى، و«منعجم» على صيغة اسم الفاعل من «انعجم» بمعنى قَبِل النقطة، ومعنى «غيرمنعجم» غير منقوط وهو بمعنى مطعون مجازاً واستعارة تبعية كما لايخفى تدبر. ولايخفى ما في هذا البيت من إيهام التناسب من ذكر الكتابة والخط والقلم والحرف ومنعجم.

و**حاصل معنى البيت**: أنّ الأصحاب كانوا يكتبون وينقشون على صفحات أجسام العدو المرزولة التي هي كالحرف المهزول بالرماح الخطية المأمونة من الانكسار، وما تركت أقلامهم التي هي كالرماح طرف جسم من الكفار إلا جعلته منقوطاً ومطعوناً ومنقوشاً بالآثار.

(١٣١) شَاكِي السِّلَاحِ لَهُمْ سِيمَا تُمَيِّزُهُمْ ...وَالْوَرْدُ يَمْتَازُ بِالسِّيمَا مِنْ السَّلَمِ

لَمَّا بين الأوصاف اللطيفة للأصحاب التي هم بها يمتازون عن المشركين وأهل الكتاب أراد أن يبين أيضا كونهم ممتازين بذواتهم وسيماهم ما عدا الثياب فقال: «شاكي السلاح... إلخ»، «**شاكي السلاح**» إمّا صفة للمُصدري أو حال منه، و«شاكي» مقلوب «شائك» أي: تام السلاح، كما في قوله:

لَدَى أَسَدٍ شاكي السِّلاحِ مُقَذَّفٍ		لَهُ لِبَدٌ أَظْفَارُهُ لَمْ تُقَلَّمِ

وهو جمع شاكي أصله شاكين حذف نونه بالإضافة، وتوهم احتمال كونه مفردا لا يصدر عن عاقل فضلا عن فاضل كما لايخفى. ثم إن قوله: «شاكي السلاح» إجمال بعد تفصيل. و«لهم» ظرف مستقر خبر مقدم: و«**سيما**» مبتدأ، والجملة صفة بعد صفة للمصدري أو حال منه، وتقديم ما حقه التأخير يفيد الحصر. و«السيما» بمعنى العلامة التي تكون في وجه الإنسان ليستدل بها على بعض أحواله وجملة «**تميزهم**» صفة لـ«سيما» و«تميز» بمعنى تفرق، وضميره المستتر راجع إلى السيما، والسيما مؤنث بالألف المقصورة، وضمير المفعول راجع إلى الأصحاب أي: للأصحاب سيما تفرقهم عن الكفار. وقوله: «**والورد**» جواب سؤال مقدر كأنه قيل يمتاز بالسيما شيئان كانا من جنس واحد لأن الأصحاب والعدى كلهم من بني آدم فأجاب عنه مع تشبيه لطيف بهذا المقال، و«الورد» بفتح الواو ثمر شجر معلوم يقال له بالعربي أيضا حوجم. و«**السلم**» بفتحتين شجر يشبه شجر الورد، وشجر الورد يمتاز عنه بحسن الخلقة وبهاء المنظر فالورد مجاز بمعنى الشجر أو الورد على حقيقته والسلم مجاز بمعنى زهر السلم تدبر.

و**حاصل معنى البيت**: أن أصحاب رسول الله كانوا تامي الأسلحة ممتازين من الكفار وأهل الشقاء بالأوصاف اللطيفة وحسن السيما لأنهم أشداء على الكفار رحماء بينهم بالتواضع والانكسار كما أنه يمتاز شجر الورد من شجر السلم وزهر الورد من نورة السلم وقد ورد في حق الأصحاب ﴿سِيمَاهُمْ فِي وُجُوهِهِم مِّنْ أَثَرِ السُّجُودِ﴾ [الفتح: ٢٩] فهم ثمار أشجار حدائق الوجود وأزاهير رياض عسكر الإسلام والجنود.

(١٣٢) تُهْدِيْ إِلَيْكَ رِيَاحُ النَّصرِ نَشْرَهُمُ ... فَتَحْسَبُ الزَّهْرَ فِيْ الْأَكْمَامِ كُلَّ كَمِي

ثمّ شرع في بيان كونهم منصورين في جميع الجهاد وإن لم يكن كذلك في بعضه في عيون العباد فقال: «تهدي إليك... إلخ» «**تهدي**» من أهدى يهدي بمعنى توصل أو بمعنى إرسال الهدية. و«**إليك**» متعلق بـ«تهدي»، والخطاب لكل أحد، وجملة تهدي حال. و«**رياح**» بالرفع فاعل تهدي، وهي جمع ريح، والمراد من رياح النصر التأييدات بالنصرة كما في قوله عليه الصلاة والسلام ((نصرت بالصبا وأهلكت عاد بالدبور))(١٧٠)، والمراد من الرياح الدولات كما في قوله:

إذا هَبَّت رِياحُك فاغْتَنِمْهَا	فَعُقْبَى كُلِّ عَاصِفَة سُكُوْنُ

وإضافته إلى النصر بمعنى النصرة مجازا إذ ورد ﴿وَمَا النَّصْرُ إِلَّا مِنْ عِندِ اللَّهِ﴾ [الأنفال: ١٠] و«نشرهم» بالنصب مفعول «تهدي» والضمير راجع إلى الصحابة، و«**النشر**» في الحقيقة بمعنى الرائحة الطيبة، والمراد به هنا أخبارهم الطيبة وأنباءهم العجيبة، ففيه استعارة ومجاز كما لايخفى. و«**الفاء**» في «فتحسب» للتفريع، و«**تحسب**» بصيغة الخطاب بمعنى «تظن». و«**الزهر**» بالنصب مفعول «تحسب» والألف واللام فيه للاستغراق بمعنى كل زهر، والزهر نورة النبات. و«**في الأكمام**» ظرف مستقر حال من الزهر أو صفة له. و«الأكمام» جمع أيضا فيقتضي انقسام الآحاد إلى الآحاد أي: كل واحد من الأزهار في كل واحد من الأكمام، ومن جعل الأكمام جمع «كم» بضم الكاف وجعل اللام فيه عوضا عن المضاف إليه أعني: رسول الله واعتبر القلب في البيت وقع في التكلف، «**كل كمي**» بالنصب مفعول ثان لـ«تحسب» والكمي بمعنى الشجاع، وهو بتشديد الياء فعيل خفف للضرورة قال أكثر الشراح في البيت قلب أعني أن المفعول الثاني لتحسب، وهو قوله: «كل كمي» مقدم على المفعول الأول أعني قوله: «الزهر» في المعنى، فحينئذ يكون المعنى، فتحسب كل شجاع في درعه زهرا في أكمامه.

(١٧٠) "صحيح البخاري"، كتاب الاستسقاء، باب قول النبي نصرت بالصبا، الحديث: ١٠٣٥، ١/٣٥٤.

و**حاصل معنى البيت**: أنّ الأصحاب الكرام كانوا منتصرين في جميع الجهاد وغالبين على الكفار حتى تهدي وتوصل إليك هدية كلما هبت رياح النصرة وتحركت أخبار تأييداتهم بالبركة والدولة أخبارهم، وإذا كان كذلك فتحسب كلما رأيت الأزهار في أكمامها كأنها أولئك الأصحاب الشجعان في الدروع؛ لأنّ الأزهار كما كانت ذات رائحة طيبة فكذلك أولئك الأصحاب أولو نشر وفوحة عجيبة.

(١٣٣) كَأَنَّهُمْ فِي ظُهُوْرِ الْخَيْلِ نَبْتُ رُبى ...مِنْ شِدَّةِ الحَزْمِ لَا مِنْ شَدَّةِ الْحُزُمِ

لمّا بين كونهم ماهرين في استعمال السيوف والنصال أراد أن يبين كونهم حاذقين في استعمال الخيول في مضمار القتال فقال: «كأنهم... إلخ»، «كأن» للتشبيه، و«الضمير» للأصحاب. و«في ظهور» ظرف مستقر حال من الضمير، و«**الظهور**» جمع ظهر بمعنى المتن، و«**الخيل**» اسم جنس يقع على الذكور والأناث، وإضافة النبت إلى الربى من قبيل شجر الأراك. و«**الربى**» بالقصر جمع ربوة بالحركات الثلاث في الراء، وتشبيه الأصحاب بنبت الربى وخيولهم بالربى إنّما هو في الثبات والتقرر في مدة كثيرة إذ نبت الربى أثبت على الأرض من سائر النباتات لطول عروقه ووصوله إلى الماء. و«**من شدة**» متعلق بكاف التشبيه، و«الشدة» بكسر الشين و«**الحزم**» بفتح الحاء وسكون الزاي بمعنى قوة الثبات ومراعاة الاستعمال وقوله: «لا من شدة» دفع توهم نشأ مما قبله من أن ثباتهم على الخيول يجوز أن يكون لشدة سروجها وقوة ربطها لا من ذواتهم فدفع بقوله: «من شدة الحزم لا من شدة الحزم»و«**الشدة**» الثانية بفتح الشين كما أنّ «**الحزم**» الثاني بضم الحاء والزاي جمع حزام، وهو ما يشد به سرج الفرس على ظهره بالربط التام والاستحكام التام.

و**حاصل معنى البيت**: أنّ الأصحاب كانوا ماهرين في استعمال الخيول وكانوا ثابتين عليها بلا تحرك كأنهم عليها نبت ربى في الثبات والتقرر وشدة الرسوخ وقوة المتانة لا مما يشد به سرجها ولا مما يستحكم به حلها.

(١٣٤) طَارَتْ قُلُوْبُ العِدٰى مِنْ بَأسِهِمْ فَرقاً . . فَمَا تَفَرَّقَ بَيْنَ الْبَهْمِ وَالْبُهَمِ

لَمَّا بين كون الأصحاب في غاية الشجاعة ونهاية المتانة ومهارتهم في استعمال آلات الحروب أراد بيان ما يتفرع عليه من الخوف الحاصل منهم لعقول العدى والقلوب فقال: «طارت... إلخ» فجملة «**طارت**» ابتدائية، وهي من الطيران بمعنى التحرك من مكانها. و«قلوب العدى» بالرفع فاعل «طارت»، وفيه مجاز واستعارة فأما في «طارت» استعارة تبعية، أو«في القلوب» استعارة مكنية كما لايخفى. وبالجملة المراد من طيران القلب اضطرابه وانزعاجه. و«**من بأسهم**» متعلق بـ«طارت»، و«من» منشائية، و«البأس» بمعنى الشدة كما في قوله تعالى: ﴿وَاَطۡعِمُوا الۡبَآئِسَ الۡفَقِيۡرَ﴾ [الحج: ٢٨] وضمير الجمع راجع إلى الأصحاب. و«**فرقا**» بالنصب مفعول له حصولي لـ«طارت» كما في «قعدت عن الحرب جبنا» أو مفعول مطلق له أو تمييز من نسبته أو حال من فاعله تدبر. و«**الفاء**» في «فما» تفريعية أو سببية، و«**ما**» نافية. و«**تفرق**» من التفريق، وضميره المستتر راجع إلى «القلوب». و«**البَهم**» الاوّل بفتح الباء وسكون الهاء جمع بهمة، وهي السخلة من ولد الغنم، و«**البُهم**» الثاني بضم ففتح جمع بهمة بضم فسكون بمعنى الشجاع، ولايخفى ما في هذا البيت من الجناس المحرف في قوله: بهم وبهم والجناس الشبيه بالمشتق في قوله: فرقا وتفرق.

و**حاصل معنى البيت**: أنّ قلوب الأعداء اضطربت من أجل شدة أولئك الأصحاب في الحرب وفزعت وزالت عقولهم إلى أن صارت لا تميز بين الشجاع والسخلة.

(١٣٥) وَمَنْ تَكُنْ بِرَسُوْلِ اللهِ نُصْرَتُهُ...إنْ تَلْقَهُ الْأُسْدُ فِي آجَامِهَا تَجِمِ

لمّا بين كون الأصحاب منتصرين في كل الغزوات غير فارين من الكفرة وأهل النار شرع في بيان السبب الموصل إلى ذلك فقال: «ومن تكن... إلخ» «الواو» ابتدائية. و«**من**» شرطية. و«**تكن**» بالجزم إمّا تامة أو ناقصة. و«**برسول الله**» خبر مقدم لـ«تكن»، و«الباء» فيه إما للاستعانة أو للسببية، وتقديمه لضرورة الشعر. و«نصرته» بالرفع اسم «تكن»، وإضافته إما إلى الفاعل أو إلى المفعول، و«إن» شرطية، و«تلقه» مجزوم بأن أصله تلقاه، وضمير المفعول

راجع إلى «من». «**الأسد**» بضم الألف وسكون السين جمع أسد بمعنى الهزبر، وهو بالرفع فاعل تلقه، وتقديم مفعول تلقه على فاعله إشارة إلى أن الرجل لا يلاقي باختياره الأسد. و«في آجامها» إمّا متعلق بـ«تلقه» أو بـ«تجم» المؤخر، و«**الآجام**» بالمد جمع آجمة، وهي أرض كثيرة القصب، وإضافة «الآجام» إلى الضمير الراجع إلى الأسد لأدنى ملابسة، ثم إن هذا القيد أعني في آجامها يفيد مزيد المبالغة والتأكيد، فإن الأسد في أجمته أشد بأسا وأصعب حالا منه في أمكنة أخر لتوفير الغيرة في الدفع عن ساحته، و«**تجم**» بفتح التاء وكسر الجيم من «وجم يجم وجوما» هو إما بمعنى حزن أو سكت، والضمير المستتر فيه راجع إلى الأسد، وجملته جواب الشرط الثاني والشرطية جواب الشرط الأول.

و**حاصل معنى البيت**: أنّ الأصحاب الكرام ما كانوا منتصرين في الجهاد إلا بنصرته عليه الصلاة والسلام وإعانته فإنّه من كانت نصرته وإعانته وإغاثته على محاربة الأعداء بواسطة رسول الله فهو منصور ومحفوظ من جميع المصائب والانهزام حتى إن تلقه جميع أفراد الأسد المشهورة بإهلاك من لاقته في أمكنتها المسماة بالغابة، وهي فيها أجرءها في غيرها تسكن على حالها خوفا واحتراما لرسول الله عليه السلام، ثم اعلم أن البيت إشارة إلى ماروي من تسخير الأسد لمولى رسول الله الذي اسمه سفينة حين أرسله عليه السلام إلى معاذ باليمن فلقيه الأسد في الطريق فقال سفينة: أنا مولى رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم ومعي كتابه فهمهم الأسد وتنحى عن الطريق. وفي رواية أخرى عن سفينة أن السفينة تكسرت فخرجت إلى جزيرة فإذا الأسد فقلت له: أنا مولى رسول الله فجعل يغمزني بمنكبيه حتى أقامني على الطريق ودلني عليها.

(١٣٦) وَلَنْ تَرَى مِنْ وَّلِيٍّ غَيْرَ مُنْتَصِرٍ ... بِهِ وَلاَ مِنْ عَدُوٍّ غَيْرَ مُنْقَصِمِ

ثمّ أكّد البيت السابق لكونه نظريا بهذا البيت فلذا قال: «ولن ترى... إلخ»، «**الواو**» عاطفة. و«**لن**» نافية. و«**ترى**» على صيغة الخطاب من الرؤية إمّا العينية أوالعلمية. و«**من ولي**» كلمة «من» زائدة، وتنوين ولي للتكثير، و«الولي» بمعنى القريب. و«**غير**» إما بالجر على أنّه صفة ولي أو بالرفع على أنه خبر مبتدأ محذوف أو بالنصب على أنه حال، وهذا كله إن كانت الرؤية الرؤية البصرية، وإلا فهو المفعول الثاني. و«**منتصر**» اسم مفعول من

انتصر. و«**به**» متعلق به، والضمير راجع إليه عليه الصلاة والسلام، والمراد بالانتصار به التقوي والتأييد به، ومن قال: إن المنتصر بكسر الصاد اسم فاعل فهو عن معنى البيت غافل، «**ولا من عدو**» عطف على «من ولي» أي: ولا ترى من عدو له عليه السلام. و«**غير**» بالجر أو بالرفع أو بالنصب. و«**منقصم**» اسم فاعل من انقصم بمعنى انقطع وتفرق، وروي في بعض النسخ بـ«الفاء» وهو كسر بلا فصل كما كان الأول مع فصل.

و**حاصل معنى البيت**: أنّ الأصحاب منتصرون به عليه السلام في كل الأوقات إذ لن تعلم ولن تبصر وليا له عليه السلام غير منصور به ولا ترى عدوا غير مكسور به بل كل ولي به منتصر وكل عدو له منكسر. إعلم أن جميع الأولياء منتصرون به عليه السلام، ولذا قال الولي الشيخ أحمد الملثم: لم تكن الأقطاب أقطابا ولا الأوتاد أوتاداً ولا العماد عمادا إلا برسول الله وبتعظيمهم له وإجلالهم شريعته، وكل من كان عدوا لشريعته كان عدوا له عليه الصلاة والسلام، وكذا كل من كان عدوا لصواحب الشرع من العلماء، وكل من يتكلم بما يتأذى به عليه الصلاة والسلام فهو عدوه، ولذا قال الحقي في روح البيان: حكي عن بعض الكبار أنه قال: كنت في مجلس بعض الغافلين فتكلم إلى أن قال: لا مخلص لأحد عن الهوى ولو كان فلانا أراد به النبي عليه السلام حيث قال: ((حُبِّبَ إليَّ من دنياكم ثلاث الطيب والنساء وقرة عيني في الصلاة))(١٧١)، فقلت له: أما تستحيي من الله فإنه عليه السلام ما قال: أحببت بل قال: حُبِّبَ فكيف يلام العبد على ما كان من الله، ثم حصل لي غم وهم من استماعي مثل هذا الكلام فرأيت النبي عليه السلام في المنام فقال لي: لا تغتم فقد كفينا أمره، ثم سمعت أنه خرج إلى ضيعة له فقتل في الطريق نعوذ بالله من التطاول على الأنبياء وورثتهم من العلماء والأولياء انتهى.

---

(١٧١) "السنن الكبرى"، كتاب النكاح، باب الرغبة في النكاح، الحديث: ١٣٤٥٣، ١٢٥/٧.

(١٣٧) أَحَلَّ أُمَّتَهُ فِي حِرْزِ مِلَّتِهِ ... كَاللَّيْثِ حَلَّ مَعَ الأَشْبَالِ فِي أَجَمِ

لمّا توهم أن يستفاد من الأبيات السابقة أن الانتصار به عليه الصلاة والسلام خاص بأصحابه دون سائر أمته دفع ذلك الوهم بتعميمه فقال: «**أحل أمته**» بمعنى أنزل. و«أمته» بالنصب مفعول «أحل» و«**الأمة**» نوعان **أمة الإجابة**: وهي كل من آمن به عليه السلام، و**أمة الدعوة**: وهي كل من بلغه دعوة النبي عليه السلام، والمراد بها هاهنا الأول. و«في حرز» متعلق بـ«أحل». و«**الحرز**» بكسر الحاء بمعنى الحصن، ففيه تشبيه الدين بالحصن الحصين في حفظ من دخله من الأعداء. و«**كالليث**» حال من فاعل أحل، و«الليث» اسم للأسد. و«**حل**» الثاني صفة الليث بناء على أن اللام فيه للعهد الذهني أو حال، وهو أيضا بمعنى أنزل. و«**الأشبال**» جمع شبل بكسر الشين، وهو ولد الأسد. و«في أجم» متعلق بحل الثاني، و«**الأجم**» بفتحتين بمعنى مكان يسكن فيه الأسد. شبه الناظم الفاهم نبينا عليه السلام بالأسد في القوة وكمال الشجاعة والهيبة وشدة البطش وحماية الأولاد، وشبه أمته بأولاده في كونه عليه السلام سبب حياتهم كالأسد، وشبه الملة بـ«الأجم» في أن كلا منهما سبب للحفظ ومنع ضرر الغير.

و**حاصل معنى البيت**: أنزل رسول الله المتين أمته في دينه الحصين كما أنزل الليث أولاده معه في آجامه للتحصين فلا يستولي على أمته شخص بظلم ولا ينزل عليهم بلية فإن قلت: كثيراً ما ترى أمته يغلب عليهم عدوهم وينزل عليهم بليات لا تعدّ ولا تحصى فكيف يصح هذا البيتين من الناظم الفاهم؟ قلت: مراد الناظم كونهم محفوظين من بليات الآخرة ومن مثل الخسف والمسخ وغيرهما من البليات التي نزلت على سائر الأمم في الدنيا، وتقول: إن أمته محفوظة من جميع ما ذكر ومن المغلوبية، ومن كان مغلوباً ونزل عليه بليات فليس من كامل أمته إذ أمته من اتبعه ولا يتبعه إلا من أعرض عن الدنيا فإنه عليه السلام ما دعا إلا إلى الله واليوم الآخر وما صرف إلا عن الدنيا والحظوظ العاجلة، ومن أعرض عن الدنيا يكون سالماً من البلايا ومن كونه مغلوباً للأعداء، وأما من عدل عن سبيله وأعرض عن متابعته وأقبل على الدنيا ولحق بالذي قال الله تعالى في حقه: ﴿فَأَمَّا مَنْ طَغَى ○ وَآثَرَ الْحَيَوٰةَ الدُّنْيَا ○ فَإِنَّ الْجَحِيمَ هِيَ الْمَأْوَى ○﴾ [النازعات:٣٩،٣٨،٣٧] فقد خرج عن سبيله

وأعرض عن كونه أمة له فله البلايا والمغلوبية للأعداء فتأمل يا رجل من حين تمسي إلى حين تصبح لا تسعى إلا في الحظوظ العاجلة ولا تتحرك إلا لأجل الدنيا الفانية ثم تطمع أن تكون غدا من أمته وأتباعه ويحك ويا ويلنا ما أبعد ظننا وما أفحش طمعنا. ثم اعلم أن في هذا البيت إشارة إلى ما جاء في الحديث القدسي: ((لا إله إلا الله حصني ومن دخل حصني أمن عذابي))[١٧٢]، وإلى قوله تعالى: ﴿ٱلنَّبِيُّ أَوۡلَىٰ بِٱلۡمُؤۡمِنِينَ مِنۡ أَنفُسِهِمۡۖ وَأَزۡوَٰجُهُۥٓ أُمَّهَٰتُهُمۡۗ﴾ [الأحزاب: ٦]، وفي قراءة شاذّة: وهو أب لهم.

(١٣٨) كَمْ جَدَّلَتْ كَلِمَاتُ اللهِ مِنْ جَدِلٍ ... فِيهِ وَكَمْ خَصَّمَ الْبُرْهَانُ مِنْ خَصِمِ

لمّا استفيد من البيت السابق كون الإسلام حصناً حصيناً لا يستولي عليه أحد من عدوه بل هو يغلب على أعدائه أراد تفصيله فقال: «كم جدلت كلمات الله... إلخ»، «كم» خبرية للتكثير، و«جدلت» من التجديل، وهو بمعنى الوضع على الأرض أي: كثيرا من المرات وضعت على الأرض. و«كلمات الله» بالرفع فاعل «جدلت»، والمراد من كلمات الله القرآن العظيم إذ الإسلام عبارة عنه. و«من جدل» مفعول لـ«جدلت»، و«من» زائدة، والجدل بكسر الدال بمعنى كثير الخصومة. و«فيه» متعلق بـ«جدل»، والضمير إما راجع إلى الملة بتأويلها بالإسلام والدين أو برسول الله فيكون مجازاً حذفياً أي: في دين رسول الله. و«كم خصم» عطف على «كم جدلت». و«خصم» بالتشديد من المبالغة بمعنى كثيرا ما غلب في الخصومة. و«البرهان» بالرفع فاعل خصم، والمراد بالبرهان أعم من المعجزات والكرامات الباهرات. و«من» في «من خصم» زائدة كمن في «من جدل»، وقد جاز زيادتها في الإثبات كما في قولنا: قد كان من مطر، والفعلان المذكوران هاهنا وإن كانا مثبتين صورة لكنهما متضمنان معنى النفي تدبر. و«خصم» بكسر الصاد بمعنى كثير الخصومة.

وحاصل معنى البيت: كم مرةً رمت إلى الأرض في المجادلة كلمات الله التي جاءت من عنده منكوسا على الرأس شخصاً كثير الجدال وكم مرةً غلب الدليل القاطع شخصاً كثير الخصام.

(١٧٢) "مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح"، كتاب الصلاة، باب الذكر بعد الصلاة، الفصل الثالث، ٣/٥٨.

(١٣٩) كَفَاكَ بِالْعِلْمِ فِي الأُمِّيِّ مُعْجِزَةً ... فِي الْجَاهِلِيَّةِ وَالتَّأْدِيبِ فِي الْيُتْمِ

لمّا استفيد من البيت السابق أن له عليه الصلاة والسلام معجزة بها كان الخصم مغلوبا وكان مظنة أن يسأل عن تلك المعجزات أجاب عنه ببيان بعض ما اشتهر فقال: «كفاك... إلخ»، «كفاك» بمعنى حسبك، والخطاب لكل أحد، و«الباء» في بالعلم زائدة كـ«كفى بالله»، و«اللام» في «العلم» للعهد الذهني. و«في الأمي» صفة العلم أو حال منه، و«الأمي» منسوب إلى الأم وهو الأصل، وهو في العرف عبارة عمن لم يعرف الكتابة، ولم يقرأ من الخط، ولم يتعلم من معلم، ولم يجلس بين يدي الأستاذ بطريق العادة بل بقي على أصل الخلقة والفطرة، وقيل: معنى الأمي منسوب إلى أم العرب، وهم قوم الغالب عليهم عدم معرفة الكتابة والحساب. و«معجزة» بالنصب تمييز كما في «طاب زيد نفساً»، ومعنى المعجزة قد سبق لكن المراد هاهنا معنى خرق العادة مطلقا فتذكر. ومن أراد به المعنى السابق فلم يتبصر فإن كنت ذا بصيرة فتدبر. و«في الجاهلية» متعلق بـ«العلم» أي: في وقت الجاهلية، وهي عبارة عن زمان انحرف فيه الشرع السابق ولم يكن فيه الوحي اللاحق وتفرق الناس في أديانهم ويسمى ذلك الزمان أيضاً بالفترة و«التأديب» بالجر على أنّه معطوف على العلم أوبالرفع معطوف على العلم إذ الباء فيه زائدة، والتأديب بمعنى كونه عليه الصلاة والسلام مؤدباً يعني عدم كونه فاحشاً ولا متفحشاً ولا غليظ القلب؛ لأنّه عليه الصلاة والسلام كان مجمع محاسن الأخلاق من صباوته إلى نبوته عليه الصلاة والسلام. و«في اليتم» متعلق بالتأديب بلا تكلف، و«اليتم» بضمتين بمعنى موت الأب وبقاء الابن صبيا.

وحاصل معنى البيت: أن معجزاته عليه الصلاة والسلام كثيرة وشهيرة فإذا نظرت إليه عليه السلام بعين البصيرة كفاك أيها الطالب لمعجزاته وآياته العلوم التي لا تعد ولا تحصى فيه عليه السلام بغير تعلم من العلماء ولا كتابة مع الأدباء في زمان كثر فيه الجهل على الأنام وزاد فيه الضلال بلا انفصام وكذا كفاك كونه مؤدبا بمكارم الأخلاق والخصال ومتأدبا على وجه الكمال في أوان يتمه وزمان حداثة سنه وأول خلقته.

(١٤٠) خَدَمْتُه بِمَدِيحٍ أَسْتَقِيلُ به ... ذُنُوبَ عُمْرٍ مَضَى فِي الشِّعْرِ وَالْخِدَمِ

لَمَّا فرغ من بيان بعض أوصافه وبيان بعض معجزاته ومعراجه وغزواته وبعض أوصاف أصحابه الكرام أراد أن يشرع في الاسترحام من جنابه الكريم والاستشفاع من ذاته الرؤف الرحيم وبيان الغرض من نظم هذه القصيدة اللطيفة المباركة الطيبة الشريفة فقال: «خدمته بمديح... إلخ»، «**خدمته**» على صيغة نفس المتكلم من الخدمة أي: مدحته، والضمير له عليه السلام، والجملة استينافية. و«**المديح**» ما يمدح به أعني: ما يبين فيه الفضائل والمراد به هذه القصيدة وجملة «**أستقيل**» صفة مديح أو حال منه، من الاستقالة بمعنى طلب العفو. و«**به**» متعلق به، و«الباء» فيه للاستعانة، والضمير راجع إلى المديح. و«**ذنوب**» بالنصب على أنه مفعول به لـ«أستقيل»، و«الذنوب» جمع ذنب شامل للصغائر والكبائر. وعمر الإنسان عبارة عن مدة حياته، وإضافة الذنوب بمعنى في وجملة «**مضى**» صفة «عمر»، و«**مضى**» بمعنى ذهب يعني لا كل العمر، بل العمر الذي ذهب... إلخ، و«**في الشعر**» متعلق بـ«مضى» و«**الشعر**»: قول موزون وزنا عن تعمد كما أن البيت ما تركب من المصراعين، و«**القطعة**»: شعر يكون مؤلفا من سبعة أبيات، و«**القصيدة**»: ما تركب من عشرة أبيات فما فوقها. والمراد من الشعر هاهنا معناه المصدري أعني إتيان الكلام الموزون عن تعمد، وإن كان المراد الأول يقدر فيه مضاف أي: في استعمال الشعر وإتيانه. «**والخدم**» بالجر عطف على الشعر وهو بكسر الخاء وفتح الدال جمع خدمة، والمعنى في أنواع الخدمة أو في خدم المخلوقين تدبر.

وحاصل معنى البيت: أن حاصل المرام من مدحي سيد الأنام بهذه القصيدة المشتملة على أوصافه عليه السلام طلب العفو من الله الملك العلام بسبب هذه القصيدة عن ذنوب في مدة حياة مضت في الاشتغال بالشعر في مدح الناس ومذمتهم، وتَلَفْتُ في خدمات أرباب الدنيا لأغراض فاسدة في صحبتهم إذ روي أن الناظم كان في أول الأمر من مقربي السلاطين وكان يخدمهم ويدفع أحزانهم بإنشاد الشعر في مدائحهم وفي مذمة أعدائهم وكان قصده جلب الدنيا وأخذ المنصب الأعلى وقد سبقت الإشارة إلى بعض هذا في مفتتح الكتاب. ثم اعلم أنّ في البيت رد العجز على الصدر من قبيل قوله:

سَرِيعٌ إلى ابْنِ الْعَمِّ يَلْطِمُ وَجْهَهُ		وَلَيْسَ إلَى دَاعِي النَّدَى بِسَرِيعِ

(١٤١) إِذْ قَلَّدَانِيْ مَا تُخْشٰى عَوَاقِبُه ... كَأَنَّنِىْ بِهِمَا هَدْيٌ مِنَ النَّعَمِ

لمّا كان مظنة أن يسئل عن مضمون البيت السابق من طلب العفو عن الذنوب الحاصلة من الشعر والخدم بأنه هل حصل لك من الشعر والخدم ذنوب حتى تطلب العفو عنها قال: نعم «إذ قلداني... إلخ»، فـ«**إذ**» للتعليل لطلب العفو. و«قلداني» على صيغة التثنية، وضمير التثنية راجع إلى الشعر والخدم. و«**قلد**» من التقليد وهو ربط العنق قلادة ثم إن إسناد قلداني إلى الشعر والخدم مجاز من قبيل الإسناد إلى السبب، وفي «قلد» استعارة تبعية بتشبيه لزوم الإثم بالقلادة في مطلق اللزوم وعدم الافتراق كما لايخفى. و«**ما تخشى**» منصوب محلا على أنه مفعول ثان لـ«قلد» و«تخشى» على صيغة المجهول من الخشية بمعنى الخوف. و«**عواقبه**» بالرفع نائب فاعل لـ«تخشى» وهي جمع عاقبة، وضمير عواقبه راجع إلى ما. والمراد بما تخشى عواقبه الآثام والأوزار الحاصلة بهما، و«**كأنّ**» للتشبيه. و«**بهما**» ظرف مستقر حال من اسم «كأنّ»، وضمير التثنية راجع إلى الشعر والخدم. فإن قلت: اللائق أن يفرد الضمير ويرجع إلى «ما»؛ لأنّ «ما» كان كالقلادة دون الشعر والخدم قلت: إنّ الشعر والخدم لما كانا سببين قويين في كون ما تخشى عواقبه قلادة ذكر السبب وأراد المسبب كما لايخفى. و«**هدي**» بالرفع خبر «أن» و«الهدي» بفتح الهاء وسكون الدال ما يهدى إلى "مكة" للذبح فيها، ومن شانه أن يقلد بتعليق شيء في عنقه ليعلم أنه هدي فلا يتعرض له بشيء. و«**من النعم**» بيان للهدي و«النعم» بفتح النون والعين هو الإبل والبقر والغنم، ثمّ إنّ في تشبيه نفسه بالهدى إشارة إلى أنّه متوجه في كل أمر إلى جناب الحق، وإن فعل ما تخشى عواقبه من الإقبال على غير الله تعالى على مقتضى قوله تعالى: ﴿فَأَيْنَمَا تُوَلُّوا فَثَمَّ وَجْهُ اللهِ﴾ [البقرة: ١١٥].

وحاصل معنى البيت: أن طلبي العفو من الله تعالى عن ذنوبي لازم؛ لأنّه بسبب الشعر والخدم المذمومين لزم على الآثام والأوزار ممّا تخشى عواقبه من أنواع العقاب في عاقبة الدار فكأنّني عينت للهلاك بسببهما كالهدي المقلد المعد للهلاك وإن لم يتحول قلبي عن خالق الأفلاك.

(١٤٢) أَطَعْتُ غَيَّ الصِّبَا فِي الْحَالَتَيْنِ وَمَا ...حَصَّلْتُ إِلاَّ عَلَى الآثَامِ وَالنَّدَمِ

لمّا استفيد من السابق أن اشتغاله بالشعر والخدم كان في بعض عمره. أراد بيانه مع بيان سبب اشتغاله وعدم تحصيله شيئا من المحاسن فقال: «أطعت غي الصبا... إلخ»، «**أطعت**» أي: اتبعت. و«**غي الصبا**» بالنصب مفعول «أطعت»، و«الغي» بتشديد الياء بمعنى الغواية والضلالة، و«الصبا» بكسر الصاد وقت الصباوة والمراد من غيّ الصبا الاغترار بالأباطل والالتذاذ بالتمائيل والركون والميل إلى العاجل وترك النظر في الأمر الآجل. و«في الحالتين» متعلق بـ«أطعت» أو ظرف مستقر صفة لـ«غي الصبا» أي: الحاصل في الحالتين والمراد من الحالتين الشعر والخدم واستفيد من هذا المصراع أن المقدِّم والباعث إلى الاشتغال بالشعر والخدم أوان الصباوة والشباب فتأمل. و«**الواو**» في «وما حصلت» للحال و«**ما**» نافية، و«**حصلت**» بالتشديد من حصل على كذا أي: بقي عليه فالمعنى ما بقيت منهما على شيء و«**إلا**» للاستثناء و«**الآثام**» جمع إثم، وهو الذنب و«**الندم**» بفتحتين الندامة، والمراد به ما يترتب عليه الندامة وإلا فالندم نفسه توبة، وهي موجبة للنجاة قيل: في البيت لف ونشر مرتب إذ الآثام ناظر إلى الشعر والندم ناظر إلى الخدم.

وحاصل معنى البيت: إنّي وافقت وما خالفت ضلالة الصباوة والشباب في الاستعمال بالشعر والاشتغال بالخدمة، وتضييع العمر بهما والحال أني ما حصلت وما بقيت إلا على المعاصي والندامة والتحسر والتحزن.

(١٤٣) فَيَا خَسَارَةَ نَفْسٍ فِيْ تِجَارَتِهَا ...لَمْ تَشْتَرِ الدِّيْنَ بِالدُّنْيَا وَلَمْ تَسُمِ

لمّا بين كون نفسه ثابتة على الآثام والأوزار غير محصلة لما ينفعها يوم الفرار أراد إظهار التحسر والندامة عليها فقال: بـ«الفاء التفريعية»: «فيا خسارة نفس... إلخ»، كلمة «**يا**» للندا. و«**خسارة**» بالنصب منادى مضاف إلى النفس ونداء الخسارة مجاز؛ لأنّ الخسارة لا يتأتى منها الإقبال والمعنى على المبالغة في شدة التحسر كأنه نادى الخسارة وقال تعالى: ﴿يَٰحَسْرَةً﴾ [يس: ٣٠] فهذا أوانك قال ابن الشيخ في سورة يس، النداء في مثل هذا المقام: يكون لمجرد التنبيه انتهى. و«الخسارة» إصابة الضرر الغير المقصود من التجارة.

وتنوين «**نفس**» عوض عن المضاف إليه أي: نفسي. و«في تجارتها» متعلق بـ«الخسارة»، وفيه حذف مضاف أي: وقت تجارتها وهو حياة الدنيا. و«**التجارة**» طلب الربح بالبيع والشراء وهاهنا مجاز عن طلب مرضاة الله ومثوباته وإنما خسرت نفسه في تجارتها لأنها أخرجت استعداد الإعراض عن الدنيا والتوغل في عبادة المولى عن اليد والقدرة. فكأنها لا تملك الرجوع إليه، ولذا قال: «لم تشتر الدين... إلخ» فجملة «**لم تشتر**» استينافية كأنّه قيل: لم خسرت نفسك في التجارة فأجاب عنه ببيانه فقال: «لم تشتر... إلخ»، والضمير في «تشتر» راجع إلى النفس، ومعناه لم تختر ولم تؤثر ولم تستبدل. و«**الدين**» بالنصب مفعول به لـ«تشتر» والمراد من الدين هاهنا كماله الذي تدور عليه النجاة من كل البليات الدنيوية والأخروية. و«**بالدنيا**» متعلق بـ«لم تشتر» ولذا قيل: دنياك كل ما يشغلك عن مولاك وهي هنا بمنزلة الثمن. و«**لم تسم**» عطف على «لم تشتر» وهو من «سام يسوم سوما»، و«السوم» هو الإتيان بمقدمات البيع والشراء وهذا للمبالغة ثمّ إنّ الاشتراء مجاز عن الاستبدال والسوم عن القصد ويجوز أن يكون في البيت استعارة تمثيلية تأمّل.

وحاصل معنى البيت: يا خسارة نفسي تعال فهذا وقتك حتى يتعجب منك قومي في تجارتها إذ لم تأخذ الدين بدل الدنيا ولم تبدل الفاني بالباقي ثم لم تقصد لتحصيل الدين بترك الدنيا بحسن النية وصدق القصد قال في "روح البيان" إن الله تعالى خلق الروح نورانيا علويا وخلق النفس ظلمانية ثم أشرك بينهما وجعل رأس مالهما الاستعداد الفطري القابل للكمال والترقي في القربة والمعرفة والخسارة والنقصان فمن آمن وجاهد بنفسه وماله في سبيل الله، وطلب في كل حاله رضا الله فقد ربح روحه وخسرت نفسه ومن لم يؤمن بالله ورسوله وكفر بهما أو آمن ولم يأت بعمل حسن أصلا فقد خسر روحه ونفسه جميعا، فعلى العاقل أن يجتهد قبل مجيء الفوت ويربح في تجارته ببذل النفس والمال في طلب رضا الله؛ فإن سلامة رأس المال الذي هو الإسلام ما دام حاصلا يمكن أن يتدارك الربح في صفقة وإن لم يحصل في صفقة أخرى فلا ينبغي أن تضيع العمر فيما لايعني إذ الفرصة غنيمة ولذا قال الشاعر الفارسي:

مكن عمر ضايع بأفسوس وحيف		كه فرصت عزيز ست والوقت سيف

(١٤٤) وَمَنْ يَبِعْ آجِلاً مِنْهُ بِعَاجِلِهِ ... يَبِنْ لَهُ الْغَبْنُ فِي بَيْعٍ وَفِي سَلَمِ

لمّا استفيد من البيت السابق أنه اشترى الدنيا بالدين إذ مفهوم المخالفة معتبر في مذهب الناظم الفاهم الأمين فكأنه قيل: ما يحصل لمن اشترى الدنيا بالدين؟ أجاب عنه بقوله: «ومن يبع آجلا... إلخ» «الواو» ابتدائية، و«من» اسم شرط مبتدأ. و«يبع» مضارع مجزوم من باع يبيع بيعا، والبيع وكذا الابتياع من الأضداد يقع على فعل المشتري والبائع كالشراء وكذا الاشتراء، والمراد به هنا ما وقع على فعل البائع وأريد منه المعنى المجازي أعني الاستبدال والإخراج من اليد. و«آجلا» بالنصب مفعول «يبع» والآجل ما يأتي بعد أجل ومدة، والمراد به هنا العقبى وما يتعلق بالدين إذ ثمرته تظهر في الآخرة. و«منه» ظرف مستقر صفة لـ«آجل»، وضميره راجع إلى الدين، ومن أرجع ضمير «منه» إلى «من» فقد وقع في تكلف تدبر. و«بعاجله» متعلق بالبيع والعاجل ما يأتي عجلة والمراد به الدنيا وهو في مقام الثمن المأخوذ في البيع إذا دخل عليه الباء وضمير عاجله راجع إلى «من» وجملة يبن جزاء الشرط، وهو مضارع مجزوم من «بأن يبين» أي: يظهر فمعنى يبن أي: يظهر قريبا قال الشاعر:

سَوْفَ تَرَى إِذَا انجلى الغُبارُ	أَ فَرَسٌ تَحْتَكَ أم حمارٌ؟

وضمير «له» راجع إلى «من» و«الغبن» بالرفع فاعل «يبن» و«الغبن» بفتح الغين وسكون الباء بمعنى الضرر الكامل الزائد زيادة فاحشة. و«في بيع» متعلق بالغبن أو صفة له. و«في سلم» عطف على «في بيع» وإعادة الجار لضرورة الشعر ولفظ البيع عام لأنواع البيع كبيع العين بالعين وهو المقايضة، وبيع العين بالدين وهو المداينة، وبيع الثمن بالثمن وهو الصرف، وبيع الدين بالعين وهو السلم، بفتحتين، وما نحن فيه من قبيل السلم، ولذا تعرض إلى تصريحه بقوله: و«في سلم»، وفي البيت استعارة مصرحة وبيانها لايخفى على أهل البيان. وإيماء إلى رد من يقول: الدنيا نقد والآخره نسيئة ، إعطاء النقد لها غير معقول فإن السلم إنما يكون بإعطاء النقد للنسيئة وحذاق التجار تلقوه بالقبول.

اعلم! أن الله تعالى خلق الإنسان مركبا من الدنيا والآخرة ولكل جزء منهما ميل وإرادة إلى كله يتغذى منه ويتقوى ويتكمل به ففي جزئه الدنيوي وهو النفس الأمّارة طريق إلى

دركات النيران، وفي جزئه الأخروي، وهو الروح طريق إلى درجات الجنان، وخلق من هذين الجزئين القلب، وله طريق إلى كونه بين أصبع الرحمة وأصبع القهر، فمن يرد الله به أن يكون مظهر قهره أزاغ قلبه وحول وجهه إلى الدنيا فيريد العاجلة، ويرمي بها نفسه إلى أن يبلغ إلى دركات جهنم، ومن يرد الله به أن يكون مظهر لطفه أقام قلبه، وحول وجهه إلى العالم العلوي فيريد الآخرة ويسعى لها سعيها.

(١٤٥) إِنْ آتِ ذَنْباً فَمَا عَهْدِي بِمُنْتَقِضٍ ... مِنَ النَّبِيِّ وَلَا حَبْلِي بِمُنْصَرِمِ

لمّا ذكر كون نفسه منغمسة في أودية المعاصي والأوزار وخسارتها في تجارتها وعدم كسبها ربحا ينفع في دار القرار وفهم منه أنه لم يكن له فوز ونجاة من العذاب الأليم في يوم الحشر والميقات فوقعت نفسه في دهشة وحيرة وكاد يقطع الرجاء من مغفرة تلك الذنوب شرع في تسلية النفس وتأنيسها ودفع وحشتها وحيرتها ببيان ما يكون سببا لمغفرتها فقال: «إن آت ذنبا... إلخ»، «إن» حرف شرط و«آت» بمد الهمزة وكسر التاء نفس متكلم وحده أصله آتي من أتى يأتي فسقط الياء للجزم، فمعنى إن آت، إن فعلت. و«ذنبا» بالنصب مفعول «آت»، و«الذنب» عام يشمل كل الذنوب واحدا بعد واحد. و«الفاء» في «فما» للجزاء أي: فلا أحزن ولا أقطع الرجاء وطلب العفو أو فلا تحزني يا نفسي ولا تتحيري ولا تقطعي الرجاء، ففي العبارة على كلا التقديرين إيجاز الحذف فيكون قوله: «ما عهدي» علة للجزاء المحذوف كما لايخفى. و«ما» نافية، و«العهد» بمعنى الميثاق، والمراد به التزامه التوحيد والدين والعقائد. و«المنتقض» من نقض العهد بمعنى عدم الوفاء به و«من النبي» متعلق بـ«منتقض». و«لا حبلي» عطف على «ما عهدي»، وتكرير النفي للتأكيد أي: لأنه لم يكن حبلي... إلخ، والمراد من الحبل الوسائل التي بينه وبين النبي عليه الصلاة والسلام، والأصوب أن يكون المراد من العهد والحبل ما سيأتي في البيت الآتي، وهو الوعد الذي جاء في التسمية بـ«محمد»، و«منصرم» على صيغة اسم الفاعل بمعنى المنقطع.

وحاصل معنى البيت: إن فعلت ذنبا وكسبت سيئا فإني أرجو ستره وغفرانه لأنّ عهدي الذي هو الإيمان ليس بمنتقض لأن نقض التوبة بارتكاب المعصية لا ينقض عهد

الإيمان ولأنّ حبلي أي: الوعد الآتي ليس بمنقطع من جهته عليه الصلاة والسلام بل هو مأمول في كل حال وزمان.

(١٤٦) فَإنّ لِي ذِمَّةً مِنْهُ بِتَسْمِيَّتِي ... مُحَمَّداً وَهُوَ أَوْفَى الْخَلْقِ بِالذِّمَمِ

لمّا بين في البيت السابق أن له عهدا و ذمة مع النبي عليه السلام وكان في مفهوم ذلك خفاء أراد دفعه وتفسيره فقال: «فإن لي ذمة... إلخ» «**الفاء**» للتفسير و«**الذمة**» بمعنى الأمان كما في قوله عليه السلام ((ويسعى بذمتهم أدناهم))[١٧٣]، وتطلق على العهد أيضا. و«**منه**» ظرف مستقر صفة لـ«ذمة» والضمير راجع إلى النبي عليه السلام و«**بتسميتي**» متعلق بـ«الذمة»، و«الباء» فيه للسببية، و«التسمية» إن كانت مصدر المعلوم تكون إضافة المصدر إلى المفعول الأول والفاعل متروك أي: تسمية الله إياي لأنّ الألقاب تنزل من السماء وتلقى على المسمى أو تسمية المسمي إياي محمداً ويحتمل أن يكون النبي خاطب الناظم في رؤياه بهذا الاسم أو في اليقظة كما وقع لبعض المشايخ الكبار فيكون التقدير بتسميته عليه السلام إيّاي. و«**محمدا**» بالنصب مفعول ثان لـ«التسمية»، ثمّ اعلم أنّ اسم محمد اسم كريم شريف، وهو أشرف أسمائه عليه السلام وأخصها وأعرفها وبه يناديه الله تعالى ويسميه في الدنيا والآخرة، وهو المختص بكلمة التوحيد وبه كني آدم عليه السلام وبه كان يكتب من محمد رسول الله، وبه يصلي عليه المصلون، وبه صعد ملك الموت السماء لما قبض روحه قائلا وا محمداه. وتفصيل الكلام في كتب الأنام. ثمّ إنّ قوله: «وهو... إلخ» جملة استينافية، والضمير له عليه السلام. و«**أوفى**» صيغة مبالغة للتفضيل من وفى بالعهد يفي إذ راعى مقتضاه أو من وفى بمعنى تم أي: أتم الخلق و«**الخلق**» بمعنى الأنام والمخلوقات و«**الذمم**» بكسر الذال جمع ذمة.

وحاصل معنى البيت: فإن لي عهداً وميثاقاً معه عليه السلام لأنّ اسمي محمد وهو دال على محبته له والاسم لا يتغير بمخالفة المسمى وهو عليه السلام بمراعاة الذمم أوفى فيقوم بحقها بالشفاعة لأهلها في دار العقبى .وفي البيت إشارة إلى ما ورد في الحديث أنه

(١٧٣)"سنن أبي داؤد"، كتاب الديات، باب أيقاد المسلم بالكافر، الحديث: ٤٥٣٠، ٤/٢٣٨.

عليه السلام قال: ((أتاني جبرائيل فقال: يا محمد إن الله يقرأ عليك السلام ويقول لك: وعزتي وجلالي لا أعذب من يسمي باسمك بالنار))[١٧٤] وإلى ما ورد في حديث آخر: ((أستحيي أن أعذب بالنار من اسمه اسم حبيبي))[١٧٥]، وروى القاضي عياض في "الشفاء" ((إنّ الله تعالى وملائكته يستغفرون لمن اسمه محمد وأحمد))[١٧٦] ولهذا كان أكثر أسامي العلماء الكرام محمداً.

(١٤٧) إنْ لَمْ يَكُنْ فِي مَعَادِي آخِذاً بِيَدِي ... فَضْلاً وَإلاَّ فَقُلْ يَازَلَّةَ الْقَدَمِ

ثمّ أراد بيان كونه محتاجاً غاية الاحتياج لشفاعة صاحب الآيات والمعراج وكونه مقطوع الرجاء من سائر العباد إن لم يكن رسول الله له شافعاً في المعاد فقال: «إن لم يكن إلخ» «**إن لم يكن**» جملة شرطية والضمير له عليه السلام وفي جواب هذا الشرط وجهان أحدهما أن يكون قوله الآتي: «فقل» والثاني: أن يكون محذوفاً أي: فقل يا شدة البال ويا بؤس الحال. و«**المعاد**» مصدر أو مكان أو زمان، والمراد به حالة الموت وما بعده. و«**الأخذ باليد**» عبارة عن النصرة والإمداد والمعاونة ودفع البلايا و «**فضلا**» بالنصب على أنه تمييز من نسبة أخذ إلى فاعله. وإيراد الفضل إشارة إلى أنه لم يكن له حق عليه عليه السلام لو شفع يشفع تفضلا وإحسانا. وقوله: «**وإلا**» فيه خلاف بين القوم فقال بعضهم: أصله إن لا أدغمت نون إن في لام لا فجزاء هذا الشرط محذوف إن كان قوله: «فقل» جواباً «إن لم يكن» أو فقل: إن كان جواب «إن لم تكن» محذوفا، وجملة هذا الشرط والجزاء تكون تأكيداً لجملة «إن لم يكن» فتدبّر. وقال بعضهم: إلا بالتنوين وكسرة الهمزة بمعنى العهد قال تعالى: ﴿لَا يَرْقُبُوْنَ فِيْ مُؤْمِنٍ اِلًّا وَّلَا ذِمَّةً﴾ [توبه:١٠] وهو الأصوب. وقوله: فـ«**قل**» خطاب لمن جرده من نفسه. و«**يا زلة القدم**» أي: احضري،

(١٧٤)"حاشية البجيرمي على الخطيب"،باب مبحث النحت ١/١٢٤ (المكتبة الشاملة)

(١٧٥) المدخل لابن الحاج،الجزالأول،فصل في ذكر النعوت، ص ٩٥

(١٧٦) الشفاء، الجزء الأول،الباب الثالث في الأخبار، ص ١٧٤

فهذا أوانك و«زلة القدم» عبارة عن الوقوع في المهالك، ويمكن حملها على زلق القدم عن الصراط بالوقوع في النار.

وحاصل المعنى: إنّي محتاج إلى جنابه الكريم في النجاة من المهالك والعذاب الأليم حتى لو لم يكن معيناً لي فضلا أي: إحساناً زائداً على الوعد، وعهدا وهو الوفاء بالذمة والعهد فقل أنت نفسك بالخطاب والعتاب يا زلة القدم وياسَيِّءِ الحال وشتيت البال وشديد المآل.

(١٤٨) حَاشَاهُ أَنْ يُحْرِمَ الرَّاجِي مَكَارِمَهُ ... أَوْ يَرْجِعَ الْجَارُ مِنْهُ غَيْرَ مُحْتَرَمِ

لمّا كاد أن يتوهم من البيت السابق كون رجاء الراجي وسؤال المناجي غير مقبول عند بابه عليه السلام أراد دفعه فقال: «**حاشاه**» أي: أنزهه وأبرئه، وضمير المفعول له عليه السلام. و«**يحرم**» من حرم يحرم كضرب يضرب أو من أحرمه بمعنى منعه يتعدى إلى مفعولين وهو على صيغة المعلوم أو المجهول وسكون ياء الراجي لضرورة الشعر وراجي بمعنى السائل و «**مكارمه**» بالنصب مفعول راجي، والمراد بمكارمه هنا الألطاف والخيرات من جهته عليه السلام و«**يرجع**» بالنصب معطوف على يحرم، و«رجع» يجيء لازماً ومتعدياً، وهاهنا لازم أي: يعود أو متعدٍ. فـ«**الجار**» إمّا منصوب أو مرفوع، والجار بمعنى القريب، وقد يطلق الجار على المستجير الداخل في الجوار، وضمير «**منه**» راجع إليه عليه السلام و«**غير محترم**» حال من فاعل يرجع.

وحاصل معنى البيت: أنّه عليه السلام منزه عن أن يحرم راجيه وسائله من الإكرام أو يرد المستجير منه بغير احترام فإنّه معدن الكرامات ومنبع الاحترامات بل جميع أهل الدنيا مستغيث بذاته عليه السلام.

(١٤٩) وَمُنْذُ أَلْزَمْتُ أَفْكَارِي مَدَائِحَهُ ... وَجَدْتُهُ لِخَلَاصِي خَيْرَ مُلْتَزِمِ

لمّا نزه رسول الله عن رد رجاء الراجي وسؤال المناجي أراد بيان حكم منه مما وقع له في الدنيا من قبول رجائه عند بابه فقال: «ومنذ الزمت... إلخ» العامل في «**منذ**» قوله: «وجدت» أو كلمة «منذ» مبتدأ، وهو بمعنى أول المدة التي ألزمت أفكاري... إلخ، و«**ألزمت**» من ألزمته الشيء أي: جعلته كفيلاً للشيء فتكفل به. و«**الأفكار**» جمع فكر، وهو استعمال القوة العاقلة لاستحضار ما ليس بحاضر والمراد به هاهنا عدم الافتراق من رضاه وذكره ومحبته في آن. و«**مدائحه**» بالنصب مفعول «ألزمت» وهو جمع مديح، والمراد به مكارمه الحسنة وأخلاقه المستحسنة. و«**الخلاص**» متعلق بقوله: «ملتزم» المؤخر، والخلاص بمعنى الفوز والنجاة من المصائب والبليات، والمراد من بليات الدنيا كالسقم في الجسم وغيره. و«**خير ملتزم**» بالنصب مفعول ثان لـ«وجدت»، و«ملتزم» على صيغة اسم الفاعل بمعنى خيركل ملتزم لوعده واحداً واحداً.

وحاصل معنى البيت: إنّي من أوّل المدة التي أوجبت على أفكاري مدائحه بإخلاص النية وصفاء الطوية، وجدته وعلمته قد تكفل لي وقام بتخليتي من كل شدة وبلية وهذا ناشئ عن مكارمه الحسنة وأخلاقه المستحسنة.

(١٥٠) وَلَنْ يَفُوتَ الْغِنَى مِنْهُ يَداً تَرِبَتْ...إِنَّ الْحَيَا يُنْبِتُ الأَزْهَارَ فِي الأَكَمِ

ولمّا توهم من البيت السابق كونه أهلاً للعطا ومستحقا للفضل والندى شرع في هضم نفسه وبيان كثرة شفقته وعطيته حتى أصاب من لم يكن له استحقاق أصلا فقال: «ولن يفوت الغنى... إلخ»، و«**يفوت**» من الفوت. و«**الغنى**» بالكسر مع القصر بمعنى اليسار والمراد منه شفاعته عليه السلام. و«**منه**» ظرف مستقر صفة لـ«الغنى» أو حال منه، والضمير له عليه السلام. و«**يداً**» أي: عن يد و«**تربت**» بمعنى افتقرت وأريد باليد أيدي المحتاجين، والنكرة في سياق النفي تفيد العموم، وقيل يجوز أن يراد من الغنى المال، ويؤيده نسخة الندى وقوله: «**إن الحيا**» استيناف وتنظير للحكم المتقدم، و«الحيا» بالقصر

المطر وأما بالمد فمعناه الاستحياء قال المصنف: حدثني بعض من تشرفت بملاقاته وتفاخرت باستماع مقالاته من أكابر السادات بـ"مكة" أن بعض صلحاء "مكة" رأى رسول الله عليه السلام في المنام وسأل منه عليه السلام فقال: أنت قلت يارسول الله الحيا من الإيمان بالقصر فقال رسول الله لا، فاستيقظ وتعجب من ذلك، وحكى هذه الواقعة عند علماء "مكة" فتعجبوا من ذلك لأنهم تيقنوا بالرواية الصحيحة وعلموا أن الرواة ثقاة أمناء إذ هو مذكور في البخاري وغيره فأمروا له بتكرر التوجه إلى الحضرة العلية له عليه السلام في الليلة الثانية ففعل فرأى تلك الحضرة على الطريق المذكور، ثم حكى ذلك عندهم فأمروه ثانيا بتكرر التوجه إلى أن بلغ ثلاث ليال وكان الأمر كما ذكر فاجتمعوا وكتبوا هذه الواقعة في صحيفة فأرسلوا بها إلى سلطان مصر وعلمائها، وكان ذلك في زمن " ابن حجر" من المحدثين فلما سمع ابن حجر ذلك تعجب، وقال للملك: مروه ليجيء إلينا فنراه، ونسمع من لسانه فأرسل السلطان إليه مبلغا من النقود لترتيب أسباب السفر وطلبه فأبى عن تلك النقود، وذهب إليه بماله، فلما وصل استقبله العلماء والكبراء فلما رأوه سألوه عن ذلك فحكى عندهم كما مر فتعجبوا من ذلك فرفعوا القضية إلى الإمام "برهان الدين" المحدث بـ"الشام" فقال: أريد أن أرى هذا الرجل وأسمع ذلك من لسانه فذهبوا به إليه فحكى عنده كما مر، فتنبه برهان الدين لما سبق من الفرق بين الممدود والمقصور، فقال: لقد صدق رسول الله فإن الحيا بالقصر المطر، والحديث ممدود لكن توجه هذه الليلة واسئل الحضرة ففعل فرأى رسول الله، فاستكشف منه، فقال: الأمر كذلك بارك الله فيك وفي معلمك برهان الدين انتهى. ثم إسناد «ينبت» إلى «الحيا» مجاز من قبيل الإسناد إلى سببه. و«**الأزهار**» بالنصب مفعول «ينبت» وهو جمع زهر. و«**الأكم**» بفتحتين جمع أكمة بمعنى رأس الجبل الذي لا يستقر فيه الماء، والمقصود تشبيه جوده بالجود في عموم النفع وقطع النظر عن أن يستأهل العطاء محله. وفيه إشارة إلى أنه رحمة للعالمين وسبب للغنى الظاهري والباطني للعلماء العاملين.

(١٥١) وَلَمْ أُرِدْ زَهْرَةَ الدُّنْيَا الَّتِي قَطَفَتْ ... يَدَا زُهَيْرٍ بِمَا أَثْنَى عَلَى هَرِمِ

لمّا كان البيت السابق موهما أنه أراد النفع الدنيوي دون الحظ الأخروي دفع الوهم والخيال فقال: «ولم أرد زهرة الدنيا... إلخ»، أي: ما رجوت وما طلبت. و«**زهرة**» بالنصب مفعول «لم أرد» و«زهرة الدنيا» عبارة عن زينتها ومتاعها وبهجتها ونضارتها، وفي التعبير بالزهرة إشارة إلى سرعة زوالها كالزهر وإلى كونها غرارة تفتن الناس بحسنها وطمعها، وفي بعض النسخ هذه الدنيا، وهذه للتحقير كما في قوله تعالى: ﴿أَهَٰذَا الَّذِي يَذْكُرُ آلِهَتَكُمْ﴾ [الأنبياء: ٣٦] و«**التي**» صفة لـ«الزهرة» لا لـ«الدنيا» و«**قطفت**» من «قطف الثمر»، واقتطفها جناها، وكلاهما رواية في البيت. و«**يدا زهير**» فاعل قطفت أصله يدان، و«زهير» اسم شاعر من فحول الشعراء وهو زهير بن أبي سلمي كان عمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنه لا يقدم عليه أحدا ويقول أشعر الناس زهير، وولده كعب صحابي صاحب قصيدة "بَانَتْ سُعَادُ"، وفي "الوشاح" لابن دريد: أن كنية زهير أبو بجير وذكر غيره أنّه مات قبل المبعث، وأخرج ثعلب عن ابن عباس بسنده قال: قال لي عمر: أنشدني أشعر شعرائكم قلت: من هو يا أمير المؤمنين؟ قال زهير: وعن ابن الأعرابي قال: كان لزهير في الشعر ما لم يكن لغيره كان أبوه شاعراً وهو شاعراً و خاله شاعراً و أخته سلمي شاعرة وابناه كعب وبجير شاعرين وأخته الخنساء شاعرة، وكان معاوية يقول: كان أشعر أهل الجاهلية زهير بن أبي سلمي، وكان أشعر أهل الإسلام ابنه كعب و«**الباء**» في «بما أثنى» للسببية أو للبدلية، و«**ما**» إما موصولة أي: الذي أثنى به أو مصدرية أي: بإثنائه. و«**هرم**» بفتح الهاء وكسر الراء هو «هرم بن سنان» من أجود ملوك العرب ولزهير فيه مدائح كثيرة، ومن جملتها قصيدة أنشأها في مدحه أولها:

غَشِيتُ دِياراً بالبَقيع فثَهْمَدِ	دوارسَ قد أقوينَ من أمِّ معبدِ
إلى هَرِمٍ تَهْجيرُها وَوَسيجُها	تروحُ من ليلِ التمامِ وتغتدي
تقيٌّ نقيٌّ لم يكثِرْ غنيمةً	بنكهةِ ذي قربَى ، ولا بحقلدِ

ووصل من الملك المذكور لزهير عطيات وخلع كثيرة خارجة عن التعداد.

وحاصل معنى البيت: ظاهر.

(١٥٢) يَا أَكْرَمَ الْخَلْقِ مَا لِيْ مَنْ أَلُوْذُ بِهِ...سِوَاكَ عِنْدَ حُلُوْلِ الْحَادِثِ الْعَمِمِ

فلمّا ذكر نعوت ذاته وكمالات صفاته انتقل من حال الغيبة إلى مقام الحضور فناداه في الرجاء بالخطاب لأنّ السؤال بالخطاب أدعى إلى الإجابة من الغيبة فقال: «يا أكرم الخلق... إلخ»، وتفصيل الكلام في أكرميته عليه السلام قد سبق فتذكر. و«**الألف واللام**» في الخلق للجنس أو للاستغراق و«**الخلق**» بمعنى المخلوق، وفي بعض النسخ يا أكرم الرسل ويلزم منه كونه عليه السلام أفضل الخلق بطريق الدلالة. و«**ما**» نافية بمعنى ليس. و«**ألوذ**» بمعنى ألتجئ وأعوذ، «**به**» متعلق بـ«ألوذ» والضمير له عليه السلام أي: للشفاعة إلى الله. و«**سواك**» منصوب على الظرفية. و«**عند**» متعلق بـ«ألوذ». و«**العمم**» بفتحتين وبكسر الميم الأولى، وكلاهما مروي، وهو من «عم» بمعنى شمل وأحاط، والمراد من «**الحادث**» الشامل لجميع الخلق إما الموت، وهي القيامة الصغرى، وإما الساعة وهي القيامة الكبرى، والمراد من «حلوله ونزوله» مجئ وقته.

(١٥٣) وَلَن يَّضِيْقَ رَسُوْلَ اللهِ جَاهُكَ بِي ... إِذِ الْكَرِيْمُ تَجَلّى بِاسْمِ مُنْتَقِمِ

ثمّ كرّر الرجاء بطريق النداء إلى رسول الله الكريم حرصاً في السؤال وطلباً للنوال فقال: «ولن يضيق... إلخ»، «**الواو**» حالية، و«**رسول الله**» منصوب على أنّه منادى محذوف حرف ندائه. و«**الجاه**» بمعنى الوجاهة، وهي رفعة المنزلة وسعة المرتبة و«**بي**» أي: بشفاعتي واعتنائك بي. و«**إذ**» بمعنى إذا للظرفية. و«تجلى» إما بالحاء المهملة بمعنى اتصف أو بالمعجمة بمعنى انكشف «**باسم منتقم**» أي: بصفة منتقم، ثم اعلم أنه ذكر الله أولا باسمه الكريم وخصه بالذكر مع أنه من صفات الجمال ثم ذكر اسمه المنتقم في مقام الانتقام مع أنّه من صفات الجلال ليحصل الاعتدال ولا تنقطع قلوب الرجال، وهذا مزج لطيف ومعجون شريف، فإن قلت: إنّه يستفاد من قوله: «إذ الكريم... إلخ» أنّه تعالى يتصف بصفة الانتقام فيما سيأتي لا في الأزل مع أنّه تعالى متصف بها أزلاً وأبداً قلت: مراده منه إذا الكريم قد ظهر كمال أثر اتصافه بالاسم المنتقم كما لايخفى.

(١٥٤) فَإِنَّ مِنْ جُوْدِكَ الدُّنْيَا وَضَرَّتَهَا ... وَمِنْ عُلُوْمِكَ عِلْمَ اللَّوْحِ وَالْقَلَمِ

لمّا كان في مضمون البيت الأول خفاء أراد تفسيره وبيانه وتعليله فقال: «فإن من جودك... إلخ»، «**الجود**» إفاضة ما ينبغي لا لعوض ولا لغرض. و«الدنيا» بالنصب تقديراً اسم «إن». و«**ضرّة الدنيا**» هي الآخرة، وإنما سمّاها ضرة لأنّ الجمع بينهما متعذر إلاّ أن يوفق الله تعالى كتعسر الجمع بين المرأتين كما قال عليه السلام ((من أحب آخرته أضر بدنياه، ومن أحب دنياه أضر بآخرته))[١٧٧] الحديث، ومن لطائف ما قيل:

عتبت على الدنيا لتأخير عالم	وتقديم ذي جهل فقال خذ العذري
بنو الجهل أولادي لذاك رفعتهم	وأهل النهى أولاد ضرتي الأخرى

قيل: كون الكونين من جوده لأنّه واسطة في فيضان الوجود على الماهيات وسيلان الجود على الموجودات فكأن الكونين من جوده أو يكون مجازاً أي: حصول خيرهما من جودك وبركة شفاعتك، وفي هذا المصراع تلميح إلى حديث «لولاك»[١٧٨] الحديث. وفي قوله: «**ومن علومك**» عطف على «من جودك»، و«العلوم» جمع علم، وهو إما بمعناه أو بمعنى: المعلوم أي: من معلوماتك علم اللوح والقلم أي: المعلومات الحاصلة منهما. و«**علم اللوح**» بالنصب معطوف على الدنيا، «اللوح» هو الكتاب المبين، ولا يقبل العقل ما فيه من العظمة واللطافة، وما فيه من الحروف والكتابة قيل: «اللوح» أربعة لوح القضاء المصون عن المحو والإثبات، وهو لوح العقل الأول، ولوح القدر أي لوح النفس الناطقة الكلية التي يفصل فيه كليات اللوح الأول، ويتعلق بإثباتها، وهو المسمى باللوح المحفوظ، ولوح النفس الجزئية السماوية التي ينقش فيه كل ما في هذا العالم بشكله ومقداره، وهو المسمى بسماء الدنيا، ولوح الهيولى القابلة للصور في عالم الشهادة. و«**القلم**» وهو الذي خلق مقدما على جميع الأشياء، وقد جعل الله له ثلاث مئة وستين سنا كل سن يعرب عن ثلاث مئة وستين صنفا من العلوم الإجمالية فيفصلها في اللوح.

---

(١٧٧) "صحيح ابن حبان"، كتاب الرقاق، باب الفقر والزهد والقناعة، الحديث: ٧٠٧، ٢/ ٤٦.

(١٧٨) كنز العمال،الجز الحادي العشر،كتاب الفضائل، الباب الأول، الفصل الثالث، ص ١٩٤،رقم ٣٢٠٢٢

قال شيخ محي الدين بن عربي: اعلم أن الله تعالى لما تجلى للقلم اشتق منه موجود آخر سماه اللوح وأمر القلم أن يتدلى إليه ويودع فيه جميع ما يكون إلى يوم القيامة انتهى. قال الشعراني في "كتاب اليواقيت والجواهر": فإن قلت: فهل اطلع أحد من الأولياء على عدد الحوادث التي كتبها القلم على اللوح إلى يوم القيامة؟ فالجواب قال الشيخ في الباب الثامن والستين بعد المئة من "الفتوحات المكّيّة" نعم أنا من أطلعه الله على ذلك، وقال الشيخ: أطلعني الله على عدد أمهات علوم أمّ الكتاب، وهو مئة ألف نوع وتسعة وعشرون ألف نوع وست مئة نوع كل نوع منها يحتوي على علوم انتهى. ثمّ اعلم أنّه قيل: إنّ العلم مصدر مضاف إلى فاعله أي: علم اللوح والقلم بالأشياء فاحتاج إلى القول: بأنّ لهما إدراكاً وشعوراً، وقيل: إنه مضاف إلى المفعول أي: علم الناس باللوح والقلم، وقيل: إنّ الله أطلعه عليه السلام على ما كتب القلم في اللوح المحفوظ، وزاده أيضا لأن اللوح والقلم متناهيان، فما فيهما متناه، ويجوز إحاطة المتناهي بالمتناهي، وقال شيخ زاده: هذا على قدر فهمك، وأمّا من اكتحلت عين بصيرته بالنور الإلهي فيشاهد بالذوق أن علوم اللوح والقلم جزء من علومه كما هي جزء من علم الله تعالى.

وحاصل المعنى: أنه عليه السلام هو الواسطة في إفادة المنح الظاهريات والباطنيات من المبدأ الأول في الكائنات العلويات والسفليات، وإذا كان كذلك فلن يضيق جاهه بعنايته وكفايته ولا يعزب عن علمه حال ضراعته فلا تقصر جوده عن شفاعته.

(١٥٥) يَا نَفْسُ لاَ تَقْنَطِي مِنْ زَلَّةٍ عَظُمَتْ ... إِنَّ الْكَبَائِرَ فِي الْغُفْرَانِ كَاللَّمَمِ

لمّا فرغ من الرجاء للشفاعة منه عليه السلام شرع في تأنيس النفس مخاطباً لها بـ«يا» استبعاداً عن مظانّ الزلفى ناهياً إيّاها عن القنوط فقال: «**يا نفس**... إلخ»، روي نفس بضم السين على أنّه منادى مفرد معرفة، وبكسرها على أنّه منادى مضاف إلى المتكلم، وتخصيص النفس بالخطاب إشعار بأنّ القنوط إنما ينشأ من النفس. و«**لا تقنطي**» من القنوط، وهو أعظم اليأس، وفي "المفردات" القنوط: اليأس من الخير، وبالفارسية «نوميد شدن از خير». **واعلم!** أنّ القنوط من رحمة الله علامة زوال الفطرة الإسلامية بانقطاع الوصلة بين الحق والعبد إذ لو بقي شيء من نوره الأصلي لأراك أثر رحمته الواسعة

السابقة على غضبه فرجاء وصول ذلك الأثر إليه لاتّصاله بعالم النور بتلك البقية. و«**الزلة**» الذنب، أعم من أن يكون كبيرة أو صغيرة لا الزلة التي جاءت في حق الأنبياء، و«**عظمت**» بمعنى كبرت وجلت. و«إنّ الكبائر» علة للنهي، و«**الكبائر**» جمع كبيرة، وهي ما يوعد الشارع عليه بخصوصه، و«**الذنب**» ما يذمّ الآتي به شرعا، وقد اختلف الروايات في المعصية الكبيرة روي عن ابن عمر أنها تسع: الشرك بالله وقتل النفس بغير حق وقذف المحصنة والزنا والفرار من الزَحف والسحر وأكل مال اليتيم وعقوق الوالدين المسلمين والإلحاد في الحرم، وقيل: كل معصية أصر عليها العبد فهي كبيرة، وكل ما استغفر منها فهي صغيرة، وتفصيل الكلام في رسالة مستقلة لابن نجيم في عد الذنوب. و«في الغفران» متعلق بالكاف في قوله «كاللمم»، و«**اللمم**» بمعنى صغار الذنوب.

وحاصل المعنى: يا أيّتها النفس لا تيئسي من رحمة الله ومغفرته يأساً ناشئاً من المعاصي التي كبرت وعظمت بإصرارك؛ لأنّ الكبائر من المعاصي كصغار الذنوب في جنب غفران غفار الذنوب وقد وعد الله تعالى على طريق التأكيد والتشديد في قوله: ﴿إِنَّ اللّٰهَ يَغْفِرُ الذُّنُوْبَ جَمِيْعاً﴾ الآية [الزمر: ٥٣] بغفران الذنوب وإن كثرت وكانت بعدد الرمال والأوراق والنجوم سواء كانت صغائر أو كبائر ونحوها قيل: لمّا نزل قوله تعالى: ﴿الَّذِيْنَ يَجْتَنِبُوْنَ كَبٰٓئِرَ الْاِثْمِ وَالْفَوَاحِشَ اِلَّا اللَّمَمَ﴾ [النجم: ٣٢] أنشد عليه السلام بهذا

إِنْ تَغْفِرْ اللّٰهُمَّ فَاغْفِرْ جَمّاً(١٧٩)		فأيُّ عَبْدٍ لَكَ لاَ أَلَمَّا

(١٥٦) لَعَلَّ رَحْمَةَ رَبِّي حِيْنَ يَقْسِمُهَا...تَأْتِي عَلَى حَسَبِ الْعِصْيَانِ فِي الْقِسَمِ

لمّا علّل نهي النفس عن القنوط بقوله: «إن الكبائر... إلخ» أورد عليه علة أخرى لكونه مما يعتني بشأنه فقال:« لعل رحمة ربي... إلخ» «**لعل**» للترجي، وإنما جاء به؛ لأن الأصلح لايجب على الله تعالى وهو فاعل مختار ولا يتجاوز فعله عن الفضل والعدل

(١٧٩) (قال الإمام **أحمد رضا خان** عليه رحمة الرحمن: رواه الترمذي والحاكم عن ابن عبّاس رضي الله تعالى عنهما وصحّحاه فليس«إنْ» في قوله «إن تغفر» للشّك بل للتّعليل كقولك لابنك: «إن كنت ابني، فافعل كذا» أي:افعلْه وامتثلْ أمري ؛لأنّك ابني وكقولهم:«إنْ كنتَ سلطاناً، فأعط الجزيلَ»،فالمعنى اغفر كثيراً ؛لأنّك غفار."أحسن الوعاء لآداب الدعا مع شرح ذيل المدعاء لأحسن الوعاء"ص:٨٢)

والحكمة. و«رحمة» منصوب على أنه اسم «لعل». و«حين» ظرف لـ«تأتي» المؤخر، «يقسمها» أي: يفرقها على حسب صلة لـ«تأتي»، و«**الحسب**» بمعنى القدر. و«**العصيان**» شامل للذنوب كلها صغيرها وكبيرها. و«في» ظرف لـ«حسب»، و«**القسم**» بكسر القاف وفتح السين جمع قسمة بمعنى نصيب.

وحاصل المعنى: يا نفسي الأمّارة المكارة لا تقنطي من رحمة الله ومغفرته لأن الكبائر كالصغائر بالنسبة إلى مغفرته تعالى لأني أرجو وأطمع أن تأتي رحمة ربي وغفرانه حين يقسمها ربي على مقدار العصيان. وفي البيت إشارة إلى ما روي عن أبي هريرة أنه قال: سمعت رسول الله يقول: ((جعل الله الرحمة مئة جزء فأمسك عنده تسعة وتسعين وأنزل في الأرض جزأ واحدا فمن ذلك الجزء يتراحم الخلائق حتى ترفع الدابة حافرها لولدها يمص من لبنها))[١٨٠] فهذا يدل على كمال الرجاء والبشارة للمسلمين؛ لأنه حصل من رحمة واحدة ما حصل من النعم الظاهرة والباطنة، فما ظنك بمأة رحمة في الدار الآخرة، وإلى ما ورد في الخبر أيضاً ((يؤتى بالرجل يوم القيامة فيقال: اعرضوا عليه صغار ذنوبه واخبأوا كبارها فيقال له: فعلت كذا يوم كذا وهو مقر لا ينكر وهو مشفق من الكبار فيقال: أعطوه مكان كل سيئة عملها حسنة فيقول: إن لي ذنوبا ما علمتموها هاهنا قال الراوي فلقد رأيت رسول الله يضحك حتى بدت نواجذه))[١٨١] وهذا يدل على سعة الرجاء.

(١٥٧) يَا رَبِّ وَاجْعَلْ رَجَائِي غَيْرَ مُنْعَكِسٍ ...لَدَيْكَ وَاجْعَلْ حِسَابِي غَيْرَمُنْخَرِمِ

لمّا ذكر الله تعالى في البيت السابق بطريق الغيبة انتقل منه إلى الخطاب؛ إذ الرجاء بالخطاب ادعى إلى الإجابة فقال: «يا رب... إلخ» كلمة «**يا**» موضوعة لنداء البعيد، وقد ينادى القريب بما ينادى البعيد لحرص المنادي على إقبال المدعو عليه لما يدعوه له أو لجعله نفسه في عداد من لا يستأهل القرب لحقارة المنادى. و«**رب**» محذوف الياء اكتفاء بالكسرة، و«الرب» بمعنى المالك والصاحب والمبلغ إلى الكمال شيئا فشيئا. و«اجعل» وقع في بعض النسخ «فاجعل» بالفاء و«**الرجاء**» بمعنى الأمل فـ«الرجاء» إما

(١٨٠)"صحيح مسلم"، كتاب التوبة، باب في سعة رحمة الله تعالى إلخ، الحديث: ٢٧٥٢، صـ ١٤٧١.
(١٨١)"المسند" للإمام أحمد بن حنبل، مسند الأنصار، الحديث: ٢١٤٥١، ٨/٩٠.

بمعنى اسم المفعول أو اسم مصدر ومرجوه النجاة والسعادة. و«**غير منعكس**» بالنصب مفعول «اجعل» وهو بمعنى غير مردود، إذ انعكاس الرجاء بالخيبة وانعكاس المرجو بالهلاك والشقاء و«**لدى**» بمعنى عند و«**الحساب**» يطلق على ثلثة معان: العد، والترقب، والظن. وكله جائز هنا. فالمعنى على الأول: واجعل عدي نعمك المتوالية، وعلى الثاني: واجعل ترقبي وانتظاري مزيد إنعامك، وعلى الثالث: حسن ظني بك، وقد قلت: ((أنا عند ظن عبدي بي))[١٨٢] و«**غير منخرم**» بمعنى غير منقطع من خرمه قطعه.

(١٥٨) وَالْطُفْ بِعَبْدِكَ فِي الدَّارَيْنِ إِنَّ لَهُ ... صَبْراً مَتَى تَدْعُهُ الْأَهْوَالُ يَنْهَزِمِ

ثمّ أتمّ دعاءه من الله العلام برجاء لطفه العام الشامل فقال: «والطف... إلخ»، «**اللطف**» هو الإحسان الخفي أو الذي ليس له سبب جلي قيل من لطفه تعالى بالعبد بإبهام عاقبته عليه؛ لأنّه لو علم سعادته لقل عمله واستند إليه، ولو علم شقاوته لايئس، وترك التذلل لديه قيل: من لطفه إخفاء أجله عليه، ثم إنه وضع المظهر موضع المضمر في قوله: «بعبدك» مكان «بي» للاستعطاف كما في قوله: «إلهي عبدك العاصي أتاكا» و«إن له» استيناف وتعليل لطلب اللطف و«**في الدارين**» متعلق باللطف، والمراد بهما الدنيا والآخرة. و«صبراً» بالنصب على أنّه اسم «إنّ» و«له» خبره. وكلمة «**متى**» من الظروف الزمانية المتضمنة للشرط الجازمة للفعل. و«**تدعه**» فيه روايات ثلاث بالدال بمعنى تطلبه، وبالراء بمعنى تخوفه، وفي أخرى تلقه من الملاقاة. و«**الأهوال**» جمع هول، وهو الشدة والفزع «**ينهزم**» مجزوم على الجزائية، والجملة الشرطية مع الجزاء صفة «صبرا».

وحاصل المعنى: يا لطيف الطف وأحسن بعبدك الضعيف المعترف بالمعاصي وسلمه في الدنيا والآخرة من الشدائد والأفزاع؛ لأنّ لعبدك صبراً كائناً متى طلبته الأهوال أو خوفته يفر صبره منه لكمال ضعفه.

(١٨٢)"صحيح البخاري"، كتاب التوحيد، باب قول الله عز وجلّ «ويحذركم الله نفسه»، الحديث: ٧٤٠٥، ٥٤١/٤.

(١٥٩) وَائْذَنْ لِسُحْبِ صَلاةٍ مِنْكَ دَائِمَةً ... عَلَى النَّبِيِّ بِمُنْهَلٍّ وَمُنْسَجِمِ

لمّا علم أنه لا ملجأ أقوى ولا منجي أوثق من ملازمته عليه السلام ومتابعته في كل الأوقات والأيام قال: «وائْذن... إلخ»، «الواو» عاطفة، وهذه الجملة معطوفة على اجعل أو الطف، و«ائْذَنْ» بمعنى إعطاء الإجازة. و«السحب» جمع سحاب، والمراد من «الصلاة» مزيد الشرف والكرامة، و«منك» صفة «صلاة». و«دائمة» صفة بعد صفة له و«على النبي» متعلق بصلاة أو دائمة أو بمقدر، والمراد من «النبي» محمد عليه السلام و«بمنهل» متعلق بـ«ائذن» أي: بإفاضة مطر منصب سائلاً بلا انقطاع من انهلت السماء أي: صبت، وانهل المطر سال. و«منسجم» من سجم الدمع، و«انسجم» بمعنى سال، ولله در الناظم الفاهم حيث أتى بالصلاة على سيدنا الكرام بأبلغ الوجوه وأحسن الإكرام حيث جمع في بيت ذكر الصلاة ودوامها ونزولها ومبدأ النزول ومنتهاء وكثرتها في ضمن الانصباب وعمومها في طي السيلان ومحلها وتشبيهها بالأمطار وإثبات السحاب قيل: في لفظ «ائذن» إيذان بأن سحب الصلاة حاضرة واقفة موقوفة على إذنه تعالى والإذن متحقق فإنه تعالى ومعه ملائكة يصلون عليه.

(١٦٠) وَالآلِ وَالصَّحْبِ ثُمَّ التَّابِعِيْنَ لَهُمْ ...أَهْلِ التُّقَى وَالنُّقَى وَالْحِلْمِ وَالْكَرَمِ

لمّا كان تقرب العبد إلى الله تعالى كما يتوقف على التوسل بحضرة النبي عليه السلام كذلك يتوقف على التوسل بحضرات آله وأصحابه الكرام عقب الصلاة عليه عليه السلام ،بالصلاة عليهم تحصيلا للقربة وإرشادا للأمة وتكميلاً للملة فقال: «والآل... إلخ»، أصله أهل، وآله عليه السلام كل من تبع دينه، وقيل كل تقي نقي، وفيه تفصيل لكن المراد به هاهنا أهل بيته و«الصحب» تخفيف صاحب أو جمع له عند من يذهب إلى جعل ركب جمع راكب، وإيراد كلمة «ثمّ» تنبيه على تأخر رتبهم عن رتبة الآل والأصحاب، أو إيراده لمجرد الوزن كما في قوله: وعجمة ثم جمع ثم تركيب. و«لهم» متعلق بالتابعين، والضمير للأصحاب والآل. و«أهل التقى» بالجر صفة لكل واحد منهم، أو بالرفع خبر مبتدأ محذوف أي: هم. و«التقى» بالضم التقوى، وأصله الوقى كالتراث،

و«التقوى» هو الاجتناب عن المحرمات وما فيه الشبهات. و«النقى» أي: الخيار والطهارة من خبث المعاصي. وفي بعض النسخ: «النهى» مكانه، وهو جمع نهية، وهي العقل والحلم والكرم وقد سبق بيانه في أوصافه عليه السلام تذكر.

وحاصل المعنى: يا مفيض الخير والجود أنزل وأفض رحمة دائمة على نبيك المصطفى ورسولك المرتضى وأهل بيته وأصحابه وأتباعه الذين كلّهم جامعون للصفات الجميلة والخصال الحميدة كالتقوى والنقاوة والحلم والكرم، وهم كاملون من جميع الجهات بشرف تصادفهم لمصاحبة أشرف المخلوقات ولذا استحقوا لذلك السلام والصلاة.

(١٦١) مَا رَنَّحَتْ عَذَبَاتِ الْبَانِ رِيْحُ صَبَا...وَأَطْرَبَ الْعِيْسَ حَادِي الْعِيْسِ بِالنَّغَمِ

ثمّ عقب الصلاة بما يبين دوامها وقيامها إلى يوم القيامة فلذا قال: «ما رنحت... إلخ»، «ما» مصدرية بمعنى المدة، وتلك مدة بقاء الدنيا. و«رنّحت» بمعنى حركت وأمالت. و«عذبات» مفعول «رنحت»، وهو جمع عذبة بمعنى الغصن و«البان» نوع من الأشجار كما سبق في مفتتح القصيدة و«ريح» بالرفع فاعل «رنحت» وهو مؤنث سماعي وإضافته إلى «الصبا» من قبيل إضافة العام إلى الخاص كشجر الأراك. و«الصبا» ريح تهبّ من مطلع الشمس إذا استوى الليل والنهار. قال في "حلية الكميت": اعلم أنّ الرياح أربع: الصبا وتسمى القبول وهي تنفس عن المكروب. وفي "ابن خلكان" ((أن ريح الصبا استأذنت ربها في أن تأتي يعقوب بريح يوسف عليه الصلاة والسلام قبل أن يأتيه البشير بالقميص فأذن لها فأتته بذلك فلذا يستريح كل محزون بريح الصبا، وهي من ناحية المشرق، وإذا هبّت على الأبدان نعمتها ولينتها، وهيّجت الأشواق إلى الأوطان والأحباب))[١٨٣]. والجنوب، وهي تجمع السحاب، ومنها خلقت الخيل كما ذكره الحاكم أبو عبد الله في "تاريخ نيسابور" بإسناد عن علي ابن أبي طالب عن النبي صلى الله تعالى عليه وسلّم أنّه قال: ((لمّا أراد الله تعالى أن يخلق الخيل أوحى إلى ريح الجنوب أني خالق منك خلقا فاجتمعي، فاجتمعت فأتى جبريل فأخذ منها قبضة، ثمّ قال الله تعالى

(١٨٣) وفيات الأعيان لابن خلكان، الجزالرابع، حرف الميم. ص ٦٣، رقم ٥٩٠

هذه قبضتي ثم خلق فرساً كميتاً، وقال: خلقتك فرساً، وجعلتك عربياً، وفضّلتك على سائر ما خلقت من البهائم))(١٨٤) الحديث و«الشمال» و«الدبور»، وهي التي تهدم البنيان وتقلع الشجر، وهي الريح العقيم والعاصف والصرصر المذكورة في القرآن، وكل ما في القرآن من لفظ الريح، فالمراد به «الدبور»، ثمّ إن «**أطرب**» بمعنى أوقع في الطرب، وهو بالتحريك الخفة الحاصلة للإنسان من شدة السرور. و«**العيس**» بالنصب مفعول «أطرب»، و«العيس» جمع أعيس كالبيض جمع أبيض، وهو الإبل البيض أو التي يخالط بياضها شيء من الصفرة. و«**حادي العيس**» بالرفع فاعل «أطرب»، و«الحادي» بمعنى السائق للإبل وراعيها، وتكرير «العيس» لقصد الاستلذاذ. و«**النغم**» بفتحتين جمع نغمة، وهي حسن الصوت، ثمّ إنّ في الختم بالنغم إيذانا بأنّه يلزم في قراءة هذه القصيدة من نغمة لكونها شعراً، ومن المعلوم أنّ الشعر يقرأ بالنغم، ويحسن به.

و**حاصل معنى البيت:** يا مفيض الخير والجود ائذن وأمر للسحب بذلك ما دام تحريك أغصان شجرة البان بريح الصبا وما دام إعطاء طرب وسرور سائق الإبل الكرائم البيض إياها بالأصوات الحسنة قد وقع الفراغ من تصنيفه وتأليفه بعون الله الملك العلام، وبشفاعة سيد الأنام في شهر رمضان سنة اثنتين وأربعين بعد المئتين والألف من هجرة نبي آخر الزمان، وأرجو من كل إخوان توجيه ما وقع فيه من الزلل والفساد ناشئا من الجهل والعناد إذ هو أوّل ما أفرغته في قالب الترصيف بعون الله تعالى الملك اللطيف مع تشتت الحال، واشتغال البال بالاستفادة من الأساتيذ الكرام والعلماء الفخام، ومع كوني غريبا والغريب كالأعمى ولو كان بصيرا ومما ورد في بيان مشقة السفر ((السفر قطعة من السقر))(١٨٥) والحمد لله رب العالمين، وصلى الله تعالى على سيدنا محمد وآله وصحبه أجمعين، وسلم تسليماً كثيراً.

---

(١٨٤) "كنز العمال"، كتاب الجهاد، الحديث: ١١٣٧٨، ٤/١٩٩.

(١٨٥) كشف الخفاء، الجزالأول، حرف السين، ص ٤٠١، الحديث ١٤٧٧، بلفظ آخر

قد قرّظه أفاضل عصرنا وأماثل جهابذة مصرنا حيث قال الأستاذ العلامة والجهبذ الفهامة ذوالتآليف المفيدة والتصانيف المجيدة **مولانا الشيخ إبراهيم الباجوري** المحرر لقصبات السباق إذا جوري.

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذي شرح قلوب أهل العلم لإفادة الأحكام وجعلهم نجوم الهدى وشموس الاقتداء بين الأنام، وأثبت لهم التمييز ورفع المقام، والصلاة والسلام على سيدنا محمد الذي تشرفت بمدحه البردة والقصائد، وعلى آله وأصحابه وعترته السادة الأماجد، وبعد فقد نزهت طرفي في هذا الشرح الذي شرح القلوب بيانه، وسطع في سماء التحقيق برهانه، فرأيت أسرار البلاغة فيه فاشية وأبكار الفصاحة في خدور السطور ناشية، والبردة به اكتسب رقة الحاشية فيا له من شرح لطيف قد طرز البردة، وأضحى بين الشروح عمدة، واحتوي على كثير من الآداب، وأتى بالعجب العجاب بحسن سبكة تقر العيون، وفي ذلك فليتنافس المتنافسون، فلله درمؤلفه لقد حقق لنا قول القائل الماهر:

كم ترك الأول للآخر

كيف وهو زبدة أفاضل السادة العلماء، وثمرة شجرة طيبة أصلها ثابت وفرعها في السماء إنسان عين أعيان الروم رب المنطوق والمفهوم حضرت سيد **عمر آفندي الحنفي** مفتي مدينة "خربوت" المحمية لا زال مبلغ الأمنية ولابرح رافلاً في أثواب المحاسن وارداً من المعارف شراباً غير آسن، وجزاه الله خيراً عن هذا المرام، وأحسن لي، وله الختام.

وقال الإمام الأكمل والهمام الأمثل مولانا **الشيخ إبراهيم السقا** الذي هو أجل من عنه يتلقى.

بسم الله الرحمن الرحيم

لك الحمد أوجدت العلماء في الأمصار، وجددت بهم الدين، ولك الشكر أودعت في قلوبهم من الأسرار والأنوار ما أوزعت به نفوسهم تمام النبيين منّنت عليهم بمنة توريث الأنبياء في العلم والعمل، وأحسنت إليهم بنعمة مدح مصطفاك ومختارك في الأبد والأزل، ومنك سلسل الصلوات، ومسلسل التسلمات على عين العناية والنعمة، ونفس الحماية والرحمة، وعلى آله الأشراف، وأصحابه أهل الإنصاف. أما بعد! فقد حظيت برؤية هذا

الشرح البديع الفائق المورد الصفي الهني الرائق الذي خدم به أوحد العلماء الأعلام ومفرد العظماء الفخام الإنسان الكامل الجهبذ الفاضل ذو النسب الرفيع السامي صاحب الأدب البديع النامي قاموس البلاغة والفصاحة ونبراس الإفهام السيد **عمر آفندي** مفتي مدينة "خربوت"، ومفيد الحكام صحيح الأحكام بردة المديح للحضرة النبوية الممدوحة بالمدائح العلية من رب البرية فوجدته بحراً احتوى على الدرر، وروضاً استوى منه الثمر، وحوى من فنون الأفنان الغرر انتجت قياساته الصحيحة، وابتهجت أشكاله، فزال عن مشروحه ما تضمنه غموضه وأشكاله يحق أن يقال فيه: هو البحر لكنه زاخر، هو الروض لكنه زاهر، فنزه الطرف بأفنان فنونه ما لها آخر، فجزى الله مؤلفه خير جزاء. وأثابه، وبلغه بجاه الممدوح بالمشروح آرابه، وأحسن لي وله ولإخواننا العواقب، وأقامنا معه، وأدامنا على أحسن الطرق وأقوم المذاهب آمين.

وقال العمدة الفاضل الجامع بين الفضائل والفواضل مولانا **الشيخ محمد الأبراشي** الجدير بتحقيق الشروح والحواشي.

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد منك إليك يا من جعلت العلماء مصابيح يهتدي بهم في حلك الظلام، وخصصتهم بتخصيصة الخشية حتى انتشر فضلهم، وظهر للخاص والعام، والصلاة والسلام على سيدنا محمد ممد الأوائل والأواخر، وعلى آله وأصحابه أولى المآثر والمفاخر، أما بعد! فلما نظرت إلى محاسن روض ما تضمنته هذه الطروس من أزاهر المعاني، وما أودعه كنز هذه الصحائف من الدر المباهي به المعاني، قلت: هذه روضة تمايلت أغصانها، وتدلت أفنانها، وعبقت أزهارها، وطابت ثمارها، وتدفقت أنهارها، أو حلة أبهر الناظر رونقها، وأدهش الألباب تأنقها، أم بردة أجيد طرازها، أم آيات أخرس البلغاء إعجازها، أم عقود تلألأت فرائدها، وانتظمت قلائدها بل هي درر تنافست التيجان في نفائسها فما طالت، وتطاولت الأكاليل أن تحسن بها فما نالت، لم لا وهي جمع من فضله بين البرية معلوم، ومن حسدت العرب العرباء عليه الروم خرجت كلماته من قلب سليم، وإخلاص في حب صاحب الشفاعة من صميم، فما كل من جمع ألف ولا كل من أكثر النقل والغز وصنف

إنّما تلك مواهب وهبها المولى لمن شاء، وجعله أولى، وكل يدعي وصلا بليلي، فدونك شرحا صار لبردة المديح كالطراز المعلم، وأبان بلاغته وحسن انسجامه أنّه خير شرح عليها تكلم وترجم، فمن تأمله كذب قول القائل:

ما تركت الأوائل كلمة لقائل هذا وأنا وإن مددت ذراعيه، وأجلت في ميدان مديحه يراعي، وقطعت في ذلك ليلي ونهاري، وشمرت عن الساق إزاري، فما أنا في كمال محاسنه إلا ذو قصور إذ لا تساوي الحجر الأرضية القصور كيف لا ومؤلفه حائز لشرفي العلم والنسب مفخر العجم والعرب الهمام العلامة ألا إنّه شيخ الإسلام والعمدة الفهامة ألا إنّه ملك العلماء الأعلام الحسيب النسيب الآخذ من كل فن أوفر نصيب المتوكل على المعيد المبدي سيدي السيد **عمر آفندي** مفتي مدينة "خربوت" المحمية صانه الله تعالى، وحفظه من كل رزية وبلية أبقاه الله راقياً ذري المعالي رافلا في حال الحبور على ممرّ الليالي ما تدنّم بمدح سيد الكائنات مادح وتليت قصيدة البردة بين الممادح، وعبق مسك الختام باريحه الفائح.

أحمدك اللّهم ما وفقتنه لإتمام طبع (عصيدة الشهدة شرح قصيدة البردة) للفاضل الخربوتي مزيناً هوامشه بشرح المحقق والحبر المدقق الشيخ محي الدين محمد بن مصطفى المعروف بشيخ زاده أحسنه الله الحسنى وزيادة.

تَـمَّـت

٩٥	مَا حُوْرِبَتْ قَطُّ إِلاَّ عَادَ مِنْ حَرَب	...	أَعْدَى الأَعَادِي إِلَيْهَا مُلْقِي السَّلَم	٢٢٠
٩٦	رَدَّتْ بَلاَغَتُهَا دَعْوَى مُعَارِضِهَا	...	رَدَّ الغَيُوْرِ يَدَ الْجَانِي عَنِ الْحَرَم	٢٢٢
٩٧	لَهَا مَعَانٍ كَمَوْجِ الْبَحْرِ فِيْ مَدَد	...	وَفَوْقَ جَوْهَرِهِ فِي الْحُسْنِ وَالْقِيَم	٢٢٣
٩٨	فَلاَ تُعَدُّ وَلاَ تُحْصَى عَجَائِبُهَا	...	وَلاَ تُسَامُ عَلَى الإِكْثَارِ بِالسَّأَم	٢٢٤
٩٩	قَرَّتْ بِهَا عَيْنُ قَارِيهَا فَقُلْتُ لَه	...	لَقَدْ ظَفِرْتَ بِحَبْلِ اللهِ فَاعْتَصِم	٢٢٥
١٠٠	إِنْ تَتْلُهَا خِيْفَةً مِنْ حَرِّ نَارِ لَظًى	...	أَطْفَأْتَ نَارَ لَظًى مِنْ وِرْدِهَا الشَّبِم	٢٢٧
١٠١	كَأَنَّهَا الْحَوْضُ تَبْيَضُّ الْوُجُوْهُ بِه	...	مِنَ الْعُصَاةِ وَقَدْ جَاؤُهُ كَالْحُمَم	٢٢٩
١٠٢	وَكَالصِّرَاطِ وَكَالْمِيْزَانِ مَعْدِلَةً	...	فَالْقِسْطُ مِنْ غَيْرِهَا فِي النَّاسِ لَمْ يَقُم	٢٣١
١٠٣	لاَ تَعْجَبَنْ لِحَسُوْدٍ رَاحَ يُنْكِرُهَا	...	تَجَاهُلاً وَهُوَ عَيْنُ الْحَاذِقِ الْفَهِم	٢٣٢
١٠٤	قَدْ تُنْكِرُ الْعَيْنُ ضَوْءَ الشَّمْسِ مِنْ رَمَد	...	وَيُنْكِرُ الْفَمُ طَعْمَ الْمَاءِ مِنْ سَقَم	٢٣٣
١٠٥	يَا خَيْرَ مَنْ يَمَّمَ الْعَافُوْنَ سَاحَتَه	...	سَعْياً وَفَوْقَ مُتُوْنِ الأَيْنُقِ الرُّسُم	٢٣٤
١٠٦	وَمَنْ هُوَ الآيَةُ الْكُبْرٰى لِمُعْتَبِر	...	وَمَنْ هُوَ النِّعْمَةُ الْعُظْمٰى لِمُغْتَنِم	٢٣٦
١٠٧	سَرَيْتَ مِنْ حَرَمٍ لَيْلاً إِلَى حَرَم	...	كَمَا سَرَى الْبَدْرُ فِي دَاجٍ مِنَ الظُّلَم	٢٣٧
١٠٨	وَبِتَّ تَرْقَى إِلَى أَنْ نِلْتَ مَنْزِلَةً	...	مِنْ قَابِ قَوْسَيْنِ لَمْ تُدْرَكْ وَلَمْ تُرَم	٢٣٩
١٠٩	وَقَدَّمَتْكَ جَمِيْعُ الأَنْبِيَاءِ بِهَا	...	وَالرُّسْلِ تَقْدِيْمَ مَخْدُوْمٍ عَلَى خَدَم	٢٤٠
١١٠	وَأَنْتَ تَخْتَرِقُ السَّبْعَ الطِّبَاقَ بِهِم	...	فِيْ مَوْكِبٍ كُنْتَ فِيْهِ صَاحِبَ الْعَلَم	٢٤١
١١١	حَتَّى إِذَا لَمْ تَدَعْ شَأْواً لِمُسْتَبِق	...	مِنَ الدُّنُوِّ وَلاَ مَرْقًى لِمُسْتَنِم	٢٤٣
١١٢	خَفَضْتَ كُلَّ مَقَامٍ بِالإِضَافَةِ إِذْ	...	نُوْدِيْتَ بِالرَّفْعِ مِثْلَ الْمُفْرَدِ الْعَلَم	٢٤٤
١١٣	كَيْمَا تَفُوْزَ بِوَصْلٍ أَيِّ مُسْتَتِر	...	عَنِ الْعُيُوْنِ وَسِرٍّ أَيِّ مُكْتَتَم	٢٤٦
١١٤	فَحُزْتَ كُلَّ فَخَارٍ غَيْرَ مُشْتَرَك	...	وَجُزْتَ كُلَّ مَقَامٍ غَيْرَ مُزْدَحَم	٢٤٨
١١٥	وَجَلَّ مِقْدَارُ مَا وُلِّيْتَ مِنْ رُتَب	...	وَعَزَّ إِدْرَاكُ مَا أُوْلِيْتَ مِنْ نِّعَم	٢٤٩
١١٦	بُشْرٰى لَنَا مَعْشَرَ الإِسْلاَمِ إِنَّ لَنَا	...	مِنَ الْعِنَايَةِ رُكْناً غَيْرَ مُنْهَدِم	٢٥١
١١٧	لَمَّا دَعَا اللهُ دَاعِيْنَا لِطَاعَتِه	...	بِأَكْرَمِ الرُّسُلِ كُنَّا أَكْرَمَ الأُمَم	٢٥٣
١١٨	رَاعَتْ قُلُوْبَ الْعِدٰى أَنْبَاءُ بِعْثَتِه	...	كَنَبْأَةٍ أَجْفَلَتْ غُفْلاً مِنَ الْغَنَم	٢٥٤

١١٩	مَا زَالَ يَلْقَاهُمْ فِيْ كُلِّ مُعْتَرَك	...	حَتَّى حَكَوْا بِالْقَنَا لَحماً عَلَى وَضَم	٢٥٥
١٢٠	وَدُّوْا الْفِرَارَ فَكَادُوْا يَغْبِطُوْنَ بِه	...	أَشْلاَءَ شَالَتْ مَعَ الْعِقْبَانِ وَالرَّخَم	٢٥٦
١٢١	تَمْضِي اللَّيَالِيْ وَلاَيَدْرُوْنَ عِدَّتَهَا	...	مَالَمْ تَكُنْ مِنْ لَيَالِي الأَشْهُرِ الْحُرُم	٢٥٧
١٢٢	كَأَنَّمَا الدِّيْنُ ضَيْفٌ حَلَّ سَاحَتَهُم	...	بِكُلِّ قَرْمٍ إِلَى لَحْمِ الْعِدٰى قَرِم	٢٥٩
١٢٣	يَجُرُّ بَحْرَ خَمِيْسٍ فَوْقَ سَابِحَة	...	يَرْمِيْ بِمَوْجٍ مِنَ الأَبْطَالِ مُلْتَطِم	٢٦١
١٢٤	مِنْ كُلِّ مُنْتَدِبٍ لِلّٰهِ مُحْتَسِب	...	يَسْطُوْ بِمُسْتَأْصِلٍ لِلْكُفْرِ مُصْطَلِم	٢٦٢
١٢٥	حَتَّى غَدَتْ مِلَّةُ الإِسْلاَمِ وَهْيَ بِهِم	...	مِنْ بَعْدِ غُرْبَتِهَا مَوْصُوْلَةَ الرَّحِم	٢٦٣
١٢٦	مَكْفُوْلَةً أَبَداً مِّنْهُمْ بِخَيْرِ أَب	...	وَخَيْرِ بَعْلٍ فَلَمْ تَيْتَمْ وَلَمْ تَئِم	٢٦٤
١٢٧	هُمُ الْجِبَالُ فَسَلْ عَنْهُمْ مُصَادِمَهُم	...	مَاذَا رَأَوْا مِنْهُمْ فِيْ كُلِّ مُصْطَدَم	٢٦٦
١٢٨	وَسَلْ حُنَيْناً وَسَلْ بَدْراً وَسَلْ أُحُداً	...	فُصُوْلَ حَتْفٍ لَهُمْ أَدْهٰى مِنَ الْوَخَم	٢٦٧
١٢٩	الْمُصْدِرِي الْبِيْضِ حُمْراً بَعْدَ مَا وَرَدَتْ	...	مِنَ الْعِدٰى كُلَّ مُسْوَدٍّ مِنَ اللِّمَم	٢٦٩
١٣٠	وَالْكَاتِبِيْنَ بِسُمْرِ الْخَطِّ مَا تَرَكَتْ	...	أَقْلاَمُهُمْ حَرْفَ جِسْمٍ غَيْرَمُنْعَجِم	٢٧٠
١٣١	شَاكِي السِّلاَحِ لَهُمْ سِيمَا تُمَيِّزُهُم	...	وَالْوَرْدُ يَمْتَازُ بِالسِّيْمَا مِنَ السَّلَم	٢٧١
١٣٢	تُهْدِيْ إِلَيْكَ رِيَاحُ النَّصْرِ نَشْرَهُم	...	فَتَحْسَبُ الزَّهْرَ فِيْ الأَكْمَامِ كُلَّ كَمِي	٢٧٢
١٣٣	كَأَنَّهُمْ فِي ظُهُوْرِ الْخَيْلِ نَبْتُ رُبًى	...	مِنْ شِدَّةِ الْحَزْمِ لَا مِنْ شِدَّةِ الْحُزُم	٢٧٣
١٣٤	طَارَتْ قُلُوْبُ الْعِدٰى مِنْ بَأْسِهِمْ فَرَقاً	...	فَمَا تُفَرِّقُ بَيْنَ الْبَهْمِ وَالْبُهَم	٢٧٤
١٣٥	وَمَنْ تَكُنْ بِرَسُوْلِ اللهِ نُصْرَتُه	...	إِنْ تَلْقَهُ الْأُسْدُ فِي آجَامِهَا تَجِم	٢٧٤
١٣٦	وَلَنْ تَرَى مِنْ وَّلِيٍّ غَيْرَ مُنْتَصِر	...	بِهِ وَلاَ مِنْ عَدُوٍّ غَيْرَ مُنْقَصِم	٢٧٥
١٣٧	أَحَلَّ أُمَّتَهُ فِي حِرْزِ مِلَّتِه	...	كَاللَّيْثِ حَلَّ مَعَ الأَشْبَالِ فِي أَجَم	٢٧٧
١٣٨	كَمْ جَدَّلَتْ كَلِمَاتُ اللهِ مِنْ جَدِل	...	فِيْهِ وَكَمْ خَصَّمَ الْبُرْهَانُ مِنْ خَصِم	٢٧٨
١٣٩	كَفَاكَ بِالْعِلْمِ فِي الأُمِّيِّ مُعْجِزَةً	...	فِي الْجَاهِلِيَّةِ وَالتَّأْدِيْبِ فِي الْيُتُم	٢٧٩
١٤٠	خَدَمْتُهُ بِمَدِيْحٍ أَسْتَقِيْلُ بِه	...	ذُنُوْبَ عُمْرٍ مَضَى فِي الشِّعْرِ وَالْخِدَم	٢٨٠
١٤١	إِذْ قَلَّدَانِيَ مَا تُخْشٰى عَوَاقِبُه	...	كَأَنَّنِيْ بِهِمَا هَدْيٌ مِنَ النَّعَم	٢٨١
١٤٢	أَطَعْتُ غَيَّ الصِّبَا فِي الْحَالَتَيْنِ وَمَا	...	حَصَّلْتُ إِلاَّ عَلَى الآثَامِ وَالنَّدَم	٢٨٢

١٤٣	فَيَا خَسَارَةَ نَفْسٍ فِيْ تِجَارَتِهَا	....	لَمْ تَشْتَرِ الدِّيْنَ بِالدُّنْيَا وَلَمْ تَسُمِ	٢٨٢
١٤٤	وَمَنْ يَبِعْ آجِلاً مِنْهُ بِعَاجِلِه	....	يَبِنْ لَهُ الْغَبْنُ فِي بَيْعٍ وَفِي سَلَمِ	٢٨٤
١٤٥	إِنْ آتِ ذَنْباً فَمَا عَهْدِي بِمُنْتَقِضٍ	....	مِنَ النَّبِيِّ وَلَا حَبْلِي بِمُنْصَرِمِ	٢٨٥
١٤٦	فَإِنَّ لِي ذِمَّةً مِنْهُ بِتَسْمِيَتِي	....	مُحَمَّدًا وَهُوَ أَوْفَى الْخَلْقِ بِالذِّمَمِ	٢٨٦
١٤٧	إِنْ لَمْ يَكُنْ فِي مَعَادِي آخِذاً بِيَدِي	....	فَضْلاً وَإِلاَّ فَقُلْ يَازَلَّةَ الْقَدَمِ	٢٨٧
١٤٨	حَاشَاهُ أَنْ يُحْرَمَ الرَّاجِي مَكَارِمَهُ	....	أَوْ يَرْجِعَ الْجَارُ مِنْهُ غَيْرَ مُحْتَرَمِ	٢٨٨
١٤٩	وَمُنْذُ أَلْزَمْتُ أَفْكَارِي مَدَائِحَهُ	....	وَجَدْتُّهُ لِخَلَاصِي خَيْرَ مُلْتَزَمِ	٢٨٩
١٥٠	وَلَنْ يَفُوْتَ الْغِنَى مِنْهُ يَداً تَرِبَتْ	....	إِنَّ الْحَيَا يُنْبِتُ الأَزْهَارَ فِي الأَكَمِ	٢٨٩
١٥١	وَلَمْ أُرِدْ زَهْرَةَ الدُّنْيَا الَّتِي قَطَفَتْ	....	يَدَا زُهَيْرٍ بِمَا أَثْنَى عَلَى هَرِمِ	٢٩١
١٥٢	يَا أَكْرَمَ الْخَلْقِ مَا لِيْ مَنْ أَلُوْذُ بِه	....	سِوَاكَ عِنْدَ حُلُوْلِ الْحَادِثِ الْعَمِمِ	٢٩٢
١٥٣	وَلَنْ يَّضِيْقَ رَسُوْلَ اللهِ جَاهُكَ بِي	....	إِذِ الْكَرِيْمُ تَجَلَّى بِاسْمِ مُنْتَقِمِ	٢٩٢
١٥٤	فَإِنَّ مِنْ جُوْدِكَ الدُّنْيَا وَضَرَّتَهَا	....	وَمِنْ عُلُوْمِكَ عِلْمَ اللَّوْحِ وَالْقَلَمِ	٢٩٣
١٥٥	يَا نَفْسُ لاَ تَقْنَطِي مِنْ زَلَّةٍ عَظُمَتْ	....	إِنَّ الْكَبَائِرَ فِي الْغُفْرَانِ كَالَّلمَمِ	٢٩٤
١٥٦	لَعَلَّ رَحْمَةَ رَبِّي حِيْنَ يَقْسِمُهَا	....	تَأْتِي عَلَى حَسَبِ الْعِصْيَانِ فِي الْقِسَمِ	٢٩٥
١٥٧	يَا رَبِّ وَاجْعَلْ رَجَائِي غَيْرَ مُنْعَكِسٍ	....	لَدَيْكَ وَاجْعَلْ حِسَابِي غَيْرَمُنْخَرِمِ	٢٩٦
١٥٨	وَالْطُفْ بِعَبْدِكَ فِي الدَّارَيْنِ إِنّ لَهُ	....	صَبْراً مَتَى تَدْعُهُ الأَهْوَالُ يَنْهَزِمِ	٢٩٧
١٥٩	وَائْذَنْ لِسُحْبِ صَلاةٍ مِنْكَ دَائِمَةً	....	عَلَى النَّبِيِّ بِمُنْهَلٍّ وَمُنْسَجِمِ	٢٩٨
١٦٠	وَالآلِ وَالصَّحْبِ ثُمَّ التَّابِعِيْنَ لَهُمْ	....	أَهْلِ التُّقَى وَالنُّقَى وَالْحِلْمِ وَالْكَرَمِ	٢٩٨
١٦١	مَا رَنَّحَتْ عَذَبَاتِ الْبَانِ رِيْحُ صَبَا	....	وَأَطْرَبَ الْعِيْسَ حَادِي الْعِيْسِ بِالنَّغَمِ	٢٩٩

تعارف كتب المدينة العلمية

شعبة لكتب أعلى حضرة:

الكتب الأردية:

۰۱...راہِ خدامیں خرچ کرنے کے فضائل (رَادُّالْقَحْطِ وَالْوَبَاء بِدَعْوَةِالْجِيْرَانِ وَمُوَاسَاةِالْفُقَرَاء)(کل صفحات:۴۰)	۰۹...معاشی ترقی کاراز (حاشیہ وتشریح تدبیر فلاح ونجات واصلاح)(کل صفحات:۴۱)
۰۲...کرنسی نوٹ کے شرعی احکامات (كِفْلُ الْفَقِيْهِ الْفَاهِمِ فِيْ أَحْكَامِ قِرْطَاسِ الدَّرَاهِم)(کل صفحات:۱۹۹)	۱۰...اعلیٰ حضرت سے سوال جواب (إِظْهَارُ الْحَقِّ الْجَلِيّ)(کل صفحات:۱۰۰)
۰۳...فضائل دعا (أَحْسَنُ الْوِعَاءِ لِآدَابِ الدُّعَاءِ مَعَهُ ذَيْلُ الْمُدَّعَاءِ لِأَحْسَنِ الْوِعَاء)(کل صفحات:۳۲۶)	۱۱... حقوق العباد کیسے معاف ہوں (أَعْجَبُ الْإِمْدَاد)(کل صفحات:۴۷)
۰۴... عیدین میں گلے ملنا کیسا؟ (وِشَاحُ الْجِيْدِ فِيْ تَحْلِيْلِ مُعَانَقَةِ الْعِيْد)(کل صفحات:۵۵)	۱۲... ثبوتِ ہلال کے طریقے (طُرُقُ إِثْبَاتِ هِلَال)(کل صفحات:۶۳)
۰۵...والدین، زوجین اور اساتذہ کے حقوق (اَلْحُقُوْقُ لِطَرْحِ الْعُقُوْق)(کل صفحات:۱۲۵)	۱۳...اولاد کے حقوق (مَشْعَلَةُ الْإِرْشَاد)(کل صفحات۳۱)
۰۶...الملفوظ المعروف بہ ملفوظاتِ اعلیٰ حضرت (مکمل چار حصے)(کل صفحات:۵۶۱)	۱۴... ایمان کی پہچان (حاشیہ تمہیدِ ایمان)(کل صفحات: ۷۴)
۰۷... شریعت وطریقت (مَقَالُ الْعُرَفَاءِ بِإِعْزَازِ شَرْعٍ وَعُلَمَاء)(کل صفحات:۵۷)	۱۵...اَلْوَظِيْفَةُ الْكَرِيْمَة(کل صفحات:۴۶)
۰۸...ولایت کا آسان راستہ (تصورِ شیخ)(اَلْيَاقُوْتَةُ الْوَاسِطَة)(کل صفحات: ۶۰)	۱۶... کنزالایمان مع خزائن العرفان (کل صفحات:۱۱۸۵)

الكتب العربية:

۱۷، ۱۸، ۱۹، ۲۰، ۲۱...جَدُّ الْمُمْتَار عَلٰى رَدِّ الْمُحْتَار ((المجلد الاول والثانی والثالث والرابع والخامس)) کل صفحات: ۵۷۰، ۶۷۲، ۷۱۳، ۴۸۳، ۶۵۰)	۲۵...اَلزَّمْزَمَةُ الْقَمَرِيَّة(کل صفحات:۹۳)
۲۲...اَلتَّعْلِيْقُ الرَّضَوِى عَلٰى صَحِيْحِ الْبُخَارِى(کل صفحات: ۴۵۸)	۲۶...اَلْفَضْلُ الْمَوْهَبِى(کل صفحات: ۴۶)
۲۳... كِفْلُ الْفَقِيْهِ الْفَاهِم(کل صفحات: ۷۴)	۲۷...تَمْهِيْدُ الْإِيْمَان(کل صفحات: ۷۷)
۲۴...اَلْإِجَازَاتُ الْمَتِيْنَة(کل صفحات: ۶۲)	۲۸...اَجْلَى الْإِعْلَام(کل صفحات:۷۰)
۲۹...إِقَامَةُ الْقِيَامَة(کل صفحات: ۶۰)	

سیأتي قریبا إن شاء الله تعالى

۰۱...جدالممتار (جلد۷،۶،۵)

شعبة لتراجم الکتب:

۰۱...اللہ والوں کی باتیں (حِلْیَةُ الْاَوْلِیَاءِ وَطَبَقَاتُ الْاَصْفِیَاء) پہلی جلد (کل صفحات:۸۹۶)	۱۵...احیاء العلوم کا خلاصہ (لُبَابُ الْاِحْیَاء) (کل صفحات:۶۴۱)
۰۲...مدنی آقا کے روشن فیصلے (اَلْبَاهِرُ فِیْ حُکْمِ النَّبِیِّ صَلَّی اللّٰهُ عَلَیْهِ وَسَلَّم بِالْبَاطِنِ وَالظَّاهِر) (کل صفحات:۱۱۲)	۱۶...حکایتیں اور نصیحتیں (اَلرَّوْضُ الْفَائِق) (کل صفحات:۶۴۹)
۰۳...سایۂ عرش کس کس کو ملے گا...؟ (تَمْهِیْدُ الْفَرْش فِی الْخِصَالِ الْمُوْجِبَةِ لِظِلِّ الْعَرْش) (کل صفحات:۲۸)	۱۷...اچھے برے عمل (رِسَالَةُ الْمُذَاکَرَة) (کل صفحات:۱۲۲)
۰۴...نیکیوں کی جزائیں اور گناہوں کی سزائیں (قُرَّةُ الْعُیُوْن وَمُفَرِّحُ الْقَلْبِ الْمَحْزُوْن) (کل صفحات:۱۴۲)	۱۸...شکر کے فضائل (اَلشُّکْرُ لِلّٰهِ عَزَّوَجَلَّ) (کل صفحات:۱۲۲)
۰۵...نصیحتوں کے مدنی پھول بوسیلۂ احادیثِ رسول (اَلْمَوَاعِظ فِی الْاَحَادِیْثِ الْقُدْسِیَّة) (کل صفحات:۵۴)	۱۹...حسنِ اخلاق (مَکَارِمُ الْاَخْلَاق) (کل صفحات:۱۰۲)
۰۶...جنت میں لے جانے والے اعمال (اَلْمَتْجَرُ الرَّابِح فِیْ ثَوَابِ الْعَمَلِ الصَّالِح) (کل صفحات:۷۴۳)	۲۰...آنسوؤں کا دریا (بَحْرُ الدُّمُوْع) (کل صفحات:۳۰۰)
۰۷...امامِ اعظم عَلَیْهِ رَحْمَةُ اللّٰهِ الْاَکْرَم کی وصیتیں (وَصَایَا اِمَام اَعْظَم عَلَیْهِ الرَّحْمَة) (کل صفحات:۴۶)	۲۱...آدابِ دین (اَلْاَدَبُ فِی الدِّیْن) (کل صفحات:۶۳)
۰۸...جہنم میں لے جانے والے اعمال * جلد اول (اَلزَّوَاجِر عَنْ اِقْتِرَافِ الْکَبَائِر) (کل صفحات:۸۵۳)	۲۲...شاہراہِ اولیا (مِنْهَاجُ الْعَارِفِیْن) (کل صفحات:۳۶)
۰۹...نیکی کی دعوت کے فضائل (اَلْاَمْرُ بِالْمَعْرُوْف وَالنَّهْیُ عَنِ الْمُنْکَر) (کل صفحات:۹۸)	۲۳...بیٹے کو نصیحت (اَیُّهَا الْوَلَد) (کل صفحات:۶۴)
۱۰...فیضانِ مزاراتِ اولیاء (کَشْفُ النُّوْر عَنْ اَصْحَابِ الْقُبُوْر) (کل صفحات:۱۴۴)	۲۴...اَلدَّعْوَةُ اِلَی الْفِکْر (کل صفحات:۱۴۸)
۱۱...دنیا سے بے رغبتی اور امیدوں کی کمی (اَلزُّهْد وَقَصْرُ الْاَمَل) (کل صفحات:۸۵)	۲۵...اصلاحِ اعمال * جلد اول (اَلْحَدِیْقَةُ النَّدِیَّة شَرْحُ طَرِیْقَةِ الْمُحَمَّدِیَّة) (کل صفحات:۸۶۶)
۱۲...راہِ علم (تَعْلِیْمُ الْمُتَعَلِّم طَرِیْقَ التَّعَلُّم) (کل صفحات:۱۰۲)	۲۶...جہنم میں لے جانے والے اعمال * جلد دوم (اَلزَّوَاجِر عَنْ اِقْتِرَافِ الْکَبَائِر) (کل صفحات:۱۰۱۲)
۱۳...عُیُوْنُ الْحِکَایَات * مترجم، حصہ اول (کل صفحات:۴۱۲)	۲۷...عاشقانِ حدیث کی حکایات (اَلرِّحْلَة فِیْ طَلَبِ الْحَدِیْث) (کل صفحات:۱۰۵)

۱۴...عُیُوْنُ الْحِکَایَات * مترجم، حصہ دوم (کل صفحات:۴۱۳)	۲۸...احیاء العلوم جلد اول * احیاء علوم الدین (کل صفحات:۱۱۲۴)

سیأتي قریبا إن شاء الله تعالى:

۰۱...اللہ والوں کی باتیں * جلد	۰۲ ... قوت القلوب * جلد اول

شعبة للکتب الدراسیة:

۰۱...مراح الارواح مع حاشیة ضیاء الاصباح (کل صفحات:۲۴۱)	۱۵...نصاب النحو (کل صفحات:۲۸۸)
۰۲...الاربعین النوویة فی الأحادیث النبویة (کل صفحات:۱۵۵)	۱۶...نصاب اصولِ حدیث (کل صفحات:۹۵)
۰۳...اتقان الفراسة شرح دیوان الحماسه (کل صفحات:۳۲۵)	۱۷...نصاب التجوید (کل صفحات:۷۹)
۰۴...اصول الشاشی مع احسن الحواشی (کل صفحات:۲۹۹)	۱۸...المحادثة العربیة (کل صفحات:۱۰۱)
۰۵...نور الایضاح مع حاشیة النور والضیاء (کل صفحات:۳۹۲)	۱۹...تعریفاتِ نحویة (کل صفحات:۴۵)
۰۶...شرح العقائد مع حاشیة جمع الفرائد (کل صفحات:۳۸۴)	۲۰...خاصیات ابواب (کل صفحات:۱۴۱)
۰۷...الفرح الکامل علی شرح مئة عامل (کل صفحات:۱۵۸)	۲۱...شرح مئة عامل (کل صفحات:۴۴)
۰۸...عنایة النحو فی شرح هدایة النحو (کل صفحات:۲۸۰)	۲۲...نصاب الصرف (کل صفحات:۳۴۳)
۰۹...صرف بهائی مع حاشیة صرف بنائی (کل صفحات:۵۵)	۲۳...نصاب المنطق (کل صفحات:۱۶۸)
۱۰...دروس البلاغة مع شموس البراعة (کل صفحات:۲۴۱)	۲۴...انوار الحدیث (کل صفحات:۴۶۶)
۱۱...مقدمة الشیخ مع التحفة المرضیة (کل صفحات:۱۱۹)	۲۵...نصاب الادب (کل صفحات:۱۸۴)
۱۲...نزهة النظر شرح نخبة الفکر (کل صفحات:۱۷۵)	۲۶...تفسیر الجلالین مع حاشیة انوار الحرمین (کل صفحات:۳۶۴)
۱۳...نحو میر مع حاشیة نحو منیر (کل صفحات:۲۰۳)	۲۷...عصیدة الشهدة شرح قصیدة البردة (کل صفحات:۳۱۷)
۱۴...تلخیص اصول الشاشی (کل صفحات:۱۴۴)	۲۸...خلفائے راشدین

شعبة للتخریج:

۰۱...صحابہ کرام رِضْوَانُ اللّٰهِ تَعَالٰی عَلَیْهِمْ اَجْمَعِیْن کا عشقِ رسول (کل صفحات:۲۷۴)	۱۶...اسلامی زندگی (کل صفحات:۱۷۰)
۰۲...بہارِ شریعت * جلد اوّل (حصہ اول تا ششم، کل صفحات:۱۳۶۰)	۱۷...آئینۂ قیامت (کل صفحات:۱۰۸)
۰۳...بہارِ شریعت * جلد دوم (حصہ ۷ تا ۱۳) (کل صفحات:۱۳۰۴)	۱۸ تا ۲۴...فتاوی اہلِ سنت (سات حصے)
۰۴...اُمہات المؤمنین رَضِیَ اللّٰهُ تَعَالٰی عَنْهُن (کل صفحات:۵۹)	۲۵...حق و باطل کا فرق (کل صفحات:۵۰)

٠٥... عجائب القرآن مع غرائب القرآن (کل صفحات: ٤٢٢)	٢٦... بہشت کی کنجیاں (کل صفحات: ٢٤٩)
٠٦... گلدستہ عقائد و اعمال (کل صفحات: ٢٤٤)	٢٧... جہنم کے خطرات (کل صفحات: ٢٠٧)
٠٧... بہار شریعت (سولہواں حصہ، کل صفحات ٣١٢)	٢٨... کراماتِ صحابہ (کل صفحات: ٣٤٦)
٠٨... تحقیقات (کل صفحات: ١٤٢)	٢٩... اخلاق الصالحین (کل صفحات: ٧٨)
٠٩... اچھے ماحول کی برکتیں (کل صفحات: ٥٦)	٣٠... سیرت مصطفی (کل صفحات: ٨٧٥)
١٠... جنتی زیور (کل صفحات: ٦٧٩)	٣١... آئینۂ عبرت (کل صفحات: ١٣٣)
١١... علم القرآن (کل صفحات ٢٤٤:)	٣٢... بہار شریعت * جلد سوم (٣) (کل صفحات: ١٣٣٢)
١٢... سوانح کربلا (کل صفحات: ١٩٢)	٣٣... جنت کے طلبگاروں کے لئے مدنی گلدستہ (کل صفحات: ٤٧٠)
١٣... اربعین حنفیہ (کل صفحات: ١١٢)	٣٤... فیضانِ نماز (کل صفحات: ٤٩)
١٤... کتاب العقائد (کل صفحات: ٦٤)	٣٥... ١٩ دُرود و سلام (کل صفحات: ١٦)
١٥... منتخب حدیثیں (کل صفحات: ٢٤٦)	٣٦... سورۂ یٰس شریف اور اس کے فضائل (کل صفحات: ١٦)

شعبة لفيضانِ الصحابة:

٠١... حضرت طلحہ بن عبید اللہ رضی اللہ تعالٰی عنہ (کل صفحات: ٥٦)	٠٤... حضرت ابو عبیدہ بن جراح رضی اللہ تعالٰی عنہ (کل صفحات: ٦٠)
٠٢... حضرت زبیر بن عوام رضی اللہ تعالٰی عنہ (کل صفحات: ٧٢)	٠٥... حضرت عبد الرحمن بن عوف رضی اللہ تعالٰی عنہ (کل صفحات: ١٣٢)
٠٣... حضرت سیدنا سعد بن ابی وقاص رضی اللہ تعالٰی عنہ (کل صفحات: ٨٩)	٠٦... فیضانِ سعید بن زید رضی اللہ تعالٰی عنہ (کل صفحات: ٣٢)
٠٧... فیضانِ صدیق اکبر رضی اللہ تعالٰی عنہ (کل صفحات: ٧٢٠)	

سيأتي قريبا إن شاء الله تعالى:

٠١... فیضانِ فاروقِ اعظم رضی اللہ تعالٰی عنہ

شعبة لتفتيش الكتب:

٠١... غوثِ پاک رضی اللہ تعالٰی عنہ کے حالات (کل صفحات: ١٠٦)	١٩... طلاق کے آسان مسائل (کل صفحات: ٣٠)
٠٢... تکبر کل صفحات: ٩٧)	٢٠... مفتی دعوتِ اسلامی (کل صفحات: ٩٦)
٠٣... فرامین مصطفی صَلَّی اللہُ تَعَالٰی عَلَیْہِ وَاٰلِہٖ وَسَلَّم (کل صفحات: ٨٧)	٢١... فیضانِ چہل احادیث (کل صفحات: ١٢٠)

٠٤... بد گمانی (کل صفحات: ٥٧)	٢٢... شرح شجرہ قادریہ (کل صفحات: ٢١٥)
٠٥... قبر میں کام آنے والا دوست (کل صفحات: ١١٥)	٢٣... نماز میں لقمہ دینے کے مسائل (کل صفحات: ٣٩)
٠٦... نور کا کھلونا (کل صفحات: ٣٢)	٢٤... خوفِ خدا عَزَّوَجَلَّ (کل صفحات: ١٦٠)
٠٧... اعلی حضرت کی انفرادی کوششیں (کل صفحات: ٤٩)	٢٥... تعارفِ امیر اہلسنّت (کل صفحات: ١٠٠)
٠٨... فکرِ مدینہ (کل صفحات: ١٦٤)	٢٦... انفرادی کوشش (کل صفحات: ٢٠٠)
٠٩... امتحان کی تیاری کیسے کریں؟ (کل صفحات: ٣٢)	٢٧... آیاتِ قرآنی کے انوار (کل صفحات: ٦٢)
١٠... ریاکاری (کل صفحات: ١٧٠)	٢٨... نیک بننے اور بنانے کے طریقے (کل صفحات: ٦٩٦)
١١... قومِ جنّات اور امیر اہلسنّت (کل صفحات: ٢٦٢)	٢٩... فیضانِ احیاء العلوم (کل صفحات: ٣٢٥)
١٢... عشر کے احکام (کل صفحات: ٤٨)	٣٠... ضیائے صدقات (کل صفحات: ٤٠٨)
١٣... توبہ کی روایات و حکایات (کل صفحات: ١٢٤)	٣١... جنت کی دو چابیاں (کل صفحات: ١٥٢)
١٤... فیضانِ زکوٰۃ (کل صفحات: ١٥٠)	٣٢... کامیاب استاذ کون؟ (کل صفحات: ٤٣)
١٥... احادیثِ مبارکہ کے انوار (کل صفحات: ٦٦)	٣٣... تنگ دستی کے اسباب (کل صفحات: ٣٣)
١٦... تربیتِ اولاد (کل صفحات: ١٨)	٣٤... حضرت سیدنا عمر بن عبد العزیز کی حکایات (کل صفحات: ٥٩٠)
١٧... کامیاب طالب علم کون؟ (کل صفحات: ٦٣)	٣٥... حج و عمرہ کا مختصر طریقہ (کل صفحات: ٤٨)
١٨... ٹی وی اور موو ی (کل صفحات: ٣٢)	٣٦... جلد بازی کے نقصانات (کل صفحات: ١٦٨)

سيأتي قريبا إن شاء الله تعالى:

٠١... قسم کے احکام	٠٢... حسد	٠٣... جلد بازی
٠٤... فیضانِ دعا (غار کے قیدی)	٠٥... بخل	٠٦... فیضانِ اسلام

شعبة لكتب أمير أهل السنة:

٠١... سرکار صَلَّی اللہُ تَعَالٰی عَلَیْہِ وَاٰلِہٖ وَسَلَّم کا پیغام عطار کے نام (کل صفحات: ٤٩)	٣٤... فلمی اداکار کی توبہ (کل صفحات: ٣٢)
٠٢... مقدس تحریرات کے ادب کے بارے میں سوال جواب (کل صفحات: ٤٨)	٣٥... ساس بہو میں صلح کا راز (کل صفحات: ٣٢)
٠٣... اصلاح کا راز (مدنی چینل کی بہاریں * حصہ دوم) (کل صفحات: ٣٢)	٣٦... قبرستان کی چڑیل (کل صفحات: ٢٤)
٠٤... ٢٥ کرسچین قیدیوں اور پادری کا قبولِ اسلام (کل صفحات: ٣٣)	٣٧... فیضان امیر اہلسنّت (کل صفحات: ١٠١)

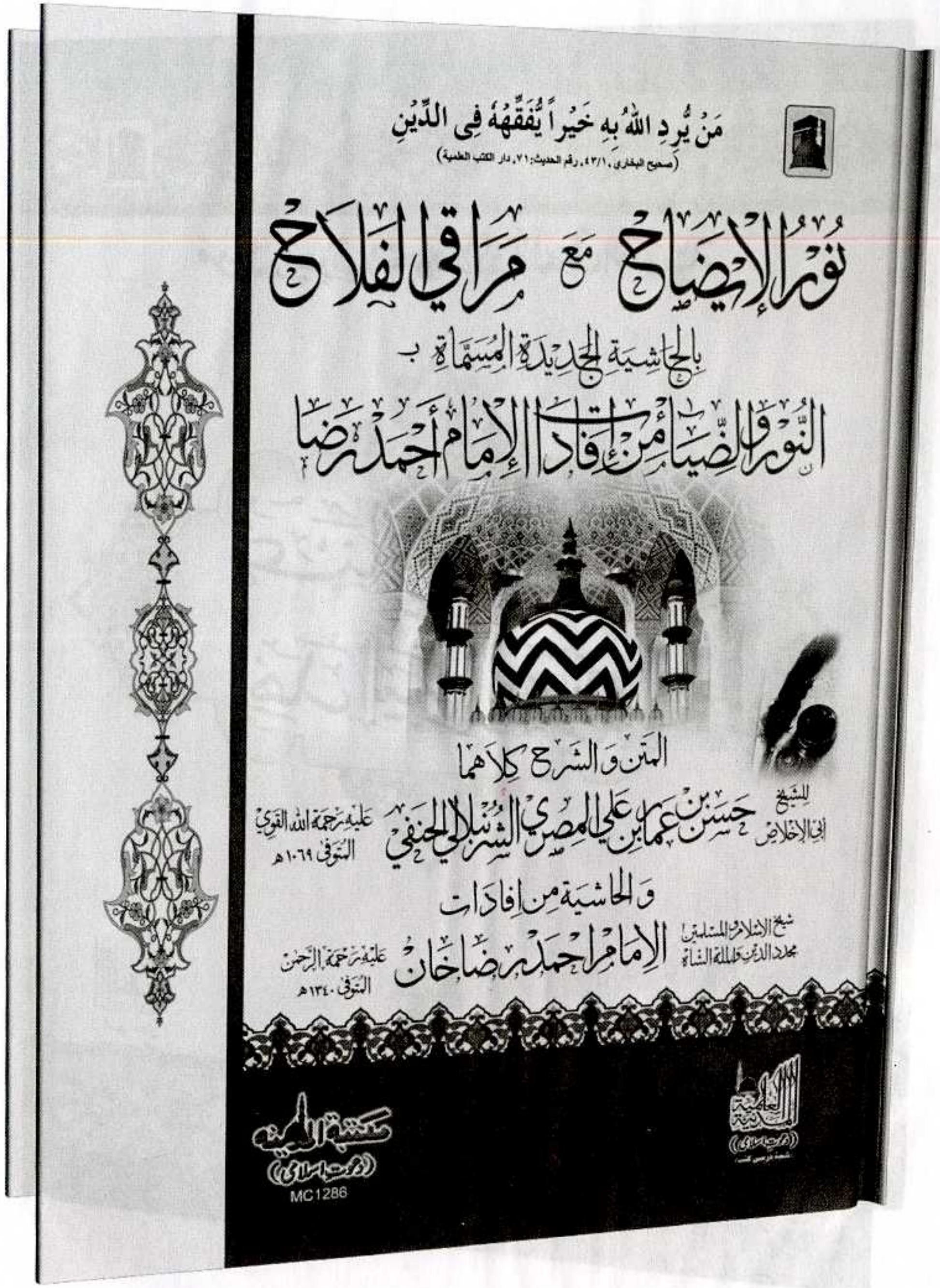
٠٥...دعوتِ اسلامی کی جیل خانہ جات میں خدمات (کل صفحات : ٢٤)	٣٨... حیرت انگیز حادثہ (کل صفحات: ٣٢)
٠٦...وضو کے بارے میں وسوسے اور ان کا علاج (کل صفحات: ٤٨)	٣٩...ماڈرن نوجوان کی توبہ (کل صفحات: ٣٢)
٠٧...تذکرۂ امیر اہلسنّت * قسط سوم (سنّت نکاح) (کل صفحات: ٨٦)	٤٠... کرسچین کا قبولِ اسلام (کل صفحات: ٣٢)
٠٨...آداب مرشدِ کامل * مکمل پانچ حصے (کل صفحات: ٢٧٥)	٤١... صلوۃ وسلام کی عاشقہ (کل صفحات: ٣٣)
٠٩...بلند آواز سے ذکر کرنے میں حکمت (کل صفحات: ٤٨)	٤٢... کرسچین مسلمان ہوگیا (کل صفحات: ٣٢)
١٠... قبر کھل گئی (کل صفحات: ٤٨)	٤٣... میوزکل شو کا متوالا (کل صفحات: ٣٢)
١١...پانی کے بارے میں اہم معلومات (کل صفحات: ٤٨)	٤٤... نورانی چہرے والے بزرگ (کل صفحات: ٣٢)
١٢... گونگا مبلغ (کل صفحات: ٥٥)	٤٥...آنکھوں کا تارا (کل صفحات: ٣٢)
١٣...دعوتِ اسلامی کی مَدَنی بہاریں (کل صفحات: ٢٢٠)	٤٦...ولی سے نسبت کی برکت (کل صفحات: ٣٢)
١٤... گمشدہ دولہا (کل صفحات: ٣٣)	٤٧... بابرکت روٹی (کل صفحات : ٣٢)
١٥...میں نے مدنی برقع کیوں پہنا؟ (کل صفحات: ٣٣)	٤٨...اغواشدہ بچوں کی واپسی (کل صفحات: ٣٢)
١٦... جنوں کی دنیا (کل صفحات: ٣٢)	٤٩... میں نیک کیسے بنا (کل صفحات: ٣٢)
١٧...تذکرۂ امیر اہلسنّت * قسط ( ) (کل صفحات: ٤٨)	٥٠... شرابی، موذن کیسے بنا (کل صفحات: ٣٢)
١٨... غافل درزی (کل صفحات: ٣٦)	٥١... بدکردار کی توبہ (کل صفحات: ٣٢)
١٩... مخالفت محبت میں کیسے بدلی؟ (کل صفحات: ٣٣)	٥٢... خوش نصیبی کی کرنیں (کل صفحات: ٣٢)
٢٠... مردہ بول اٹھا (کل صفحات: ٣٢)	٥٣... ناکام عاشق (کل صفحات: ٣٢)
٢١...تذکرۂ امیر اہلسنّت * قسط (کل صفحات: ٤٩)	٥٤... میں نے ویڈیو سینٹر کیوں بند کیا؟ (کل صفحات: ٣٢)
٢٢... کفن کی سلامتی (کل صفحات: ٣٢)	٥٥... چمکتی آنکھوں والے بزرگ (کل صفحات: ٣٢)
٢٣...تذکرۂ امیر اہلسنّت * قسط (کل صفحات: ٤٩)	٥٦... علم وحکمت کے ١٢٥ مدنی پھول (تذکرہ امیر اہلسنت * قسط ٥) (کل صفحات: ١٠٢)
٢٤...میں حیادار کیسے بنی؟ (کل صفحات: ٣٢)	٥٧... حقوق العباد کی احتیاطیں (تذکرہ امیر اہلسنت * قسط ٦) (کل صفحات: ٤٧)
٢٥... چل مدینہ کی سعادت مل گئی (کل صفحات: ٣٢)	٥٨... نادان عاشق (کل صفحات: ٣٢)
٢٦... بدنصیب دولہا (کل صفحات: ٣٢)	٥٩... سینما گھر کا شیدائی (کل صفحات: ٣٢)
٢٧... معذور بچی مبلغہ کیسے بنی؟ (کل صفحات: ٣٢)	٦٠... گونگے بہروں کے بارے میں سوال جواب * قسط پنجم (٥) (کل صفحات: ٢٣)

٢٨... بے قصور کی مدد (کل صفحات: ٣٢)	٦١... ڈانسر نعت خوان بن گیا (کل صفحات: ٣٢)
٢٩... عطاری جن کا غسلِ میّت (کل صفحات: ٢٤)	٦٢... گلوکار کیسے سدھرا؟ (کل صفحات: ٣٢)
٣٠... ہیروئنچی کی توبہ (کل صفحات: ٣٢)	٦٣... نشے باز کی اصلاح کا راز (کل صفحات: ٣٢)
٣١... نو مسلم کی درد بھری داستان (کل صفحات: ٣٢)	٦٤... کالے بچھو کا خوف (کل صفحات: ٣٢)
٣٢... مدینے کا مسافر (کل صفحات: ٣٢)	٦٥... بریک ڈانسر کیسے سدھرا؟ (کل صفحات: ٣٢)
٣٣... خوفناک دانتوں والا بچہ (کل صفحات: ٣٢)	٦٦... عجیب الخلقت بچی (کل صفحات: ٣٢)

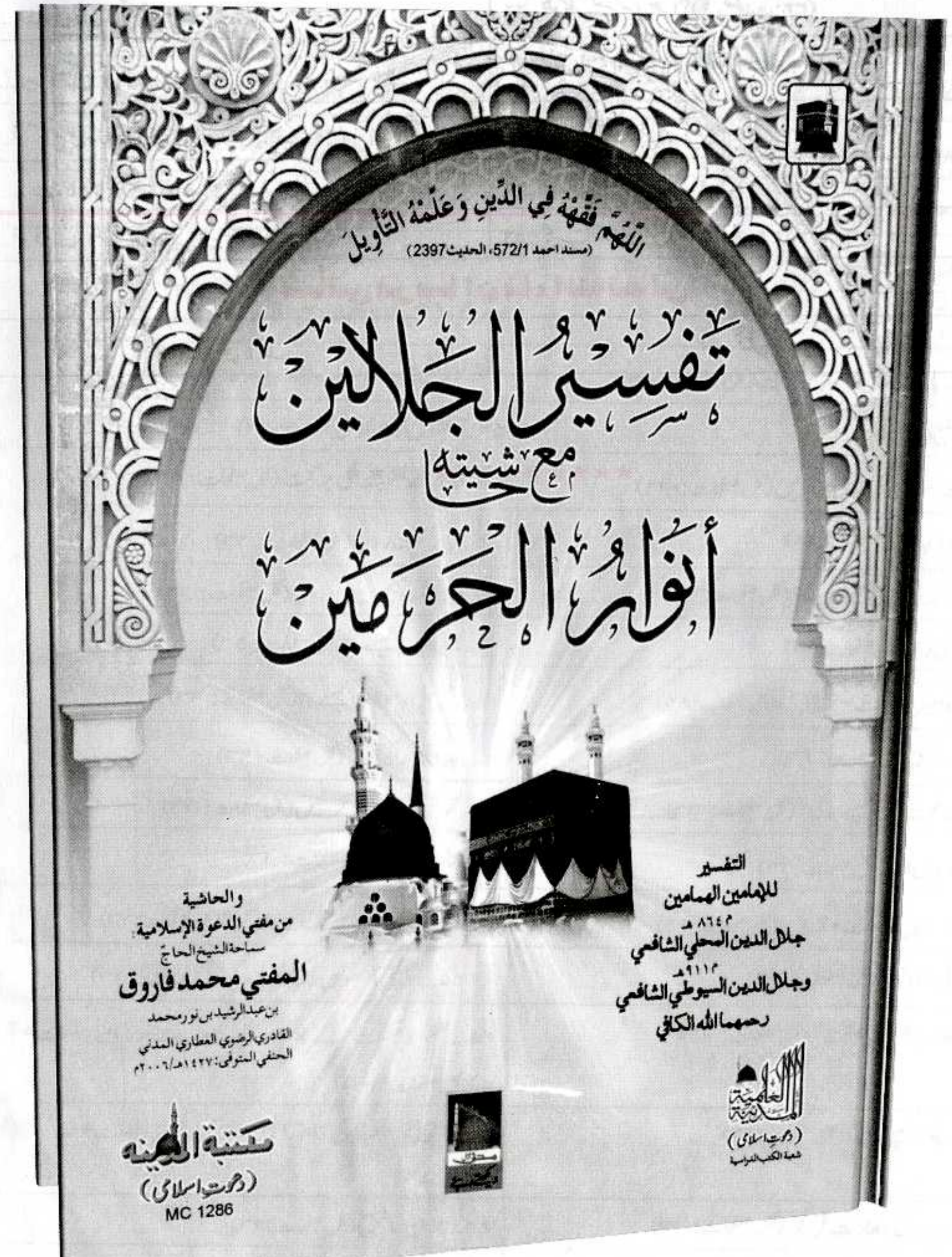
سيأتي قريبا إن شاء الله تعالى:

٠١... اجنبی کا تحفہ	٠٢... جیل کا گویا

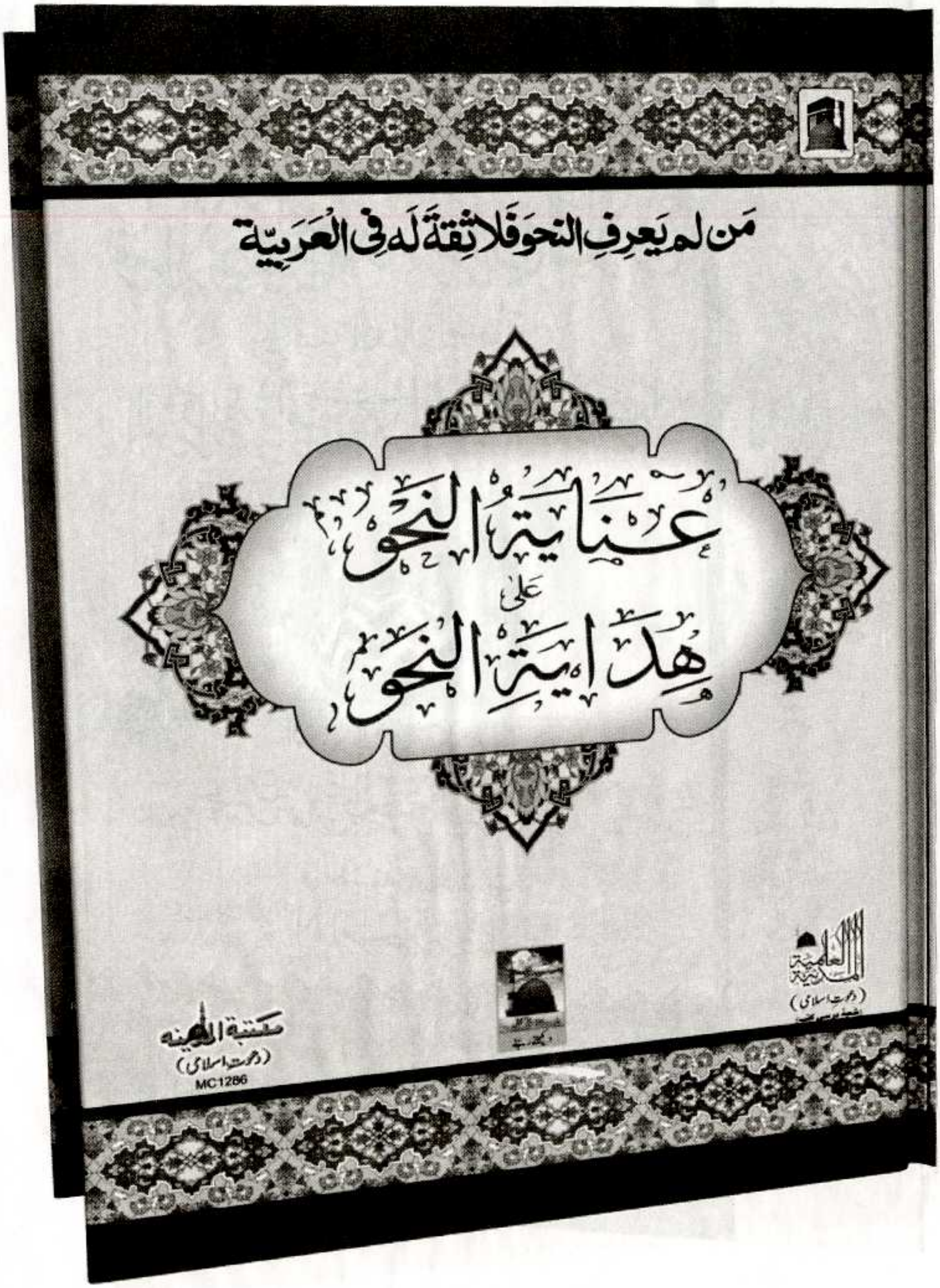
****



مَنْ يُرِدِ اللهُ بِهِ خَيْراً يُفَقِّهْهُ فِى الدِّيْنِ
نُورُ الإيضَاح مَعَ مَرَاقِي الفَلاح
بالحاشية الجديدة المسمّاة ب
النُّورُ وَالضِّيَاءُ مِنْ إِفَادَاتِ الإِمَامِ أَحْمَدُ رِضَا
المتن و الشرح كلاهما
للشيخ أبي الإخلاص حسن بن عمار بن علي المصري الشرنبلالي الحنفي
عليه رحمة الله القوي المتوفى ١٠٦٩ هـ
و الحاشية من إفادات
شيخ الإسلام والمسلمين مجدد الدين والملة الشاة
الإمام أحمد رضا خان
عليه رحمة الرحمن المتوفى ١٣٤٠ هـ
مكتبة المدينه
(دعوتِ اسلامی)
MC1286



اللّٰهُمَّ فَقِّهْهُ فِي الدِّينِ وَعَلِّمْهُ التَّأْوِيلَ
(مسند احمد 1/572، الحديث 2397)
تفسير الجلالين
مع حاشيته
أنوار الحرمين
التفسير
للإمامين الهمامين
جلال الدين المحلي الشافعي ٨٦٤ هـ
وجلال الدين السيوطي الشافعي ٩١١ هـ
رحمهما الله الكافي
والحاشية
من مفتي الدعوة الإسلامية
سماحة الشيخ الحاج
المفتي محمد فاروق
بن عبد الرشيد بن نور محمد
القادري الرضوي العطاري المدني
الحنفي المتوفى: ١٤٢٧هـ/٢٠٠٦م
مكتبة المدينه
(دعوتِ اسلامی)
MC 1286


مَن لم يَعرِفِ النحوَ فلا ثِقةَ لهُ في العَرَبِيّة
عنايةُ النحو
على
هِداية النحو
مكتبة المدينه
(دعوت اسلامی)
MC1286
المدينة العلمية
(دعوت اسلامی)

اَلْحَمْدُ لِلّٰهِ رَبِّ الْعٰلَمِيْنَ وَالصَّلٰوةُ وَالسَّلَامُ عَلٰى سَيِّدِ الْمُرْسَلِيْنَ اَمَّا بَعْدُ فَاَعُوْذُ بِاللّٰهِ مِنَ الشَّيْطٰنِ الرَّجِيْمِ بِسْمِ اللّٰهِ الرَّحْمٰنِ الرَّحِيْمِ

دعوة للسنن

يتم بحمد الله تعالى تعليم وتعلّم السنن والآداب في البيئة المتدينة لمركز الدعوة الإسلامية العالمي الغير السياسي، الرجاء منكم الحضور في **الاجتماعات الأسبوعيّة** المليئة بالسنن التي تعقدها مركز الدعوة الإسلامية في بلادكم عقب صلاة المغرب كلّ يوم الخميس، وقضاء الليل كلّه فيها بالنيات الحسنة بقصد إرضاء الله وابتغاء وجهه، والسفر في **قوافل المدينة** مَعَ عشّاق الحبيب المصطفى صلّى الله تعالى عليه وسلّم بقصد حصول الثواب، ومحاسبة النفس يوميًّا بطريق ملء **كُتَيِّب جوائز** المدينة (جَدْوَل الأعمالِ التربوية)، وتسليمه إلى المسؤول خلال العشرة الأيّام الأولى من كلّ شهرٍ، وذلك سيجعلكم تطبّقون السنّة، وتكرهون المعاصي وتفكّرون في الثبات على الإيمان إن شاء الله عزّوجلّ،

وعلى كلّ مسلم أن يضع هذا الهدف نصب عينَيه: **علي محاولةُ إصلاحِ نفسي وجميعِ أُناسِ العالَم** إن شاء الله عزّوجلّ، حيث يلزمني العملُ بجوائز المدينة للإصلاحِ النفسي، والسفرُ مَعَ قوافلِ المَدينةِ لمحاولة إصلاح جميع الناس في العالَم إن شاء الله عزّوجلّ.






ISBN 978-969-579-792-1
0101507
مكتبة المدينة
MAKTABA TUL MADINAH
MC 1286

فيضانِ مدينه سوق الخضار السا بق حي سودا غران كراتشي، باكستان.
٩٢ ٢٦ ٢٥ ١١١ UAN+٩٢٣ التحويلة: ١٢٨٤
www.dawateislami.net Email: ilmia@dawateislami.net